شفاء الصدور

في شرح زيارة العاشور

تأليف

العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني

(١٢٧٣ - ١٣١٦ هـ)

الجزء الثاني

ترجمة وتحقيق

محمد شعاع فاخر

شفاء الصدور

في شرح زيارة العاشور

تأليف

العلامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني

(١٢٧٣ - ١٣١٦ هـ)

ترجمة وتحقيق

محمد شعاع فاخر

الجزء الثاني

شبكة الفكر
alfeker.net

بسم الله الرحمن الرحيم

ردمك الجزء الثاني : ٣ ـ ٠٠١ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤
ISBN : 964 - 503 - 001 - 3
ردمك الدوره : ١ ـ ٠٠٢ ـ ٥٠٣ ـ ٩٦٤
ISBN : 964 - 503 - 002 - 1

الكتاب : شفاء الصدور في شرح زيارة العاشور / ج ٢
المؤلف : العلّامة الحاج ميرزا أبي الفضل الطهراني
الناشر : انتشارات المكتبة الحيدرية
عدد الصفحات والقطع : ٤٤٨ صفحة وزيري
عدد المطبوع : ١٥٠٠ جلد من الجزء الثاني
الطبعة : الأُولى
سنة الطبع : ١٣٨٣ ـ ١٤٢٦ هـ
المطبعة : شريعت
سعر الدورة الواحدة (١ / ٢) : ٦٠٠٠ تومان

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ[١] مَعَ إِمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ...

الشرح: الرزق بفتح الراء[٢] إطعام العباد أقواتها، والرزق بالكسر هو الاسم نفسه.

الإمام: معناه القائد وأصل اشتقاقه من أمّ بمعنى قصد، وجميع تصاريف هذه المادة من قبيل أم وأمه وأمام بالفتح وأمم بمعنى الطريق المستقيم ترجع كلّها إلى هذا المعنى إمّا بواسطة أو بغير واسطة.

والمراد بالإمام في هذه العبارة خاتم الأولياء وبقيّة الأوصياء وحافظ دين الله وخلف أئمّة الهدى، غوث الزمان وقطب دائرة الأرض والسماء إمام العصر عجّل الله تعالى فرجه، واختصاصه بلقب «المنصور» من جهة أنّه وليّ الثأر وطلب دم سيّدالشهداء في عهدة سيفه المالك للعالم، كما أُشير إلى هذا المعنى في الأخبار الكثيرة:

منها: هذا الخبر المروي في كامل الزيارة عن الصادق عليه السلام في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً فَلا يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُوراً﴾[٣] قال: ذلك قائم آل محمّد، يخرج فيقتل بدم الحسين عليه السلام، فلو قتل

---

(١) طلب ثأر الحسين له من العظمة ما لا يعلمها إلّا الله، ولا يقدر على بيانها سواه أو إيضاح فضلها وثوابها؛ لأنّ عظمة دم كلّ شخص وأهمّيّة الطلب به مرتبطة بقدر صاحبه الكبير، وكما أنّ المرء ليس بمستطاعه معرفة مقام الإمام الحسين عليه السلام ومنزلته على نحو الكمال، كذلك لا يستطيع درك الطلب بدمه وأهمّيّته. ولكي نعرف في حدود أبعادنا واستطاعتنا درك تلكم العظمة نطلب من الله في هذه الزيارة أن يجعلنا من الطالبين بثأره، وأن يقسم لنا هذه السعادة. (هامش الأصل)

(٢) قال في لسان العرب: فالرزق ـ بفتح الراء ـ هو المصدر الحقيقي، والرزق الاسم ويجوز أن يوضع موضع المصدر [لسان العرب، مادة رزق]. (المترجم)

(٣) الإسراء: ٣٣.

أهل الأرض لم يكن مسرفاً. وقوله «فلا يسرف في القتل» لم يكن ليصنع شيئاً يكون سرفاً.

ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: يقتل والله ذراري قتلة الحسين بفعل آبائها[1].

وفي هذه الأخبار إشعار بأنّ لقب «المنصور» للإمام القائم هو من الله وضعه عليه، لاستعماله في القرآن، والمراد منه نفس صاحب الأمر.

ومن الطرائف أنّ من ألقابه أيضاً «الناصر لدين الله» وفي هذه المناسبة قلت من قصيدة لي:

أعدّه الله في خزائنه ... للنصر فهو المنصور والناصر

يأخذ ثار الآباء منه فلا ... يثور إلّا غداً له ناصر

ومن ملاحظه هذين البيتين يمكن الوصول إلى حلّ مشكل عويص ويمكن تصويره بقوله تعالى الحمد لله، فقد أجازه جماعة في كلمة «الحمد لله» أن تكون الحامديّة والمحموديّة مختصّة بالله، بمعنى أن يكون هو الحامد وهو المحمود، ولكن العلماء أوردوا على هذا التفسير أنّ الكلمة الواحد لا يمكن أن تؤدّي معنيين في آنٍ، أحدهما معلوم والآخر مجهول.

وجوابه أنّ طبيعة الحمد مختصّة بالله تعالى سواءاً صدر الحمد منه ليكون «حامداً» أو من العبد ليكون «محموداً» كما أشرنا نحن في البيت الأوّل وقلنا: إنّ الله سبحانه أعدّ للنصرة فبنصر الله له يكون منصوراً، وبنصره للمظلومين يكون ناصراً.

وهاهنا سؤال وقد أبانته الأخبار وكشفت عن وجه الحقّ فيه وهو أنّ طلب دم

---

(١) كامل الزيارات: ١٣٥. (المترجم) كامل الزيارات: ٦٣ باب ١٨ رقم ٥، بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٨ ط لبنان. (هامش الأصل)

الحسين من القاتل أمر لا مرية فيه ولكن ما ذنب ذرّيّته حتّى يقتلوا بذنب ما جنته أيديهم مع أنّ القرآن جاء بخلافه، حيث يقول سبحانه: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[1].

والجواب عن ذلك أنّ العقل الصريح والنقل الصحيح يحكم بأنّ الرضا بعمل قوم يُعدّ مشاركة من الراضي في ذلك العمل، ولمّا كانت ذراري القتلة راضين بعمل آبائهم متباهين بتلك الشنايع والفضايع التي ارتكبها آبائهم ويقولون: نحن وآبائنا قتلنا كما سمعت بعضاً من هذا الشعر[2] فيما سبق وبذلك استحقّوا، وورد هذا الجواب في بعض الأخبار من قبيل «عيون أخبار الرضا عليه السلام» فقد ورد فيه جواب مثل هذا على التفصيل، وفي المجلّد العاشر من بحار الأنوار[3]، فمن أراد مزيد الاطّلاع فليرجع إلى هذين الكتابين.

ومن الممكن بل عليه شاهد من بعض الأخبار أنّه في وقت الظهور الموفور السرور للإمام الغايب يسرّ الله بفرجه الرغايب، يحيي الله القتلة الأموات ويقتصّ منهم لذلك الدم الطاهر الذي أراقوه كما يفعل بالشيطانين، وبناءاً على هذا لا يبقى للإشكال وجه[4].

---

(١) الأنعام: ١٦٤.

(٢) في شرح الجملة «لعن الله بني أميّة قاطبة».

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٧٣، علل الشرايع ١: ٢١٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٩٤. (هامش الأصل)

(٤) جاء في أحوال وليّ الأمر عليه السلام عن الرجعة أنّ المفضّل بن عمر قال للإمام الصادق عليه السلام: يا سيّدي، ثمّ يسير المهدي إلى أين؟ قال عليه السلام: إلى مدينة جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فإذا ورد ها كان له فيها مقام عجيب يظهر فيه سرور المؤمنين وخزي الكافرين.

قال المفضّل: يا سيّدي، من هو ذاك؟ قال: يرد إلى قبر جدّه صلى الله عليه وآله فيقول: يا معشر الخلائق، هذا قبر جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فيقولون: نعم يا مهدي آل محمّد. فيقول: ومن معه في القبر؟ فيقولون: صاحباه

. . . . . .

⊃ وضجيعاه أبوبكر وعمر (لعنهما الله). فيقول ـ وهو أعلم بهما ـ والخلائق كلّهم جميعاً يسمعون: من أبوبكر وعمر؟ وكيف دفنا من بين الخلق مع جدّي رسول الله ﷺ وعسى المدفون غيرهما؟ فيقول الناس: يا مهديّ آل محمّد، ما هاهنا غيرهما، إنّهما دفنا معه لأنّهما خليفتا رسول الله ﷺ وأبوا زوجتيه. فيقول للخلق بعد ثلاث: أخرجوهما من قبريهما، فيُخرجهما غضّين طريّين لم يتغيّر خلقهما ولم يشحب لونهما، فيقول: هل فيكم من يعرفهما؟ فيقولون: نعرفهما بالصفة وليس ضجيعا جدّك غيرهما، فيقول: هل فيكم أحد يقول غير هذا أو يشكّ فيهما؟ فيقولون: لا.

فيؤخّر إخراجهما ثلاثة أيّام ثمّ ينتشر الخبر في الناس ويحضر المهدي ويكشف الجدران عن القبرين، ويقول للنقباء: ابحثوا عنهما وانبشوهما، فيبحثون بأيديهم حتّى يصلون (كذا) إليهما فيخرجوهما غضّين طريّين كصورتهما فيكشف عنهما أكفانهما ويأمر برفعهما على دوحة يابسة نخرة فيصلبهما عليها فتحيى الشجرة وتورق ويطول فرعها، فيقول المرتابون من أهل ولايتهما: هذا والله الشرف حقّاً ولقد فُزنا بمحبّتهما وولايتهما، ويخبر من أخفى نفسه ممّن في نفسه مقياس حبّة من محبّتهما وولايتهما فيحضرونهما ويرونهما ويفتنون بهما وينادي منادي المهدي عليه السلام: كلّ من أحبّ صاحبي رسول الله وضجيعيه فلينفرد جانباً فتتجزّأ الخلق جزئين: أحدهما موالٍ والآخر متبرّ منهما.

فيعرض المهدي على أوليائهما البرائة منهما، فيقولون: يا مهدي آل رسول الله ﷺ، نحن لم نتبرّأ منهما ولسنا نعلم أنّ لهما عند الله وعندك هذه المنزلة، وهذا الذي بدئ لنا من فضلهما، أنتبرّأ الساعة منهما وقد رأينا منهما ما رأينا في هذا الوقت من نضارتهما وغضاضتهما وحياة الشجرة بهما؟ بل والله نتبرّأ منك وممّن آمن بك ومن لا يؤمن بهما ومن صلبهما وأخرجهما وفعل بهما ما فعل.

فيأمر المهدي عليه السلام ريحاً سوداء فتهبّ عليهم فتجعلهم كأعجاز نخلٍ خاوية، ثمّ يأمر بإنزالهما فينزلان إليه فيحييهما بإذن الله تعالى، ويأمر الخلائق بالاجتماع ثمّ يقصّ عليهم قصص فعالهما في كلّ كور ودور حتّى يقصّ عليهم قتل هابين بن آدم عليه السلام وجمع النار لإبراهيم عليه السلام ... وضرب سلمان الفارسي، وإشعال النار على باب أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام لإحراقهم بها، وضرب يد الصدّيقة الكبرى فاطمة عليها السلام بالسوط ورفس بطنها وإسقاطها محسنها وسمّ الحسن عليه السلام وقتل الحسين عليه السلام وذبح أطفاله وبني عمّه وأنصاره، وسبي ذراري رسول الله ﷺ وإراقة دماء آل محمّد ﷺ وكلّ دم سفك حراماً، وكلّ فرج نكح حراماً، وكلّ رين وخبث وفاحشة وإثم وظلم وجور وغشم منذ عهد آدم عليه السلام إلى وقت قيام قائمنا كلّ ذلك يعدّده عليه السلام عليهما ويلزمهما إيّاه فيعترفان به. ثمّ يأمر بهما فيقتصّ منهما في ذلك الوقت ⊂

ويبقى السؤال قائماً بناءاً على الوجه الأوّل عن الذرّيّة وهم اليوم قد انقرضوا على الأغلب، وسوف نوافيك ببعض الأخبار عن الأخذ بالثار وعن نصرة هذا الإمام العظيم الحجّة بن الحسن عليه السلام لجدّه الإمام المظلوم في الفقرة الآتية[1] التي لا تخلو من علقة بهذا الفقرة.

➲ بمظالم من حضره ثمّ يصلبهما على الشجرة ويأمر ناراً تخرج من الأرض فتحرقهما والشجرة ثمّ يأمر ريحاً فتنسفهما في اليمّ نسفاً.

قال المفضّل: يا سيّدي، ذلك آخر عذابهما؟ قال: هيهات يا مفضّل، والله ليردنّ وليحضرنّ السيّد الأكبر محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله والصدّيق الأكبر أميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام وكلّ من محّض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، وليقتصّنّ منهم بجميعهم حتّى أنّهم ليقتلان في كلّ يوم وليلة ألف قتلة ويردان إلى ما شاء ربّهما [بحار الأنوار ٥٣: ١٢، وشجرة طوبى ورقة ١٢٢، كتاب يأتي على الناس زمان: ٦٣٨]. (هامش الأصل) واللفظ لبحار الأنوار. (المترجم)

نكتة تستحقّ الملاحظة

كما أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان السبب في محو كلّ بدعة وقمع كلّ معصية وتذليل أهلها، وصار باعثاً على إشاعة أعمال البرّ ورفع مستوى العاملين به، من هذه الجهة عدّ شريكاً لكلّ عامل بمعروف في أجره أو ناهياً عن المنكر في مثوبته، فإنّ هذين الرجلين عادت عليهما الأعمال التي أيّدوها وشدّوا أزر أصحابها بالوزر لأنّهما أقاما كلّ بدعة وكلّ فعل قبيح وهجرا الأعمال الصالحة وأهلها من ثَمّ تحمّلا مع ذوي البدع وأهل الباطل الوزر كلّ الوزر، ولذلك قال الإمام عليه السلام إنّ عليهما ذنوب العالمين من آدم إلى قيام الحجّة المنتظر فإنّ وليّ الأمر يحاسبهما على ذلك ويقتصّ منهما بعد الإثبات. (هامش الأصل)

(١) أطلبها في شرح: «أن يرزقني طلب ثاري مع إمام مهديّ». (هامش الأصل)

صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ...

الشرح: ولمّا كان اللفظ الشريف «الصلوات» تتعلّق فيه أبحاث لطيفة لذلك رأينا من المناسب أن نتعرّض لها على وجه الإجمال، من ثمّ آثرنا إفرادها في متن مستقلّ ونحن نوردها ضمن فوائد.

الفائدة الأُولى:

- المشهور بين العلماء أنّ معنى الصلوات من الله هي الرحمة، ومن الملائكة الاستغفار، ومن البشر الدعاء غير أنّ هذا الحديث لا يستسيغه أصحاب الأذواق المعتد له، لأنّ الأصل في اللفظ عدم حمله على الاشتراك مع أنّ مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ...﴾[1] لا يزال احتمال حمل اللفظ على أكثر من معنى قائماً وهو مظنّة الوقوع في ضيق التأويل مع أنّ رحم فعل متعدّي بنفسه وصلّى فعل لازم وتفسير المتعدّي باللازم غير مستساغ، وإذا تعدّى فعل دعا بـ«على» يكون للشرّ، يقال: دعا عليه وصلّى إذا عدّي بـ«على» يكون بمعنى الرحمة، فيقال: صلّى الله عليه، ويستحيل اختلاف الحكم في مترادفين، مِن ثَمّ قال العلماء: إنّ معنى جامعاً جمع بينهما وهو الانعطاف وهو حقيقته، ويتجلّى أثره في كلّ موقع بحسبه، فالعطف من الله على وجه يناسب عظمة الربوبيّة، ومن الآخرين يناسب موقعهم من حيث الرتبة.

ومن المحتمل أن يكون تعبير العلماء عنه بقولهم: «وهو الأولى» أن يقصدوا هذا المعنى وغرضهم بيان المراد منه لا ما استعمل فيه اللفظ، ولكن الحال اشتبهت على نزر البضاعة وقليل الاطّلاع فتوهّم في اللفظ الاشتراك.

---

(١) الأحزاب: ٥٦.

الفائدة الثانية:

المشهور شهرة محقّقة بل ادّعي عليه في المعتبر ومحكي المنتهى الإجماع وهو أنّ الصلاة على النبيّ لا تجب عند سماع اسمه أو ذكره، ولكن الشيخ الصدوق أوجبها وتبعه على ذلك الفاضل المقداد والمحقّق الأردبيلي وصاحب المدارك والشيخ البهائي والآخوند ملّا صالح المازندراني والمحدّث الكاشاني والمحدّث المجلسي والشيخ مهدي الفتوني وصاحب الحدائق وشارح الصحيفة السجاديّة السيّد علي خان والشيخ عبدالله البحراني، كما نُقل ذلك عن بعضهم، وتشبّثوا بوجوه لا تدلّ على ذلك إمّا من حيث الدلالة أو من ناحية السند، وأصحّ أخبار الباب صحيحة زرارة وفيها جاء الأمر بالصلوات، وقال: «صلِّ على النبيّ كلّما ذكرته أو ذكره ذاكر»[1].

والأمر وإن كان في نفسه ظاهراً في الوجوب ولكنّه يصرف عنه بأدنى صارف، ولمّا كان الخبر يتضمّن ترتيب المستحبّات وجائت الصلوات ضمن ذلك من هنا كان الأمر فيه للاستحباب بل من الأخبار التي استدلّوا بها ما يدلّ على الاستحباب مثل: «البخيل كلّ البخيل من إذا ذكرت عنده لم يصلّ عليّ»[2] ومثل: «من ذكرت عنده فلم يصلّ عليّ أخطأ طريق الجنّة»[3] بل صرّحت بعدم الوجوب ويكفي في ذلك خلوّ الأدعية المأثورة وخطب الأئمّة المشهورة، بل تكفي في إثبات المدّعى السيرة القطعيّة وإن كان الاحتياط يقتضينا لاسيّما في المجالس العامّة أن نجري الصلاة ولو مرّة واحدة من باب الأولى والأليق كما هو ظاهر المحقّق المقدّس الأردبيلي.

---

(١) وسائل الشيعة باب ٣٥ و٤٢ من أبواب الأذان والإقامة. (هامش الأصل.

(٢) الإرشاد: ٢٨٥، بحار الأنوار ٩٤: ٦١ ط طهران. (هامش الأصل)

(٣) ثواب الأعمال: ١٧٨، بحار الأنوار ٩٤: ٦٠ ط طهران. (هامش الأصل)

الفائدة الثالثة:

احتدم الخلاف بين علماء الفريقين في الصلاة على النبيّ وآله هل النفع يعود إلى المصلّي أو المصلّى عليه، واختار كلّ قول من القولين طائفة من العلماء، التحقيق مع القول الأوّل، وهو الذي اختاره العلّامة المجلسي ﷺ في رسالة «العقائد» وغيره من الفقهاء والحكماء والمحدّثين جماعة، لأنّ الأدلّة العقليّة والنقليّة قائمة على هذا المدّعى؛ لأنّ الفقر والحاجة يتقوّم بهما ذات الممكن والغني والمفيض هو الواجب تعالى شأنه.. ويستحيل على الإطلاق أن لا يكون الممكن محتاجاً وإلّا انقلبت الحال، ومهما حصل للذوات الممكنة والمهيّات الجائزة من تحصيل الكمال وتكميل الذات فإنّما يستحيل عليها أن تخرج من دائرة الحاجة إلى المفيض الوهّاب فتضع رجلها خارج تلكم الدائرة كما أشارت إلى ذلك الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾[1].

بل المحقّق أنّ الوجود كلّما كان أكمل وأقوى كان تعلّقه بالمبدأ أكثر، واحتياجه إلى حضرة القدس أوفر، وهذا هو فحوى الإمكان الوجودي بأن تكون ذاته متعلّقة بالمبدأ وجوهره ظلّ لذلك المبدأ.

وبعبارة أوضح: إنّ الهيولى الإنسانيّة للنبوّة ومادّتها الخاصّة هي في أعلى مراتب الاستعداد والقبول لجميع الفيوضات وتمام الخيرات فهي من هذه الناحية لا تتناهى قوّتها، والمبدأ الفيّاض جلّ جلاله أيضاً غير متناهي القوّة فلا قصور في طرف النبوّة من حيث القبول والتلقّي ولا فتور من جهة المبدأ من حيث الفيض والعطاء، ومن لوازم الدعاء الاستجابة ولا يشترط لذلك إلّا استعداد المحلّ وأهليّته للدعاء، وهذا حاصل كما هو المفترض على أكمل وجه وأتمّ المراتب،

---

(١) فاطر: ١٥.

وحينئذٍ يكون الدعاء مستجاباً حتماً وجائت الإشارة إلى هذا المعنى في الأخبار الكثيرة نظير ما ورد في نهج البلاغة المكرّمة: إذا كانت لك إلى الله سبحانه حاجة فابدأ بمسألة الصلاة على النبيّ ثمّ اسأل حاجتك فإنّ الله أكرم من أن يُسئل حاجتين فيقضي أحدهما ويمنع الأُخرى[١].

وهذه العبارة الشريفة صريحة بأنّ الصلاة دعاء مستجاب. ولبعضهم في هذا المقام تقريب لطيف ومؤدّاه: إنّ حاجة الإنسان ذاتها معيبة والصلاة على النبيّ صحيحة، والداعي ضمّ أحدهما إلى الأُخرى ورفعهما إلى رحمة الربوبيّة، فينبغي أن يقبلهما معاً أو يردّهما معاً، والثاني ممتنع فيتعيّن الأوّل إذ التفكيك لا يصحّ لأنّه يرجع إلى تبعيض الصفقة وذلك شرعاً غير جائز.

وممّا يؤيّد مطلبنا الأدعية الشريفة المأثورة في تشريف النبي مثل تبيّض وجهه وتعطيه المنزلة والوسيلة وترفّع درجته وتعلّي كلمته، وتظهر أمره وأمثالها ممّا ورد في فقرات الأدعية[٢].

وما احتمل من أنّ هذه العبارات ما هي إلّا الألفاظ يكلّف الإنسان النطق بها دون قصد الدعاء نفعها عائد للمكلّف دون من عداه، هذا الاحتمال بارد بل يكاد يقتل من البرد، ولا يرضى بهذا التمحّل والتعسّف أيّ متأمّل مستقيم الذوق سليم القريحة، مثلاً كيف تجيز ـ أيّها المسلم ـ أن يكون مثل هذا الدعاء الشريف الذي رواه العلّامة المجلسي في المقباس بسند صحيح في تعقيبات العصر عن الشيخ والسيّد عن صادق آل محمّد عليهم السلام مجرّد كلام وألفاظ متهجّاة وأنّه دعاء

---

(١) نهج البلاغة صبحي صالح: ٥٣٨ الحكمة ٣٦١. (هامش الأصل) نهج اللاغة ٤: ٨٤. (المترجم)

(٢) فلاح السائل: ٢٠٦، بحار الأنوار ٨٦: ٨٩ وورد أيضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله في شأن سيّدالشهداء «إنّ لك درجة عند الله لا تنالها إلّا بالشهادة». (هامش الأصل)

لا يستجاب، والآن إليك الدعاء المشار إليه:

«اللهمّ صلّ على محمّد وآله في الليل إذا يغشى، وصلّ على محمّد وآله في النهار إذا تجلّى، وصلّ على محمّد وآله في الآخرة والأُولى، وصلّى على محمّد وآله ما لاح الجديدان وما أطرد الخافقان وحدى الحاديان وما عسعس ليل وما ادلهمّ ظلام، وما تنفّس الصبح وما أضاء الفجر. اللهمّ اجعل محمّداً خطيب وفد المؤمنين إليك، والمكسوّ حلل الإيمان إذا وقف بين يديك، والناطق إذا خرست الألسن بالثناء عليك. اللهمّ اعل منزلته، وارفع درجته، وأظهر حجّته، وتقبّل شفاعته، وابعثه المقام المحمود الذي وعدته، واغفر له ما أحدث المحدثون من أُمّته من بعده، اللهمّ بلّغ روح محمّد وآل محمّد عنّي التحيّة والسلام، وأردد عليّ منهم تحيّة كثيرة وسلاماً يا ذا الجلال والإكرام»[1].

---

(١) ومن المؤيّدات ما نقله السيّد نعمة الله الجزائري عن بعض العظماء، قال:

١ ـ من المسلّم به عند المسلمين أنّ النبيّ والأئمّة الأطهار يزداد ثوابهم وترتفع درجتهم بازدياد أعمارهم وطولها وهو دليل على إمكان ارتفاع درجاتهم ورقي مقامهم.

٢ ـ إنّ رسول الله والأئمّة الأطهار هم السبب الأوّل في هداية الناس واستقامتهم، وبهم تمكّن الناس من أعمال البرّ والعبادة وإرسال الصلوات، ومن كان السبب في عمل الخير كان شريكاً في أجره ومثوبته، ومن هذه المقدّمة تبرز لنا النتيجة وهي أنّ صلاة الأمّة على النبيّ وآله تكون علّة في ارتقاء درجة النبيّ والأئمّة وحصولهم على الأجر العظيم والثواب الجسيم [زهر الربيع ٢: ٢٨٦ ط اسلاميّة طهران]. (هامش الأصل) والنصّ مترجم أرجو ملاحظته في زهر الربيع. (المترجم)

ومن المؤيّدات لما نحن فيه أخبار فضل ليلة القدر وشرفها لأنّ فيها تتنزّل الملائكة على قلب النبي والإمام بالعلوم الجديدة ولولا ذلك لنفدت علومهم وهذا النصّ واحد من تلك الأخبار:

أبو جعفر عليه السلام: لقد خلق الله جلّ ذكره ليلة القدر أوّل ما خلق الله الدنيا ولقد خلق فيها أوّل نبيّ يكون وأوّل وصيّ يكون، ولقد قضى أن يكون في كلّ سنة تهبط فيها بتفسير الأمور إلى مثلها من السنة المقبلة، من

ولا يصحّ ما يتصوّره البعض من أنّ الصفات التي تضمّنتها فقرات الدعاء قد اتصف بها النبيّ فلا داعي إلى طلبها له بعد اتصافه بها، وهذا تصوّر لا أساس له، لأنّ للكمال مراتب، وإنّ الفضل والشرف من الألفاظ المشكّكة، وكلّما تصوّرت للكمال مرتبة فإنّ فوق هذه المرتبة ما يعلوها ويزيد عليها وفوق كلّ ذي علم عليم، وهي قاعدة كلّيّة جارية في الأشباه والنظائر.

لمؤلّفه:

فالنور في النزول والصعود مشكّك مختلف الوجود

وحينئذٍ يجوز أن يطلب بالسؤال المرتبة العليا لهذا الكمال وما توهّمه البعض من أنّ كلّ ما أمكن وصوله من الشرف والفضل للممكن فقد وصل إلى رسول الله ﷺ مثله، ومن هنا لا داعي إلى ذكر الصلوات لأنّها تجرّ إلى العبث في القول حيث لا تستجلب أمراً مفقوداً من الشرف والفضل.

أقول: هذا مجرّد تمويه بل يمكن أن تعتبر العبارة خادعة لعوام الناس السذج لأنّ لبّ هذا المعنى ينحصر في أمرين:

الأوّل: استغناء النبيّ عن الله حين استكمل الصفات المطلوبة فلا حاجة به إلى طلب غيرها من ربّه إذ لا ينقصه شيء منها فقد تمّ غناه عن ربّه وهذا المعنى ينافي الضرورات العقليّة لأنّ أعلى مراتب الكمال عند النبيّ العبوديّة فهي عنوان كتاب الفقر وبسملة صحيفة الاحتياج.

الأمر الثاني: الاعتقاد بعجز الله عن إفاضة الخير مجدّداً عليه ـ أعاذنا الله من هذا

⊃ جحد ذلك فقد ردّ الله تعالى عزّ وجلّ علمه لأنّه لا يقوم الأنبياء والمحدّثون إلّا أن تكون عليهم بما يأتيهم في تلك الليلة من الحجّة التي يأتيهم بها جبرئيل عليه السلام [تفسير البرهان ونور الثقلين، ذيل الآية الشريفة «تنزّل الملائكة والروح»]. (هامش الأصل)

الخاطر المذموم ـ وعدم قدرته على كسوته ثياب الكرامة الجديدة، تعالى الله عمّا يقول الظالمون علوّاً كبيراً[١].

نعم، وهاهنا كلام لفّقه بعضهم على وتيرة الحكمة والفلسفة وخلاصته: إنّ مقام النبوّة خاتمة مقام العقول وفي مرتبة العقل يكون ما بالقوّة عين ما بالفعل فليس في عالمه كمال مرتقب، وما يطلبه العقل من لزوم الكمال حاصل عنده، ولا يوجد في هذا المقام محو وعدم وليس سوى الإمكان الذاتي والقيام الصدوري بالمبدأ الوهّاب، والشاهد على هذا الادّعاء الحديث النبوي: «أوّل ما خلق الله العقل وأوّل ما خلق الله نوري»[٢].

والفرق البيّن في المسألة هو أنّ العقل النزولي واجد للكمالات منذ البدء لكن العقل الصعودي لمّا كان مقدّراً عليه أن يطوي مراحل الكمال جميعاً وفي طيّ كلّ مرحلتين يتمّ له اجتياز قوسي الوجود ليصل أخيراً إلى تلك الدرجة...

وجواب هذه الشبهة: لمّا امتنع انفكاك الهيولى عن الصورة، كان العقل الصعودي لوجود هيولاه غير متناهي القوّة حتّى أنّه ليجتاز بهذه القوّة التي لا حدود لها درجة العقل النزولي. قال شاعرهم:

احمد ار بگشايد آن پر جليل *تا ابد مدهوش ماند جبرئيل*

ولو أحمد المختار يفتح جنحه **لأصبح جبرائيل حيران مدهوشا**

---

(١) ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّاً كَبِيراً﴾ [الإسراء: ٤٣]. (هامش الأصل)

(٢) معاذ بن جبل: إنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله خلقني وعليّاً وفاطمة والحسن والحسين قبل أن يخلق الدنيا بسبعة آلاف سنة. [علل الشرايع: ٨٠، بحار الأنوار ١٥: ٧ الرقم ٧]

قال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد ﷺ قبل خلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ [الخصال ١: ٨٢، معاني الأخبار: ٨٨، بحار الأنوار ١٥: ٥] والأحاديث كثيرة راجع بحار الأنوار. (هامش الأصل)

والآية: ﴿خُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً﴾[١] تدلّ على هذا الضعف الذي هو عبارة عن عدم التقيّد بمرتبة خاصّة، وتدلّ كذلك على وجود الاستعداد لقبول الكمالات غير المتناهية، النابعة من القوّة.

ومجمل القول: إنّ هذا الكتاب مبنيّ على الاختصار فلا يحتمل بسط الجواب حول هذه المسألة، والذين لهم أُنس بهذه العلوم يعلمون جيّداً أنّ لباب حلّ هذا الإشكال مودع في هذين السطرين فلم يبق طريق للإشكال بناءاً على مذهبهم.

وتشبّث بعضهم بطائفة من الأحاديث وهذه أيضاً ليس لها من أثر كهذه الفقرة الواردة في زيارة الجامعة: «وجعل صلواتنا عليكم»[٢] وهذا الاستدلال يماشي مذهب أبي حنيفة القائل بمفهوم اللقب[٣] وإلّا فالأمر من الشهرة بمكان حتّى عند العوام أنّ إثبات الشيء لا يستلزم نفي ما عداه، واشتمال الصلاة على الخواصّ والآثار المعلومة لا توجب عدم وصول نفعها إلى غير المصلّي عليهم.

نعم، في هذا المقام حديث آخر أشار إليه المحقّق ملّا عبدالرزّاق الكاشي في تفسير «حقائق التأويل» ومحصّله مع التحرير: إنّ حقيقة الصلوات هي إمداد الكمالات وإفاضتها وتأبيدها، إذن المصلّي حقيقةً هو الله تعالى وأحياناً تكون في

---

(١) النساء: ٢٨.

(٢) «وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا، وطهارة لأنفسنا، وتزكية لنا، وكفّارة لذنوبنا». (هامش الأصل)

(٣) مفهوم اللقب: المقصود باللقب: كلّ اسم سواء كان مشتقّاً أو جامداً وقع موضوعاً للحكم كالفقير في قولهم: أطعم الفقير، وكالسارق والسارقة في قوله تعالى: ﴿السَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ ومعنى مفهوم اللقب نفي الحكم عمّا يتناوله عموم الاسم.. وكانّ أبا حنيفة يقول بهذا وهو أنّ الاسم إذاوقع موضوعاً للحكم كان له ظهور في الانحصار، وعند العلماء عدم ذلك الظهور بل نفس موضوع الحكم بعنوانه لا يشعر بتعليق الحكم عليه فضلاً عن ذلك، وقد قيل: إنّ مفهوم اللقب أضعف المفهومات. [ورجعنا إلى شرح هذه المادّة إلى كتاب أُصول الفقه للشيخ المظفّر ١: ١٢٠ بتصرّف]. (المترجم)

مقام الجمع بلا واسطة وأحياناً في مقام التفضيل مع الواسطة وهو فعل العباد[١] وحقيقة صلوات المؤمنين هي هذه، وهو عبارة عن قبول الهداية وطبع لوح الوجود بطابع محبّته وهو نوع من الإمدادات المختصّة به لغرض بلوغه مرتبة الكمال، والغرض هو تعميم الفيض الربّاني إذ لو لم تكن المادّة قابلة فلا أثر متصوّر للفاعل كما قيل: وجودي بك وظهورك منّي، فلست تظهر لولاي لم أكن لولاك، وفي الحديث القدسي: لو أطاع الخلق كلّهم لخلقت خلقاً يعصوني كي أغفر لهم ليظهر للعيان عفوي وفضلي[٢].

ومثله يقال في تسليم المؤمنين عليه فإنّه لدفع آفة نقص الكمال مع إظهار جلال الدعوة العامّة وقوّة فاعليّته في مقام الهداية، وبهذا الوجه يمكن الجمع بين القولين حيث أنّ فائدة الصلاة أوّلاً وبالذات تعود على المصلّي ثمّ باعتبار آخر من حيث الاقتدار وتكميل غرض البعثة وتحصيل مقصد الهداية تعود على المصلّى عليه وتوجب رفع درجته وعلوّ شأنه وظهور كلمته كما قال: «فإنّي أُباهي بكم الأُمم ولو بالسقط»[٣].

---

(١) الذي أدركته من هذه العبارة أنّ فائدة الصلاة أحياناً تختصّ بالمصلّى عليه، وأخرى تجمع معه المصلّي أيضاً. (المترجم)

(٢) أخرج أحمد وأبو يعلى والضياء عن أنس بن مالك، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتّى تملأ خطاياكم مابين السماء والأرض ثمّ استغفرتم لغفر لكم، والذي نفس محمّد بيده لو لم تخطأوا لجاء الله بقوم يخطئون ثمّ يستغفرون فيغفر لهم.

وأخرج ابن أبي شيبة ومسلم عن أبي أيّوب الأنصاري ﷺ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: لولا أنّكم تذنبون لخلق الله خلقاً يذنبون فيغفر لهم [تفسير الدرّ المنثور ٥: ٣٣٢ ذيل الآية ٥٣ من سورة الزمر]. (هامش الأصل)

(٣) جامع الأخبار: ١٠٣، بحار الأنوار ١٠٣: ٢٢٠ الرقم ٢٤ ط طهران. (هامش الأصل)

وجملة القول: أنّي بنظري القاصر وما توصّلت إليه بحثت المسألة من الجانب ولا يحتمل الكتاب تفصيلاً أوسع من هذا التفصيل.

الفائدة الرابعة:

ضمّ آل الرسول في الصلاة عليه إليه يتفق مع الأخبار الكثيرة المتواترة المرويّة من طرق الفريقين:

منها: أنّها نقلت في أكثر الأُصول المعتمدة لأهل السنّة وذلك حيث سألوا من النبيّ ﷺ: كيف نصلّي عليك يا رسول الله؟ فقال: قولوا: «اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد كما صلّيت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمّد وعلى آل محمّد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنّك حميد مجيد»[1].

وهذه الصلوات بخصوصها تجب في التشهد عند الشافعي بناءاً على قوله الثاني، وتستحبّ في قوله الآخر كما ذكر ذلك في تقريب أبي شجاع وشرح أبي القاسم وحواشيه، وكلاهما من علماء الشافعيّة، وعمل الشافعيّة غالباً على هذه النسخة مع إضافة قول سيّدنا في «محمّد» و«إبراهيم» في المواضع الأربعة[2].

وهذا الشعر الذي نظمه الشافعي طالما تردّد في كثير من كتب الجماعة وعلى ألسنتهم واشتهر شهرة واسعة، يقول:

---

(١) صحيح البخاري ٤: ١٤٦ و٨: ٧٧ ط أميريّة بمصر، وكتب أُخرى، راجع: إحقاق الحقّ ٣: ٢٢ و٩: ٥٢٤. (هامش الأصل) راجع أرقام الأحاديث المخرجة في البخاري: ٣٢٤١، ٣٢٤٢، ٤٥٠٦، ٦١١٨، ٦١١٩، ٦١٢١، وفي مسلم باب الصلاة على النبيّ ﷺ بعد التشهّد، حديث رقم ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٢. وفي مسند أحمد رقم ١٣٩٩، ١١١٤٧، ١٧٦٩٣، ١٧٦٩٤، ١٧٦٩٦، ١٧٧٢٢، ٢١٩٠٧، وهذا على سبيل المثال لا الحصر. (المترجم)

(٢) على النحو التالي: «اللهمّ صلّ على سيّدنا محمّد... كما صلّيت على سيّدنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم... كما باركت على سيّدنا إبراهيم وعلى آل سيّدنا إبراهيم». (هامش الأصل)

يـــا آل بـــيت رســـول الله حـــبّكم فـــرض مـن الله فـي القـرآن أنـزله
يكـــفيكم مـــن عـظيم الفـخر أنّكـم من لم يصلّ عـليكم لا صـلاة له[١]

وروى صاحب ينابيع المودّة والصواعق وجواهر العقدين أنّ النبيّ ﷺ قال: لا تصلّوا عليّ الصلاة البتراء، قالوا: وما الصلاة البتراء يا رسول الله؟ قال: تقولون: اللهمّ صلّ على محمّد وتسكتون، بل قولوا: اللهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد[٢].

ومع وجود هذا كلّه فإنّ أهل السنّة والجماعة يلتزمون بذكر النبيّ مجرّداً عن ذكر آله كي يظهروا عنادهم الفطري وانحرافهم الجبلّي وإعراضهم عن الركوب في سفينة النجاة ودخول بيت نوح بيت السلامة.

وكذلك حين يذكرون أهل البيت يلزمون أنفسهم بترك الصلاة والسلام عليهم مع أنّ الله أشركهم في هذا الشرف مع النبوّة، وثبت من الطرق المعتمدة جواز التسلية والتسليم على العترة الأطهار علاوة على أنّ صريح الآية: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[٣] والآية الكريمة: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾[٤] والبشارة في: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾[٥] هذه بأجمعها تدلّ على جواز الصلاة على عموم أهل الإيمان.

ونقل عن الصحابة أنّ الصلاة على الآل كانت جزو عملهم.

---

(١) الصواعق: ٨٨ ط القديم، ينابيع المودّة: ٢٩٥ ط اسلامبول، قال الشافعي ... (هامش الأصل)

(٢) ينابيع المودّة: ٢٩٥ ط اسلامبول، إحقاق الحقّ ٩: ٦٣٦.

(٣) الأحزاب: ٤٣.

(٤) التوبة: ١٠٣.

(٥) البقرة: ١٥٧.

وروي في ينابيع المودّة عن أبي نعيم الحافظ وجماعة من المفسّرين وساقوا السند إلى مجاهد وأبي صالح، وهذان الراويان نقلا القول عن ابن عبّاس أنّ «آل يس» في الآية الكريمة ﴿سَلامٌ عَلى آلِ يَاسِينَ﴾[1] هم آل محمّد عليهم السلام، ويس اسم من أسماء النبيّ صلى الله عليه وآله[2] مع ذلك يضيقون ذرعاً بالصلاة والسلام عليهم.

وأشار إلى علّة ذلك في الكشّاف بعد أن قال: والقياس جواز الصلاة على غير النبيّ بدليل آية الزكاة: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُصَلِّي...﴾ الآية[3] وقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهمّ صلّ على أبي أوفى» يدلّ على التفصيل بين ذكر الصلاة بالتبع كما إذا قلت: اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، فإنّك ذكرت الآل بتبع مشرّفهم عليه الصلاة والسلام وآله، وهذا جائز باتفاق، وذكر الصلاة بالاستقلال كما إذا أفردت أحداً بالاستقلال بأن تقول: صلّ على الصحابة من غير أن تسبق الصلاة على رسول الله الصلاة عليهم وهذا مكروه، لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر النبيّ صلى الله عليه وآله ولأنّه يؤدّي إلى الاتهام

---

(١) الصافّات: ١٣٠.

(٢) الرواية عن آل يس وأنّهم آل محمّد وردت كثيراً في كتب العامّة، وذكرت في إحقاق الحقّ تفصيلاً ٣: ٤٥٠ و١٤: ٣٦٠.

(٣) ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً﴾ [الأحزاب: ٤٣].

في الكشّاف ذيل الآية ٥٦ من سورة الأحزاب ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً﴾ قال: فإن قلت: فما تقول في الصلاة على غيره؟ قلت: القياس جواز الصلاة على كلّ مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ [وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ]﴾ وقوله: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣] وقوله صلى الله عليه وآله: «اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى» ولكنّ للعلماء تفصيلاً في ذلك وهو أنّها إن كانت على سبيل التبع كقولك: صلّى الله على النبيّ وآله فلا كلام فيها، وأمّا إذا أفرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو فمكروه لأنّ ذلك صار شعاراً لذكر رسول الله صلى الله عليه وآله ولأنّه يؤدّي إلى الاتهام بالرفض، وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقف مواقف التُّهَم».

بالرفض، وقال النبيّ ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفنّ مواقف التُّهَم»[١].

وعن ابن القيّم في فتح الباري نقل عنه ابن حجر قوله: المختار أن يصلّى على الأنبياء والملائكة وأزواج النبيّ وذرّيّته وأهل الطاعة على سبيل الإجمال ويكره في غير الأنبياء لشخص مفرد بحيث يصير شعاراً ولاسيّما إذا ترك في حقّ مثله أو أفضل منه كما يفعله الرافضة..[٢] إلى آخر كلامه.

والعجيب فيه أنّهم نقلوا في أُصولهم الصحيحة عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «اللهمّ صلّ على آل أبي أوفى» و «اللهمّ صلّ على سعد بن عبادة»[٣].

وفي فتح الباري إنّ الصلاة على غير الأنبياء في مذهب الحسن البصري ومجاهد وإسحاق وأبي ثور وداود والطبري جائزة[٤].

وفي منهاج السنّة لابن تيميّة ـ خذله الله ـ (بل لعنه الله) أنّه قال: وكذلك أبوحنيفة مذهبه أنّه يجوز الصلاة على غير النبيّ ﷺ كأبي بكر وعمر وعثمان وعليّ (وهذا هو المنصوص عن أحمد في رواية غير واحد من أصحابه واستدلّ بما نقله عن عليّ رضي الله عنه أنّه قال لعمر، صلّى الله عليه) وهو اختيار أكثر أصحابه كالقاضي أبي يعلى وابن عقيل وأبي محمّد عبدالقادر الجيلي وغيرهم (ولكن نقل

---

(١) هذه عبارة صاحب الكشّاف وقد مرّت في الهامش السابق وذكرناها هنا مترجمة عن المؤلّف. (المترجم)

(٢) فتح الباري ١١: ١٧٤ باب «هل يُصلّى على غير النبيّ» ط بيروت. (هامش الأصل) جرى تطبيق العبارة. (المترجم)

(٣) القول الفصل ٢: ٢٧٢ ط مطبعة «ارشيفل»، إحقاق الحقّ ٣: ٢٧١. (هامش الأصل)

(٤) فتح الباري ١١: ١٤٢ باب «هل يُصلّى على غير النبيّ» ط بيروت. (هامش الأصل)

عن مالك المنع من ذلك)[١]. ومع اتفاق هذه الجماعة فما تأثير منع الزمخشري وابن القيّم.

وحصيلة ما نحن فيه بصورة لا يعتريها اللبس أنّ فتاوىٰ القوم تعود أساساً إلى عنادهم للشيعة لأنّهم يصلّون على أئمّتهم وأهل بيت نبيّهم، وإن أجازه العقل وشهد برجحانه الكتاب والسنّة والإجماع، وإذا كان الأمر كذلك وأنّ القوم يعزفون عن الإحسان إلى أهل البيت وترك تبجيلهم وتكريمهم لأنّ الشيعة يفعلونه فعليهم أن يتركوا جميع الفرائض والسنن كذلك، وصرّح محمّد المحبّي الشامي وهو من فضلاء هذه الطائفة في كتابه «خلاصة الأثر» بهذا العناد والتعصّب تعقيباً على شعر عبدالرحيم بن تاج الدين الدمشقي الذي نقله في فصل ترجمته، وهو هذا[٢]:

---

(١) روى العامّة بطرق كثيرة عن أميرالمؤمنين وابن عبّاس وعمرو بن جميع وأبي ذر وأنس وأبي أيّوب ... أنّ الملائكة صلّت عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب ... راجع: إحقاق الحقّ ١٦: ٤٥٥. (هامش الأصل)

وراجع منهاج ابن تيميّة لعنه الله ٤: ١٥٢. وأقول: بغض ابن تيميّة لأميرالمؤمنين لا ينكر لأنّ حيطان دار أبيه قصار أوّلاً، ولأنّه منافق يتديّن بنبوّة أبي بكر وعمر ويراهما أفضل من رسول الله ﷺ ثانياً. ثمّ كيف يصلّي أميرالمؤمنين عليه السلام على من لعنه رسول الله مراراً ومنها يوم تخلّفه عن جيش أُسامة، ولكنّ هذا الخبيث ابن تيميّة لا يقرّ له قرار حتّى يكذب على أميرالمؤمنين وينتزع منه كلمة ولو كانت مفتراة في تعديل عمر والثناء عليه. وأعجب من هؤلاء الذين يوالون رجلاً هم يعترفون بأنّ أُمّه حنتمة زانية، وكيف يجعل الله ابن الزانية وليّاً من أوليائه ؟! (المترجم)

(٢) قال: رأيت في «الگلستان» (والذي رأيته في الگلستان) للشيخ السعدي ما معناه: سُئل بعضهم عن اليد اليمنى ما بالها مع فضلها الجزيل وكراماتها المعلومة لم يوضع فيها الخاتم ووضع في الشمال؟ فقال: فنظمت هذا المعنى في بيتين: إنّ الفتى ... ثمّ ناقضته:

تـــالله مـــا ذاك مـخلّ بـها ... بل شرفت من واحد راحيم

وإنّـــما الفـضل لهـا زيـنة ... بـه اعـتنت عـن زيـنة الخـاتم

(هامش الأصل)

إنّ الفتى العالم مع علمه ... تراه محروماً من العالم

مثل اليد اليمنى لفضل بها ... قد منعت من زينة الخاتم

يقول: والتختّم باليسرى إنّما حدث في وقعة صفّين حين خطب عمرو بن العاص فقال: ألا إنّي خلعت الخلافة من عليّ كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري، فبقيت سنّة عمرو بين العامّة إلى يومنا هذا، وأمّا النبيّ ﷺ وكذا الخلفاء الراشدون بعده فكانوا يتختّمون باليمين، وقد ذكر فقهائنا ومنهم البرجندي في الرهن من كشف البزدوي أنّه يتختّم باليسرى وقيل باليمنى إلّا أنّه شعار الروافض فيجب التحرّز عنه.

قال شيخنا العلاء الحصكفي في شرح الملتقى (ملتقى الأبحر ـ المؤلّف): ولا شعور لنا بهذا الشعار في هذه الأمصار فتتبع أمر المختار يعني في الحديث افعلها في يمينك، إذ ثبت الخيار كما جزم به بعض الأخيار أي اجعل الخاتم في يدك اليمنى ثمّ استطرد بعد هذا وذكر شعراً عن أبي عامر الجرجاني إنّه قال:

تختّم في اليسار فلست تلقى ... طراز الكمّ إلّا في اليسار

وما نقصوا اليمين به ولكن ... لباس الزين أولى بالصغار

لذاك ترى الأباهم عاطلات ... وهنّ على الأكفّ من الكبار

➲ والذي رأيته أنا في خلاصة الأثر كما يلي: والذي رأيته في الگلستان أنّ أوّل من وضع الخاتم في اليد جمشيد الملك، فقيل له: لم وضعته في الشمال ولم تضعه في اليمين؟ فقال: أمّا اليمين فزينتها كونها يميناً. فقيل: لأيّ شيء وضعته في الخنصر؟ فقال: جبراً لها لأنّ ما عداها كبرها زينة لها.

وقيل لبعضهم: لماذا حرمت اليمين من الخاتم؟ فقال: أهل الفضل محرومون ... الخ. [خلاصة الأثر ٢: ٤٠٩ ط بيروت ـ دار صادر] والفرق بين العبارتين واضح، وأمّا قول المحقّق ثمّ ناقضته:

تـــالله مـا ذاك مـخلّ بـها ... بل شرفت من واحد راحيم

وإنّـــما الفـضل لهـا زيـنة ... به اعـتنت عـن زيـنة الخـاتم

فقد جاء قبل حديث الگلستان. (المترجم)

إلى أن يقول: وقد عرفت الحديث، فكلّ هذا غفلة عنه (منه ـ المؤلّف)[١].

وفي يتيمة الثعالبي كلام طريف وهنا مكان نقله، يقول: حكي أنّ أبا حفص الفقيه عاتب يوماً أبا أحمد على لبسه الخاتم في يمينه، فقال أبو أحمد: إنّ فيه أربع فوائد:

إحداها: السنّة المأثورة من غير وجه عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه كان يتختّم في اليمين، وكذلك لخلفاء الراشدون بعده إلى أن كان من أمر صفّين والحكمين ما كان حين خطب عمرو بن العاص، فقال: إنّي خلعت الخلافة من عليّ كخلع خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري فبقيت سنّة عمرو بن العاص بين العامّة إلى يومنا هذا.

الفائدة الثانية: من كتاب الله تعالى وهي قوله: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْساً إِلَّا وُسْعَهَا﴾[٢] ومعلوم أنّ اليمين أقوى من اليسار فالواجب أن يكلّف حمل الأشياء الأقوى دون الأضعف.

والثالثة: من القياس وهو أنّ النهي عن الاستنجاء باليمين صحيح والأدب في الاستنجاء باليسار، ولا يخلو نقش خاتم من اسم الله تعالى فوجب تنزيهه عن مواضع النجاسة.

والرابعة: أنّ الخاتم زينة الرجال واسمه بالفارسيّة (انگشت أراى) فاليمين أولى به من اليسار[٣].

إلى هنا كان كلام أبي أحمد في أبي حفص الفقيه الذي حكاه الثعالبي في اليتيمة.

---

(١) خلاصة الأثر ٢: ٤٠٩ دار صادر ـ بيروت. (هامش الأصل) وسمّى أبا عامر الفضل التميمي الجرجاني والمحقّق تصرّف بالنصّ الذي نقله. (المترجم)

(٢) البقرة: ٢٥٦.

(٣) يتيمة الدهر ٤: ٦٨ ط بيروت. (هامش الأصل) تحقيق محمّد محي الدين عبدالحميد. (المترجم)

ويقول الراغب الاصفهاني في المحاضرات: كان خاتمه ﷺ حلقة فضّة وعليه فصّ عقيق، وكان يتختّم به في يمينه، وسبب اتخاذه أنّه كتب إلى ملك الروم فقيل.: إنّه لا يقبل كتاباً إلّا مختوماً، وأوّل من تختّم في يساره معاوية، وقيل شعر:

قالوا تختّم باليمين وإنّما ... مارست ذاك تشبيهاً بالصادق

وتقرّباً منّي لآل محمّد ... وتباعداً منّي لكلّ منافق

الماسحين فروجهم بخواتم ... اسم النبيّ بهنّ واسم الخالق

وفي كتاب المستظرف عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يتختّم في يمينه وقبض عليه الصلاة والسلام والخاتم في يمينه (قال بعض من مدحه عليه الصلاة والسلام:

كفّ الرسالة ليس يخفى حسنها ... وتمام حسن الكفّ لبس الخاتم)

وذكر السلامي أنّ رسول الله ﷺ كان يتختّم في يمينه والخلفاء بعده، فنقله معاوية ﷺ (بل لعنه الله) إلى اليسار، وأخذ الأمويّة بذلك، ثمّ نقله السفّاح إلى اليمين فبقي إلى أيّام الرشيد ﷺ (بل لعنه الله) فنقله إلى اليسار وأخذ الناس بذلك[1].

والآن دقّق النظر وتأمّل قليلاً وانظر كيفيّة الديانة عند القوم فإنّهم يديرون ظهورهم للأخبارالصحيحة ويعزفون عن متابعة خلفائهم عداءاً لأهل بيت العصمة ومخالفةً لأتباعهم وشيعتهم ويتركون السنّة النبويّة ويقتدون بالسنّة الأمويّة ويصرّحون بأنّ التختّم باليمين لمّا كان شعار الروافض فيجب عندئذٍ تركه، ورفعوا هذا الشعار لأنّ الروافض لم يقتدوا بابن العاص وثبتوا على السنّة النبويّة، فياللعجب ولضياع دين سيّد العرب، وقد قلت بديهاً:

---

(١) المستظرف للشيخ شهاب الدين أحمد الأبشيهي ٢: ٢٥ ط مصر. (هامش الأصل) وص٤٣٢ ط مؤسسة عزّالدين، الأولى ١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م وفيه الجزء آن الأوّل والثاني في ترقيم واحد. (المترجم)

تـختّم بـاليمين فـتلك أعـلى تكن فـي عـدّ أصـحاب اليـمين
ولا تجعله عـرضة نـيل سـوء وفـيه اسـم المـهيمن والأمـين
ولا تـــعدل بـــذاك إلى شـــمال فتحيي سنّة الرجس اللـعين[1]

الفائدة الرابعة:

اشتقاق آل من أول، وقال جماعة: وإنّما يقال آل فلان لأنّهم أولهم، والأول على ثلاثة أوجه:

١ ـ الأول الجسماني وهو عبارة عن القرابة الصوريّة والتولّد الجسماني.

٢ ـ الأول الروحاني، وهو عبارة عن تعلّم علوم أحد وكسب فضائله والتخلّق بأخلاقه.

---

(١) قال مصنّف الهداية من الحنفيّة: إنّ مشروع التختّم في اليمين ولكن لمّا اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار، وأوّل من اتخذ التختّم باليسار خلاف السنّة هو معاوية ـ كما في ربيع الأبرار للمخشري ـ.
وقال ابن تيميّة في منهاجه ٢: ١٤٣ عند بيان التشبّه بالروافض: ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبّات إذا صارت شعاراً لهم، فإنّه وإن لم يكن الترك واجباً لذلك لكن في إظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميّز السنّي من الرافضي، ومصلحة التميّز عنهم لأجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة هذا المستحبّ، ونرى في موارد كثيرة تركهم للسنّة مخالفة في العمل بالسنن.
وذكر العلّامة (مولانا الأميني) كثيراً منها في الغدير ١٠: ٢١٠ فراجع.
نتف اسم كتاب أبي عبدالله السلامي: أنّ النبيّ ﷺ كان يتختّم في يمينه والخلفاء الأربعة بعده، فنقلها معاوية إلى اليسار وأخذ بذلك فبقي كذلك أيّام المروانيّة فنقلها السفّاح إلى اليمين، فبقي إلى أيّام الرشيد فنقلها إلى اليسار وأخذ الناس بذلك. واشتهر أنّ عمرو بن العاص عند التحكيم سلّها من يده اليمنى وقال: خلعت الخلافة من عليّ كخلعي خاتمي هذا من يميني وجعلتها في معاوية كما جعلت هذا في يساري، والروايات والأشعار في ذلك كثيرة، راجع مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٧٥ في لوائه وخاتمه ﷺ.
الصدوق، عن أبيه، عن سعد، عن ابن علوان، عن عمرو بن ثابت، عن أبيه، عن ابن بطريق، عن أميرالمؤمنين: أنا سيّد الوصيّين ووصيّ سيّد النبيّين ... وزوجة سيّدة نساءالعالمين، أنا المتختّم باليمين والمعفّر للجبين [أمالي الصدوق: ١٧، بحار الأنوار ٣٩: ٣٤١]. (هامش الأصل)

٣ ـ الأول النوراني، وهو عبارة عن اتحاد النور ووحدة الذات السنخيّة وهو أشرف أنواع الأول.

وآل النبي الحقيقيّون هم الذين تتحقّق فيهم تلك الأقسام الثلاثة، ونحن بعد الاستقراء والتتبّع الكامل لم نجد هذه الصفات كاملة ولا هذه الجهات تامّة إلّا في الأئمّة الاثني عشر ومعهم فاطمة عليهم السلام.

أمّا الأوّل أعني الانتساب الصوري والتولّد الجسماني الظاهر فأمر من الوضوح بمكان.

وأمّا الجهة الثانية فثبت بحديث «أنا مدينة العلم وعليّ بابها».

والحيثيّة الثالثة فثبت من الحديث الشريف «كنت أنا وعليّ نوراً» والآية الكريمة: ﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ﴾[1] ويشهد بذلك أهل الانصاف.

وأمّا من اعتقد من أهل السنّة أنّ الآل مطلق القرابة أو هم عموم الأُمّة فقد جانب الانصاف وليست أوّل قارورة كُسرت في الإسلام.

وعقد باباً في كتاب عيون أخبار الرضا لنقل كلام الإمام الرضا عليه السلام في مجلس المأمون الملعون مع علماء العامّة لإثبات الفرق بين الآل والأُمّة وهو الباب الثالث والعشرون من هذا الكتاب، ونحيل إليه طالبي معرفة ذلك لطوله.

ولكن للفخر الرازي مع ما هو عليه من شدّة العناد والعصبيّة في تفسيره الكبير كلام قريب من الانصاف، يقول: آل محمّد هم الذين يئول أمرهم إليه، فمن آل أمره إليه وكان أشدّ به وأكمل فهو آله، وما من شكّ بأنّ العلقة بين عليّ وفاطمة والحسن والحسين وبين رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ العلقات، وهذا أمر معلوم بالنقل المتواتر فالواجب كونهم هم الآل.

واختلفوا أيضاً في الآل، فقال بعضهم: الأقارب، وقال بعضهم: الأُمّة، فإذا قلنا

---

(١) آل عمران: ٣٤.

أولئك ـ الأربعة ـ أقربائه فهم آله، أو قلنا بأنّهم أُمّته فهم آله أيضاً، إذاً هم آله على كلّ تقدير، وأمّا من فهم محلّ خلاف ولم يقطع بهم أحد، تمّ كلام الرازي ونحن نجعل هذا التقريب مطرداً في الأئمّة الاثني عشر أيضاً.

الفائدة الخامسة:

لو أردنا إعراب صيغة الدعاء أعني «صلّى الله عليه وآله» فإنّها تحتوي على العطف بالواو على الضمير المجرور بـ«على» من دون إعادة الجار ـ على ـ أي لم نقل (وعلى آله) شاهد على صحّة مذهبنا لأنّنا أثبتنا في موضعه أنّ الأدعية والكلمات الصادرة عن الأئمّة عليهم السلام لاسيّما في موضع الدعاء والخطبة وأمثالهما لاسيّما عن الصادقين ومن كان قبلهما عليهم السلام حجّة في العربيّة وقواعدها وتكفي شاهداً على إثبات اللغة لأنّ رواتنا لا يقلّون عن الأصمعي الناصبي وأبي عبيدة الخارجي ـ المرتكبين لكلّ محظور وقبيح ـ والصادقين عليهما السلام في علم العربيّة ليسوا بأدنى منزلة من جرير والأخطل والفرزدق.

لاسيّما في الزيارة الشريفة التي علمت سلفاً بأنّها حديث قدسيّ وهو في حجّيّته كالقرآن والحديث النبوي الشريف، ومن هنا يعلم أنّ توقّف الشيخ الأجل أبي الفتح الكراجكي في جرّ الآل في أدعية الصحيفة بالعطف، والتزامه بنصبه عطفاً على المحلّ كما جاء في حاشية السيّد المحقّق الداماد رحمه الله ونقل عنه ما هو إلّا اقتصار على رأي بعض القشريّين من النحاة والصحفيّين من علماء العربيّة، ويعضد ذلك قرائة حمزة للآية الكريمة ﴿تَسَائَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامِ﴾ بجرّ الأرحام[1] شاهد على هذا الدعوى، وما جرى من اعتراض صاحب الكشّاف عليه خطل في الرأي من غير مبنى، وتحقيق هذا الباب لا يناسب هذا الكتاب.

---

(١) راجع مجمع البيان في تفسير الآية الأولى من سورة النساء.

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ...

الشرح: الجعل على قسمين:

الأوّل: البسيط ومعناه إنشاء نفس الذات، وهذا الجعل بناءاً على قوانين العربيّة لا يحتاج إلى أكثر من مفعول.

والثاني: الجعل المركّب وهو إيجاد الصفة في الطرف الثالث وهو يحتاج إلى مفعولين[1].

والجعل في هذه العبارة الشريفة من القسم الثاني كما هو واضح.

الوجيه: مأخوذ من الوجه بمعنى الجاه كما ورد في عبارة البخاري وقد مرّت عليك: «وكان لعليّ وجه في حياة فاطمة»[2].

والدنيا: تأنيث الأدنى، ويعتمد على موصوف محذوف يمكن تقديره بـ«النشأة» أو الدار، ومثله الوجه في تأنيث الآخرة، والسبب في وصف النشأة بالدنيا وهي أفعل تفضيل يمكن أن تكون للمبالغة في الدنوّ أو الدناءة. ويستعمل أفعل التفضيل أحياناً في شدّة اتصاف الشيء بالشيء بحيث كأنّ المفضّل عليه مجازاً لا اعتبار لوجوده بأزائه كما صرّح بذلك الخفاجي في شرح الدرّة، ونقل

---

(١) الجعل ـ بالفتح وسكون العين المهملة ـ في اللغة بمعنى «كردن» على ما في الصراح وهو عند الحكماء على قسمين .. جعل بسيط وهو جعل الشيء وأثره نفس ذلك الشيء فلا يستدعي إلّا أمراً واحداً ولا يكون بحسبه إلّا مجعولاً فقط وحاصله إخراج شيء من العدم إلى الوجود، وقد أشير إليه في القرآن: ﴿وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾.

وجعل مركّب: وهو جعل الشيء شيئاً وأثره مفاد الهيئة التركيبيّة الحمليّة أعني اتصاف الماهيّة بالوجود من حيث أنّه غير مستقلّ بالمفهوميّة ومرآة ملاحظة الطرفين وهو يتوسّط بين الشيئين فيستدعي مجعولاً ومجعولاً إليه .. راجع: كشّاف اصطلاحات الفنون ١: ٥٦٦ و٥٦٧. (المترجم)

(٢) مرّت في المسألة الثانية شرح «أسّست أساس الظلم». (هامش الأصل)

عن غيره والاستعمال والتتبّع شاهد عليه، وأحياناً يلاحظ فيه معنى التفضيل على عالم البرزخ الملحوظ هنا وهو عالم المثال والخيال المنفصل والملكوت الأدنى في اصطلاح علماء الإشراق والعرفاء ذوي الأذواق، ولمّا كان عالم البرزخ له صلة بعالم الآخرة صار متوسّطاً في الاعتبار، والدنيا نشأة متأخّرة، وبهذا الاعتبار سمّيت الدنيا كما جاء في فقرة الزيارة الجامعة: «وحجج الله على أهل الدنيا والآخرة والأُولى» شريطة أن لا تكون الأُولى إشارة إلى عالم الأظلّة أو الذرّ بناءاً على بعض الاحتمالات.

وقال الحكماء: لقد أشار الله إلى تثليث العوالم، فالآية الكريمة: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَىٰ فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾[1] لأنّ في هذه النشأة الحسّي والتخيّلي والعقلي والتذكّر يوجب أن نقول في العالم كلّه وفي الإنسان الكبير توجد عوالم ثلاث:

الأوّل: عالم الحسّ وهو نشأة الماديّات.

والثاني: عالم التخيّل وهو موطن الصور المجرّدة من الموادّ الكثيفة العنصريّة لأنّ خلوّ الصورة من المادّة خلاف البرهان، والذين نفوا المادّة عن عالم التخيّل كان نفيهم منزلاً على تفسيرنا حيث قيّدنا عالم التخيّل أو الصور المجرّدة بالعنصريّة الكثيفة لئلّا تستوجب اللوازم الدنياويّة لكي يكون ما وردنا عن الشرع من حركة هذا العالم وترقّيه وانتفاعه بالدعاء والمثوبات وأعمال الأخلاف والأقرباء الصالحةوالأصدقاء والمؤمنين صحيحاً، وهذه الأُمور وردت عن الشرع بصورة مقطوع بها بل حتّى الرؤيا الصادقة والأمارات الأُخرى.

والثالث: عالم التعقّل وهو التجرّد من جميع اللوازم الدنياويّة والمضايقات العنصريّة وتعلّقاتها هذا وإن لم تفترق عن المادّة من رأس بل لابدّ من وجود مادّة

---

(١) الواقعة: ٦٢.

رقيقة لطيفة موجبة للتحوّلات العرضيّة معها بحكم تلازم الهيولا والصورة كما أُشير إلى ذلك سابقاً وهذا هو عالم الآخرة الذي هو عالم الخلود والحياة الأبديّة: ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾[١].

تنبيه:

جاء في تفسير الفخر الرازي المذكور أنّ الوجيه الذي يكون له وجه أي يكون معروفاً بالخير، وكلّ أحد وإن كان عند الله معروفاً لكن المعرفة المجرّدة لا تكفي في الوجاهة فإنّ من عرف غيره ليكون خادماً له وأجيراً عنده. لا يقال: هو وجيه عند فلان وإنّما الوجيه من يكون له خصال حميدة تجعل من شأنه أن يعرف ولا ينكر وكان كذلك[٢].

ولم أعثر لهذا التفسير على وجه ولا أعرف له موافقاً في سائر الآثار، ولا تقتضي ذلك قواعد اللغة، ولو صحّ ما قاله فلا موقع للنقض بالخادم والأجير وهما معروفان.

وجملة القول: إنّ ما يجب معرفته في هذا المجال هو: كيف تحصل الوجاهة عند الله في دار الدنيا، الآية الكريمة: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[٣] تحكم بأنّ الكرامة والوجاهة تناط بالتقوى عند الله تعالى، وللتقوى ثلاث مراتب:

الأولى: التقوى في العقائد ومعناها استقامة الدين وإحكام الإيمان.

الثانية: التقوى في الأعمال وهي عبارة عن الورع عن المحارم واجتناب المآثم وملازمة الواجبات وإدامة الطاعات، وهذه المرتبة يجب تحصيلها بعد المرتبة الأولى.

---

(١) العنكبوت: ٦٤.

(٢) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب ٢٥: ٢٣٣ ط دار إحياء التراث العربي الثالثة ـ بيروت.

(٣) الحجرات: ١٣.

الثالثة: التقوى في الأخلاق والملكات، وذلك أن يقرأ المرء في مصحف قلبه فإن عثر على رذيلة فيه فهي بمنزلة آية العذاب فعليه أن يمحوها من قلبه بالبكاء والقرع والاستعاذة، وإن عثر على خصلة حميدة فهي بمنزلة آية الرحمة يشكر الله عليها ويسأله ثباتها ودوامها، وأن يرزقه نظائرها وأمثالها لكي يستطيع بالجهاد التامّ والمشقّة الكاملة دفع الراذئل وجلب المحامد وتحصيل المحاسن.

وهذه المراتب بأجمعها متوقّفة على العلم لأنّ الجهل عجز، ومن هنا يعلم بأنّ الكرامة عند الله تعالى مشروطة ومنوطة بالعلم كما قال سبحانه: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾[1] وقال في آية أُخرى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2] ويقول في آية ثالثة: ﴿أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ﴾[3].

وليس مقصودنا من العلم هو الفاقد للعمل إلّا أن يتّحدا تماماً كالمقصود من التقوى في مرحلتها الأُولى إن هي إلّا الإيمان، ومقصودنا ذلك العلم الذي هو الاعتقاد القلبي والتحقّق الواقعي مع الإذعان بصفات الربوبيّة والتصديق بالأنبياء والأئمّة والكتب والملائكة والحشر والنشر المعبّر عنها بالمبدأ والمعاد.

وحاصل الحديث أنّ الزائر يطلب من ربّه في هذه الزيارة أن يسدّده للعروج في مدارج العلم والعمل بواسطة الاعتصام بالعروة الوثقى ومحبّة الحسين والتمسّك بالحبل المتين لكي يشمله رضى الله في الدنيا ويصل في الآخرة إلى مقام القرب ودرجة الأولياء.

اللهمّ اجعلني عندك وجيهاً بالحسين عليه السلام في الدنيا والآخرة بجاه محمّد وعترته الطاهرة.

---

(١) المجادلة: ١١.

(٢) الزمر: ٩.

(٣) الرعد: ١٦.

يَا أَبَا عَبْدِاللّٰهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللّٰهِ وَإِلىٰ رَسُولِهِ وَإِلىٰ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَإِلىٰ فَاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوَالاتِكَ وَبِالْبَراءَةِ مِمَّنْ قَاتَلَكَ، وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ، وَبِالْبَراءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الْظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَىٰ اللّٰهِ وَإِلىٰ رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ ذٰلِكَ وَبَنىٰ عَلَيْهِ بُنْيانَهُ، وَجَرىٰ فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ أَشْياعِكُمْ ...

الشرح: التقرّب: تفعّل من القرب، وصيغة التفعّل في هذا الباب يمكن أن تكون للطلب ولعلّها للمبالغة والأوّل أظهر.

وعبارة صاحب القاموس: تقرّب به إلى الله تقرّباً و وتقراباً يعني كتملاق أي طلب القربة والوسيلة من عنده[1] تشهد بذلك، وإن لم يكن حجّة في نفسه؛ لأنّ دعوى السماع من الواضع في هذا الموضع غاية في البعد، والاستعمال على كلا الوجهين يمكن انطباقه. وظاهر العبارة المذكورة في الزيارة أنّ الباء بعد التقرّب تكون باء السببيّة ـ بموالاتك ـ ويستبعد في هذه الفقرة الواردة في الزيارة أن تكون للملابسة، ويكون المعنى هكذا: إنّي بولايتك والبرائة من عدوّك أطلب القرب أو شدّة القرب منك، وما من شكّ في أنّ المراد بالقرب هنا هو القرب المعنوي لا القرب المكاني.

ولا يحصل ذلك إلّا بملازمة الطاعات ومجانبة المعاصي، والتخلّق بأخلاق الله تعالى لينعتق من الإيمان الصوري ويتلبّس بالإيمان الحقيقي «فإنّ لكلّ حقّ حقيقة وعلى كلّ صواب نوراً».

---

(١) إليك ما وجدته في القاموس: وتقرّب به تقرّباً وتقراباً ـ بكسرتين ـ طلب القربة به. لم يزد على ذلك شيئاً. ١: ١٥٨ ط دار الوفاء ـ جدّه ـ أولى ١٤٠٦ تحقيق الدكتور أحمد عبد الرزّاق الكبيسي. (المترجم)

الموالات: معناها المحبّة والولاية، وقد شرحنا سلفاً دلالة الولاية التي حقيقتها القرب على المودّة[١].

ويصاغ باب المفاعلة هنا من أجل تقوية المعنى المجرّد؛ لأنّ اختلاف الصيغة وزيادة المباني والحروف في اللغة لا تخلو من نكتة، وإن لم يصرّح العلماء غالباً بهذا المعنى في باب المفاعلة، إلّا أنّ عامّة قوانين اللغات وخصوصيّات الكلمات ما هي إلّا جوهرة الفنّ بيد أساطين الصناعة، وهي تقوي هذا الخيال وتقرّب هذا الاحتمال.

كلّ هذا يقال بعد صحّة افتراضنا أنّ الولي في اللغة بمعنى المحبّ، ولكنّ بعضهم نفى هذا الاستعمال وبناءاً على هذا فإنّ استعمال الموالات والتولّي في المحبّة بملاحظة ملازمة تأكّد القرب الذي هو مدلول الصيغة مع المحبّة، وعلى هذا يكون الولي مأخوذاً من الموالات مثل البديع من الإبداع، وهذا الكلام يحتمل المناقشة في الجملة والتأمّل.

وإن كان يستعمل في المتّبع على كلّ حال، والله العالم.

نصب: في أصل اللغة: كلّ ما نصب فجعل عَلَماً[٢]. وأكثر معاني هذا اللفظ من قبيل «النصب النحوي» والنصب الفناء الخاصّ، والنصيب بمعنى السهم من القسمة، والنصاب بمعنى الحدّ، والنصب بمعنى المعبود الباطل يرجع إلى هذا الاستعمال.

ومن وجوهه ما يقال من: نصب له العداوة أو نصب له الحرب أو ناصبه العداوة. ومن فرع هذا الاستعمال الأخير «نصب» بمعنى عادىٰ أميرالمؤمنين عليه السلام، وليس هذا المعنى من فروع المعنى اللغوي الأصلي إذ لا يعقل أن يضع الواضع

---

(١) في شرح الفقرة «برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أتباعهم وأشياعهم وأوليائهم». (هامش الأصل)

(٢) لسان العرب ١: ٧٥٨. (المترجم)

لفظاً وهو جزء من أصل وضع عام، فلا تستعمل في معناه الذي وضع له إلّا بعد أزمنة متطاولة، ويكون كلّ هذا ملحوظاً للواضع، ويضع له لفظاً مع أنّ نصب لا تأتي بمعنى العداء على أيّ وجه، ولكنّه لفظ حذف متعلّقه وهو العداوة، وكثر استعماله حتّى صار يستعمل مجرّداً عن متعلّقه في معناه. وما يقصده بعض اللغويّين من قوله: إنّ نصب مجاز في عداوة أميرالمؤمنين عليه السلام يقصد هذا المعنى الذي حقّقناه.

ومن هنا يظهر خطأ ما تخيّله صاحب الحدائق رحمه الله من أنّ النصب في اللغة حقيقة هو التديّن ببغض عليّ أميرالمؤمنين عليه السلام استناداً إلى ظاهر عبارة القاموس الذي قال: «... النواصب والناصبيّة وأهل النصب: المتديّنون ببغضة عليّ عليه السلام»[1] ولا وجه له؛ لأنّ مهمّة اللغوي لا تنحصر في بيان جزئيّات موارد الاستعمال، والاستعمال أعمّ من الحقيقة، وقد علمت أنّ احتمال كون اللفظ حقيقة في هذا المعنى لا يتمشّى مع واقع الوضع.

علاوة على أنّ عبارة صاحب القاموس نفسها تنادي بخلاف دعواه لأنّه قال بعد العبارات المنقولة «لأنّهم نصبوا له أي عادوه» لأنّ صريح هذا الكلام أنّ الاستعمال من باب إطلاق الكلّي على الفرد لا من جهة أخذ الخصوصيّة في مفهوم اللفظ وتفسير النصب بالعداوة من جهة إفادة حاصل المعنى وتقريب الدلالة هي التي بيّنّاها.

ومن هنا يُعلم أنّ من التزم بمجازيّته فإنّما هو من باب إطلاق الكلّي على فرده، وغفل عمّا اعتبره الأُصوليّون من كون ذلك حقيقة أيضاً ولكنّ كونه حقيقة بهذا

---

(١) «النواصب والناصبيّة وأهل النصب المتديّنون ببغضة عليّ عليه السلام لأنّهم نصبوا له أي عادوه». القاموس ١: ١٧٧. (المترجم)

الوجه لا يفيد صاحب الحدائق شيئاً؛ لأنّ غرضه المبغوض وهو أميرالمؤمنين في المفهوم الحقيقي للفظ، وقد ظهر حاله.

جرى: بمعنى سال، وحكي عن الراغب أنّ «الجري» المرّ السريع، وأصله في الماء ونحوه، وأحياناً يكنّى به عن الاستمرار باعتبار انّ الفعل الذي ينقطع لا جريان له، واستعماله في جري الفرس وجري السفينة وساير مواضع الاستعمال هو على سبيل التشبيه أو التوسّع، وإنّما سمّيت الأمة جارية لأنّها تجري في الخدمة.

يقول في المصباح: الجارية السفينة سمّيت بذلك لجريانها في البحر، ومنه قيل للأمة جارية على التشبيه لجريانها مستسخرة في أشغال مواليها، والأصل فيها الشابّة لخفّتها، ثمّ توسّعوا فيها حتّى سمّوا كلّ أمة جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السعي تسمية بما كانت عليه.

والمحكي عن المحيط: إنّما سمّيت جارية لأنّها تجري في الحوائج.

وقال في أساس البلاغة: وسمّيت جارية لأنّها تستجري في الخدمة.

والمحكي عن المهذّب وقانون اللغة مثله.

وعبّروا في بعض الكتب عن الجارية بالقينة ـ بقاف وياء مثنّاة تحتيّة ونون ـ وهي مؤنّث القين بمعنى الأمة كما أنّ القين معناه العبد، وغفل صاحب القاموس عن هذه الكلمة غفلة صعبة وصحّفها تصحيفاً عجيباً لأنّه قرأها «فتية» مؤنّث فتى، ولمّا رأى أنّ هذا الإطلاق ليس صحيحاً لإطلاقه على الجمل والفرس وأمثالهما، ألحق من نفسه لفظ من النساء وقال: «الجارية الفتية من النساء» ولم يوجد في كتب اللغة عن الجارية أنّها الفتية من النساء، وإن كان منه غير عجيب فإنّ له في ذلك اليد الطولى والمرتبة العليا.

ومجملاً نقول: المراد بالفقرة من الزيارة «وجرى في ظلمه وجوره عليكم» أنّه استمرّ في طريق ظلمه وجوره. و«عليكم» متعلّق بالظلم والجور، وحكي في

بعض النسخ أنّ الفقرة السالفة كما يلي: «جرى ظلمه وجوره...» بحذف «في» وبناءاً على هذا يكون المراد من الجريان الوقوع، ولأنّه احتوى على معنى آخر في نفسه وهو أنّ نسبة الجريان بالذات لا بالحدث، وهذا المعنى يتوقّف على رمزيّة الاعتبار وزيادة النكات اللطيفة وهو تصرّف في اللفظ، موجب لحركة الذهب والانتقال إلى المعنى وهو في النفس أوقع وفي القلب أحلى.

وغالباً مّا به يناط حسن التعبير كما أنّ أصحاب القرائح اللطيفة والأذهان الدقيقة الذين يتعاطون لطايف البيان وبدايع الكلام لأوّل وهلة يتوجّهون إليه ومن فقد هذا الذوق والمزاج فلا ينفعه طول البيان وكثرة التطويل «ومن لم يستضيء بمصباح لم يستضيء بإصباح».

فائدة استطراديّة

ثبت كفر النواصب بالإجماعات المستفيضة والأخبار المتكثّرة المعتبرة المنجبرة بعمل الأصحاب، ولكن وقع الخلاف في تحقيق الموضوع وتعيين مفهوم الناصب في أخبار الباب، وعبارات الأصحاب، لأنّه ورد في الأخبار: «الناصب لأهل بيتي حرباً...» وجاء تفسيره في بعض الأخبار: «هو من نصب العداوة لأهل بيت محمّد»، وفي أُخرى: «من دان بمعاداتهم»، وجاء في موضع منها: «من نصب العداوة لعليّ عليه السلام» وفي خبر آخر: «من أعلن بالعداوة» وفي رواية أُخرى: «من نصب العداوة لشيعتهم» وفي طريق آخر: «من قدّم الجبت والطاغوت» كما استقصى ذلك بعض الفقهاء المعاصرين، وترجع هذه الأخبار غالباً إلى معنًى واحد وهو: «التديّن ببغض أهل البيت».

كما وردت في عبارة القاموس، وإن اختصّ ذلك بأميرالمؤمنين عليه السلام كبعض الأخبار وإنّما اختصّ به دون من عداه فلأنّه من أجلّاء أهل البيت بل كان سيّدهم وصار من لوازمه إظهار العداوة له وإعلانها، ونصبها، وصار محكاً لذلك، ونصب

الحرب أحد أفراد النصب، ونصب العداوة لشيعته عليهم السلام راجع إلى نصب العداوة له لأنّهم شايعوه وتابعوه، وعندنا في علوم ماوراء الطبيعة ثابت أنّ الحكم على المحيّث راجع إلى الحيثيّة لوجوب رجوع ما بالعرض إلى ما بالذات.

وتقديم الجبت والطاغوت المراد منه ما نفي بسببهم استحقاق عليّ للمحبّة كما يظهر ذلك في رسالة الجاحظ فإنّ الملاحظة منه أنّه في الوقت الذي يقدّم أبابكر على أميرالمؤمنين، يتضمّن التقديم نفي الفضيلة عن أميرالمؤمنين.

والمراد بقولنا التديّن بالنصب او النصب هو التديّن بكذا إظهاره من الدين لا الاعتقاد الواقعي بالعداوة لأهل البيت عليهم السلام لا الاعتقاد الواقعي ليدخل كفر الجحود الذي هو أشدّ أنواع الكفر.

وحديث جنادة عن الإمام الحسن عليه السلام أنّه قال للحسين عليه السلام: «كلّهم يتقرّب إلى الله»[1] يشير إلى هذا المعنى.

وإلّا فلا يعقل أنّ مرادهم التقرّب الحقيقي فإنّ من غير المعقول أن يتأتّى ذلك من جميعهم بعد ظهور البيّنات وقيام الحجج وقرب عهدهم من أميرالمؤمنين عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وآله وإن كان متصوّراً من بعضهم.

---

(١) ثابت ابن أبي صفيّة الثمالي قال: نظر عليّ بن الحسين عليه السلام سيّد العابدين إلى عبيدالله بن العبّاس بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام فاستعبر ثمّ قال: ما من يوم أشدّ على رسول الله صلى الله عليه وآله من يوم أُحد؛ قُتل فيه عمّه الحمزة ابن عبد المطّلب أسد الله وأسد رسوله، وبعده يوم مؤتة قُتل فيه ابن عمّه جعفر بن أبي طالب. ثمّ قال عليه السلام: ولا يوم كيوم الحسين، ازدلف إليه ثلاثون ألف رجل يزعمون أنّهم من هذه الأُمّة كلّ يتقرّب إلى الله عزّ وجلّ بدمه وهو بالله يُذكّرهم فلا يتّعظون حتّى قتلوه بغياً وظلماً وعدواناً [الخصال ١: ٦٨، أمالي الصدوق: المجلس ٧٠ الرقم ١٠، بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٨، عوالم العلوم: ٣٤٨].

قال ابن نما: ثمّ دعا جندب بن عبدالله الأزدي وكان شيخاً، فقال: يا عدوّ الله، ألست صاحب أبي تراب؟ قال: بلى لا أعتذر منه. قال: ما أراني إلّا متقرّباً إلى الله بدمك. قال: إذاً لا يقرّبك الله منه بل يباعدك. قال: شيخ قد ذهب عقله، وخلّى سبيله [بحار الأنوار ٤٥: ١٢١]. (هامش الأصل)

إذن يكون معاوية وعمرو بن العاص والمنصور وهارون وأشباههم الذين عندهم علم تفصيليّ بفضائل الإمام ومع ذلك يظهرون له العداوة من أعظم النواصب.

وأخيراً، بعد تأمّلنا في مؤدّى مجموع الأخبار ظهر ذلك جليّاً لدينا، ومثله يقال في كلمات أصحابنا عن النصب والنواصب فإنّه من الممكن إرجاعها إلى هذا المعنى غالباً، ولم يظهر عليهم الحكم بكفر أهل الخلاف قاطبة ما عدا هذه الطائفة أي لم يظهر عليهم ترتيب آثار الكفر بحسب الظاهر عليهم؛ لأنّ الإجماع مفقود بالضرورة، والأخبار خاصّة بالنواصب وقد بيّنّا معناه، ولا وجه لادّعاء النصب لجميع أهل الخلاف بمقتضى رواية المعلّى بن خنيس: «ليس الناصب من نصب لنا أهل البيت لأنّك لا تجد أحداً يقول إنّي أبغض محمّد وآل محمّد ولكن الناصب من نصب لكم وهو يعلم أنّكم تتولّونا وتتبرّؤوا من أعدائنا»[1] لأنّه بعد غضّ النظر عن ضعف طريق الخبر، يكون فحواه بعد التأمّل أنّه لا أحد يجاهر بعداوة النبيّ وآله ويبارزهم بل يظهرون عداوة الشيعة تعبيراً عن عداوتهم لهم وبالطبع هؤلاء هم النواصب.

ولكن الكلام في الصغرى لأنّ عوام العامّة لا يحملون العداوة للشيعة من هذه الناحية أي لاتّباعهم آل محمّد بل عداوتهم راجعة إلى البرائة من الصحابة حيث يفعلها بعض الشيعة، والعامّة لا يعدّون أنفسهم عدوّ آل محمّد لأنّهم أنفسهم يلعنون عدوّ آل محمّد، والنزاع بيننا صغرويّ وإن كنّا بعون الله أثبتنا هذه المقدّمة الممنوعة من كتبهم أنفسهم، ولكن إلزامنا لهم لا دخل له باعتقادهم الفعليّ، ولو فرضنا جدلاً أنّهم يحملون في ضمائرهم عداوة كامنة للآل فإنّه لمّا لم يكن لنا

---

(١) معاني الأخبار: ١٠٤. (هامش الأصل) وجرى تطبيقه، وبعد الحديث: وقال عليه السلام: «من أشبع عدوّاً لنا فقد قتل وليّاً لنا». (المترجم) علل الشرايع: ٢٠٠ عن عبدالله بن سنان عن الصادق. بحار الأنوار ٢٧: ٢٣٣ ط تهران. (هامش الأصل)

دليل عليها فإنّنا لا نستطيع أن نعاملهم معامله الكافر؛ لأنّ مناط الحكم يعود إلى الإعلان والإظهار كما اعتبرتهما الأخبار، كاشفين عن التديّن الحقيقي كما مرّت الإشارة إليه بالشرح السالف.

وأمّا الأخبار الواردة بكفر مطلق أهل الخلاف فإنّها لمّا كانت معارضة بالأخبار الواردة في معاملتهم كما لو كانوا مسلمين من حيث الطهارة وجواز المعاشرة والمؤاكلة وحلّ المناكحة والمصاهرة وأكل ذبائحهم، والأخبار المتظافرة ـ بل المتواترة الواردة في الفرق بين الإسلام والإيمان المبثوثة في مطاوي كتب الأخبار سيّما الكتاب الجليل القدر والعظيم الشأن الكافي، في الباب المعقود لهذا المعنى، المتفقة مع السيرة القطعيّة المحقّقة التي لا تحتمل الترديد والشكّ، تنزل منزلة الكفر الباطني. إذ لا مانع باختلاف أحكام الكفّار لاختلاف أقسامهم، وهذا المعنى ثابت في الجملة بين الفريقين. واستشعرت طائفة هذا الفرق من عبارات الفقهاء في موارد خاصّة، ويستشمّ هذا المعنى من عبارات الشيخ في التهذيب وعبارات السيّد في تنزيه الأنبياء.

وظهر من مجمل ما قلناه أنّ القول بكفر مطلق أهل الخلاف ووجوب الاجتناب الفعلي منهم لا وجه له في وادي التحقيق وإن كان صاحب الحدائق ﷺ مصرّاً بإصرار بليغ على التصدّي لإثبات هذا الأمر، واعتضد بطائفة من الأخبار وكلمات الفقهاء الأخيار، وإذا لم يكن في هذه الأخبار دليل على خلاف مدّعاه فليس فيها دليل على إثباته، أو إنّها قابلة للتأويل بتوجيه قريب. ومع كلّ هذا فقد طعن طعناً بليغاً وعرّض تعريضاً أكيداً على المتأخّرين على وجه ينافي فضله وهو من أهل الفضل، ولا يليق بمقامهم المنيع. ونحيل على الكتب المفصّلة في بسط الكلام حول هذا المقام ولم نقصد إلّا بيان لمعة منه هنا، وإظهار لمحة من حقيقته، والله الموفّق.

وجملة القول أنّ ما حقّقناه من مجموع ما جاء في هذه الفائدة أنّ الإشارة إلى كفر محاربي سيّد الشهداء عليه السلام في الفقرة: «من نصب لك الحرب» من المسلّمات بل إنّ هذا المعنى من ضروريّات المذهب الشيعي، ولا يحتاج إلى الاستدراك. لأنّه علاوة على كون هذه المحاربة أمارة النصب، وهي على التحقيق السبب المستقلّ لكفر هذه الطائفة من الخوارج والفئة الباغية، فإنّ الخروج على الإمام وهتك حرماته والتصدّي لقتله وسفك دمه المقدّس، كلّ واحد منها سبب تامّ للكفر فإنّها قد اجتمعت في محاربي سيّد الشهداء، ولا حاجة بنا إلى إثبات كفر هذه الطائفة بل الطائفة السابقة التي هي مطلق النواصب التي يرجع كفرها إلى مسألة إنكار الضروري كما يظهر ذلك من كلام بعض الأساطين؛ لأنّ مسألة كفر منكر الضروريّ محلّ خلاف هل هو لجهة الموضوعيّة أو بسبب الكاشفيّة؛ فإنّ طائفة من كبار المحقّقين المتأخّرين مثل المقدّس الأردبيلي والفاضل الهندي وجمال المحقّقين والمحقّق القمّي وأُستاد أساتيد عصرنا في الرسائل وغيرهم قدّس سرّهم ذهبوا إلى الاحتمال الثاني وهو الأقوى.

وبناءاً على هذا لا يحكم بكفرهم مع وجود الشبهة، وهذا المعنى مقطوع بفساده في حقّ المحاربين والخوارج، وفي حقّ النواصب خلاف الظاهر إذن الأولى أن نرجع في إثبات كفر هذه الطوائف إلى الأدلّة التي تكفّرهم خاصّة، ولا نرجع المسألة إلى القاعدة الكلّيّة وهي كفر منكر الضروري.

والمتأمّل المتصفّح للأخبار أنّ اعتبار الولاية جزء الإيمان المبثوثة في الأُصول المعتمدة والمصادر الوثيقة والكتب الصحيحة لأساطين علماء الشيعة رضوان الله عليهم من قبيل الجوامع السبع العظام[1] وغيرها مجتمعة ومتفرّقة، يجزم أو

---

(١) الكافي، من لا يحضره الفقيه، التهذيب، الاستبصار، العلل، العيون، الخصال. (هامش الأصل)

يشرف على الجزم بأنّ الولاية شأنها شأن التوحيد والنبوّة من الأركان الأصليّة والعناصر الأُسطقسيّة للإيمان، وبفقدها تفقد حقيقة الإيمان، ولا تترتّب عندئذٍ أحكام الإيمان على فاقدها بشكل مطلق سواءاً كان ذلك عن قصور أو تقصير.

كما أنّ حال التوحيد والنبوّة كذلك بالاتفاق أو بضرورة الإسلام. نعم، الفرق الوحيد يتجلّى بين القاصر والمقصّر فقد نفى جماعة من المحقّقين وأهل النظر بالقرائن الصريحة العقليّة والشواهد الصحيحة النقليّة العقاب عن القاصر، جازمين بذلك، وتحقّق القصور خارج الواقع، ونفس الأمر يتمّ بملاحظة أحوال أصناف البشر ومراجعة أخلاق أخلاط الزمر، وتأمّل الفروق في القابليّات، واختلاف مؤهّلات الناس واستعداداتهم من الوحشيّة والتمدّن والهمجيّة والقروية والبدويّة والزنجيّة والروميّة، وكونهم رجالاً أو نساناً فإنّ ذلك يختلف من حال إلى حال بتفاوت مراتب الوجود وتبيان درجات النفوس، وهذا أمر محسوس ومطلب مشهود.

وليس يصحّ في الأفهام شيء إذا احتاج النهار إلى دليل

وطعن بعض الأخباريّين على بعض أساطين الفرقة ورؤساء المذهب في اختيار نفي العقاب عن القاصر ناشئ عن القصور في الطاعن نفسه.

وكتابة هذه الجملة كانت على سبيل الاستجرار والتطفّل، ومحصّل الغرض وحاصل المطلب هو أنّ علماء الإماميّة رضي الله عنهم أطبقت كلمتهم على كفر محاربي سيّدالشهداء وجواز لعنهم وسبّهم، وتشهد بذلك أخبار العامّة على هذا المدّعى بين مصرّحة وملوّحة، وسوف ينقل هذا القليل البضاعة بعون الله جلّ ذكره في تضاعيف هذا الشرح طائفة من أخبار الفريقين حول هذه المعاني مفرّقة خلال الشرح، والإكثار منها في هذا الموضع ينافي شرطنا في الاختصار، والله الموفّق وهو الهادي.

بَرِئْتُ إِلَى اللّٰهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَى اللّٰهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ، وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ، وَالنَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ، وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ، إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ ...

الشرح: لمّا كان الاعتقاد بإمامة أهل البيت عليهم السلام من أهمّ أُصول الدين، وقوام هذا الأصل بركنين أساسيّين: الأوّل: التولّي، والثاني: التبرّي، كما هي الحال في طبّ الأبدان فإنّ صحّة المرء منوطة بالتنقية وهي دفع الأخلاط العفنة والموادّ الفاسدة، والتقوية وهي حفظ القوى الأصليّة وإعانة الأرواح على تناول الأعمال، وكذلك الحال في طبّ النفوس فإنّ الكمال النفساني أيضاً مشروطة بالتخلية، ومعناها: إزالة الملكات الرذيلة والأخلاق الرديئة، والتحلية: ومعناها جلب الملكات العادلة والأخلاق الفاضلة.

إذن، يكون الطبّ الإيماني أيضاً بحاجة إلى هذين الركنين؛ لأنّ التبرّي ومعناه البرائة من أعداء أهل البيت، يجعل بأزاء التنقية والتخلية. والتولّي ومعناه المحبّة والودّ لهذا البيت العظيم، تجعل في قبال التقوية والتحلية المذكورَين آنفاً. وبما أنّ الغاية من هذه الزيارة هي إظهار المشايعة والمتابعة الواقعيّة لأهل البيت عليهم السلام، وكان قوام ذلك بهذين الركنين السالفين، لهذا عبّر عنهما بهذه الزيارة الشريفة بأساليب مختلفة ووجوه متعدّدة:

فأحياناً يأتي ذلك ضمناً في لعن أعدائهم على سبيل الاستطراد والاستتباع كأنّما الغليان النفسي والشوق الباطني يثور بذكر مساوئ الأعداء، ويهيّج الإخلاص لهم، وانسياقاً وراء مقتضيات المحبّة الجبلّيّة لهذه الثلّة المباركة

والعداوة الفطريّة ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾[1] لتلك القبيلة المعادية يظهر المرء البرائة والتألّم منها.

وأحياناً تختصّ الحال بسيّد الشهداء فيجعل المؤمن تولّي أوليائه والتبرّي من أعدائه رأس مال القرب وواسطة التقدّم بين يدي الواحد الأحد جلّ مجده، وسيّد الرسل ﷺ وسيّد الأولياء وسيّدة النساء والإمام المجتبى عليهم السلام الذين هم أقرب الخلق إلى الله وأحبّ الناس إلى سيّد الشهداء «وأتقرّب إلى الله وإلى رسوله» ويتمّ قرائة الفقرة السابقة، وبعد أن يجعل ذلك وسيلة للتقرّب وواسطة للتقدّم يعود فينشأ البرائة الفعليّه تأكيداً للبرائة وتقوية للمطلوب ويقول: «برئت إلى الله».

وأحياناً يعمّ بخطابه جميع أهل البيت فيتقرّب إلى الله بإظهار البرائة من أعدائهم، والولاية لهم ولشيعتهم فيقول: «وأتقرّب إلى الله وإليكم...» وأحياناً بعبارة أُخرى على سبيل الفذلكة وجني النتيجة يقول: «إنّي سلم لمن سالمكم» إلى آخره.

ومحصّل القول هو: من كان معكم فأنا معه، ومن كان عيكم فأنا عليه، ليس لي سواكم في الدنيا والآخرة، أنت لي فحسب، وأنتم سبيل سعادتي ووسيلة نجاتي وقربي.

نگسلد رشته امّید گران باری جرم زمره‌ای راکه شما حبل متینید همه

سیزده تن زشما چاشنی از یکتن یافت زان نمکدان حقیقت نمی‌کنید همه

ومع أنّ الأحاديث الواردة في فضل أولياء آل محمّد ومثالب أعدائهم أكثر من أن يمكن حصرها في مكان واحد أو درجها في سفر واحد، فإنّنا نكتفي هنا بذكر حديث واحد محكياً عن تفسير الثعلبي مسنداً ومذكور في كتاب الكشّاف وتفسير الرازي الكبير مرسلاً ليكون حجّة على الخصم، والحديث كما يلي:

---

(١) الروم: ٣٠.

روى صاحب كتاب ينابيع المودّة عن كتاب فصل الخطاب للخواجه محمّد پارساي البخاري النقشبندي وهو من أجلّاء عرفاء العامّة ومحدّثيهم وعلمائهم أنّه قال: روى الإمام أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره عن الإمام محمّد بن أسلم الطوسي، عن يعلى بن بعيد، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من مات على حب آل محمّد مات شهيداً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشّره ملك الموت ثمّ منكر ونكير.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة.

ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً.

ألا ومن مات على بغض آل محمّد لم يشمّ رائحة الجنّة[1].[2]

---

(١) ينابيع المودّة: ٣٩٩ ط اسلامبول. ورواه جمع غفير من علماء العامّة، ذكر ذلك في إحقاق الحقّ ٩: ٤٨٩ مفصّلاً. (هامش الأصل)

(٢) بعد ذكر الحديث شرع المؤلّف في ترجمته ملخّصاً فعلّق عليه المحقّق فقال: البراءة والنقمة على أعداء الدين عدّت واحدة من أُصول الدين. واعتبرت ذات أجر وثواب كثير، والآن نذكر بعضاً من أقوال أساطين الدين وندرج بعض الروايات التي عثرنا عليها في الموضوع:

. . . . . .

---

١ ـ قال الشيخ الطوسي في النهاية: ولا تصلّ خلف الناصب ولا خلف من يتولّى أمير المؤمنين إذا لم يتبرّأ من عدوّه إلّا في حال التقيّة[١].

٢ ـ قال رسول الله ﷺ: أُقسم بالله الذي أرسلني بالنبوّة واختارني على الخلق كافّة أنّ جبرئيل أخبرني لو أنّ عبداً عبد الله ألف سنة ولم يتولّك والائمّة من نسلك ولم يتبرّأ من عدوّهم فإنّ الله لا يقبل منه صرفاً ولا عدلاً؛ من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ـ أو كما قال ـ[٢].

٣ ـ الصفواني [في أُنس العالم]: إنّ رجلاً قدم على أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا أُحبّك وأُحبّ فلاناً ـ وسمّى بعض أعدائه ـ فقال عليه السلام: أمّا الآن فأنت أعور، فإمّا أن تعمى وإمّا أن تبصر[٣].

يقول الشاعر:

اى كه گوئى هم علىّ و هم رمع	اعورى از نور ظلمت بهره‌ور
يا بيا پروانهٔ اين نور شو	يا برو خفاش باش و كور شو
تحبّ علياً وأعدائه	فأنت بمنزلة الأعور
فإمّا ترى نوره كلّه	وإمّا كمهت فلم تبصر

٤ ـ قيل للصادق عليه السلام: إنّ فلاناً يوالكم إلّا أنّه يضعف عن البرائة من عدوّكم. قال: هيهات، كذب من ادّعى محبّتنا ولم يتبرّأ من عدوّنا[٤].

٥ ـ روي عن الرضا عليه السلام إنّه قال: كمال الدين ولايتنا والبرائة من عدوّنا[٥].

٦ ـ عن أبي محمّد العسكري عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ لبعض أصحابه ذات يوم: يا عبدالله، أحبّ في الله وابغض في الله، ووال في الله وعاد في الله، فإنّه لا تُنال ولاية الله إلّا بذلك، ولا يجد رجل طعم الإيمان وإن كثرت صلاته وصيامه حتّى يكون كذلك، وقد صارت مؤاخاة الناس يومكم هذا أكثرها في

---

(١) الطوسي، النهاية: ١١٢. (المترجم)

(٢) الحديث مترجَم. (المترجم) نور الأنوار للمرندي: ٢٧٢. (هامش الأصل)

(٣) نور الأنوار: ٢٧٢. (هامش الأصل) السرائر ٣: ٦٣٩، الصوارم المهرقة: ٢٤٨، بحار الأنوار ٢٧: ٥٨ ح١٧. (المترجم)

(٤) نور الأنوار: ٢٧٢. (هامش الأصل) السرائر ٣: ٦٤٠، بحار الأنوار ٢٧: ٥٨ ح١٨. (المترجم)

(٥) نور الأنوار: ٢٧٢. (هامش الأصل) السرائر ٣: ٦٤٠، بحار الأنوار ٢٧: ٥٨ ح١٩. (المترجم)

. . . . . .

➲ الدنيا عليها يتوادّون وعليها يتباغضون، وذلك لا يغني عنهم من الله شيئاً.

فقال له: وكيف لي أن أعلم أنّي قد واليت وعاديت في الله عزّ وجلّ؟ ومن وليّ الله عزّ وجلّ حتّى أواليه؟ ومن عدوّه حتّى أعاديه؟ فأشار رسول الله ﷺ إلى عليّ عليه السلام فقال له: أترى هذا؟ فقال: بلى، قال: وليّ هذا وليّ الله فواله، وعدوّ هذا عدوّ الله فعاده، قال: وال وليّ هذا ولو أنّه قاتل أبيك وولدك، وعاد عدوّ هذا ولو أنّه أبوك أو ولدك[1].

أهمّيّة اللعن وذمّ تاركه

١ ـ قال رسول الله ﷺ: من تأثّم أن يلعن من لعنه الله فعليه لعنة الله[2].

٢ ـ عن أبي حمزة الثمالي قال: قلت لعليّ بن الحسين عليه السلام: أسألك عن شيء أنفي عنّي به ما قد خامر نفسي. قال: ذلك لك. قلت: أسألك عن الأوّل والثاني، فقال: عليهما لعائن الله كلاهما، مضيا والله كافرين مشركين بالله العظيم[3].

٣ ـ قال رسول الله ﷺ: قوم من أُمّتي ينتحلون بأنّهم من أهل ملّتي، يقتلون أفاضل ذرّيّتي وأطائب أُرومتي، ويبدّلون شريعتي وسنّتي، ويقتلون ولديّ الحسن والحسين كما قتل أسلاف هؤلاء اليهود زكريّا ويحيى، ألا وإنّ الله يلعنهم كما لعنهم، ويبعث على بقايا ذراريهم قبل يوم القيامة هادياً مهدياً من ولد الحسين المظلوم، يحرفهم [بسيوف أوليائه] إلى نار جهنّم[4]. ألا ولعن الله قتلة الحسين ومحبّيهم وناصريهم والساكتين عن لعنهم من غير تقيّة تسكتهم، ألا وصلّى الله على الباكين على الحسين بن عليّ رحمة، واللاعنين لأعدائهم والممتثلين عليهم غيظاً وحنقاً[5].

---

(١) علل الشرايع ١: ١٣٤، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٢٩١، أمالي الصدوق: ٨، بحار الأنوار ٦٦: ٢٣٦. (هامش الأصل) الأربعون حديثاً للشهيد الأوّل: ٦٥ ـ ٦٦ الحديث الثامن والعشرون، رسالة في العدالة للشهيد الثاني: ٢٦٧، وسائل الشيعة ١٦: ١٧٨ ط آل البيت، بحار الأنوار ٢٧: ٥٤ ح٨ (المترجم)

(٢) رجال الكشي: ٣٤٤ و ٣٩١ (هامش الأصل) وص ٥٢٨ (المترجم)

(٣) بحار الأنوار ١٨: ٧ (المترجم) ٨: ٢٠٧ ط كمباني (هامش الأصل)

(٤) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٣٥٤. (المترجم)

(٥) البرهان، تفسير سورة البقرة ذيل الآية ٨٦. (هامش الأصل) الجلد الأوّل ص ٢٦٧ السطر ١٧. (المترجم)

. . . . . .

٤ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عن رسول الله صلوات الله عليهم أنّه قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت فلعن في خلواته أعداءنا بلّغ الله صوته جميع الأملاك من الثرى إلى العرش، فكلّما لعن هذا الرجل أعداءنا لعناً ساعدوه ولعنوا من يلعنه ثمّ ثنّوا فقالوا: اللهمّ صلّ على عبدك هذا الذي قد بذل ما في وسعه، ولو قدر على أكثر منه لفعل، فإذا النداء من قِبَل الله عزّ وجلّ: قد أجبت دعاءكم وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه في الأرواح، وجعلته عندي من المصطفين الأخيار[1].

٥ ـ قال عليّ بن عاصم للإمام العسكري عليه السلام: إنّي عاجز عن نصرتكم بيدي وليس أملك غير موالاتكم والبرائة من أعداءكم واللعن لهم في خلواتي، فكيف حالي يا سيّدي؟ فقال عليه السلام: حدّثني أبي عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من ضعف عن نصرتنا أهل البيت ولعن في خلواته أعدائنا، بلّغ الله صوته إلى جميع الملائكة، فكلّما لعن أحدكم أعداءنا ساعدته الملائكة ولعنوا من لا يلعنهم، فإذا بلغ صوته إلى الملائكة استغفروا له وأثنوا عليه، وقالوا: اللهمّ صلّ على روح عبدك هذا الذي بذل في نصرة أوليائه جهده ولو قدر على أكثر من ذلك لفعل، فإذا النداء من قبل الله تعالى يقول: يا ملائكتي، إنّي قد أجبت دعائكم في عبدي هذا وسمعت نداءكم وصلّيت على روحه مع أرواح الأبرار وجعلته من المصطفين الأخيار[2].

تفوّق التولّي على التبرّي أو تقدّم اللعن على الصلوات

كثير من علماء الإسلام يرون تقديم التبرّي على التولّي، وأقاموا الدليل على ذلك، وكتب بعضهم الرسائل المستقلّة حول الموضوع، منها «أمارة الولاية» تأليف زند الكرماني مطبوع، ورسالة «فضل اللعن على الصلاة» وهذه الرسالة مثبتة برقم ٢٨٤٢ في مكتبة «ملك» بطهران وإليك بعضاً من الدلائل والشواهد حول الموضوع:

١ ـ يظهر فضل التبرّي في كلمة الإخلاص الشريفة «لا إله إلّا الله» والآية الشريفة: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾[3] واللعن مائة مرّه في زيارة عاشوراء على التولّي وهو

(١) بحار الأنوار ٢٧: ٢٢٣ ح ١١ عن التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام. (هامش الأصل) تفسير الإمام العسكري عليه السلام: ٤٧ ح ٢١. (المترجم)

(٢) بحار الأنوار ٥٠: ٣١٦ و ٣١٧ (المترجم) وص ٣١٧ (هامش الأصل)

(٣) البقرة: ٢٥٦.

. . . . . .

➲ الإقرار بالربوبيّة والإيمان بالله وذكر السلام، ومن هنا يُعرَف أهمّيّة التبرّي.

نقل السيّد الجزائري: وُصِفَ للملك ركن الدولة بن بويه الديلمي، الشيخ الأجل محمّد بن بابويه، ومجالسه وأحاديثه، فأرسل إليه على وجه الكرامة، فلمّا حضر قال له: أيّها الشيخ، قد اختلف الحاضرون في القوم الذين يطعن عليهم الشيعة، فقال بعضهم: يجب الطعن، وقال بعضهم لا يجوز، فما عندك في هذا؟ فقال الشيخ: أيّها الملك، إنّ الله لم يقبل من عباده الإقرار بتوحيده حتّى يفنوا كلّ إله وكلّ صنم عُبِدَ من دونه، ألا ترى أنّه أمرهم أن يقولوا: «لا إله إلّا الله» فـ«لا إله» غيره وهو نفي كلّ إله عُبِدَ دون الله و«إلّا الله» إثبات الله عزّ وجلّ، وهكذا لم يقبل الإقرار من عباده بنبوّة محمّد ﷺ حتّى نفوا كلّ من كان مثل مسيلمة وسجّاح والأسود العنسي وأشباههم، وهكذا لا يقبل القول بإمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب إلّا بعد نفي كلّ ضدّ انتصب للأُمّة دونه. فقال الملك: هذا هو الحقّ[1].

٢ ـ في التولّي ـ مثل الصلاة على النبيّ وآله ـ سرور الموالي والآل، وفي التبرّي مثل اللعن على العدوّ سرور الموالين وكبت المعادين وتعذيبهم وإذلالهم[2].

٣ ـ الموارد التي جاء اللعن فيها في القرآن الكريم كثيرة تبلغ أعدادها العشرات [حدود ١٠٠ آية] ولكن موارد الصلوات لا تتجاوز أصابع اليد منها تظهر أهمّيّة اللعن.

٤ ـ للمحبّة والتولّي مراتب:

١ ـ المحبّة اللسانيّة.

٢ ـ المحبّة القلبيّة.

٣ ـ المحبّة القلبيّة إلى درجة نصرة المحبوب والدفاع عنه، والتنفّر من عدوّه، ولكلّ واحدة منها درجات. فالمحبّة التي تجاوزت مرحلتها الأُولى وبلغت إلى مستوى الدفاع والتبرّي واعتبرت حبيبها العقل الخالص ومنشأ كلّ خير واعتبرت الخصم والعدوّ جهلاً محضاً ومنشأ كلّ شرّ، كما جاء في الحديث: «ذكركم ذكر الله وذكر عدوّكم ذكر الشيطان»، «إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه» هي خيرها... ولمّا كان التولّي لا يكشف عن أيّة مرتبة من المراتب المتقدّمة وكان التنفّر والتبرّي من العدوّ يحكي عن

---

(١) زهر الربيع ٢: ٢٥٨ ط الإسلاميّة ـ طهران. (هامش الأصل) زهر الربيع: ٢٩١ ـ ٢٩٢ ط النجف الأشرف. (المترجم)

(٢) زهر الربيع ٢: ١٩٠ ط النجف الأشرف. (هامش الأصل) مُترجَم. (المترجم)

من هذا الخبر الشريف يظهر لأهل الانصاف؟؟؟ والحمد لله على وضوح الحجّة وظهور الكلمة وجريان الحقّ على لسان الأعداء.

➲ آخر درجات الحبّ يمكن أن يظهر أن التبرّي من التولّي أعلى وأعلى.

جاء خيّاط بقميصين إلى الإمام الصادق عليه السلام وقال: واحدة كنت ألعن عدوّكم وأنا أخيطها، والثانية أُصلّي عليكم، فأيّها تختار؟ فاختار الإمام القميص الذي خاطه وهو يلعن، وقال: هذه أحبّ إليّ[1].

قال الشاعر:

چندى به سفر بودم و چندى به حضر ... ديدم بسى زاهل دانش و هنر
معلوم شده زصحبت اهل بصر ... ذكرى نبود نكوتر از لعن عمر
أنا امرئ قطعت عمري بالسفر ... صحبت من صحبت من أهل النظر
فلم أجد أشهى إلى أهل البصر ... أوقع في القلوب من لعن عمر

* * *

هركس كه گويد تبرّى ضرر است ... آن را نه زدين وزايمان خبر است
فرزند على اگر تبرّى نكند ... فرزند على نيست زنسل عمر است[2]
من قال عن بغض ذوي النصب لِمَه؟ ... ليس له في عالم الدين سمه
وليس ينمى لعليّ المرتضى ... وإنّما ينمي إلى ابن حنتمه

---

(١) شعشعة الحسيني، أمارة الولاية تأليف زند كرماني، مطبوع، ص٥١، وفور الأثر تأليف الشيخ محمّد رضا الثامني الشيرازي، مطبوع، ص٩١. (هامش الأصل) مُتَرْجَمْ. (المترجم)

(٢) شجرة طوبى، الورقة ١٨٠. (هامش الأصل)

فَأَسْأَلُ اللّٰهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيَائِكُمْ، وَرَزَقَنِي الْبَرَاءَةَ مِنْ أَعْدائِكُمْ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ...

الشرح: لمعرفة الأئمّة عليهم السلام مراتب:

المرتبة الأُولى: الإحاطة بمقامهم كما هو حقّه، وهذه المرتبة ليست في حيّز أفهامنا.

جمله ادراكات از خرهای لنگ او سوار بادپایان چون خدنگ

والحديث الشريف: «من عرفنا فقد عرف الله» يمكن أن يكون إشارة إلى هذا المعنى[1]. والحديث المعروف الذي رواه الشيخ الصدوق عليه الرحمة أنّ

---

(١) قال له [أي للحسين] رجل: يابن رسول الله، بأبي أنت وأُمّي، فما معرفة الله؟ قال: معرفة أهل زمان إمامهم الذي يجب عليهم طاعته[1].

«ونحن الأعراف الذين لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتنا»[2].

«يا سلمان ويا جندب، قالا: لبّيك يا أميرالمؤمنين، قال: معرفتي بالنورانيّة معرفة الله عزّ وجلّ، ومعرفة الله معرفتي بالنورانيّة ... أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد، وكلّنا محمّد فلا تفرّقوا بيننا، ونحن إذا شئنا شاء الله، وإذا كرهنا كره الله[3].

سدير عن أبي جعفر عليه السلام، سمعته يقول: نحن خزّان الله في الدنيا والآخرة، وشيعتنا خزّاننا، ولولانا ما عُرِف الله[4].

---

(١) علل الشرايع بالإسناد عن سلمة بن عطا عن أبي عبدالله ... بحار الأنوار ٢٣: ٨٣ الرقم ٢٢، كنز الكراجكي: ١٥١ وبحار الأنوار ٢٣: ٩٣ الرقم ٤٠، وراجع تفسيره في البحار في الموضعين.

(٢) الاحتجاج: ١٢١ عن أميرالمؤمنين، بحار الأنوار ٢٤: ١٤ «لا يعرف الله إلّا بسبيل معرفتكم»، بصائر الدرجات: ٥٢، بحار الأنوار ٢٤: ٢٥١ الرقم ٨.

(٣) بحار الأنوار ٢٦: ١ و٦، راجع أيضاً: مشارق أنوار اليقين: ١٦٠.

(٤) بصائر الدرجات: ٣٠، بحار الأنوار ٢٦: ١٠٦ ح٥ و٢٦: ١٠٧ ح١٠.

النبيّ ﷺ قال: يا عليّ، ما عرف الله إلّا أنا وأنت، ولا عرفني إلّا الله وأنت، ولا عرفك إلّا الله وأنا...[١]. بناءاً على ثبوت أحكام أميرالمؤمنين للأئمّة من ولده أن يكون شاهد صدق على المدّعى؛ لأنّهم شركاء في الخصائص والأحكام والصفات كما ورد في الأخبار[٢].

المرتبة الثانية: الاطّلاع على أسرارهم وسرائرهم، والوقوف على بواطنهم وضمائرهم إلى المثوى الذي لا يخرج عن الإطار البشري، ولهذا أيضاً مراتب وهو مقول على التشكيك، ودرجة الخصّيصين من الشيعة والصدّيقين والأولياء،

➲ الإمام الصادق ﷺ: الأوصياء من آل محمّد الاثني عشر (كذا) لا يعرف الله إلّا من عرفهم[١].
أبو هاشم قال: كنت عند أبي محمّد ﷺ فسأله محمّد بن صالح عن قول الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾[٢] ثمّ ذكر الجواب، إلى أن قال أبو هاشم: فجعلت أتعجّب في نفسي من عظم ما أعطى الله وليّه وجزيل ما حمله، فأقبل إليّ أبو محمّد ﷺ فقال: الأمر أعجب ممّا عجبت منه يا أبا هاشم، ما ظنّك بقوم من عرفهم فقد عرف الله، ومن أنكرهم أنكره الله[٣].
فصاح [الإمام محمّد التقي الجواد ﷺ] بي: يا عسكر، تشكّون فتتبّكم، وتضعفون فتقوّيكم، والله لا وصل إلى حقيقة معرفتنا إلّا من منّ الله عليه وارتضاه لنا وليّاً[٤].

(١) قال النبيّ ﷺ: يا عليّ، ما عرف الله حقّ معرفته غيري وغيرك، وما عرفك حقّ معرفتك غير الله وغيري. [ابن شهرآشوب ٢: ٥١ في المفردات من مناقبه ﷺ، بحار الأنوار ٣٩: ٨٤ ط طهران]

(٢) قال أميرالمؤمنين ﷺ في كلام له مع سلمان وأبي ذر: يا سلمان ويا جندب... لأنّنا كلّنا واحد، أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلّنا محمّد فلا تفرّقوا بيننا. [بحار الأنوار ٢٦: ٧، وتقدّم ما يدلّ على ذلك وتأتي في أحاديث أُخرى ـ أيضاً ـ ذيل فقرة «أسأله أن يبلغني المقام المحمود الذي لكم عند الله»].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٢٧ في مراكب أميرالمؤمنين ومراقيه في الآخرة.
(٢) الأعراف: ١٧٢.
(٣) كشف الغمّة عن الدلائل للحميريّ، إثبات الهداة ٣: ٤٢٦.
(٤) مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٤٣٢ في إمامة جواد الأئمّة ﷺ.

ويظهر من أخبار أهل البيت أنّ سلمان الفارسي وأبا حمزة الثمالي ويونس بن عبدالرحمن مولى آل يقطين وجماعة آخرين وصل كلّ واحد منهم إلى مرتبة من مراتب هذا المقام. ويستفاد من مجموع الأخبار أنّه ليس في الصحابة أفضل من سلمان عليه السلام، وهذا الحكم لا يجري في أهل البيت لأنّ سلمان وإن كان منهم إلّا أنّه مُنَزَّل إلى ذلك تنزيلاً، وهو من المحقّق من الطائفة أي من أهل التشيّع.

المرتبة الثالثة: الاطّلاع على مراتب كمالاتهم ومدارج مقاماتهم العالية كما يظهر ذلك من أخبار أهل البيت وآثارهم الشريفة من العلم والحلم والتقوى والشجاعة والسماحة، واحتياج جميع الخلق في جميع أُمورهم إليهم.. وكونهم وسطاء لجميع الفيوض الإلّهيّة والمواهب الربّانيّة، ولهم الإمامة على ما في الوجود جميعاً، وهذه المرتبة هي مقام العلماء والفقهاء والمؤمنين والحكماء والعرفاء ومن اقتبس من مشكاة أنوارهم أو اغترف من بحر فضائلهم المحيط أكثر يكون أرسخ قدماً في هذه المرحلة وأرفع درجة فيها.

المرتبة الرابعة: الاعتراف بإمامتهم ومالهم من الكمالات إجمالاً وهذه حظّ العوام من الناس.

وهذه المراتب جميعاً تتفاوت على نحو التشكيك فتكون عند بعض أجلا وأكمل منها عند البعض الآخر، ويرجع إلى اختلاف الاستعداد عند الأصحاب. لمؤلّفه:

واختلاف الهيولات دليل لاختلاف الحظوظ والأنصباء[1]

وتجري المراتب الثلاثة بل الأربعة في معرفة أوليائها على حسب مراتبهم أيضاً.

والمعيّة على ثلاثة أقسام...

المعيّة القيّوميّة وهي عبارة عن الإحاطة بوجود الشيء بالحيثيّة التي يستحيل

---

(١) والبيت مضطرب وزناً ومعنى. (المترجم) ديوان المؤلّف: ١٢.

معها الانفكاك، ومعنى ذلك أنّ المقيم لو سلب علاقة الإقامة منه ينعدم من الوجود، وهذه المعيّة هي معيّة الله مع خلقه. ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[1]. قال النظامي ونعم ما قال:

زير نشيني عالمث كائنات ما به تو قايم چه تو قايم بذات

الثاني: معيّة المصاحبة وهي عبارة عن انضمام شيء لشيء بحسب الجسمانيّة كانضمام شخصين لبعضهما البعض أو خطين أحدهما إلى الآخر.

الثالث: المعيّة الروحانيّة وهي التماثل في الأخلاق والأطوار والتشابه في السلوك والأفعال، وهذه المعيّة عموماً نادرة جدّاً وهي قليلة الاتفاق.

وما يطلبه السائل من الله تعالى هو المعيّة الروحانيّة مع أهل بيت النبوّة في الدنيا والآخرة، وهذا المعنى لا يتحقّق إلّا إذا تدرّجت النفس في مراقي الكمالات، وأماطت عنها رداء الرذائل وجلت صدأ الشقاوة بصيقل العلم والعمل من مرآة القلب لكي تنعكس هذه الأنوار المقدّسة بحسب مرتبتها وتتلألأ ظلالها في ذاتها. وحينئذٍ تبلغ درجة المعيّة حتماً ويقيناً. فتبيّن من هذا أنّ روح المعيّة هي المعيّة الأُولى وهي لا تتمّ إذا فقدت السنخيّة.

ولمّا كان مقدّمة هذا العمل تولّي الذوات القدسيّة والأنوار الإلٰهيّة بحقيقة الولاية وتمام المتابعة، ويناسب تراثي هذه الدرجة معرفة الله بحقّ وذكره من خلال هذه المعرفة، لأنّ ذلك ذاتاً وسيلة عظمى لنيل هذا المقام وصفة جماليّة يوجب ذكرها تحريك سلسلة الإجابات، فيسأل الله نيل هذا المقام.

وبناءاً على هذه الملاحظة استعملت فاء التفريع بعد البرائة وأثبت لله تعالى صفة الإكرام بمعرفتهم.. «وأكرمني بمعرفتكم» لكي تكون موجبة لجلب أمثال هذا الشرف وإعطاء أمثال هذه الكرامة، والله أعلم.

---

(١) الحديد: ٤.

وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ...

الشرح: جاء معنى القدم في كتب اللغة على معان عدّة منها قدم الرجل وهو أشهر معانيها، والآخر الفضل والسابقة كما حكوا ذلك عن الواحدي في «البسيط» واستشهد بهذا البيت لغيلان ذي الرمّة أنّه قال:

وأنت امرئ من ذؤابة (كذا)[1] لهم قدم معروفة ومفاخر

والمعنى التالي نقل عن أحمد بن يحيى: القدم ما قدّمت من خير.

والمعنى التالي نقل عن ابن الأنباري: القدم عبارة عن العمل الذي يطلب به التقدّم بلا تأخير أو إبطاء.

وقال الفخر الرازي: واستعمال القدم في هذه المعنى لأنّها لا يتمّ السبق والسعي إلّا بها، ولمّا كانت السبب في وجودها سمّيت بها، كما يقال للنعمة يد، وهذا الوجه لا يتمّ إلّا في المعنى السابق، والمعنيان الآخران مأخوذان من التقدّم.

ويمكن أن يقال في القدم أيضاً بأنّها مأخوذة منه، لأنّها سبب للتقدّم. وعبارة الفخر الرازي مأخوذة من الكشّاف وهي منحصرة في المعنى السابق، ونشأ هذا الإشكال من التصحيف والإبدال.

وفي الآية الكريمة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ﴾[2] ذكر المفسّرون لها احتمالات عدّة:

الأوّل: المراد بالقدم الأعمال الصالحة، وهذا يرجع إلى المعنى الذي ذكره أحمد بن يحيى.

---

(١) «وأنت امرؤٌ من أهل بيت ذؤابة» وبعده العجز. من قصيدة يمدح بها بلال بن أبي بردة لعنه الله. ديوانه ٢: ١٠١١ ط بيروت مؤسسة الإيمان، شرح أبي نصر الباهلي، الثانية ١٤٠٢. (المترجم)

(٢) يونس: ٢.

الثاني: معناها الثواب.

الثالث: شفاعة النبيّ، ونسب هذا الوجه في التفسير الكبير إلى ابن الأنباري وقال: استشهد بهذا البيت:

صلّ لذي العرش واتّخذ قدماً ينجيك يوم العثار والزلل (كذا)[1]

ومعلوم أنّ هذا الشعر شاهد على المعنى الأوّل ولا يدلّ على إرادة الشفاعة بوجه من الوجوه، ولعلّه خطأ من الناسخ وإن كان بعيداً إلى حدّ مّا، والله أعلم.

وفسّر بعضهم القدم بالمقام، والظاهر أنّ ذلك بعلاقة القيام الذي لا يتحقّق إلّا بالقدم.

وفي تفسير حقائق التأويل، فسّر القدم تارة بالسابقة العظيمة حسب العناية الإلهيّة وتارة بمقام القرب الحاصل من التخصيص والتشريف الأزلي بحسب الاجتباء الربّاني، وكلا المعنيين يناسب ما ورد في أخبار أهل البيت عليهم السلام فإنّها فسّرته أحياناً بالشفاعة وأحياناً بالولاية وأحياناً بالوجود النبوي المقدّس؛ ومرجعها واحد فإنّ المقصود من مقام النبيّ صلى الله عليه وآله هو مقام الشفاعة، والشفاعة لا تحصل إلّا بحصول الولاية، ولا تلائم هذه المعاني بأجمعها معنى فقرة الزيارة هذه إلّا معنى الولاية وهو غاية في البعد.

وأحسن الوجوه طبقاً لقوانين العربيّة في الآية الكريمة وفي فقرة الزيارة أن يكون لفظ «قدم صدق» مثل يد الشمال وهي استعارة ترشيحيّة والمعنى: أن تثبّت قدمي اليمنى عندكم وهي كناية في أن يكون الداعي بصدق الإرادة والعقيدة الحقّة معهم في الدنيا والآخرة.. ولا تصدر عنه في النشأتين خيانة أو كذب.

ومن هنا يعلم أنّ ما ذكره الكشّاف ومن تابعه مثل الرازي والبيضاوي

---

(١) وينبغي أن يكون «العثار». (المترجم)

والنيشابوري وغيرهم من أنّ إضافة قدم إلى الصدق للتأكيد ويكون محصّل معناه لهم قدم صدقاً مثلاً لا وجه له، وهو بعيد عن الذوق السليم، ولمّا كانت نتيجة قدم الصدق على النحو الذي قلناه هو نيل الشفاعة في الآخرة فإنّها جائت في أخبار آل الرسول مرويّة عن الكافي وتفسير عليّ بن إبراهيم وتفسير العيّاشي وغيرها من الوجوه المذكورة فإنّها ترجع إلى الشفاعة كما بيّنّاه.

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقامَ الْمَحْمُودَ الَّذي لَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ ...

الشرح: التبليغ، تفعيل من البلاغ، ويتعدّى إلى مفعولين، وورد في الأدعية الكريمة تارةً بلّغ بي وبنيّتي، وبلّغ بهم، والباء هنا زائدة للتأكيد وهذا شاهد مذهب الأخفش من جواز إقحام الباء في الإيجاب.

المقام: مرّ معناه بحسب اللغة[1] وفي اصطلاح العارفين كلّ كمال ينال السالك فإن زال سمّي حالاً، وإن ثبت سمّي مقاماً. إذن، فالمقام في مراتب القلوب بمثابة الملكة في صفات النفوس، واستعمال المقام في هذا المقام يناسب هذا المعنى.

الحمد: معناه بالفارسيّة «ستايش كردن» واختلفوا في التفريق بين معاني الحمد والشكر والمدح، وغالباً تكون ديباجات كتب العلماء مشحونة منه إلى الحدّ الذي يدرك الأذكياء الملل من مطالعته وتأمّله، فالأولى أن لا نعرض له وندخل إلى تفسير المقام المحمود.

ادّعى في مجمع البيان إجماع المفسّرين على أنّ المراد من المقام المحمود في الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحْمُوداً﴾[2] هو مقام الشفاعة[3] وهذا المعنى وإن كانت الأخبار الصحيحة تقتضيه في الآية الكريمة وفي المقام التقريبي الذي ستسمعه ولكن إجماع المفسّرين ليس حجّة بوجه من الوجوه؛ لأنّ مرجع المفسّرين إلى مثل الكلبي والسدّي والحسن وعطاء وقتادة ومجاهد وهم الطبقة الأُولى من المفسّرين، وتفسير هؤلاء يأتي أحياناً بحسب الذوق الذي اكتسبوه لطول المران، وبعضهم يفسّر القرآن تمشّياً وراء

---

(١) في شرح فقرة «ولعن الله أُمّة دفعتكم عن مقامكم ...». (هامش الأصل)

(٢) الإسراء: ٧٩.

(٣) وقد أجمع المفسّرون على أنّ المقام المحمود هو مقام الشفاعة. مجمع البيان ٦: ٢٨٤. (المترجم)

الأهواء النفسانيّة والتسويلات الشيطانيّة، وجماعة منهم بادّعاء السماع من مشايخ التفسير مثل ابن عبّاس وابن مسعود وعكرمة وغيرهم، وبناءاً على أُصول الإماميّة المتّبعة ليس قول أحد من هؤلاء حجّة، وإن كان ابن عبّاس رضي الله عنهما مضافاً إلى عدم ثبوت وسائط السند وفي حال النقل لا تتوفّر شروط القبول في أيّ واحد منهم، بل المتّبع إمّا من ظاهر اللفظ المستأنس من اللغة والمتمرّن بفهم معانيها يجد ذلك كما كانت عليه طريقة علماء الفريقين خلفاً عن سلف ثابتة على استفادة المطالب الرشيقة والمعاني الدقيقة من آيات القرآن فلم تجمد القرائح ولم تتوقّف الأفهام لأنّ الحسن أو قتادة نطق أو رأى كذا.

وإمّا أن يجد ذلك عند أهل البيت الذين نزل القرآن في بيوتهم، وهم المخاطبون به، ووصل تفسيره عنهم بطرق معتمدة، بل يرجع في المحكمات إلى الأوّل[1]؛ فإن كان موافقاً للظاهر فنعم الاتفاق وإلّا فمحمول على التأويل المخزون وإظهار بعض البطون. نعم، في المتشابهات التي لا تستنبط من الظواهر ينحصر المرجع إلى الأخبار، وإذا ما استشهد أحياناً بقول المفسّرين فلا يخلو إمّا لتأييد الفهم المدّعىٰ وإمّا لإلزام الخصم وإلّا فلا حجّة بقول الحسن ونظائره بحال من الأحوال.

ويناسبه ما في الاحتجاج عن عبدالله بن سليمان قال: كنت عند أبي جعفر عليه السلام فقال له رجل من أهل البصرة يقال له عثمان الأعمى: إنّ الحسن البصري يزعم أنّ الذين يكتمون العلم تؤذي ريح بطونهم من يدخل النار! فقال أبو جعفر عليه السلام: فهلك إذن مؤمن آل فرعون والله مدحه بذلك، وما زال العلم مكتوماً منذ بعث الله رسوله نوحاً، فليذهب الحسن يميناً وشمالاً فوالله ما يوجد العلم إلّا هاهنا، صدق وليّ الله عن رسول الله عن الله[2].

---

(١) أي ظاهر اللفظ المستأنس باللغة ... الخ. (المترجم)

(٢) الاحتجاج ٢: ٦٨ ط دار النعمان.

ومجمل القول أنّ هذا الحديث وإن ذكر استطراداً إلّا أنّنا أوردناه لتذكرة بعض المعاصرين الذين يرون أنّ الاقتصار على أقوال المفسّرين وخيالاتهم لابدّ منه، ولا يستحسن تخطّيها، وهذا تحيّل طريق واشتباه عجيب ظاهر البطلان جدّاً.

والخلاصة أنّ ظاهر لفظ «المقام المحمود» هو تلك الدرجة من الكلام المستوجبة لحمد كلّ أحد من جميع الجهات، وهو نتيجة لقرب النبيّ من قيامه بالنوافل، ويمكن أن يراد فيه المقام المحمود بالحذف والإيصال أي المقام الذي يقع فيه الحمد كما يدلّ عليه ما جاء في توحيد الصدوق عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام (حديث طويل يقول فيه عليه السلام) وقد ذكر أهل المحشر: ثمّ يجتمعون في موطن آخر يكون فيه مقام محمّد صلى الله عليه وآله وهو المقام المحمود فيثني على الله تبارك وتعالى بما لم يثن عليه عليه أحد قبله، ثمّ يثني على كلّ مؤمن ومؤمنة يبدأ بالصدّيقين والشهداء ثمّ بالصالحين فتحمده أهل السماوات وأهل الأرض، فلذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَاماً مَّحمُوداً﴾[1] فطوبى لمن كان في ذلك اليوم له حظّ ونصيب، وويل لمن لم يكن له في ذلك اليوم حظّ ونصيب[2].

وفي هذه الرواية إشعار على أنّ المقام الحمود مقام يقع فيه حمد الخلق له، ويمكن بشيء من التأمّل إرجاعه إلى الوجه الأوّل؛ لأنّ الحديث فرّع الحمد على حسن ثناء النبيّ على ربّه وبلاغ الثناء وكمال الحمد بالمعرفة التامّة وشدّة القرب ووفور العلم، ولمّا امتاز عن الأنبياء وسائر المخلوقات بحسن الثناء بلغ درجة الكمال التي استوجب بها حمد الخلق أجمعين لاسيّما حين جعل الفيض الخاصّ والرحمة المخصوصة قسمة بين أتباعه من أهل الإيمان فقد صار سبباً لشكر قوم

---

(١) الإسراء: ٧٩.

(٢) توحيد الصدوق، تفسير نور الثقلين ٣: ٢٠٥ الرقم ٣٩٠. (هامش الأصل) التوحيد: ٢٦١. (المترجم)

وموجباً لحسرة آخرين، وصار علّة لظهور مقاماته في عرصة الحشر والعرض الأكبر، فقد أثنى عليه الوجود وعموم الموجود طوعاً وكرهاً، وحمدوه كافّة وصلّوا من أجل جلالته.

وكلّهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

والتفسير بالشفاعة في الأخبار من هذه الجهة أيضاً وهي واحدة من مصاديق المقام المحمود وإن كان في عبارة زيارة الجامعة يظهر التعدّد في المقام المحمود والشفاعة: «ولكم المودّة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عزّ وجلّ والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة».

ويظهر من هذه العبارة الفرق بين المقام المحمود والشفاعة وإلّا لما تعدّدا إلّا أن نقول: إنّ الكمال اعتبر في المقام المحمود فكانت الشفاعة داخلة ضمنه. وثانياً إنّما ذكرت الشفاعة وأُفردت عن المقام المحمود لاختصاصها بمزيد التشريف، لاسيّما مع التصريح باتصافها بالقبول فإنّها تولد لذّة أُخرى في الأسماع، وطرباً جديداً في قلوب المحتاجين.

وجملة القول: إنّ ظاهر فقرة الزيارة وهذه الزيارة الجامعة مشاركة الأئمّة للنبيّ ﷺ في المقام المحمود أيّاً كان معناه وعمومات الأخبار المعتمدة دالّة على مشابهة الأئمّة لذلك الجناب في جميع الفضائل. نعم، الفرق المتصوّر في عالم الفرق من حيث أنّ حقيقة الكمال والذات الفاضلة من مقولات التشكيك كان هذا الاختلاف متصوّراً والواقع أنّ درجة الإصالة والوساطة محفوظة لمقام النبوّة.

في الكافي وساق السند إلى صادق آل محمّد ﷺ أنّه قال: ما جاء به عليٌّ آخذ به، وما نهى عنه أنتهي عنه، جرى له من الفضل مثل ما جرى لمحمّد ﷺ،

ولمحمّد الفضل على جميع الخلق ـ إلى أن قال: ـ وكذلك يجري لأئمّة الهدى واحداً بعد واحد[١].

وفي الكافي أيضاً بسند آخر ومتن قريب من هذا المتن يقول بعد التسوية بين النبيّ والوصي: وبذلك جرت الأئمّة واحداً بعد واحد[٢].

وفي كلا الخبرين يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: وأقرّ لي جميع الملائكة والروح والرسل بما أقرّوا به لمحمّد صلى الله عليه وآله.

وأيضاً في خبر آخر بعد تعميم التسوية: وجرى للأئمّة واحداً بعد واحد ـ إلى أن قال: ـ يجري لآخرهم من الله مثل الذي جرى لأوّلهم، ولا يصل أحد إلى ذلك إلّا بعون الله تعالى[٣].

وشاهد العقل على هذا العموم بأيدينا لأنّ مقتضى الوراثة المعنويّة والانتساب الروحاني والاتصال بلا تكيّف والقياس القلبي والاشتقاق اللبّي بين الوصي والنبي هي انتقال جميع الكمالات من المورث إلى وارثه، وكلّما كانت طبقة الوارث أقرب والواسطة أقلّ كانت جهة الاتصال أقوى وانتقال الميراث أشدّ. وبالضرورة ليس أحد من أئمّة الهدى أقرب منه إلى مقام النبوّة الخاتمة التي هي منبع الفيوضات الربّانيّة ومشرق الأنوار السبحانيّة، مِن ثَمّ كانت كمالات النبوّة على الوجه الأتمّ سارية في وجوده ومتجلّية لا محاله، وإن لم يجز إطلاق اسم «نبي» عليه ومن هذه الجهة قال أميرالمؤمنين في الخطبة القاصعة: قال لي النبي: إنّك لتسمع ما أسمع وترى ما أرى إلّا أنّك لست بنبيّ وإنّك لوزير، وإنّك لعلى خير[٤].

---

(١) الكافي ١: ١٩٦ باب ١٤ ح ١ كتاب الحجّة. (هامش الأصل)

(٢) الكافي ١: ١٩٧ باب ١٤ ح ٢ كتاب الحجّة. (هامش الأصل)

(٣) الكافي ١: ١٩٨ باب ١٤ ح ٣ كتاب الحجّة. (هامش الأصل)

(٤) الخطبة الخامسة (٥/٥) ١٩٠. (هامش الأصل)

أخيراً نقول: إنّ مشاركة أئمّه الهدى في هذه الكمالات وإن كانت على وجه الظلّيّة والأصليّة[١] إلّا أنّ أصل اتصافهم بها طبقاً للأخبار المتواترة بالمعنى، بل هذا هو المرتكز في أذهان الشيعة ليس موضعاً للشكّ أو الترديد، وهذا كلام مفروغ منه عند الجميع إلّا أنّ المسألة التي يمكن أن تحرّر للنزاع هي: ما وجه اتصاف الآخرين بهذه الكمالات؟ وتظهر جليّة الحال بقليل من التأمّل وذلك بالاعتبار السالف من أنّ هذه الكمالات والفضائل جميعها على التحقيق مشكّكة ومختلفة المراتب ومتفاوتة المدارج؛ لأنّ درجات الكمال بصورة عامّة لا تتناهى، وليس لها حدود تنتهي عندها، وفي متابعة الأئمّة إمكان نيل كلّ شرف والوصول إلى كلّ فضل، ولا مانع من طلب بلوغ هذه الدرجة بالدعاء.. لأنّنا نجد في كثير من الأخبار ما يدلّ على إمكان بلوغ هذه الدرجة «كان معنا وفي درجتنا»[٢] وهذا منزل على الاختلاف المذكور الذي لا ينافي الاجتماع على التعدّد الذي لا يعارض الاتحاد.

إنّ النـــجوم فـــي عـــلوّ قـــدرها ليس سـهاها فـي السـنا كـبدرها

تتميم

فسّر قوم من أهل المعارف «المقام المحمود» بختم الولاية المحمّديّة المطلقة، ويتمّ ذلك بظهور المهدي عليه السلام، ومادام لم يبلغ هذه فإنّه ما يزال في مقام الحامديّة والمحموديّة، فإذا بلغ قوسا الدائرة الأوج الختامي للصعود، وظهرت شمس الحقيقة من مغرب الولاية فإنّه حينئذٍ يتجلّى بتمام كمالاته المرتقبة على الوجه الأتمّ من دون نقص أو كسر على ما هي عليها.

إذن، فمقام المحموديّة للنبيّ إنّما يتأتّى عندما تستوفي البعثة أهدافها، وتكمل

---

(١) لعلّه يريد بالظلّيّة أنّ جانباً منها تبع للنبيّ والجانب الآخر وهو الأصليّة ذاتيّ لهم.

(٢) الأمالي، مجلس ٢٧ الرقم ٥، عيون الأخبار ١: ٢٩٩، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦.

دائرة الولاية، وينتشر الإيمان في القلوب المستعدّة، ويمحى الظلم والعصيان رأساً من على وجه الكرة الأرضيّة، وهذا الكلام يناسب هذه الزيارة على فرض تحقّقه، وتمنّي بلوغه كناية عن طلب درك تلك الدولة السعيدة، وزيارة تلك الطلعة الرشيدة. «اللهمّ أرنا تلك الطلعة الرشيدة والغرّة الحميدة».

ای حجّت منتظرکه رویت هست — *پـــاک آیـنهٔ تـجلّی یـزدان*

ســبحان الله خــدا نــه چـونت — *رخ در سبحات غیب شد پنهان*

یــا قــائم الآل یـا مـن فـي مـحیّاه — **عـــلی الیــقین تــجلّی ربّــنا الله**

ما غبت عـن نـاظر الدنـیا بـغیبته — **في مـغرب الغـیب ربّ قـد عـبدناه**

وجملة القول أنّ هذا الوجه ملائم تماماً للقول التالي الذي قيل لتكميل هذا الفرض وتوضيح هذا القصد:

وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِي مَعَ إِمامٍ مَهْدي ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ ...[١]

الشرح: مرّ معنى الرزق والثأر سلفاً[٢] وفائدة التكرار في هذه العبارات وإعادة هذا الطلب إمّا لإظهار منتهى التشوّق وغاية التضرّع في حصول هذا الانتقام، وإمّا لأنّه في الفقرة الأُولى أضاف الثأر إلى أهل البيت «وثأركم» يريد أن ينصرهم ويطلب بدمائهم، وهنا في هذا المقام أضافه إلى نفسه «ثأري» من أجل الملاحظة التالية وهي أنّه لمّا كان من شيعتهم فكأنّ الظلم الواقع عليهم واقع عليه؛ لاتصال الفطري بهم، وبناءاً على القاعدة المطّردة بين الناس أنّ ما يقع على الرؤساء والأقرباء ينسب وقوعه على العشيرة والأتباع، فيقولون فعلنا وسمعنا كذا، وإنّما الفاعل والسامع غيرهم ـ الرئيس أو القريب ـ وهذه سنّه مطّردة وقاعدة مستمرّة في باب التعبير عند العرب والعجم.

وإمّا لأنّ الظلم واقع عليه فعلاً ودمه مراق حقّاً من أثر الظلم الواقع على أهل البيت؛ لأنّه لو كانت دولة الحقّ قائمة ودولة الباطل مهزومة لما غلب الباطل ولم يقع الاعوجاج والظلم على وجه الأرض. فلم يقع كلّ هذا الفعل الفضيع والعمل الشنيع من سفك للدماء وهتك للأعراض وسلب للأموال مطلقاً ...[٣].

---

(١) جاء في كامل الزيارة: «طلب ثاركم» وفي المصباح: «طلب ثاري». (هامش الأصل)

(٢) في قوله: «أن يرزقني طلب ثارك»، ومعنى الثار في قوله: «السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره». (هامش الأصل)

(٣) في بعض النسخ: «طلب ثأركم» ولعلّه هو الصحيح وتوافق الفقرة المارّة «طلب ثأرك مع إمام منصور» ولكنّ العبارة السالفة: «طلب ثأري» ليست باطلة ولا هي خطأ، فقد ذكر العلماء لها وجوهاً:

١ ـ إنّ النبيّ والأئمّة الأطهار هم وسائط الفيض التي عمّ الموجودات كلّها جميعاً، ومنهم كسب الوجود كلّه الفيض، وأينما رفع منار فهو منهم كما جاء في الزيارة الجامعة الكبيرة: «بكم فتح الله وبكم يختم وبكم

. . . . . .

ينزّل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض ... بكم ينفّس الهمّ ويكشف الضرّ، وأشرقت الأرض بنوركم ...». وروي عن أميرالمؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أنا أُحيي وأُميت».

ومن هذه الجهة عرفوا بأنّهم قوام العالم ووسيلة الوجود وسبب خلق الموجودات. ولكن من جهة أُخرى وباعتبار جانبهم البشري يقول النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا عبد الله، اسمي محمّد، ولا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً..» ويقول أيضاً: «أنا عبد الله مرزوق ومخلوق» ويقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «أنا عبد من عُبيد محمّد صلى الله عليه وآله».

وبلحاظ المعنى الثاني يقول قائلهم: «جالسوا من يذكّركم الله رؤيته» لأنّ لأولئك نور الله والعظمة الربّانيّة، وإنّما تجلوا في بيوت ليراهم الناس، وبواسطتهم يتوصّلون لمعرفة الله جلّت عظمته. ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ... رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾[1] وقالوا: «من رآني فقد رأى الحقّ» و«من عرفني بالنورانيّة فقد عرف الحقّ» و«من عرفهم فقد عرف الله ومن جهلهم فقد جهل الله» ويكون مع ملاحظة هذه الجهة قتل أحدهم وإطفاء نوره قتلاً لمفيض النور ومعطيه.

لو جئته لرأيت الناس في رجل والدهر في ساعة والعمر في نار

ولمّاكان نور الأئمّة والأنبياء نوراً واحداً مع حفظ مراتبهم، لذلك قالوا: «وإنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة طابت وطهرت بعضها من بعض»[2].

وهذه مسألة ابن أبي العوجاء والجواب منّا واحد، وإذاكان معنى المسألة واحدة جرى لآخرنا ما جرى لأوّلنا، وأوّلنا وآخرنا في العلم والأمر سواء، ولرسول الله وأميرالمؤمنين فضلهما[3].

و«من زار أوّلنا زار آخرنا، ومن زار آخرنا فقد زار أوّلنا، ومن تولّى أوّلنا تولّى آخرنا، ومن تولّى آخرنا فقد تولّى أوّلنا»[4].

و«نحن الأوّلون ونحن الآخرون» و«أوّلنا محمّد وآخرنا محمّد وأوسطنا محمّد وكلّنا محمّد؛ فلا تفرّقوا بيننا..».

و«كلّنا قائم بأمر الله..» و«أنا محمّد ومحمّد أنا» و«نحن اثنان في بدن ...»[5] و«أنا من حسين وحسين منّي»

---

(١) النور: ٣٦ـ٣٧.

(٢) الزيارة الجامعة.

(٣) بحار الأنوار ٥٠: ٢٥٢. (هامش الأصل)

(٤) نور الأنوار للمرندي: ٤١٢. (هامش الأصل)

(٥) جاءت هذه العبارة بالفارسيّة هكذا: «ما يكيم اندر بدن». (المترجم)

. . . . . .

و«حسين لحمي ودمي، من جفاه فقد جفاني» ويقول الإمام الحسين عليه السلام: «أنا آدم أنا نوح ...».

يقول الملّا الرومي:

در معانی قسمت و اعداد نیست در معانی تجزیه وافراد نیست[1]

أطلب المعنى من القرآن قل لا تفرّق بين آحاد الرسل

وحقّاً يقال: إنّ المصيبة التي نزلت في الحسين نزلت برسول الله وبتمام الأنبياء والأئمّة الأطهار والمؤمنين، وقتل سيّد الشهداء قتل لهم جميعاً. وصحّ ما يقال في الزيارة: «أن يرزقني طلب ثأري» وصحّ أن ينسب الثأر إلى نفسه.

وإلى هذه الملاحظة يمكن أن يعزى قول رسول الله صلى الله عليه وآله «ما أُوذي نبيّ كما أُوذيت» مع أنّ إيذاء النبيّ لا يعدل المصاعب التي تلقّاها نوح وصبر على ذلك، وكان النبيّ مأموراً بالدفاع والجهاد وهو يعطيه فرصة من التنفيس عن بعض الآلام.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «شيعتنا منّا، خُلقوا من فاضل طينتنا، يحزنون لحزننا، ويفرحون لفرحنا».

ويقول عليه السلام: «نحن جذور الشجرة وشيعتنا ورقها فإذا تضرّر الجذر لحق الضرر بالورق».

٢ ـ للقتل مراتب ونماذج؛ فأحياناً يزال وجود الشخص كلّه بالقتل، وربّما محوا آثاره الكماليّة وحرموا الآخرين من الاستفادة منه، وأحياناً يعرض الشخص للقتل و... لذا جاء في الروايات: «من أذاع سرّنا قتلنا» و«لعن الله أُمّة قتلتكم بالأيدي والألسن» و«من رضي بقتل قوم فهو منهم» وموارد أُخرى، ومن هذه الجهة يمكن أن يقال لكلّ واحد من الموارد أعلان «فلان مقتول» ومن الناحية هذه قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أُميب وأُحيي» وفسّروا هذه الجملة على النحو التالي: أُحيي السنّة وأُميت البدعة.

ويقول الإمام زين العابدين عليه السلام متحدّثاً عن حكم القصاص: ألا أُخبركم بقتل هو أعظم من هذا القتل؟ قالوا: بلى، قال: أعظم من هذا القتل قتل امرئ بشكل لا تمكن له الحياة من بعده وذلك بإضلاله عن نبوّة محمّد وولاية عليّ عليه السلام، وإدخاله في طريق يتّبع به أعداء عليّ عليه السلام، وهذا هو القتل الذي ينبغي أن يخلد صاحبه بالنار.

وقال الإمام الباقر عليه السلام في تفسير الآية الشريفة: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[2] إنّ الله تعالى يحيي الأرض بعد موتها لقائم آل محمّد صلى الله عليه وآله.

---

(١) ما في المعاني تقسيم وأعداد وليس تجزية فيها وإفراد

(٢) الحديد: ١٧.

الهداية: معناها فيما يقتضيه التحقيق واختاره أهل التحقيق أيضاً الإرشاد والدلالة سواء كانت موصلة أو لا، وما ذكر قوم من أنّه ينظر إلى ما يتعدّى به فإن كان باللام أو بـ«إلى» فهو بمعنى الرشاد وإيضاح الطريق، وإن كان متعدّياً إلى مفعولين فهو بمعنى الإيصال، وهذا التفصيل مع كونه خلاف الاعتبار فهو خلاف الاستعمال الصحيح لأنّه يمكن أن يقال إذا تعدّى إلى المفعولين فهو متضمّن

➲ ونقرأ في زيارة صاحب الأمر: «السلام على محيي المؤمنين».

وأيضاً نقول في دعاء الندبة لإظهار الشوق لظهور الإمام عليه السلام: «أين محيي معالم الدين وأهله ...».

والآن يظهر معنى عبارة الزيارة جليّاً شريطة وضع المطالب السالفة نصب العين، على النحو التالي: اللهمّ مُدّ في أجلي حتّى أطلب الثأر ثأر ذلك الدم الذي هو أصل الحياة وأصل حياتي العلميّة وكمالاتي، وبإراقته حجزوني عن الكمالات الإنسانيّة وصاروا سبباً في هلاكي.

٣ـ كلّ العلماء ـ من العامّة والخاصّة ـ على هذه العقيدة وهي أنّ النبيّ وأولياءه هم آباء الأُمّة الروحانيّون كما قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أنا وعليّ أبوا هذه الأُمّة». وكذلك يرى الجميع أولاد القتيل هم أولياء دمه ومن حقّهم المطالبة بثأره وإجراء القصاص على القاتل كما قال الله تعالى: ﴿وَمَن قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَاناً﴾[1].

ومن المسلّم به أنّ من لا يقتدي بأبيه الروحاني فهو من أتباع إبليس ومن حزبه، ومن ثَمّ لا يكون «الوليّ» أباه الروحاني، كما أنّ:

پسر نوح با بدان بنشست داستان نبوّتش گم شد
وصار ابن نوح من الأخبثين فضاعت نبوّته بينهم

وجاء النداء من الله مخاطباً نوحاً: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾[2].

وممّا تقدّم نأخذ من المقدّمات النتيجة التالية وهي أنّ الإمام الحسين عليه السلام الأب الروحي لأحبّائه وشيعته وهؤلاء بعد الأئمّة المعصومين فهم أولياء دم الحسين المقدّمين لاسيّما وليّ العصر أرواحنا لمقدمه الشريف فداء في الدرجة الأُولى يحسبون فيمن يطلب بدمه إذاً يصحّ لهم القول: «اللهمّ ارزقني حتّى أطلب بدم أبي الروحي».

---

(١) الإسراء: ٣٣.

(٢) هود: ٤٦.

الإرائة لأنّها تتعدّى إلى مفعولين، وإذا تعدّى بـ«إلى» واللام، فهو مضمّن معنى الإيصال لأنّه يتعدّى بأحدهما، وفي القرآن المجيد: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[1].

والمراد هنا صرف الإرائة لأنّه لا منّة في الإيصال إلى طريق الشرّ، بل لعلّه يفضي إلى التناقض لأنّ الوصول إلى الخير أو الشرّ إذا كان في الأمر الواحد فهو تناقض صريح، وكذلك: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[2] فالمراد منه ليس الإيصال بالضرورة.

وتأتي الهداية أحياناً بمعنى التلويح، وفي هذه الحال تتعدّى باللام، وأمّا تعدّيها بمفعولين أو بـ«إلى» فإنّ ذلك بتضمينها معنى الإرائة والتعريف، وأحياناً تشرّب معنى الإيصال والإرشاد، وأحياناً تكون الهداية بمعنى التوفيق، وهو تهيأة أسباب الخير، فتستعمل في ذلك ويقابلها الإضلال بمعنى الخذلان، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[3]، وقول الشاعر:

فلا تعجلنّ هداك المليك فإنّ لكلّ مقام مقالا

وظنّ الزمخشري في الكشّاف أنّ مفهوم الإيصال مأخوذ في مفهوم الهداية مطلقاً وهو عبارة عن: الدلالة الموصلة إلى المطلوب، واستدلّ بثلاثة أوجه:

الأوّل: وقوع الضلالة مقابلة للهداية في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ﴾[4]. ولو لم يكن مأخوذاً من الوصول لما حصلت المقابلة.

الثاني: لو لم يكن كذلك لما كان لفظ مهدي مثلاً أو مهتدي يستعمل في مقام المدح لأنّه بناءاً على المعنى غير المختار يكون الاهتداء أعمّ من الوصول وعدمه.

---

(١) البلد: ١٠.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الرعد: ٣٣.

(٤) البقرة: ١٦.

الثالث: إنّ الاهتداء مطاوع هدىٰ، يقال: هديته فاهتدى، كما يقال: كسرته فانكسر، فالانكسار لازم وقوع الكسر كذلك الاهتداء لازم وقوع الهداية.

وهذه الوجوه الثلاثة بعيدة عن مشرب التحقيق، مباينة لطريق النظر مباينة تامّة؛ لأنّ الدليل الأوّل لا دلالة له على المطلوب، وبيانه: أنّ الهدى في الآية الكريمة مصدر بمعنى المفعول أي الاهتداء لا الإهداء والضلال بمعنى فقدان الطريق، ومعناه أنّ هؤلاء يستبدلون الضلالة بالهدى ولا دلالة فيه على أخذ الوصول، وعلى فرض التسليم يكون تفضّلاً بقرينة الضلال، وقد علمت أنّ المدّعى في الاستعمال في الأعمّ والخاصّ لا ينافي العام، والاستعمال أعمّ من الحقيقة كما تقرّر ذلك في علم الأُصول.

وأمّا الدليل الثاني فجوابه أنّ لفظ مهدي لمّا أورد في مقام المدح كان ذلك قرينة على اعتبار الانتفاع والاهتداء وإلّا فمن المعلوم أنّه لو قال قائل: هدي فلم يهتد لم يكن مدحاً بل هو الذمّ بعينه.

وأمّا الدليل الثالث فهو مخدوش بوجهين:

الأوّل: لا لزوم في تحقّق الأثر في الفعل المطاوع دائماً؛ لأنّ أفعال المطاوعة تارة تكون بمعنى الانفعال والتأثّر الواقعي وفي هذه الصورة يكون صدق وقوع الفعل من الفاعل موقوفاً على انطباع المتأثّر بالفعل وتأثير المؤثّر، وأحياناً تكون بمعنى القبول والمتابعة، مثل: أمرته فأتمر، حيث يكون الائتمار عبارة عن الاتّباع والاستماع، وفي الصورة الأُولى يكون حصول الانفعال لازماً لوقوع التأثّر، وفي الصورة الثانية ليس الأمر كذلك، ومعنى ذلك أنّ الحقيقة فيه ليست إيجاد أثر الفاعل في المقابل بل هو فعل له نوع تعلّق بالقابل، لهذا قول «كسرته فلم ينكسر»

مجاز[١] وأمرته فلم يأتمر حقيقة فما المانع أن يكون الاهتداء بمثابة الائتمار لأنّ الهداية بمعنى الدلالة والإرائة، ومعنى الاهتداء معرفة الطريق، ولا مانع من أن نقول فلم يهتد، بالوجه المتقدّم ـ أي على الحقيقة لا المجاز (المترجم) ـ.

الثاني: سلّمنا أنّ الانفعال لازم الفعل بوجه مطلق، فإذا قيل: هديته وجب أن يقع اهتدى بعده لا محالة ولكن هناك فرق بين أن يكون شيء لازماً لشيء في تحقّق مصداقه الخارجي وبين أن يكون مأخوذاً في مفهومه ومعتبراً في حقيقته؛ لأنّه لا يعتقد أحد أنّ مفهوم الاحتراق مأخوذ في مفهوم الإحراق لتلازمهما الخارجي وإلّا لكانت المعلومات جميعاً معتبرة في مفاهيم عللها، وهذا ضروريّ الفساد وبديهيّ البطلان.

ونظير هذا التوهّم ما وقع لبعض المحقّقين في مقاييسه في تعريف البيع، ونحن كشفنا عنه في محلّه من مكاسب الشيخ الأنصاري ﷺ ونبّهنا على اندفاعه.

وأخيراً فيما ظهر شرحنا أنّ حقيقة الهداية لا تتضمّن معنى الإيصال، كما صرّح بذلك جماعة من المحقّقين المستأنسين بمجاري العبارات وتمييز المفاهيم كالشيخ الطبرسي والسيّد شارح الصحيفة والمحقّق الشريف وغيرهم من علماء الفريقين.

أقسام الهداية..

الأوّل: الهداية باتجاه جلب المنافع ودفع المضارّ مضافاً إلى المشاعر الظاهرة والمدارك الباطنة والقوّة العاقلة الحاكمة بين المشاعر الجزئيّة والمدارك الحسّيّة. واختيار الضرر على النفع أو العكس أو ترجيح أحدهما مفوّض إليها وهي بمنزلة

---

(١) وإنّما صار مجازاً لأنّ قوله «كسرته» معناه وقوع الحقيقة بالكسر فإذا نفاه بعد ادّعاء وقوعه كان مجازاً، أمّا الأوّل فليس فيه هذا المعنى فإنّ أمرته لا يدلّ على قبول الأمر من المأمور لذلك جاء النفي في موقعه. (المترجم)

الإمام أو النبي في العالم الصغير، وهذا النوع عام في أفراد النوع الإنساني، ويحتمل شموله أيضاً لسائر الحيوانات والنباتات بل الجمادات كذلك مع رعاية التشكيك وحفظ المراتب، وسوف نشير إن شاء الله في الفقرات القادمة[1] إلى صحّة هذا العموم.

وقول الله تعالى: ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾[2] ناظر إلى هذا المعنى، ومعلوم أنّ حظّ الإنسان من هذه الهداية أوفر ونصيبه أكمل، وبناءاً على جواز اختلاف مراتب الإنسانيّة يكون الأمر فيها كما يلي: فمن كان كمال الحقيقة الإنسانيّة فيه أتمّ وأكمل كان تجلّيه بوصف الهداية بهذا المعنى أجلى وأبين.

القسم الثاني: نصب الدلائل العقليّة وجعل الطرق العلميّة التي تفرّق بين الحقّ والباطل، وتميّز بين الصحيح والسقيم، والصلاح من الفساد، والضلال من الرشاد، وقد أشارت إلى هذا القسم الآية الشريفة ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾[3] وحقيقة العلم عبارة عن هذا المعنى كما قال الحكيم السنائي ﷺ:

علم چه بود فرق دانستن حقی از باطلی	***نی کتاب زرق شیطان جمله از برداشتن***
العلم في مفهومه الكامل	**ما ميّز الحقّ من الباطل**
من نال من دفتر إبليسه	**لم ينسلخ من صفة الجاهل**

القسم الثالث: الهداية بإرسال الرسل وتنزيل الكتب واللطف في تأييد البديهيّات العقليّة بالسمعيّات، وأشار الله تعالى إلى هذا النوع بقوله: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ

---

(١) في شرح: «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام على جميع أهل السماوات والأرض». (هامش الأصل)

(٢) طه: ٥٠.

(٣) البلد: ١٠.

فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ﴾[١].

القسم الرابع: الهداية بالسير إلى الحظائر القدسيّة والسلوك حتّى بلوغ مقامات الأُنس العالية وذلك بانطماس آثار التعلّقات الجسمانيّة واندراس جلابيب العلايق الهيولانيّة والاستغراق في ملاحظة أسرار الجلال ومطالعة أنوار الجمال، وهذه الهداية خاصّة بالأولياء وخواصّ المؤمنين. قال عزّ من قائل: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٢] وإطلاق الهادي على الله عزّ وجلّ باعتبار جميع مراتب الهداية كما يظهر ذلك من عبارة الشهيد في القواعد وابن فهد في العُدّة وغيرهم بنحو الإشارة الإجماليّة بعد توجّههم للتفصيل الذي ذكرناه.

ونتيجة الهداية ـ بخاصّة في المعنى الرابع ـ هي العلم كما ورد في إنجيل أهل البيت وزبور آل محمّد: «اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد وقنا بك واهدنا إليك ولا تباعدنا عنك، إنّ من تقه يَسْلِمْ، ومن تهده يعلم، ومن تقرّ به إليك يغنم»[٣].

وأنت ترى كيف جعل الهداية سبباً للعلم، إذن فمن كان مهدياً فيجب أن يكون عالماً بجميع المراتب، وثمرة العلم هداية الآخرين، وتفسير المهدي بالهادي هو من قبيل التفسير باللوازم والخواص، وتعليل تسميته بصدور الهداية منه هو من مقولة التعليل بالغايات والمنافع، وهذا النوع من التعبير في أساليب المحاورات وفنون المكالمات والمخاطبات أكثر عدداً من النجوم بل لا يُعَدّ ولا يُحصى.

وبهذا التقريب يرتفع الإشكال الوارد ظاهراً في بعض الأخبار، فقد سُئل المعصومون عن القائم عجّل الله فرجه لماذا سمّي القائم بالمهدي؟ فقال: إنّما

---

(١) فصّلت: ١٧.

(٢) البقرة: ٢٥٧.

(٣) الصحيفة السجّاديّة: دعاء ٥. (هامش الأصل)

سمّي القائم مهديّاً لأنّه يهدي إلى أمر قد ضلّوا عنه[١] كما في إرشاد المفيد نقلاً عن الصادق عليه السلام.

ونقل في غيبة الطوسي رحمه الله أنّه قال: لأنّه يهدي إلى كلّ أمر (خفي)[٢].

ونقلت كذلك أخبار بهذا المضمون فلم يبق موضع للإشكال أو موضع للسؤال بعد الشرح التفصيلي الذي ذكرناه.

الظهور: الظهور بدو الشيء كما هو صريح كتب اللغات جميعاً، وفي إطلاق اسم «ظاهر» على الإمام القائم بوجوه أتت على البال:

الأوّل: كان سبب الإطلاق بعلاقة ما جرى منه أوّل أمره حيث غاب عن الأبصار، أو أنّ التشبيه بالظهور له حصل يقيناً بالواقع وما هو عليه من الاختفاء فيكون التجوّز في أمر عقليّ.

الوجه الثاني: أنّ المراد من الظهور هو الواقعي الفعلي فإنّ ملاحظة كثرة الدلائل ووفور الشواهد من العقل والنقل على وجوده على وجه لو أنّ شخصاً توجّه بأقلّ التفات لرأى آثار وجوده المبارك على جميع الأشياء، فيصدّق بظهوره ووضوح وجوده، وهذا نظير «تفسير الغالب» و«المنصور» في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٣] و ﴿إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ﴾[٤] ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٥] لأنّ المقصود الغلبة بالحجّة والنصرة بالبرهان.

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٨٣. (المترجم)

(٢) الطوسي، الغيبة: ٤٧١. (المترجم) إرشاد المفيد، غيبة الطوسي، علل الشرايع، بحار الأنوار ٥١: ٢٨ ط طهران. (هامش الأصل)

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) الصافات: ١٧٢.

(٥) الصافات: ١٧٣.

الوجه الثالث: الظهور في قلوب الشيعة والتجلّي في سرّ خواصّ المؤمنين كما جاء في حديث عليّ بن مهزيار ﷺ المروي في كتب كثيرة من القدماء رضي الله عنهم وهو أنّه ﷺ ليس محجوباً «إنّما حجبه سوء أعمالكم»[١].

وجاء في حديث آخر: تراه عيون العارفين بفضله، الشاكرين الكاملين، ويبشّرون بوجوده أولئك الشاكّين في وجوده[٢].

---

(١) جنّة المأوى المطبوع في البحار ٥٣: ١٣١، نوائب الدهور ٣: ٣٥٨.

(٢) فقلت: يا مولاي، وهل تجوز المراجعة في أمري؟ قال: لا، قلت: يا مولاي، وهل تأذن لي في أن أحكي كلّما قد رأيته وسمعته؟ قال: لا بأس أن تحكي للمؤمنين لتطمئنّ قلوبهم، إلّا كيت وكيت، وعيّن ما لا أقوله[١].

* المفضّل بن عمر: قال أبو عبدالله ﷺ: قال أميرالمؤمنين على منبر الكوفة: وإنّ من ولائكم فتناً مظلمة عمياء منكسفة، لا ينجو منها إلّا النومة؟ قيل: يا أميرالمؤمنين، وما النومة؟ قال: الذي يعرف الناس ولا يعرفونه. واعلموا أنّ الأرض لا تخلو من حجّة الله ولكنّ الله سيعمي خلقه منها بظلمهم وجورهم وإسرافهم على أنفسهم، ولو خلت الأرض ساعة واحدة من حجّة الله، لساخت بأهلها، ولكنّ الحجّة يعرف الناس ولا يعرفونه كما كان يوسف يعرف الناس وهم له منكرون، ثمّ تلا: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤُونَ﴾[٢].[٣]

* الإمام الصادق ﷺ: صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم ولا يعرفونه حتّى يأذن الله، يعرّفهم نفسه[٤].

* سدير الصيرفي قال: سمعت أبا عبدالله الصادق ﷺ يقول: إنّ في صاحب هذا الأمر لشبهاً من يوسف، فقلت: فكأنّك تخبر بغيبة أو حيرة؟ فقال: ما ينكر هذا الخلق الملعون أشباه الخنازير من ذلك؟ إنّ إخوة يوسف كانوا عقلاء ألبّاء أسباطاً أولاد أنبياء دخلوا عليه فكلّموه وخاطبوه وتاجروه ورادّوه [راودوه -

---

(١) بحار الأنوار ٥٢: ١٧٢.

(٢) يس: ٣٠.

(٣) الغيبة للنعماني: ١٤١، بحار الأنوار ٥١: ١١٢ و١١٣.

(٤) بحار الأنوار ٥١: ٥٥.

ويتّفق مع هذا الكلام القصص والأخبار المنقولة عن رؤية ذلك الجناب المقدّس أبان الغيبة في متون الكتب وبطون الطروس.

ومجمل القول أنّه بعد الالتفات التفصيلي إلى جميع تلك القصص المتواترة

المصدر] وكانوا إخوته وهو أخوهم، لم يعرفوه حتّى عرّفهم نفسه وقال لهم: أنا يوسف، فعرفوه حينئذٍ، فما ينكر هذه الأُمّة المتحيّرة أن يكون الله جلّ وعزّ يريد في وقت من الأوقات أن يستر حجّته عنهم، لقد كان يوسف إليه ملك مصر، وكان بينه وبين أبيه مسيرة ثمانية عشر يوماً، فلو أراد أن يعلمه مكانه لقدر على ذلك، والله لقد سار يعقوب وولده عند البشارة تسعة أيّام من بدوهم إلى مصر، فما تنكر هذه الأُمّة أن يكون الله يفعل بحجّته ما فعل بيوسف أن يكون صاحبكم المظلوم المجحود حقّه صاحب هذا الأمر يتردّد بينهم ويمشي في أسواقهم ويطأ فرشهم، ولا يعرفونه حتّى يأذن الله أن يعرّفهم نفسه، كما أذن ليوسف حتّى قال له إخوته: إنّك لأنت يوسف؟ قال: أنا يوسف(١).

* إسحاق بن عمّار: سمعت أبا عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام يقول: للقائم غيبتان، إحداهما طويلة والأُخرى قصيرة، فالأُولى يعلم بمكانه فيها خاصّة من شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها [إلّا خاصّة مواليه في دينه](٢).

* إسحاق بن عمّار: قال أبو عبدالله عليه السلام: للقائم غيبتان، إحداهما قصيرة والأُخرى طويلة [الغيبة] الأُولى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة شيعته، والأُخرى لا يعلم بمكانه فيها إلّا خاصّة مواليه في دينه(٣).

* «السلام عليك يا أبا الإمام المنتظر، الظاهرة للعاقل حجّته، والثابتة في اليقين معرفته، المحتجب عن أعين الظالمين، والمغيّب عن دولة الفاسقين»(٤).

غوطه در اشک شدم كاهْل طريقت گويند ... پاک شو اول پس ديده بر آن پاک انداز

طهرت بالدمع عيني حين أخبرني ... أهل الطريقة، ألقَ الطُّهر بالطاهر

(هامش الأصل)

---

(١) الكافي ١: ٣٣٧، الغيبة للنعماني، دلائل الإمامة، بحار الأنوار ٥٢: ١٥٤ الرقم ٩ ومثله في ٥١: ١٤٢ عن إكمال الدين والعلل.

(٢) الغيبة للنعماني.

(٣) الغيبة للنعماني، بحار الأنوار ٥٢: ١٥٥ الرقم ١٠.

(٤) زيارة الإمام الحسن العسكري عليه السلام.

وإن كان بعض هذه القصص ذاتاً يفيد القطع بوقوعه.

أقول: بعد الالتفات لهذه التفاصيل المبثوثة في المصادر الموثّقة، لا يقدح في صحّة مضمونها ضعف سند بعضها أو ضعف دلالته لأنّ هذه الصفة موجودة في جميع الأخبار المتواترة أو في أكثرها.

نطق: الناطق ينطق نطقاً تكلّم[١] بصوت وحروف مفهمة للمعنى، كما جاء ذلك في القاموس[٢] فليس مطلق التكلّم إذن بل الإبانة في الجملة وإفهام المعنى مأخوذ فيه واتصاف الإمام بهذا الوصف عند ارتفاع التقيّة وظهور الكلمة وانكشاف الأستار وتبيّن الأسرار في عصره كما يلاحظ ذلك من الأخبار الكثيرة الواردة في سيرته وطريقته خلافاً لآبائه الطاهرين حيث كتموا أسرار العلوم ولباب المعارف لغلبة الظالمين عليهم ولعدم استعداد نفوس معاصريهم كما فعل أميرالمؤمنين عليه السلام حين أشار إلى صدره المبارك وقال: «إنّ هاهنا لعلماً جمّاً لو وجدت له حملة»[٣]. ولو في هذا المقام للتمنّي، ويقول سيّد الساجدين كذلك:

إنّي لأكتم من علمي جواهره ... كي لا يراه أخو جهل فيفتتنا

وربّ جوهر علم لو أبوح به ... يقال لي أنت ممّن يعبد الوثنا

وقد تقدّم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين وأوصى قبل الحسنا[٤]

---

(١) لسان العرب ١٠: ٣٥٤.

(٢) نطق ينطق نطقاً ومنطقاً ونطوقاً: تكلّم بصوت وحروف تعرف بها المعاني. (القاموس ٣: ٢٨٥ ـ المترجم)

(٣) نهج البلاغة صبحي صالح: ٤٩٦ الحكمة ١٤٧. (هامش الأصل)

(٤)

يا ربّ جوهر علم لو أبوح به ... لقيل لي أنت ممّن يعبد الوثنا

ولاستحلّ رجال مسلمون دمي ... يرون أقبح ما يأتونه حسنا

وأمّا ستر الأحكام الشرعيّة والإبقاء على الأحكام الظاهريّة أو العدول بمقتضى التقيّة التي وردت في أخبار أهل بيت العصمة بشكل خارج عن حدّ الحصر والإحصاء، فإنّ هذه الموانع ترفع في عهده الميمون وأيّام هذا الإمام المُؤمَّل المأمون. «اللهمّ أرنا تلك الطلعة الرشيدة والغُرّة الحميدة».

ومجمل القول: أنّ ما دلّت عليه هذه الفقرة والفقرة السابقة هو من اختصاص القائم من آل محمّد عليه السلام بولاية الثأر وطلب دم القتلىٰ من أهل البيت الأطهار وهو مدلول الأخبار الكثيرة التي يمكن أن يدّعى لها التواتر، واستقصائها ينافي نهجنا بالاختصار، وتركها من رأس أيضاً ينافي مهمّة هذا الشرح، فنكتفي بحديث أو حديثين على رويّة الاختصار.

روى الشيخ السعيد الموفّق جعفر بن قولويه في كامل الزيارة، وروي في البحار وأمالي شيخ الطائفة، وساقوا السند إلى أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام أنّه قال: لمّا كان من أمر الحسين بن عليّ ما كان، ضجّت الملائكة إلى الله تعالى وقالت: يا ربّ، يفعل هذا بالحسين صفيّك وابن نبيّك؟ قال: فأقام لهم ظلّ القائم عليه السلام وقال: بهذا أنتقم له من ظالميه[1].

وفي علل الشرايع عن أبي حمزة الثمالي قال: سألت أبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر: كلّكم قائمين (كذا) بالحقّ؟ قال: بلى، قلت: فلم سمّي القائم قائماً؟ قال: لمّا قُتل جدّي الحسين عليه السلام ضجّت الملائكة إلى الله تعالى بالبكاء والنحيب وقالوا:

إنّي لأكتمل من علمي جواهره ... كي لا يرى الحقّ ذو جهل فيفتتنا
وقد تقدّم في هذا أبو حسن ... إلى الحسين ووصّى قبله الحسنا

الإتحاف بحبّ الأشراف، ط مصر، شرح ديوان أميرالمؤمنين: ١٥ (مخطوط)، غرائب الاغتراب: ٧٠، لطائف المتن ٢: ٨٩ ط مصر، ينابيع المودّة، إحقاق الحقّ ١٢: ٨٤ ـ ٨٥. (هامش الأصل)

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٢١ الرقم ٣ ط بيروت. (هامش الأصل والمترجم)

إلّهنا وسيّدنا، أتغفل عمّن قتل صفوتك وابن صفوتك وخيرتك من خلقك؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليهم: قرّوا ملائكتي، فوعزّتي وجلالي لأنتقمنّ منهم ولو بعد حين، ثمّ كشف الله عن الأئمّة من ولد الحسين عليه السلام للملائكة، فسرّت الملائكة بذلك، فإذا أحدهم قائم يصلّي، فقال الله عزّ وجلّ: بذلك القائم أنتقم منهم[١].

تنبيه نافع

لقد تقرّر في موضعه أنّ الوجود الواحد ربّما كان مصداقاً لعناوين متعدّدة، ومنشأً لانتزاع مفاهيم مختلفة، وكلّما كان هذا الوصف أظهر في الوجود دلّ على كمال الوجود وقوّة تحقّقه وبرئت ساحته من الأعدام[٢] وتنزّه ذيله من الليسيّات[٣] إذن تكثّر الألقاب في شيء دليل على شرفه وفضله قطعاً، ومن هذه الجهة ورد في القرآن على سبيل المدح والمباهات: ﴿لَهُ الأَسْماءُ الْحُسْنىٰ﴾[٤].

ومن هنا أيضاً بذل العلماء أقصى الجهد ومنتهى الهمّ لإحصاء أسماء الله تعالى وتعداد ألقاب النبيّ والأئمّة والقرآن، وقرّروا وجهات النظر في معاني إطلاقها بقدر الإمكان من العقل والنقل، وليس في هذا مجملاً مورد للإشكال، ولكنّ المهمّ هو الحصول على الميزان الذي يميّز من الألفاظ ما يجوز إطلاقه لقباً وما لا يجوز، فلم أعثر عليه في كلام أحد. والذي يظهر بالتأمّل من مطاوي كلمات العلماء ومواضع ذكر هذه الألقاب أنّ اللقب والإسم على أقسام: فمنها الأعلام وحده أن يوضع بواسطة الواضع على المسمّى مثل «الله» و«محمّد» و«قرآن».

---

(١) علل الشرايع ١: ١٥٤. والمؤلّف حذف صدر الحديث، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢١ ط طهران. (هامش الأصل)

(٢) جمع عدم. (المترجم)

(٣) قالوا: إنّ ليس نفي الأيس، وهو الوجود فيكون ليس لا وجود يعني العدم. (المترجم)

(٤) طه: ٨.

ومنها أن يذكر صراحة في الكتاب أو السنّة كالنور في القرآن، والذكر في حقّ النبيّ مثلاً، ومن هذا القبيل الألفاظ الواردة في الزيارات الخاصّة.

ومنها أن ينتزع اسم من وصف ثابت للمسمّى في الكتاب والسنّة كما يسمّى الله تعالى «ماكراً» لأنّه قال: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ﴾[1] وفي دعاء السحر: «ولا تمكر بي في حيلتك» وفي هذا النوع من أسماء الله أظهر الشهيد عليه الرحمة في القواعد التردّد[2]. ولكن المتتبّع لموارد ذكر الألقاب أنّه يذكر في هذا المقام.

ومنها أن يذكر لقب لا يدلّ على الملقّب به إلّا بتأويل، وليس في ظاهر العبارة ما يدلّ عليه مثل: «ماء معين» و«ربّ الأرض» من ألقاب صاحب الزمان عجّل الله تعالى فرجه.

القسم الخامس: أن يشتهر اللقب على ألسنة الخاصّة دون أن يذكر في الكتاب أو السنّة، ولكنّه دليل على الفضل ومُشعر بالمدح مثل «أبو الأرواح» وهو باصطلاح العرفاء من ألقاب النبيّ ﷺ، ولا فرق بين هذه الألقاب أن يكون اللقب عامّاً والملقّب به أحد مصاديقه ولكنّه بالقرينة تخصّص به مثل لفظ رسول ونبيّ، أو كونه اختصاصيّاً منذ وضعه الأوّل مثل: «خاتم النبيّين» مفرداً أو مركّباً، نظير الجملة: «من لم يجعل الله له شبهاً» في ألقاب الحجّة عجّل الله فرجه. وإذا ذكر هذا المفرد مجرّداً عن الإضافة أو مضافاً إليه فإنّه يحسب لقبين مثل «الصاحب» و«صاحب الزمان».

---

(١) آل عمران: ٥٤.

(٢) قال الشهيد محمّد بن جمال الدين العاملي في القواعد والفوائد ص ٢٧٠: ما ورد به السمع لكن إطلاقه في غير مورده يوهم النقص كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللّهُ﴾ وقوله: ﴿اللّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ فلا يجوز أن يقال لله: يا مستهزئ أو يا ماكر أو يحلف به، وكذا منع بعضهم من أن يقال: اللهمّ أمكر بفلان، وقد ورد هذا في دعوات الصباح إمّا اللهمّ استهزء به، أو اللهمّ لا تستهزئ بي، ففيه كلام. (هامش الأصل)

وإذا كان اللفظ واحداً ولكنّه يتعدّد بالمضاف إليه فإنّه يجعل اثنين في الحساب مثل «صاحب الغيبة» و«صاحب الدار» في ألقاب الإمام صاحب الزمان عليه السلام.

بل حتّى لو اتحد المضاف إليه في المعنى وتعدّد في اللفظ يحسب لقبين كذلك مثل «صاحب الزمان» و«صاحب العصر».

وإذا ألقيت سمعك إلى هذا التفصيل فاعلم أنّ قوماً سمت بهم الهمّة إلى إحصاء ألقاب الحجّة فأوصلوها في بعض الكتب إلى مأة وثمانين لقباً ولكن مع ذلك بحكم «وفي الزوايا خبايا» فإنّ بعض ألقاب الإمام ومنها ما هو المشهور ومنها ما هو مسطور في المصادر الموثّقة والأُصول المعتمدة لم تذكر في موضع، والآن أذكر جملة منها على قلّة البضاعة وبملاحظة الميزان المذكور بإمكان المتتبّع المتوسّع أن يضيف عليها في طول الزمان ألقاباً كثيرة[1].

الأوّل: «أبو الوقت» وحقيقة الأُبوّة هنا تعني التدبير والرياسة الكلّيّة لأنّ المتعارف بين العرب إطلاق لفظ «أب» على الزعيم ومقيم كلّ أمر، ومن هذا الباب جاء لقب «أبو الأرواح» في كنى خاتم الأنبياء وينخرط في سلكه قول الأُزري:

لم تكن هذه العناصر إلّا ... من هيولاه حيث كان أباها

ولقب «أبو الوقت» من ألقابه المعروفة عند فريق العرفاء كما ورد لفظ هذا اللقب في الدعاء المشتمل على مدائح الأئمّة الاثني عشر المنسوب إلى محيي الدين بن عربي[2].

الثاني: «إمام الزمان» واشتهاره عليه السلام بهذا اللقب لا يحتاج إلى دليل، ولا مندوحة

---

(١) مؤلّف كتاب «مفتاح الكتب الأربعة» في كتابه النفيس «يأتي على الناس زمان» بلغ بالألقاب ١٨٥ لقباً. (هامش الأصل)

(٢) راجع الصلوات الكبيرة لمحيي الدين بن عربي التي نقلها «گلزار بلاغي».

من ذكر ألقابه مثل: وليّ الله وخليفة الله في ألقابه ثمّ العدول عن ذكر هذا اللقب بل قائم الزمان وقيّم الزمان وهي من ألقابه عليه السلام من هذا القبيل.

الثالث: «إمام العصر» وتعدّد هذين اللقبين بالمضاف إليه «الزمان» و«العصر» كما مرّ في تعدّد لقب صاحب الزمان وصاحب العصر، ولا يُتوهّمنّ أنّ الاستغناء حاصل عن هذين اللقبين باللقبين المذكورين، كلّا لاختلاف اللفظ والمعنى وكلّ واحد منهما كافٍ في التعدّد كما سبق ذكره.

الرابع: «باب الله» خوطب عليه السلام بهذا اللقب في زيارة «آل يس» وهذا باب تفتح منه أبواب لأنّهم استدلّوا على شمول الزيارة له من وجود هذه الألقاب فيها، وأشرنا إليها في الميزان المذكور ومع ملاحظة هذا المعنى فإنّ من قرأ الزيارات المأثورة فما ورد فيها من مخاطبته وتعظيمه بألفاظ تشتمل عليها الزيارة إنّما هي ألقابه مثل «خليفة آبائه المهديّين» و«دليل إرادة الله» و«ربّانيّ آيات الله» و«حافظ حقّ الله» و«المقدّم» و«المأمول» وأمثال ذلك. ولا فرق بين «المأمول» الذي صيّروه لقباً باستنادهم إلى هذه الزيارة وبين الألفاظ التي أهملوها، كذلك لا فرق بين اللفظ الذي يخاطب به في حال حضوره وبين اللفظ الذي يقال عنه في غيبته.

الخامس: «خليفة آخر الزمان» نقل في صحيح مسلم عن أبي سعيد وجابر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعدّ عدّاً[1]. واشتمال صحيح مسلم على هذا الحديث يوجب القطع بصدوره، كما قيل:

ومناقب شهد العدوّ بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٨ و٢٣٣ ط الميمنيّة بمصر، إحقاق الحقّ ١٣: ٢٥٠ ونقل عن كتب كثيرة. (هامش الأصل) صحيح مسلم الرقم ٧٢٦٣: يكون في آخر الزمان خليفة يقسّم المال ولا يعدّه... (المترجم)

ولا زلت أذكر أنّي وجدت في كلام العرفاء التعبير عنه بخليفة آخر الزمان مراراً وتكراراً.

السادس: «**خاتم الأولياء**» وهذا اللقب لجنابه شايع في اصطلاح الصوفيّة، لأنّه خاتم الدوريّة للولاية المحمّديّة واستكمال النفوس البشريّة واستتمام الغرض من البعثة وظهور الصلاح المطلق وعلوّ كلمة الحقّ، وكلّ هذه يكون في عهده السعيد، وصرّح محيي الدين بن عربي بهذا في كلماته، وعبارته معروفة في البشارة بجنابه.

ويقول الميبدي في شرح الديوان: المهدي خاتم الولاية المحمّديّة المطلقة الذي هو من سلالته ومثله خاتم الأولياء، وإن كان اختلاف اللفظ كافٍ في التعدّد كما ذكر سابقاً، وشعر محيي الدين مشهور الذي يقول فيه:

ألا إنّ ختم الأنبياء شهيد وعين إمام العالمين فقيد

السابع: «**طاووس أهل الجنّة**» روي عن ابن عبّاس في كثير من الكتب العامّة والخاصّة عن فردوس الديلمي أنّ النبيّ ﷺ قال: «المهدي طاووس أهل الجنّة»[1] وهذا المعنى إمّا بلحاظ أنّ الإمام يمتاز عن أهل الجنّة بعلوّ المقامات وارتفاع الدرجات كما يمتاز الطاووس عن سائر الطيور بالجمال المخصوص، أو أنّه رؤيته تجلب السرور والراحة لأهل الجنّة كما يحصل عند الناس من البهجة الزائدة والنشاط الوافر عند مشاهدة الطاووس.

الثامن: «**الظاهر**» كما سمعت ذلك في عبارة الزيارة الشريفة، وبهذه المناسبة نحن أدرجنا التنبيه هنا ولا فرق بين الناطق المذكور في ألقابه استناداً إلى هذه الزيارة الشريفة والظاهر الذي أهملوه.

---

(١) الطرائف، بحار الأنوار ٥١: ١٠٥ الرقم ٤١. (هامش الأصل) الطرائف: ١٧٨. (المترجم)

التاسع: «غاية النور»[١].

العاشر: «منقذ الأُمّة».

الحاديعشر: «مصدر الأُمور» روى المسعودي عليه الرحمة في كيفيّة بدء الخلقة حديثاً مرسلاً عن الإمام الصادق عليه السلام والإمام رواه عن آبائه الكرام أباً عن جدّ عن أميرالمؤمنين عليه السلام. ويقول المسعودي: وذكرت سنده في كتبي الأُخرى، وفي ختام الحديث: ولم يزل الله يخبأ النور تحت الزمان إلى أن وصل محمّداً صلى الله عليه وآله في ظاهر الفترات فدعا الناس ظاهراً وباطناً وندبهم سرّاً وإعلاناً واستدعى عليه السلام التنبيه على العهد الذي قدّمه إلى الذرّ قبل النسل فمن وافقه واقتبس من مصباح النور المقدّم اهتدى إلى سيره، واستبان واضح أمره، ومن ألبسته الغفلة استحقّ السخط، ثمّ انتقل النور إلى غرائرنا ولمع في أئمّتنا فنحن أنوار السماء وأنوار الأرض فبنا النجاة ومنّا مكنون العلم، وإلينا مصير الأُمور، وبمهديّنا تنقطع الحجج خاتمة الأئمّة ومنقذ الأُمّة وغاية النور ومصدر الأُمور؛ فنحن أفضل المخلوقين وأشرف الموحّدين وحجج ربّ العالمين، فليهنأ بالنعمة من تمسّك بولايتنا وقبض عروتنا[٢].

وليس بعيداً أن يكون الفاضل المتتبّع الميرزا محمّد رضا المدرّس رحمه الله صاحب «جنّات الخلود» اعتبر «خاتمة الأئمّة» من ألقاب الإمام اعتماداً على هذه الرواية، وفي هذه الحالة لا يصحّ التفكيك بوجه من الوجوه.

والمراد من «غاية النور» إمّا أن يكون منتهى الفضل والكمال لأنّ الكمال أشرف أنواع النور، وإمّا أن يكون نور النبوّة والولاية الذي هو مشرق شموس الإرشاد

---

(١) في الرواية التالية ذكر الاسم الحاديعشر «غاية النور» و«منقذ الأُمّة».

(٢) مروج الذهب ١: ٤٣ باب المبدء وشأن الخليقة. (هامش الأصل)

والهداية ينتهي إليه، لأنّ الغاية إمّا أن تكون بمعنى «المنتهى إليه الشيء» وإمّا أن يكون معناه أنّ الغرض من خلق عالم الأنوار هو وجوده المقدّس كما قال في حقّ جدّه «لولاك لما خلقت الأفلاك»[١].

---

(١) حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك ولولا عليّ لما خلقتك» وحديث «لولا رسول الله وعليّ لما خلقت العالم» وحديث «لولا أهل البيت لما خلقت العالم» وحديث «لولا فاطمة لما خلقتكما»:
روى أبوالحسن البكري أُستاد الشهيد الثاني ﷺ في كتاب الأنوار عن أميرالمؤمنين ﷺ أنّه قال: كان والله ولا شيء معه، فأوّل ما خلق نور حبيبه محمّد قبل خلق الماء والعرش والكرسيّ والسماوات والأرض واللوح والقلم ... والحقّ تبارك وتعالى ينظر إليه ويقول: يا عبدي، أنت المراد والمريد، وأنت خيرتي من خلقي، وعزّتي وجلالي لولاك لما خلقت الأفلاك، من أحنك أحببته، ومن أبغضك أبغضته[١].
وفي حديث المعراج بعد تصريحه تعالى باختياره نبيّه وأوليه الأئمّة المعصومين صلوات الله عليهم، قال تعالى: فلولاكم ما خلقت الدنيا والآخرة ولا الجنّة والنار[٢].
وفي الحديث القدسي المروي عن مولانا الصادق ﷺ في معاني الأخبار، والعلل، بعد بيان نبوّة الرسول وإمامة أميرالمؤمنين قال: لولاهما ما خلقت خلقي[٣].
الإمام عليّ بن موسى الرضا عن آبائه ﷺ عن أميرالمؤمنين قال: قال رسول الله ﷺ: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي ... يا علي، لولا نحن ما خلق آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض[٤].
وفي النبوي العلوي: ولولانا لم يخلق الله الجنّة ولا النار ولا الأنبياء ولا الملائكة[٥].
وفي رواية المفضّل عن الصادق ﷺ في وصف خلقة الأرواح قبل الأجساد: بعد ما راى آدم أسماء

---

(١) بحار الأنوار ١٥: ٢٧ و٥٧: ١٩٨.
(٢) بحار الأنوار ٣٦: ٣٠٢.
(٣) بحار الأنوار ١٥: ١٢ و٣٨: ٨١.
(٤) العلل والعيون والإكمال، بحار الأنوار ١٨: ٣٤٥ و٢٦: ٣٣٥ و٦٠: ٣٠٣ و٦٦٨.
(٥) بحار الأنوار ٣٦: ٣٣٧.

. . . . . .

النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمّة عليهم السلام على ساق العرش، قال تعالى: لولاهم ما خلقتكما[١].

وفي تفسير الإمام العسكري عليه السلام في حديث: قال صلى الله عليه وآله للشجرة: دعوتك لتشهدي لي بالنبوّة بعد شهادتك لله بالتوحيد، ثمّ تشهدي بعد شهادتك لي، لعليّ هذا بالإمامة وإنّه سندي وظهري وعضدي وفخري وعزّي ولولاه ما خلق الله عزّ وجلّ شيئاً ممّا خلق[٢].

ويشهد على ما تقدّم في البحار ٣٩: ٣٥٠ ورواية العيون عن الرضا عليه السلام كما في البحار ١٦: ٣٦٢.

وقال العلّامة المجلسي رحمه الله: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أبوا هذه الأُمّة لصيرورتهما سبباً لوجود كلّ شيء وعلّة غائيّة لجميع الموجودات كما في الحديث القدسي: «لولاكما لما خلقت الأفلاك»[٣].

والروايات في ذلك أكثر من أن تحصى، منها ما في مدينة المعاجز[٤] رواية كريمة غريبة كالدرّ في وصف خلقة النبيّ وآله المعصومين وجوامع فضلهم وأنّه لولاهم ما خلق الله شيئاً، فراجع إليه.

وروى العامّة من طرقهم عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: لمّا خلق الله تعالى آدم أبا البشر ونفخ فيه من روحه التفت آدم يمنة العرش فإذا في النور خمسة أشباح ... قال تعالى: هؤلاء خمسة من ولدك لولاهم ما خلقتك، هؤلاء خمسة شققت لهم خمسة أسماء من أسمائي، لولاهم ما خلقت الجنّة والنار ولا العرش ولا الكرسيّ ولا السماء ولا الأرض ولا الملائكة ولا الإنس ولا الجنّ ...[٥].

أبو الصلت الهروي عن الرضا صلوات الله عليه، عن آبائه عن أمير المؤمنين صلوات الله وسلامه عليهم، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما خلق الله عزّ وجلّ خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي. قال عليّ صلوات الله عليه: فقلت: يا رسول الله، فأنت أفضل أو جبرئيل؟ فقال: يا عليّ، إنّ الله فضّل أنبيائه المرسلين على ملائكته المقرّبين والفضل بعدي لك يا عليّ وللأئمّة من ولدك، وإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا. يا عليّ، الذين يحملون العرش ومن حوله يسبّحون بحمد ربّهم ويستغفرون للذين آمنوا بولايتنا.

---

(١) بحار الأنوار ٧: ٣٥٠ و١١: ١٧٢ و٢٦: ٣٢٠.

(٢) بحار الأنوار ١٧: ٣١٧.

(٣) بحار الأنوار ٧٤: ١١٦.

(٤) مدينة المعاجز: ١٥٣.

(٥) الغدير ٢: ٣٠٠ ط ٢ وتمام الروايات في ذلك. راجع: إحقاق الحقّ ٩: ١٠٥ و١٠٦، وكتاب الغدير ٥: ٤٣٥.

. . . . . .

يا عليّ، لولا نحن ما خلق الله آدم ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النار ولا السماء ولا الأرض فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى معرفة ربّنا وتسبيحه وتهليله وتقديسه؛ لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجلّ خلق أرواحنا فأنطقنا بتوحيده وتحميده، ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمرنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلّا الله وإنّا عبيد لسنا بآلهة يجب أن يعبد معه أو دونه، فقالوا: لا إله إلّا الله، فلمّا شاهدوا كبر محلّنا كبّرنا لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن ينال عظم المحلّ إلّا به، فلمّا شاهدوا ما جعله لنا من العزّة والقوّة قلنا: لا حول ولا قوّة إلّا بالله لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة إلّا بالله، فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه لنا من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحقّ لله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمته [نعمه ـ خل] فقالت الملائكة: الحمد لله، فبنا اهتدوا إلى معرفة توحيد الله وتسبيحه وتهليله وتحميده وتمجيده.

ثمّ إنّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه، وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه، فكيف لا أكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون؟

وإنّه لمّا عرج بي إلى السماء أذّن جبرئيل مثنى مثنى، وأقام مثنى مثنى، ثمّ قال لي: تقدّم يا محمّد، فقلت له: يا جبرئيل، أتقدّم عليك؟ فقال: نعم، لأنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبيائه على ملائكته أجمعين، وفضّلك خاصّه، فتقدّمت فصلّيت بهم ولا فخر، فلمّا انتهيت إلى حجب النور قال لي جبرئيل: تقدّم يا محمّد وتخلّف عنّي، فقلت: يا جبرئيل، في مثل هذا الموضع تفارقني؟! فقال: يا محمّد، إنّ انتهاء حدّي الذي وضعني الله عزّ وجلّ فيه إلى هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي بتعدّي حدود ربّي جلّ جلاله، فرفرخ بي في النور زرخة حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء الله من علوّ ملكه، فنوديت: يا محمّد، أنت عبدي وأنا ربّك، فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجّتي على بريّتي، لك ولمن تبعك خلقت جنّتي، ولمن خالفك خلقت ناري، ولأوصياءك أوجبت كرامتي، ولشيعتهم أوجبت ثوابي. فقلت: يا ربّ، ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد، أوصياءك المكتوبون على ساق عرشي، فنظرت وأنا بين يدي ربّي جلّ جلاله إلى ساق العرش فرأيت اثنى عشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر عليه اسم وصيّ من أوصيائي: أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم مهديّ أمّتي.

فقلت: يا ربّ، هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمّد، هؤلاء أوليائي وأوصيائي وأصفيائي وحجّتي (حججي ـ خل) بعدك على بريّتي وهم أوصياءك وخلفاءك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي

ووجه انطباق منقذ الأُمّة على جنابه ظاهر لأنّ بعدله الشامل كلّ مبتلى يستريح.

سبزه زطرف ومن چگونه برويد — رويد زانسان اميد از دل حرمان

لاله به صحن چمن چگونه بخندد — خندد از آنگونه عدل در رخ احسان

يا سائلي كيف تخضر الرياض وقد — أودى بها المحل أو هوج الأعاصير

تخضر تشبه آمالاً بخافق إنـ — ـسان يُعذبه جري المقادير

وكيف يضحك نوار على دمن — كالعدل يضحك في إحسان مشكور

وكذلك كونه مصدر الأُمور ظاهراً لأنّ ببركته الدنيا قائمة، وأرزاق الخلائق متّصلة:

نطفه‌ای بی مهر او صورت نبندد در رحم — قطره‌ای بی امر او نازل نگردد از سما

خاصيت بخش نباتات از سپندان تا بعود — رنگ پرداز جمادات از شبه تا دُرّ ناب

➲ لأُطهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي، ولأُطهّرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأُمكّننّه (ولأملكنّه ـ خل) مشارق الأرض ومغاربها، ولأُسخّرنّ له الرياح، ولأُذلّلنّ له السحاب الصعاب، ولأُرقينّه في الأسباب، فلأنصرنّه بجندي، ولأُمدّنّه بملائكتي حتّى تعلو دعوتي وتجمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأُديمنّ ملكه ولأُداولنّ الأيّام بين أوليائي إلى يوم القيامة[1].

وفي كتاب (مجمع النورين) للفاضل المرندي ص ١٤ قال: وفي الحديث القدسي: لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك. كما ذكره الوحيد البهبهاني.

وروي في بحر المعارف: «لولاك لما خلقت الأفلاك، ولولا عليّ لما خلقتك.

وفي ضياء العالمين للشيخ أبي الحسن الجدّ الأُمّي للشيخ محمّد حسن صاحب الجواهر بزيادة فقرة: «ولولا فاطمة لما خلقتكما» [ونحوه في ص ١٨٧ من كتاب المرندي] ... انتهى ما في (مجمع النورين). وقد تقدّم مصدر آخر لحديث «لولا فاطمة لما خلقتكما» في المجلّد الأوّل لكتابنا هذا.

---

(١) عيون الأخبار ١: ٢٦٢، العلل ١: ٦، كمال الدين، بحار الأنوار ١٨: ٣٤٥ و٢٦: ٣٣٥ و٦٠: ٣٠٤ الرقم ١٦.

ولا تحمل الأرحام إلّا بحبّه ولا تنزل الأمطار إلّا بأمره

ولا قام نبت الأرض إلّا بيمنه ولا البحر مختالاً عليه بدره

وأظهر ما في فقرة مصدر الأُمور أنّه في زمن إشراق شموس سلطانه تغرب كواكب السلاطين، ويصبح الأمير مأموراً، والملك مقهوراً في جميع الدنيا، كما قيل:

دست بكش بر درش هزار سكندر غاشيه كش بر درش هزار سليمان

الثاني عشر: «**من يملأ الأرض قسطاً وعدلاً**» ووصفه بهذه العبارة متواتر في أخبار الخاصّة والعامّة، وبالطبع، لم يستند الذين اعتبروا من ألقابه: «من لم يجعل الله له شبيهاً» على برهان أقوى من هذا البرهان، فلا وجه للتفريق بينهما.

وأخيراً نقول: ثبت بعد ملاحظة الميزان المذكور وتتبّع مطاوي الأخبار والتأمّل في الآثار الواردة أنّ ألقابه عليه السلام أكثر ممّا ذكرت، ونحن اقتصرنا على هذا العدد تيمّناً بذكرها.

وَأَسْأَلُ اللّٰهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصاباً بِمُصِيبَة ...

الشرح: السؤال هنا بمعنى القسم، والباء في «بحقّكم» متعلّقة بمحذوف تقديره «مقسماً» لأنّه لا شكّ أنّ الباء المذكورة جيء بها للقسم، وحقيقته في طلب الشفاعة والتوسّل.

حقّ الشيء يحقّ حقّاً: وجب ووقع بلا شكّ[1] كما جاء في القاموس، وثبتت حقيقة الحقّ، ومن هذه الجهة كان الحقّ من أسماء الجلالة وكذلك يقال الحقّ في مقابل الباطل وكذلك يستعمل الحقّ في العدل والأمر والمقضي والإسلام والمال والملك والواجب والموجود والصدق والموت والجزم في هذه جميعاً بهذا الجامع، ومن هذا الباب الحقّ مقابل الحكم مثل حقّ المطالبة بالعوض مثلاً في البيع الذي أشار إليه في القاموس، وقال: واحد الحقوق ... والمراد بحقّ الأئمّة في هذه العبارة إمّا الشرف والفضل الثابت لهم عند الله عزّ وجلّ بالأحقّيّة التي لهم عنده لنصرة الدين ونشرالمعارف وزرع الإيمان في أراضي صدور أهل الاستعداد وسقايته بأنهار بيان الحقائق كما جاء في كثير من الأدعية «بحقّك عليهم وبحقّهم عليك»[2].

---

(١) القاموس ١: ١١٢٩ ط بيروت، المكتبة العلميّة.

(٢) اللهمّ بحقّهم إليك أتوسّل وأسأل سؤال ... (دعاء الثالث من شعبان).

اللهمّ إنّي أسألك بنور وجهك الذي لا يطفأ، وبوجه محمّد حبيبك المصطفى، وبوجه وليّك عليّ المرتضى، وبحقّ أوليائك الذين انتجبتهم أن تصلّي على محمّد وآل محمّد. (أعمال يوم المباهلة)

فبحقّ من ائتمنك على سرّه واسترعاك أمر خلقه، كُن لي إلى الله شفيعاً ومن النار مجيراً. (الزيارة المطلقة لأميرالمؤمنين عليه السلام)

وأسألك بحقّهم لمّا استجبت لي دعوتي وقضيت لي حاجتي. (زيارة الأئمّة في سرّ من رأى).

ولعلّ المعنى الأوّل في هذه الفقرة باعتبار الإطلاق والانسجام أنسب في العبارة التالية [وبالشأن الذي لكم].

ويناسبه الخبر المشهور من أنّ قوماً يدخلون الجنّة ويدعون «الحقيّة» ولا يعرفون من الإيمان سوى القسم بحقّ أميرالمؤمنين عليه السلام[1].

⊃ عبد الله بن مسعود: دخلت يوماً على رسول الله صلى الله عليه وآله فقلت: يا رسول الله، أرى الخلق لا تصل إليه، فقال: يا عبد الله، لج المخدع [ولج البيت: دخل، المخدع بيت داخل البيت الكبير] فولجت المخدع وعليّ عليه السلام يصلّي وهو يقول في سجوده وركوعه: اللهمّ بحقّ محمّد عبدك اغفر للخاطئين من شيعتي، فخرجت حتّى أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله فرأيته وهو يصلّي وهو يقول: اللهمّ بحقّ عليّ بن أبي طالب عبدك اغفر للخاطئين عن أمّتي.

قال: فأخذني من ذلك الهلع العظيم، فأوجز النبيّ صلى الله عليه وآله في صلاته فقال: يابن مسعود، أكفر بعد إيمان؟ فقلت: حاشا وكلّا يا رسول الله، ولكنّي رأيت عليّاً سأل بك ورأيتك تسأل الله به فلا أعلم أيّكم أفضل عند الله؟ قال: اجلس يابن مسعود، فجلست بين يديه، فقال لي: اعلم أنّ الله خلقني وعليّاً من نور عظيم قبل خلق الخلق بألفي عام إذ لا تسبيح ولا تقديس، ففتق نوري فخلق منه السماوات والأرض، وأنا والله أجلّ من السماوات والأرض، وفتق نور عليّ بن أبي طالب فخلق منه العرش والكرسي، وعليّ بن أبي طالب أفضل من العرش والكرسي، وفتق نور الحسن فخلق منه اللوح والقلم، والحسن والله أجلّ من اللوح والقلم، وفتق نور الحسين وخلق منه الجنان والحور، والحسين والله أجلّ من الجنان والحور. ثمّ أظلمت المشارق والمغارب فشكت الملائكة إلى الله تعالى أن يكشف عنهم تلك الظلمة فتكلّم الله جلّ جلاله بكلمة فخلق روحاً ثمّ تكلّم بكلمة فخلق من تلك الكلمة الأُخرى نوراً.... [ابن حسنويه في درّ بحار المناقب، إحقاق الحق ٥: ٢٥٠ ونظيره في ملحقات شرح نهج البلاغة ٤: ٥٥٨، إحقاق الحقّ ٧: ٨٧ عنه، وبحار الأنوار ٣٦: ٧٣ و٤٠: ٤٤].

(١) جعفر بن محمّد بن مالك، عن محمّد بن عبدالله بن جعفر، عن محمّد بن أحمد الأنصاري قال: وجّه قوم من المفوّضة والمقصّرة كامل ابن إبراهيم المدني إلى أبي محمّد عليه السلام. قال كامل: فقلت في نفسي: أسأله لا يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتي وقال بمقالتي، قال: دخلت على سيّدي أبي محمّد عليه السلام نظرت إلى ثياب بياض ناعمة عليه، فقلت في نفسي: وليّ الله وحجّته يلبس الناعم من الثياب ويأمرنا نحن بمواساة الإخوان وينهانا عن لبس مثله، فقال متبسّماً: يا كامل، وحسر عن [ذراعيه] فإذا مسح أسود ⊂

الشأن: جاء في الصحاح والقاموس وغيرهما الأمر والحال[1]. ولكن يستعمل في العرف العام بمعنى الفضل والشرف كما يقولون «له شأن ولا شأن له» وهذا على سبيل الكناية كما هي الحال في لفظ «مقام».

والمراد من شأن الأئمّة عند الله معلوم إجمالاً ولو أردناه بيانه بالتفصيل لخرج عن طاقة البشر ومدارك الخلق.

منقار بند زسستی هزار جای تا اولین دریچهٔ او طایر قیاس

لكن عند مراجعة الأخبار والتأمّل في طواياها يبيّن لنا أنّ الأمر يعود إلى كلّ شخص بحسبه وبقدر استعداده، يمكن الاستفادة من معرفة مقاماتهم العالية.

گر بریزی بحر را در کوزه‌ای چند گنجد قسمت یکروزه‌ای

لو وضعت البحر بالكوز فما قدر ما يحمله من يومه

ويرجع اختلاف أوعية القلوب إلى اختلاف استعدادات النفوس التي هو منشأ تباين الأذواق وتعدّد المذاهب من العلماء الكبار، ويظهر ذلك في ملاحظة

خشن على جلده، فقال: هذا لله وهذا لكم، فسلّمت وجلست إلى باب عليه ستر مرخى، فجائت الريح فكشفت طرفه فإذا أنا بفتىً كأنّه فلقة قمر من أبناء أربع سنين أو مثلها، فقال لي: يا كامل بن إبراهيم، فاقشعررت من ذلك وألهمت أن قلتُ: لبّيك يا سيّدي، فقال: جئت إلى وليّ الله وحجّته وبابه تسأله هل يدخل الجنّة إلّا من عرف معرفتك وقال بمقالتك؟ فقلت: إي والله، قال: إذن والله يقلّ داخلها والله إنّه ليدخلها قوم لهم الحقية، قلت: يا سيّدي، ومن هم؟ قال: قوم من حبّهم لعليّ يحلفون بحقّه ولا يدرون ما حقّه وفضله، ثمّ سكت عليه السلام عنّي ساعة ثمّ قال: وجئت تسأل عن مقالة المفوّضة، كذبوا، بل قلوبنا أوعية لمشيّة الله، فإذا شاء شئنا، والله يقول: ﴿وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] ثمّ رجع الستر إلى حالته فلم أستطع كشفه فنظر إلى أبو محمّد متبسّماً، فقال: يا كامل، ما جلوسك وقد أنبأك بحاجتك الحجّة من بعدي، فقمت وخرجت ولم أعاينه بعد ذلك.

قال أبو نعيم: فلقيت كاملاً فسألته عن هذا الحديث فحدّثني به. [الغيبة للنعمانيّ بسندين، ودلالة الإمامة للطبري بسنده، بحار الأنوار ٥٢: ٥١ (هامش الأصل)]

(١) الصحاح ٥: ٢١٤١. وقال في القاموس: الخطب والأمر. ٤: ٢٣٨. (المترجم)

حالات الصحابة والقدماء من الرمي بالغلوّ والارتفاع والتخليط، وهو موجود في الرجال، ومشروح هذا الإجمال.

ولقد كتبت شرحاً جديراً بالرعاية في رسالة «الإصابة في قاعدة الإجماع على العصابة» وفي «منظومة الإجماع» حول هذا الباب على قلّة البضاعة.

ويناسب هذا الباب الخبر الشريف المروي في الكافي: روى ثقة الإسلام رضي الله عنه وأرضاه بسند صحيح عن ضريس الكناني قال: سمعت أبا جعفر يقول ـ وعنده أُناس من أصحابه ـ: عجبت من قوم يتولّونا ويجعلونا أئمّة ويصفونا أنّ طاعتنا مفترضة عليهم كطاعة رسول الله ﷺ ثمّ يكسرون حجّتهم ويخصمون أنفسهم لضعف قلوبهم فينقصونا حقّنا ويعيبون ذلك على من أعطاه الله برهان حقّ معرفتنا والتسليم لأمرنا، أترون أنّ الله تبارك وتعالى افترض طاعة أوليائه على عباده ثمّ يخفي عنهم أخبار السماوات والأرض ويقطع عنهم موادّ العلم فيما يرد عليهم ممّا فيه قوام دينهم[1].

والحمد لله وله المنّة إنّ عموم الناس بما هو أكثر من المئة السالفة على أثر المساعي الجميلة لعلماء الإسلام ونشر أخبار أهل البيت في هذا الزمان قد أخذوا قصب الرهان من حيث رسوخ ولاية الأئمّة والاعتقاد الإجمالي بعلوّ مقامات فضلهم.

الإعطاء: وحقيقة العطاء البذل بدون توقّع المدح والشكر وإلّا كان معاوضة ولهذا اسم المعطي على الإطلاق لا يليق إلّا بالخالق، والتكليف بشكره من باب إدراك الحسن والقبح العقلي، ويحكم به العقل، وإنّما الأوامر الشرعيّة لمحض الإرشاد ولا تعني الجزاء على العطايا الإلٰهيّة، وكيف يمكن ذلك وتوفيق الشكر

---

(١) الكافي ١: ٢٦١ كتاب الحجّة باب ٤٨ الرقم ٤. (هامش الأصل)

ذاته من عطاياه السنيّة وهو يجرّ إلى التسليم[١].

از دست و زبان که برآید — کز عهدهٔ شکرش بدر آید

كم ذا يطيق بذل حقّ الشكر — باليد باللسان أو بالذكر

الفضل: في أصل اللغة الزيادة كما صرّحوا بذلك، وهو أحياناً باعتبار الكيفيّة وأحياناً باعتبار الكمّيّة، وأحياناً بقوّة سنخيّة الوجود، ويراد بالأفضل الأكثر، ويمكن أن يراد به الأكمل، والجمع أولى كما هو الظاهر.

المصاب: والمصاب في الأوّل مصدر مبنيّ للمفعول، وفي الثاني اسم مفعول، والتحقيق في لفظه مرّ آنفاً مع الفوائد المتعلّقة به[٢]. والأخبار حول المصابين والصابرين ليست قليلة ليمكن حصرها. والآية الكريمة: ﴿لَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الأَمْوَالِ وَالأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وإِنَّا إِلَيهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[٣] إنّها فهرست كتاب السعادة، وديباجة أوراق الفضل والشرف، وموضع المثل المعروف: «كلّ الصيد في جوف الفرا» لأنّه ما جاء في الأخبار حول المعنى فهو شرح لاجمالي الآية الكريمة.

---

(١) لأنّه كلّما أعطاك شكرته والشكر من عطاياه فتشكره على الشكر وهكذا حتّى يتسلسل. (المترجم)

(٢) في شرح: «لقد عظم مصابي بك». (هامش الأصل)

(٣) البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧.

مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَهَا وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَهَا فِي الْإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمواتِ وَالْأَرْضِ ...

الشرح: نصب «مصيبة» في عبارة الزيارة بتقدير «أصف» و«أذكر» و«أعني» وأمثالها، وقطع الوصف عن الموصوف في العربيّة يفيد المدح أو الذمّ، ولهذا يقال غالباً أنّ هذه الكلمة منصوبة «بالمدح» وفائدته تبيّن اتصاف الموصوف بالصفة على وجه لو أنّه ذكر مستقلّاً بدون الاعتماد على موصوف لا يفهم منه إلّا أنّ الموصوف غاية في الوضوح اختصاصه بهذه الصفة وهذا نوع من المبالغة غاية في اللطافة وفنّ من البيان في منتهى الشرافة وإن لم أعثر على من ذكر هذه الجهة ولم يخطر بخاطري من صرّح بها.

ما أعظمها: الجملة وإن كانت إنشائيّة إلّا أنّ وقوعها في حيّز الصفة لا تنافي الموصوف كما هو المشهور، ويقدّر لها «أقول» (أي أقول ما أعظمها).

رزيّة: مرّ معناها في أوائل الزيارة[1] إلّا أنّ ما ينبغي الكشف عنه هنا هو وجه إضافتها إلى المصيبة مع أنّ ظاهر اللغويّين أنّ معناها المصيبة ويترائى لي في هذا الاستعمال وجهان:

الأوّل: أنّها للتأكيد، ومن المعروف في لغة العرب أنّهم عندما يريدون المبالغة في بلوغ الموصوف كمال الوصف في صفته فإنّهم يشتقّون من الموصوف كلمة يصفونه بها فيقول مثلاً: يوم أيوم، وليل أليل، وشعرٌ شاعر، وموت مائت، وهم ناصب كأنّهم يرون أنّ في اليوم يوماً آخر منطوٍ في داخله، وفي الشعر نفس شاعره منطوٍ فيه، لبلوغه درجة الكمال، بالاتصاف بالشعريّة، وبناءاً على هذا فإنّ دلالة هذه الإضافة على التأكيد واضحة لأنّ مؤدّاها أنّ هذه المصيبة بلغت من

---

(١) في شرح الفقرة «يا أبا عبدالله لقد عظمت الرزيّة».

الشدّة بحيث استبطنت مصيبة أُخرى، وهذا النوع من الاستعمالات لا يخلو من الخيال.

الوجه الآخر: أنّ أصل الرزء معناه النقص ويمكن القطع بأنّ الرزيّة وزان نقيصة وزناً ومعنىً واستعماله في المصيبة للزوم النقص لها إمّا في الأموال أو اللأنفس أو الثمرات، وبناءاً على ما تقدّم فهي مصدر يستعمل أحياناً في أصل معناه وهذا الوجه لا يبعد كثيراً عن المعنى وإن كان الإنصاف يقتضينا بأنّ الوجهين كليهما لا يخلوان من نوع مسامحة وليس بحاجة إلّا إلى قدر من العناية ولعلّ النظر يجلو لنا وجهاً آخر. والمراد من أهل السماوات والأرض مطلق الموجودات وليس العقلاء خاصّة كما يظهر في تأمّل الشواهد القادمة وكما يظهر من مدلول ظاهر اللفظ أنّ الحكم لا يشمل السماوات والأرض بذاتيهما؛ لأنّ الحكم منصب على أهلهما إلّا أنّهما داخلان في مناط الحكم ومعلومان من مساق التعبير وقد مرّت إشارة إجماليّة قبل هذه الفقرة السابقة بعموم مصيبة.

ومن المناسب أن نذكر هنا جملة من الأخبار من كتب الشيعة وآثاراً من كتب العامّة لأنّ اعتراف القوم بمثل هذه الأُمور الغريبة دليل واضح على أحقّيّة الطريقة الإماميّة كثّر الله أنصارها وضاعف اقتدارها، وقبل الدخول في ذكر الأخبار المذكورة يجب أن تعلم بأن لا غرابة عقلاً ونقلاً في تألّم الموجودات من السماوات والأرضين من المصيبة المحرقة التي ألّمت بالإمام المظلوم الغريب لأنّه ثبت في محلّه من علوم مافوق الطبيعة أنّ الصفات العارضة على الموجودات قسمان: قسم منها تعرض عليه العوارض مثل الطول والعرض والعمق والتحيّز والحاجة إلى الغذاء والماء بعد تخصّصه الطبيعي أو الرياضي، وقسم منها تعرض عليه العوارض بما هو موجود أي يكفي في عروض تلكم الصفات عليه نفس وجوده وتحقّق هذا الوجود مثل العلم والسمع والبصر، وبالطبع يعتبر هذا القسم

لازم الوجود لأنّه يكفي في عروضها الوجود الصرف بغضّ النظر عن جميع الأشياء، ولمّا كان الوجود مختلفاً في الموجودات فمرّة يكون عين الذات وأُخرى هو بحاجة إلى علّةٍ موجدةٍ، ويكون في موضع أقوى منه في موضع آخر، وغنيّاً صرفاً في مكان، وفي مكان فقيراً بحتاً، مِن ثَمّ اختلفت آثاره باختلاف مراتبه، وتفاوت مدارجه من الغنا والفقر والكمال والنقص والشدّة والضعف والأصليّة والظلّيّة.

إذن، يكون العلم في موضع عين الذات قويّاً شديداً كاملاً بل غير متناهي الشدّة، وفي موضع في غاية الضعف ونهاية النقصان، وتمام الظلّيّة وإن كان يسمّى علماً في كلا الموضعين. ومن هذا البيان يظهر أنّ جميع الأشياء تتمتّع بقسط من هذه الصفات ونموذج من هذه المعاني ولا شيء موجود ليس فيه بقدر حظّه من الوجود وبمقدار نصيبه من تحقّق هذه عوارض الحقايق الوجوديّة.

اگر خواهی که گردد بر تو آسان *وإن من شيء لا يک دم فرو خوان*

إن شئت تلقى الحلّ للمعضل **فاقرأ وإن من شيء لا تعجل**

والآية الكريمة: ﴿أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[1] تشعر بهذا المعنى وحكماء الإشراق وإن لم يذكروا القاعدة بهذا العموم إلّا أنّهم وغيرهم قائلون بأنّ الحيوانات مدركة للكلّيّات كما يظهر ذلك في أعمال النحل وهندسة الأبابيل من صنع بيوتها وسائر عجايب أفعالها لكلّ عاقل غير مسبوقٍ بالشبهة في ذهنه بل قالوا بالحسّ الضعيف للنبات أيضاً كاتجاه جذور النباتات والأشجار المزروعة على حوافي الأنهار إليها، وتدلّي أغصانها بالتجاه النهر.

ومن ملاحظة الظاهرة الغراميّة التي ادّعاها بعضهم للنخل ومن التوجّه إلى فروع الكرمة حين تتسلّق جداراً فإذا تمّ الجدار اتجهت إلى الآخر رأعجب من

---

(١) فصّلت: ٢١.

الجميع شجرة القرع التي تدنو فروعها من الجدار وقبل أن تناله تلتفّ عليه وتتّجه إلى طرفه الآخر، ومن هذه الناحية حمل العلماء على اعتقاد أنّ للشجر حسّاً في الجملة، وهذا القول أرضى أستاد البشر والعقل الحادي عشر الخواجه نصير الدين الطوسي قدّس الله سرّه القدّوسي، وكفى به حجّة.

ولا وجه للمشهور من جعل إدراك الكلّيات فصلاً للإنسان لأنّه حيوان ناطق، وذكر ذلك في حدّه لأنّ قدماء الحكماء اعتبروا الناطق بمعنى المتكلّم بالغلبة مميّزاً له، كما صرّح بذلك قيصري الرومي في شرح الفصوص، ولكن المتأخّرين اعتبروا النطق بمعنى إدراك الكلّيّات، وليس بعيداً أن يكون غير متطابق مع صريح اللغة، ولا يعرض للذهن أنّ التكلّم عرض وفصل ذاتيّ وحينئذٍ كيف يكون فصلاً لأنّ هذا الإشكال نفسه يصدّق في النطق بمعنى إدراك الكلّيّات لأنّه أيضاً عرضيّ بالضرورة والجواب مشترك، والغرض من الاثنين الإشارة إلى ذلك الجوهر منشأ انتزاع هذا الوصف الذي لم تمسكه يد لحدّ الآن، وينبغي أن يشار إليه باللوازم من هذه الجهة.

يقول الشيخ الرئيس في (رسالة الحدود): إدراك الحدود الحقيقيّة للأشياء خارج عن طاقة البشريّة لأنّه موقوف على نيل حقائقها والدعاء النبويّ معروف: «اللهمّ أرني حقائق الأشياء كما هي»[1] من هذه الناحية لا يوجد تعريف في أبواب

---

(١) عوالي اللئالي ٤: ١٣٢ الرقم ٢٢٨. قال ﷺ: اللهمّ أرنا الحقايق كما هي، وفي ذيله عن التفسير الكبير للرازي ٦: ٢٦ سورة طه: ﴿اشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ فإنّ عين العقل ضعيفة فاطلع يا إلهي شمس التوفيق حتّى أرى كلّ شيء كما هو، وهذا في معنى قول محمّد ﷺ: «أرنا الأشياء كما هي». وفي مرصاد العباد ص٣٠٩ الباب الثالث من الفصل السابع عشر، ولفظه ما نقله: (خواجه در استدعاء: «أرنا الأشياء كما هي» ظهور أنوار صفات لطف و قهر مى طلبد) انتهى ما في ذيل عوالي اللئالي.

العلوم يخلو من المناقشة بحيث يصل إلى المنتهى نقياً من العيوب.

وخلاصة الحديث ولبّ المسألة والمطلب أنّه لم يقم دليل عقليّ على عدم شعور الأشياء كلّها وعدم الإدراك في الحيوانات بل الدليل والحسن على خلافه كما أُشير ذلك إجمالاً، والآيات القرآنيّة وشواهد الأخبار على هذا المعنى كثيرة مثل الآية الكريمة: ﴿وَإِن مِن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾[1] وبناءاً على قرائة «تفقهون» بصيغة الخطاب تكون الدلالة أوضح، ويؤيّده رجوع ضمير العاقل «تسبيحهم» إلى شيء؛ لأنّ الحكم مبنيّ على هذه الحيثيّة.

ويثبت مدّعانا الأخبار المتواترة بالمعنى بل هي أكثر من متواترة من قبيل عرض الإيمان وعرض الولاية وأخبار مفاخرة كربلاء والكعبة وأخبار ذكر الحيوانات وأخبار إيمان بعضها وتكلّمها ببعض القضايا الدينيّة مثل تسليم الغزال والضبّ وشهادة الأسد وتألّم الناقة والفرس، وأخبار شهادة الأمكنة على عمل الخير أو الشرّ، وأخبار فضل المسجد وسروره وحزنه بالعبادة والمعصية، وأخبار تأثّر الجمادات في الوقايع العظيمة في الإسلام، ولا يقتضي المقام بسطاً لهذا المطلب أو تعداداً لوقائعه.

ومن هذه الجهة قال قوم: إنّ معجزة النبيّ ﷺ في تسبيح الحصى بيده كان بسماع صوت الحصى ولا جهة تدعو إلى صرف اللفظ عن ظاهره أو إلى التأويل، وما من حجّة تلزمنا بنكران هذه القضايا سوى الاستبعاد وعدم الأُنس بها لعدم

➲ وفي كنوز الحقائق للمناوي المطبوع في هامش «الجامع الصغير للسيوطي» ط مصر: «اللهمّ أرني الدنيا كما تراها صالحي عبادك». وقال المولوي في المثنوي ط علاء الدولة ص١١٥ السطر ١٥:

طعمه بنموده به ما و آن بوده شست　　آنچنان بنما به ما آن را كه هست

(هامش الأصل)

(١) الإسراء: ٤٤.

جريان العادة بمثلها بل الاستئناس بفتح باب التأويل والتصرّف في الظواهر منافٍ للعقول الجزئيّة قبل التأمّل، ولنعم ما قيل:

فاش تسبيح جمادات آيدت	*وسوسه تأويلها بربايدت*
جملگی اجزاء عالم در جهان	*با تو می‌گویند پیدا و نهان*
ما سمیعیم و بصیریم و خوشیم	*با شما نامحرمان ما خامشیم*
كلّما في الوجود يلهج بالحمد	لربّ سبحانه معبود
الجماد الذي تراه بلا نطق	يناجي وكلّ ما في الوجود
إنّ تأويله ينافي عقولاً	خلقت مرشداً إلى المعبودِ
ومن القول ظاهر ومن القول خفيّ	بكلّ معنًى مفيد
إن تكن عارفاً ستفقه ما يجري	سميعاً تقول هل من مزيد
ليس يدري الحديث إلّا الأخلّاء	وينأى عن الغريب البعيد[1]

وفي نظير ذلك أقول عن لسان قوم مشيراً إلى برهانه:

عشق الله ذاته فتجلّى	عشقه في مظاهر الأشياء
ليس حبس كأس الهويّة إلّا	وهو يحسو سلافة الأهواء
واختلاف الهيوليات دليل	لاختلاف الحدود والإنصباء[2]

وأخيراً نقول: إذا وجدت هذه المقدّمة طريقها إلى الذهن وتقرّرت واستقرّت الأخبار الكثيرة دالّة على أنّ الموجودات أجمع تألّمت لمصيبة هذا الإمام المظلوم المؤلمة، وكلّ موجود جرى منه البكاء بالشكل الذي يلائم هويّته، وأوشكت الانقلابات الواقعيّة أن تلمّ في اجزاء العالم بواسطة الارتباط الواقعي والمناسبة

---

(١) الشعر للمترجم محاولاً به إيعاب معنى الأبيات الفارسيّه الثلاثة فيه، فليس هو من قبيل الترجمة.

(٢) ديوان المؤلّف: ١٢. (هامش الأصل)

الحقيقيّة التي هي عبارة عن تلقّي الفيض الإلٰهي بوساطة ذلك الوجود المقدّس والاستمداد من بركات ذاته السعيدة في نيل الترقّيات المرتقبة لكلّ واحد منها في كماله الطبيعيّ لعلاقتها مع ذلك الجناب الخصب (سيّد الشهداء) ولقد تجلّى بشكل ظهر جليّاً للعدوّ والصديق، المؤمن والكافر، فشهدوا وشاهدوا، ولمّا كان استقصاء هذه الأخبار برمّتها يستدعي وضع كتاب مستقلّ لذلك قسّمتها إلى فصلين فأثبت فيهما من كلّ قسم طرفة ومن كلّ نوع لمحة.

الفصل الأوّل

في ذكر بعض الأخبار الواردة عن أهل البيت الأطهار التي تفيد عموم المصاب، البعض منها يفيد ذلك بنفسه، والبعض الآخر بانضمام خبر إليه، وهاهنا نقتصر على عدد من الأخبار:

الأوّل: روى الشيخ الصدوق في أماليه وأوصل السند إلى سيّد الساجدين عليه السلام أنّ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام دخل يوماً إلى الحسن عليه السلام فلمّا نظر إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبدالله؟ قال: أبكي لما يُصنَع بك... ثمّ راح الإمام الحسن يعدّد مصائبه له الواقعة في كربلاء المذكورة في كتاب أمالي، وفي ذيل الخبر قال: فعندها ـ أي بعد شهادتك ـ تحلّ ببني أُميّة اللعنة وتمطر السماء رماداً ودماً، ويبكي عليك كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار[١].[٢]

الثاني: الشيخ الصدوق المتقدّم وابن قولويه في كامل الزيارة مسنداً عن عروة ابن الزبير أنّه قال: سمعت أبا ذرّ وهو يومئذٍ قد أخرجه عثمان إلى الربذة، فقال له

---

(١) أمالي الصدوق، مجلس ٢٤، تحت رقم ٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٨ الرقم ٤٤. (هامش الأصل)

(٢) الأمالي: ١١٦. (المترجم)

الناس: يا أباذرّ، ابشر فهذا قليل في الله تعالى، فقال: ما أيسر هذا ولكن كيف أنتم إذا قُتل الحسين بن عليّ عليه السلام قتلاً ـ أو قال: ذبح ذبحاً ـ والله لا يكون في الإسلام بعد قتل الخليفة أعظم قتلاً منه [بعد الحسين أعظم قتلاً منه] وإنّ الله سيسلّ سيفه على هذه الأُمّة لا يغمده أبداً، ويبعث ناقماً [قائماً] من ذرّيّته فينتقم من الناس، وإنّكم لو تعلمون ما يدخل على أهل البحار وسكّان الجبال في الغياض والآكام وأهل السماء من قتله لبكيتم والله حتّى تزهق أنفسكم، وما من سماء يمرّ به روح الحسين عليه السلام إلّا فزع له سبعون ألف ملك يقومون قياماً ترعد مفاصلهم إلى يوم القيامة، وما من سحابة تمرّ وترعد وتبرق إلّا لعنت قاتله، وما من يوم إلّا وتعرّض روحه على رسول الله صلى الله عليه وآله فيلتقيان ...[1].

الثالث: أيضاً في الكتاب الشريف كامل الزيارة مسنداً عن زرارة (سلام الله عليه)[2] قال: قال أبو عبدالله: يا زرارة، إنّ السماء بكت على الحسين أربعين صباحاً بالدم، وإنّ الأرض بكت أربعين صباحاً بالسواد، وإنّ الشمس بكت أربعين صباحاً بالكسوف والحمرة ،وإنّ الجبال تقطّعت وانتثرت، وإنّ البحار تفجّرت، وإنّ الملائكة بكت أربعين صباحاً على الحسين عليه السلام، وما اختضبت منّا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجلت حتّى أتانا رأس عبيدالله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدّي إذا ذكره بكى حتّى تملأ عيناه لحيته، وحتّى يبكي لبكائه رحمة له من رآه، وإنّ الملائكة عند قبره ليبكون لبكائهم كلّ من في الهواء والسماء من الملائكة، ولقد خرجت نفسه عليه السلام فزفرفت جهنّم زفرة كادت تنشقّ

---

(١) كامل الزيارة: ٧٤، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٩. (هامش الأصل) وكامل الزيارة ٧٣ نسخة المترجم.

(٢) سلام الله عليه ليست من ألفاظ الحديث. (هامش الأصل) وكان المؤلّف أراد بذلك أن يظهر ولائه لزرارة لاختلاف الأقوال فيه. (المترجم)

لزفرتها، ولقد خرجت نفس عبيدالله بن زياد ويزيد بن معاوية فشهقت جهنّم شهقة لولا أنّ الله حبسها بخزّانها لأحرقت من على ظهر الأرض من فورها، ولو يؤذن لها ما بقي شيء إلّا ابتلعته ولكنّها مأمورة مصفودة، ولقد عتت على الخزّان غير مرّة حتّى أتاها جبرئيل فضربها بجناحه فسكنت، وإنّها لتبكيه وتندبه، وإنّها لتتلظّى على قاتله، ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت الأرض وأكفأت بما عليها، وما تكثر الزلازل إلّا عند اقتراب الساعة، وما من عين أحبّ إلى الله ولا عبرة من عين بكت ودمعت عليه، وما من باك يبكيه إلّا وقد وصل فاطمة عليها السلام وأسعدها عليه ووصل رسول الله وأدّى حقّنا..[1] إلى آخر الحديث الشريف في فضل الباكين.

الرابع: وكذلك في كامل الزيارة مسنداً أنّ أبا بصير قال عن أبي جعفر قال: بكت الإنس والجنّ والطير والوحش على الحسين بن عليّ حتّى ذرفت دموعها[2].

الخامس: وكذلك في نفس الكتاب وساق السند إلى الحسين بن ثوير قال: كنت أنا ويونس بن ظبيان والمفضّل بن عمر وأبو سلمة السرّاج جلوساً عند أبي عبدالله عليه السلام فكان المتكلّم يونس، وكان أكبرنا سنّاً، وذكر حديثاً طويلاً يقول: ثمّ قال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ أبا عبدالله عليه السلام لمّا مضى بكت عليه السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ، وما ينقلب في الجنّة والنار من خلق ربّنا، وبكى على أبي عبدالله إلّا ثلاثة أشياء لم تبك عليه.

قلت: جعلت فداك، ما هذه الثلاثة أشياء؟

---

(١) كامل الزيارات، باب ٢٦، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٦ الرقم ١٣. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم ص ٨٠.

(٢) نفسه، باب ٢٦ ص ٧٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٥ الرقم ٨. (هامش الأصل)

قال: لم تبك عليه البصرة ولا دمشق ولا آل عثمان بن عفّان[١].

والظاهر أنّ المراد من آل عثمان هم خصوص بني أُميّة أو مطلق أصحابه ومحبّيه الذين يقال لهم العثمانيّة.

السادس: وفي الكتاب المذكور عن أبي بصير مسنداً أنّه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام أُحدّثه فدخل عليه ابنه فقال له: مرحباً وضمّه، وقال: حقّر الله من حقّركم، وانتقم ممّن وتركم، وخذل الله من خذلكم، ولعن الله من قتلكم، وكان الله لكم وليّاً وحافظاً وناصراً، فقد طال بكاء النساء وبكاء الأنبياء والصدّيقين والشهداء وملائكة السماء، ثمّ بكى وقال: يا أبا بصير، إذا نظرت إلى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أتى إلى أبيهم وإليهم. يا أبا بصير، إنّ فاطمة عليها السلام لتبكيه وتشهق... ثمّ ذكر بكاء فاطمة عليها السلام ولوعتها تفصيلاً[٢].

السابع: في العلل والأمالي ويصل السند إلى ميثم التمّار أنّه قال لجبلة المكّيّة: والله لتقتل هذه الأُمّة ابن بنت نبيّها في المحرّم لعشر يمضين منه، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة، وإنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء حتّى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحر والطير في السماء، ويبكي عليه الشمس والقمر والنجوم والسماء والأرض ومؤمنوا الإنس والجنّ وجميع ملائكة السماوات والأرضين ورضوان ومالك وحملة العرش، وتمطر السماء دماً ورماداً.

---

(١) كامل الزيارات: ٧٧، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٦ الرقم ١٢، وكامل الزيارات ص ٨٠ في نسخة المترجم.

(٢) كامل الزيارة، باب ٢٦، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٨ ط بيروت، وص ٨٢ و٨٣ من كامل الزيارة نسخة المترجم.

ثمّ قال: وجبت لعنة الله على قتلة الحسين عليه السلام كما وجبت على المشركين الذين يجعلون مع الله إلٰهاً آخر، وكما وجبت على اليهود والنصارى والمجوس.

قال جبلّة: فقلت له: يا ميثم، فكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام يوم بركة؟ فبكى ميثم رحمه الله ...[1] إلى آخر الحديث وسنعرض له إن شاء الله بعد هذا في موضعه.

الثامن: في الكتاب المذكور ويصل السند إلى واحد من أهل بيت المقدس أنه قال: والله لقد عرفنا أهل بيت المقدس ونواحيها عشيّة قتل الحسين بن عليّ عليهما السلام، قلت: وكيف ذاك؟ قال: ما رفعنا حجراً ولا مدراً ولا صخراً إلّا ورأينا تحتها دماً عبيطاً يغلي، واحمرّت الحيطان كالعلق، ومطر ثلاثة أيّام دماً عبيطاً، وسمعنا منادياً ينادي في جوف الليل يقول:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً ... شفاعة جدّه يوم الحساب

معاذ الله لا نلتم يقيناً ... شفاعة أحمد وأبي تراب

قتلتم خير من ركب المطايا ... وخير الشيب طُرّاً والشباب

وانكسفت الشمس ثلاثة أيّام ثمّ تجلّت عنها وانشبكت النجوم فلمّا كان من غد أرجفنا بقتله فلم يأت علينا كثير شيء حتّى نعي إلينا الحسين عليه السلام[2].

التاسع: وفي الكامل أيضاً بسند معتمد عن الصادق عليه السلام إنّه قال: بعث هشام بن عبدالملك إلى أبي فأشخصه إلى الشام فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا جعفر، أشخصناك لنسألك عن مسألة لم يصلح أن يسألك عنها غيري، ولا أعلم في

---

(١) علل الشرايع ١: ٢١٧ و٢٢٧ نسخة المؤلّف، وأمالي الصدوق مجلس ٢٧ تحت رقم ١، والبحار ٤٥: ٢٠٢. (هامش الأصل واللفظ للعلل)

(٢) كامل الزيارات: ٧٧، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٤ الرقم ٦. (هامش الأصل)

الأرض خلقاً ينبغي أن يعرف أو عرف هذه المسألة إن كان إلّا واحداً.

فقال أبي: ليسالني أميرالمؤمنين عمّا أحبّ فإن علمت أجبت ذلك وإن لم أعلم قلت لا أدري، وكان الصدق أولى بي.

فقال هشام: أخبرني عن الليلة التي قُتل فيها عليّ بن أبي طالب بما استدلّ به الغائب عن المصر الذي قُتل فيه على قتله وما العلامة فيه للناس؟ فإن علمت ذلك وأجبت فأخبرني هل كان تلك العلامة لغير عليّ في قتله؟

فقال أبي: يا أميرالمؤمنين، إنّه لمّا كان تلك الليلة التي قُتل فيها أميرالمؤمنين عليه السلام لم يرفع عن وجه الأرض حجر إلّا وجد تحته دم عبيط حتّى طلع الفجر وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها هارون أخو موسى عليه السلام وكذلك كانت تلك الليلة التي قُتل فيها يوشع بن نون، وكذلك كانت تلك الليلة التي رفع منها عيسى بن مريم إلى السماء، وكذلك كانت تلك الليلة التي قُتل فيها شمعون بن حمون الصفا، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكذلك كانت الليلة التي قتل فيها الحسين بن عليّ عليه السلام.

قال: فتربّد وجه هشام حتّى انتقع لونه وهمّ أن يبطش بأبي[1].

وللحديث بقيّة لا تهمّ موضوعنا وسوف يأتي نظير هذا الحديث في كلام ابن عبد ربّه.

العاشر: السيّد الأجل رضي الدين بن طاوس رحمه الله في (الملهوف) (كذا) عن سيّد الساجدين عليه السلام أنّه قال في خطبته عندما دخل المدينة: أيّة عين منكم تحبس دمعها وتضن عن انهمالها؟ فلقد بكت السبع الشداد لقتله، وبكت البحار بأمواجها والسماوات بأركانها والأرض بأرجائها والأشجار بأغصانها والحيتان ولجج البحار

---

(١) كامل الزيارات: ٧٥، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٤. (هامش الأصل)

والملائكة المقرّبون وأهل السماوات أجمعون[١]، إلى آخر الخطبة.

في كلّ سطر من هذه الخطبة يفلق الجبل، ويجفّ الخضم، والأخبار من هذا النمط عموماً وخصوصاً في بكاء الأنبياء بخاصّة آدم وعيسى وموسى والنبيّ صلّى الله عليهم في مواقع عدّة، وأميرالمؤمنين وفاطمة والحسن عليهم السلام وانكساف الشمس ومطر السماء الدم وصبغ الثياب بها وفوران الدم من الأرض وعويل الملائكة مطلقاً لاسيّما خدّام قبره المطهّر إلى الحدّ الذي يقطع بصدورها من رآها إذا كان خالياً من الأغراض. والحقّ أنّه تجاوزت التواتر المعنوي.

ووردت في الزيارات الشريفة كلمات تدلّ على عموم دعوانا من قبيل الزيارة التي ذكرت في ذيل روايةالحسين بن ثوير في كامل الزيارة: «أشهد أنّ دمك سكن في الخلد واقشعرّت له أظلّة[٢] العرش، وبكى له جميع الخلايق، وبكت له السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ، ومن ينقلب في الجنّة والنار من خلق ربّنا ما يُرى وما لا يُرى»[٣].

وفيالزيارة الواردة في مصباح الزائر: يقال إنّ السيّد المرتضى علم الهدى رضوان الله عليه زار سيّدالشهداء بها وهي المشهورة بزيارة الناحية المقدّسة: «لقد صرع بمصرعك الإسلام، وتعطّلت الحدود والأحكام، واظلمّت الأيّام،

---

(١) الملهوف (كذا): ٨٢، بحار الأنوار ٤٥: ١٤٨، العوالم ١٧: ٤٦٩. (هامش الأصل) اللهوف: ٢٠١. (المترجم)

(٢) الظاهر أنّ أظلّة جمع ظلال (جمع الجمع) وهو جمع ظلّ، وعالم الظلّ والأظلّة والظلال في الأخبار مذكورة، والمراد بها الأنوار المقدّسة والأرواح العلويّة كما جاء (المصطفى في الظلال) في ألقاب النبيّ صلى الله عليه وآله، وأظلّه العرش بناءاً على هذا أرواح الملائكة المقرّبين وأنوار القادسة المهيمين (كذا) والكرّوبيّين، وهناك احتمالات أخرى لا تناسب سائر مجالات الاستعمال اللفظي وإن ذكرت في مزارات البحار ج١٠١ ص١٥٤ رحم الله صاحب البحار. (هامش الأصل)

(٣) كامل الزيارات: ١٩٧، بحار الأنوار ١٠١ ص١٥٢. (هامش الأصل)

وانكشفت الشمس، وأظلم القمر، واحتبس الغيث والمطر، واهتزّ العرش والسماء، واقشعرّت الأرض والبطحاء، وشمل البلاء، واختلفت الأهواء، وفجع بك الرسول، وأُزعجت البتول، وطاشت العقول»[١].

وجاء في زيارة أُخرى: بأبي وأُمّي من بكته لطيب وفاته سماء الله وأرضه وملائكته[٢].

وكثير من هذا القبيل في الأخبار، وهذا المقدار كافٍ للإشارة.

الفصل الثاني

في بيان بعض أخبار علماء أهل السنّة وأقوالهم التي شهدت بوقوع الآثار الغريبة من هذه المصيبة العظمى في السماء والأرض بحيث يمكن من ملاحظة مجموع هذه الروايات والاخبار القطع بادّعاء عموم المصيبة، ونحن على سبيل التطفّل والاستطراد نورد بعض عجايب الأُمور من مقولة الكرامات وهي مشارك في ملاك حكم هذه الوقايع نذكرها من أجل تسديد قلوب الضعفاء والشيعة وتشييد العقائد من كلا أئمّتهم.

منها: روى شيخهم المقدّم وإمامهم المعظّم مسلم بن الحجّاج النيسابوري في الجامع الصحيح ـ الذي أجمعوا على صحّة رواياته وعدالة رواته ـ في تفسير الآية المباركة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾[٣] لمّا قتل الحسين بكت السماء وبكائها حمرتها[٤].

---

(١) مصباح الزائر: ١١٧، بحار الأنوار ١٠١: ٢٣٢. (هامش الأصل)

(٢) بحار الأنوار ١٠١: ٢٥٣. (هامش الأصل)

(٣) الدخان: ٢٩.

(٤) صحيح مسلم، أوّل جزء ٥، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٧. (هامش الأصل)

وقريب من هذا الخبر ما جاء في تفسير عليّ بن إبراهيم في ذيل هذه الآية أنّ الحسين عليه السلام مرّ على أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام فقال: لكنّ هذا ليبكينّ عليه السماء والأرض، وقال: وما بكت السماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريّا والحسين بن عليّ عليهما السلام..[١].

ونقل في تفسير الثعلبي قال: مطرنا دماً بأيّام قتل الحسين عليه السلام[٢].

وروى أحمد بن عبد ربّه القرطبي الأندلسي في كتاب (العقد) بسند متصل متعدد عن محمّد بن شهاب الزهري المعروف، قال: خرجت مع قتيبة أُريد المصيصة فقدمنا على أميرالمؤمنين عبدالملك بن مروان وإذا هو قاعد في أيوان له، وإذا سماطان من الناس على باب الأيوان، فإذا أراد حاجة قالها للذي يليه حتّى تبلغ المسألة باب الأيوان، ولا يمشي أحد بين السماطين.

قال الزهري: فجئنا فقمنا على باب الأيوان، فقال عبدالملك للذي عن يمينه: هل بلغكم أيّ شيء أصبح في بيت المقدّس ليلة قتل الحسين بن عليّ؟ قال: فسأل كلّ واحد منهما صاحبه حتّى بلغت المسألة الباب فلم يردّ أحد فيها شيئاً.

قال الزهري: فقلت: عندي في هذا علم، قال: فرجعت المسألة رجلاً عن رجل حتّى انتهيت إلى عبدالملك، سلّمت عليه، فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا محمّد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري. قال: فعرّفني بالنسب، وكان عبدالملك طلّابة للحديث [فعرفته]، فقال: ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب؟

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٢٠١. (هامش الأصل) وتفسير القمّي ٢: ٢٩١. (المترجم)

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٢١٧، الكشف والبيان للثعلبي ٨: ٣٥٣ دار إحياء التراث العربي سنة ١٤٢٢ ـ بيروت. (المترجم)

وفي رواية عليّ بن عبدالعزيز عن إبراهيم بن عبدالله، عن أبي معشر، عن محمّد بن عبدالله بن سعيد بن العاص، عن الزهري إنّه قال: الليلة التي قتل في صبيحتها الحسين بن عليّ.

قال الزهري: نعم، حدّثني فلان ـ ولم يسمّه لنا ـ أنّه لم يرفع تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب حجر في بيت المقدس إلّا وجد تحته دم عبيط.

قال عبدالملك: صدقت، حدّثني الذي حدّثك وإنّي وإيّاك في هذا لغريبان[1]. ثمّ قال لي: ما جاء بك؟ قلت: [جئت] مرابطاً، قال: الزم الباب، فأقمت عنده فأعطاني مالاً كثيراً، إلى آخر القصّة التي لا ترتبط بما نحن فيه.

وذكر ابن حجر في الصواعق أنّ الزهري لمّا أتمّ حديثه مع عبدالملك، قال له عبدالملك: لم يبق من يعرف هذا غيري وغيرك فلا تخبر به. قال: فما أخبرت به إلّا بعد موته[2].

وفي سيرة عبدالملك بن هشام في توالي قصّه حاملي الرأس الشريف وحديث الراهب المذكور في كتب الفريقين يقول موافقاً لما نقله شمس الدين «قزغلي» في التذكرة: ثمّ إنّهم أخذوا الرأس وساروا، فلمّا قربوا من دمشق قال بعضهم لبعض: تعالوا حتّى نقسّم الدنانير لا يراها يزيد فيأخذها منه، فأخذوا الأكياس وفتحوها وإذا الدنانير قد تحوّلت خزفاً، وعلى أحد جانب الدينار مكتوب: ﴿وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾[3] الآية، وعلى الجانب الآخر: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢١٥. (هامش الأصل) و ٤: ٣٨٦ ط القاهرة، لجنة التأليف والترجمة ١٩٦٧. (المترجم)

(٢) الصواعق المحرقة: ١١٦، وفي نسخة المترجم ص ١٩٥.

(٣) إبراهيم: ٤٢.

مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[١] فرموها في بردىٰ نهر بدمشق[٢].

وفي التذكرة أيضاً: حكى الزهري عن أُمّ سلمة قالت: ما سمعت نواح الجنّ إلّا في الليلة التي قُتل فيها الحسين، سمعت قائلاً يقول:

ألا يـــا عـــين فـاحتفلي بـجهدٍ ومن يبكي عـلى الشـهداء بـعدي

عـلى رهـط تـقودهم المـنايا إلى مـــتجبّر فـي ثـوبِ عـبدِ

قالت أُمّ سلمة: فعلمت أنّه قد قُتل الحسين[٣].[٤]

وقال الشعبي: سمع أهل الكوفة قائلاً يقول في الليل:

أبكـــي قـــتيلاً بكـربلا مـضرّج الجسم بـالدماء

أبكـي قـتيل الطـغاة ظـلماً بـغير جـرم سـوى الوفـاء

أبكـــي قـــتيلاً بكـى عـليه من ساكن الأرض والسـماء

هـتك أهـلوه واسـتحلّوا مـا حـرّم الله فـي الإمـاء

يـا بأبـي جسمه المـعري ألا مـــن الديـــن والحـياء

كـــلّ الرزايـــا لهـا عـزاء ومـا لذا الرزء مـن عـزاء

ونقل عن الزهري أيضاً قال: ناحت عليه الجنّ فقالت:

---

(١) الشعراء: ٢٢٧.

(٢) التذكرة: ٢٧٣ ط المطبعة العلميّة في النجف، الخرايج، بحار الأنوار ٤٥: ١٨٦. (هامش الأصل) وفي نسخة: التذكرة: ٢٣٧.

(٣) أمالي الصدوق، المجلس ٢٩ الرقم ٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٨. بدل «فاحتفلي» «فانهملي»، وبدل «ثوب عبد» «ملك عبد»، تاريخ ابن عساكر مسنداً ومرسلاً ٤: ٣٤١، والخصائص للسيوطي ٢: ١٢٧، مجمع الزوائد ٩: ١٩٩، تذكرة الخواصّ: ١٥٢. (هامش الأصل)

(٤) تذكرة الخواص: ٢٤٢. (المترجم)

خـير نسـاء الجـنّ يـبكين شـجيّات[١] ويـلطمن خـدوداً كـالدنانير نـقيّات

ويلبسن ثياب السود بعد القصبيّات

قال: وممّا حفظ من قول الجنّ:

مسـح النـبيّ جـبينه وله بـريق فـي الخـدود

أبـواه مـن عـليا قريش وجـدّه خـير الجـدود

قـتلوك يـابن الرسـول فأُسكـنوا نـار الخـلود[٢]

وذكر هشام بن محمّد قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام سمع قاتلوه قائلاً يقول في السماء:

أيّـها القـاتلون ظـلماً حسـيناً ابشـروا بـالعذاب والتـنكيل

كـلّ أهـل السـماء يـدعو عـليكم مـن نـبيّ ومـرسل وقـبيل

قـد لعـنتم عـلى لسـان ابـن داود ومـوسى وصـاحب الإنـجيل[٣]

وفي التذكرة أيضاً عن محمّد بن سعد صاحب الطبقات: إنّ هذه الحمرة لم تُر في السماء قبل أن يُقتل الحسين[٤].

قال جدّي أبو الفرج في كتاب التبصرة: لمّا كان الغضبان يحمرّ وجـهه عـند الغضب فليستدلّ بذلك على غضبه وإنّه أمـارة السـخط، والحـقّ سـبحانه ليس

---

(١) في كثير من نسخ الكتب المختلفة جاء الشعر على هذه الصورة ولكنّه غير موزون، وأُثبت في بعض الكتب على الوجه التالي: «نساء الجنّ يندبن نساء الهاشميّات» وهذا أوفق. ونقل هذه الأشعار في البحار ٤٥: ٢٣٦. (هامش الأصل)

(٢) التذكرة: ٢٨٠ ط المطبعة العلميّة في النجف. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم ص ٢٤٢ ط منشورات الشريف الرضي.

(٣) التذكرة: ١٥٣، مناقب آل أبي طالب ٤: ٦٢ و٦٣، بحار الأنوار ٤٥: ٢٣٦، وفي نسخة المترجم: التذكرة: ٢٤٢.

(٤) تذكرة الخواصّ ط الغري: ٢٨٣، وفي نسخة المترجم: ٢٤٥.

بجسم فأظهر تاثير غضبه على قتل الحسين عليه السلام بحمرة الأُفق وذلك دليل على عظم الجناية[١].

وقال ابن سيرين: لمّا قتل الحسين اظلمّت الدنيا ثلاثة أيّام ثمّ ظهرت هذه الحمرة.

وساق السند إلى هلال بن ذكوان قال: لمّا قتل الحسين عليه السلام مكثنا شهرين أو ثلاثة كأنّما لطخت الحيطان بالدم من صلاة الفجر إلى غروب الشمس.

قال: وخرجنا في سفر فمطرنا مطراً بقي أثره في ثيابنا مثل الدم.

وقال ابن سعد: ما رفع حجر في الدنيا إلّا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّه حتّى تقطّعت.

وقال السدّي: لمّا قُتل الحسين بكت السماء دماً وبكائها حمرتها.

وقال ابن سيرين: وجد حجر قبل مبعث النبيّ صلى الله عليه وآله بخمسمائة سنة، عليه مكتوب بالسريانيّة فنقلوه إلى العربيّة فإذا هو:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

وقال سليمان بن يسار: وجد حجر مكتوب عليه:

لابدّ أن ترد القيامة فاطم وقميصها بدم الحسين ملطّخ

ويل لمن شفعائه خصمائه والصور في يوم القيامة ينفخ[٢]

وإلى هنا تمّ ما نقلته من التذكرة لسبط ابن الجوزي، والحكاية الأخيرة تشبه تماماً الواقعة المشهورة المذكورة بخطّ الشيخ الجليل صاحب الكرامات شمس

---

(١) التذكرة: ٢٨٣ ط الغري، وعنه في الصواعق المحرقة ١٩٤ ط مصر. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم في التذكرة ص٢٤٦.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٢٨٤ ط الغري، ونسخة المترجم ص٢٤٦ نشر الرضي.

الدين بن عليّ الجباعي جدّ الشيخ البهائي ﷺ أنّه وجد عقيق أحمر مكتوب عليه:

أنـــا دُرّ مـــن السـما نـــثروني ... يـــوم تـــزويج والد الســبطين

كـنت أنـقى مـن اللُّـجين بـياضاً ... صبغوني بـدم نـحر الحسـين[1]

وما في الكشكول وزهرالربيع وغيرها: صبغتني دماء نحر الحسين، وهذا أولى.

ووجد على قطعة صفراء في النجف مكتوباً:

صفرة لوني ينبيك عن حـزني ... لسيّد الأوصـياء أبـي الحسـن

ووجد مكتوباً على جوهرة سوداء:

لست مـن الحـجارة بـل جـوهر الصـدف

حال لوني لفرط حزني على ساكـن النـجف

وفي زهر الربيع للمحدّث المطّلع السيّد نعمة الله الجزائري إنّه قال: وجدنا في مدينة شوشتر حجراً أصفر صغيراً أخرجه الحفّار من بطن الأرض وعليه مكتوب بلونه: «بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، لمّا قُتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام كتب بدمه على أرض حصباء: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2]. [3]

وفي زماننا حدثت مثل هذه الوقايع كما أخبرني والدي المحقّق ﷺ عن الشيخ الفقيه الفاضل الشيخ عبدالحسين الطهراني ﷺ أنّه لمّا قصد الحلّة وقعت هذه

---

(١) كنت أصفى من اللُّجين بياضاً ... صبغتني دماء نحر الحسينِ. (زهر الربيع ٢: ٤٥ ط النجف. ـ هامش الأصل)

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) رأيت صخره مقدار الكفّ صفراء أخرجوها من قعر الماء في نهر من أنهار شوشتر، مكتوباً عليها من نفسها: لمّا قتل الحسين الشهيد بأرض كربلاء كتب دمه على أرض الحصباء، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾. (زهر الربيع ٢: ٤٥ ط النجف الأشرف)

الحادثة وهي أنّهم قطعوا شجرة وشرحوها طولاً فوجدوا منقوشاً في باطنها على كلّ لوح: «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله».

وأنا بنفسي رأيت في طهران «ماسة» صغيرة تعدل نصف حبّة عدس وعليها كتابة تبدو في باطنها «اسم الإمام أميرالمؤمنين «علي» عليه السلام» بحيث كلّ من شاهدها يجزم يقيناً بأنّها ليست صنعاً، والياء من الاسم الشريف مجرورة إلى أسفل تحته، ويتكوّن منها ومن العين واللام قبلها وقبلهما «يا» فيحدث من المجموع لفظ «يا علي».

وقصص من هذا النمط شوهد كثيراً في التاريخ، منها كما في نفح الطيب عن كتاب «نشق الأزهار» أنّ في جامع قرطبة ثلاثة أعمدة من رخام أحمر مكتوب على الواحد اسم محمّد، والآخر صورة عصى موسى وأهل الكهف، وعلى الثالث صورة غراب نوح عليه الصلاة والسلام، خلقها الله تعالى ولم يصنعها صانع[1].

وأخيراً ليس غرضنا الاستقصاء بل استئناساً للقصّة التي ذكرها صاحب التذكرة ونكتفي بهذا القدر، وباستطاعة المتتبّع ذي الاطّلاع تأليف رسالة في هذا الباب.

وفي الصواعق المحرقة لأحمد بن حجر الهيثمي الشافعي المكّي، عن أمّ سلمة قالت: فلمّا كانت ليلة قُتل الحسين سمعت قائلاً يقول:

أيّـها القـاتلون جـهلاً حسـيناً ... أبشـروا بـالعذاب والتـنكيل

قد لُعنتم على لسـان ابـن داود ... ومـوسى وحـامل الإنـجيل[2]

---

(١) نفح الطيب ١: ٥٢٠ ط دار صادر ١٩٦٨ تحقيق الدكتور إحسان عبّاس. (المترجم)

(٢) الصواعق: ١٩٣. (المترجم) وفي الهامش:

أيّـها القـاتلون جـهلاً حسـيناً ... أبشـروا بـالعذاب والتـنكيل

كلّ أهل السماء يدعو عـليكم ... ونـبيّ ومـرسل وقـبيل

قد لُعنتم على لسان ابـن داود ... ومـوسى وصـاحب الإنـجيل

ونقل عن سيرة ملّا عمر، فقال: وروى الملّا أنّ عليّاً عليه السلام مرّ بقبر الحسين، فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وهاهنا موضع رحالهم، وهاهنا مهراق دمائهم، فتية من آل محمّد يُقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض[١].

ونقل رواية أُمّ سلمة من طريق آخر.

وروى أيضاً عنها أنّها سمعت صوت الجنّ ينوحون على الحسين «مسح النبيّ جبينه ...» الخ[٢].

وسمعت مُناحة أُخرى:

أنعي حسيناً جبلاً كان حسين جبلاً[٣]

وسمع من آخرين من الجنّ: «ألا يا عين فاحتفلي بجهدٍ ... إلى آخره»[٤].

البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٠٠ ط مصر، تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٤١ ط روضة الشام، كفاية الطالب: ٢٩٥ ط الغري، نظم درر السمطين: ٢١٧ ط مطبعة القضاء، ينابيع المودّة: ٣٢٠ ط اسلامبول، والصواعق المحرقة: ١٩٣ ط مصر، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٥٧ ط الاستقامة، ومآخذ أُخر، فراجع إحقاق الحقّ ١١: ٥٧٦. (هامش الأصل)

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٣ ط القاهرة. (هامش الأصل والمترجم)

(٢)

مسح الرسول جبينه فله بريق في الخدود
أبواه من عليا قريش جدّه خير الجدود

(٣)

أنعي حسيناً هبلاً كان حسين جبلا

محاضرات الأبرار ٢: ١٦٠ ط مصر.

أنعى حسيناً هبلا كان حسين جبلاً

الخصائص الكبرى ٢: ١٢٧ ط حيدر آباد، ينابيع المودّة: ٣٢٠ ط اسلامبول. (هامش الأصل)

(٤)

ألا يا عين فاحتفلي بجهدٍ ومن يبكي على الشهداء بعدي

وروى في الصواعق أيضاً: ولمّا قتلوه بعثوا برأسه فبيناهم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط يدٌ معها قلم من حديث فكتبت سطراً بدم:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

إلى آخره. أخرجه منصور بن عمّار، وذكر غيره أنّ هذا البيت وجد بحجر قبل مبعثه بثلاثمائة وأنّه مكتوب في كنيسة من الروم لا يدرى من كتبه.

وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب دلائل النبوّة عن نصرة الأزديّة أنّها قالت: لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً فأصبحنا وبابنا وجرارنا مملوءة دماً، وكذا روي في أحاديث غير هذه.

وممّا ظهر يوم مقتله من الآيات أيضاً أنّ السماء اسودّت اسوداداً عظيماً حتّى رؤيت النجوم نهاراً، ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط.

وأخرج أبو الشيخ أنّ الورس الذي كان في عسكرهم تحوّل رماداً.

وحكى ابن عيينة عن جدّته أنّ جمالاً ممّن انقلب ورسه رماداً أخبرها بذلك ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل الفئران فطبخوها فصارت مثل العلقم[1].

وحكى أيضاً وظاهر الضمير في كلام ابن حجر رجوعه إلى سفيان بن عيينة: وإنّ السماء احمرّت لقتله وانكسفت الشمس حتّى بدت الكواكب نصف النهار، وظنّ الناس أنّ القيامة قد قامت، ولم يرفع حجر في الشام إلّا رؤي تحته دم عبيط[2].[3]

➲ على رهط تقودهم المنايا إلى مستجبَر في ملك عبد

المعجم الكبير للطبراني، كفاية الطالب: ٢٩٤ ط الغري، مقتل الخوارزمي ٢: ٩٥ ط الغري.

(١) هذا وما قبله تجده في الصواعق المحرقة ص١٩٤ ط القاهرة. (هامش الأصل والمترجم)

(٢) نفسه: ١٩٤. (المترجم)

(٣) نضرة الأزديّة أنّها قالت: لمّا قتل الحسين بن عليّ أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً. (ذخائر العقبى: ١٤٤ ط القدسي بالقاهرة، والصواعق المحرقة: ١٩٤ ط القاهرة ـ هامش الأصل)

وعن عثمان بن أبي شيبة أنّ السماء مكثت بعد قتله سبعة أيّام ترى على الحيطان كأنّها ملاحف معصفرة من شدّة حمرتها.

ونقل ابن الجوزي عن ابن سيرين: أنّ الدنيا أظلمت ثلاثة أيّام ثمّ ظهرت الحمرة في السماء.

وقال أبو سعيد: ما رفع حجر من الدنيا إلّا وتحته دم عبيط، ولقد مطرت السماء دماً بقي أثره في الثياب مدّة حتّى تقطّعت.

وأخرج الثعلبي وأبو نعيم ما مرّ من أنّهم مطروا دماً، زاد أبو نعيم: فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وفي رواية: إنّه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة، وأنّه لمّا جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دماً.

وأخرج الثعلبي أنّ السماء بكت وبكاءها حمرتها.

وقال غيره: احمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله ثمّ لا زالت الحمرة بعد ترى بعد ذلك.

وإنّ ابن سيرين قال: أُخبرنا أنّ الحمرة التي مع الشفق لم تكن قبل قتل الحسين.

ثمّ حكى كلام ابن الجوزي الذي ذكر علّة لهذه الحمرة، وذكره سبطه آنفاً، وذكر حديث الزهري مجملاً. ونقل عنه أيضاً أنّه سمع هذا الحديث من غير عبدالملك. وذكر عن سيرة ملّا عمر عن أُمّ سلمة أنّها سمعت نوح الجنّ عليه[1].

وفي كتاب ينابيع المودّة عن جواهر العقدين للسمهودي وهو من أكابر علماء مصر، روى حديث الزهري، وعن ذلك الكتاب أيضاً ما يوافق حكاية صاحب الينابيع عن ابن البرقي وساق السند إلى صالح إمام مسجد بني سليم عن أشياخٍ له

---

(١) كلّ الذي تقدّم نقله المؤلّف عن صواعق ابن حجر ص١٩٤ من دون تعليق. (المترجم)

قالوا: غزونا أرض الروم فإذا كتاب في كنيسة من كنائسهم بالعربيّة:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

فقلنا لأهل الروم: من كتب هذا؟ قالوا: ما ندري.

وعن محمّد بن سيرين قال: وجد حجر قبل مبعث النبيّ بثلاثمائة سنة، عليه مكتوب بالسريانيّة، فنقلوه إلى العربيّة، فهو: «أترجو أُمّة قتلت حسيناً» إلى آخره.

وقال سليمان بن يسار: وجد حجر عليه مكتوب بالنظم وهو هذا: «لابدّ أن ترد القيامة فاطم»... إلى آخره[1].

ويؤيّده ما رواه الحافظ ابن الأخضر في كتاب «العترة الطاهرة» أنّ النبيّ ﷺ قال: تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة ومعها ثياب مصبوغة بالدم فتتعلّق بقائمة من قوائم العرش فتقول: يا عدل، احكم بيني وبين قاتل ولدي فيحكم لابنتي وربّ الكعبة[2].

وتجد في جواهر العقدين ما نقله في الينابيع عن الصواعق المحرقة، وفي الينابيع أيضاً.

وعن (جمع الفوائد) وهو الكتاب الكبير الذي جمع بين الكتابين الكبرين أحدهما جامع الأُصول لابن الأثير والآخر (مجمع الزوائد) لنور الدين الهيثمي،

---

(١)

لابــدّ أن تــرد القــيامة فــاطم وقميصها بدم الحسين ملطّخ
ويــل لمــن شــفعائه خصمائه والصور في يوم القيامة ينفخ

التذكرة: ٢٨٤ ط الغري، ينابيع المودّة: ٣٣١ ط اسلامبول، نظم درر السمطين: ٢١٩. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم ٣: ٤٥ من الينابيع.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي: ٥٢، المناقب لابن المغازلي، فردوس الأخبار للديلمي، ينابيع المودّة: ٢٦٠، الشبلنجي في نور الأبصار: ١٢٥ ط مصر. (هامش الأصل)

نقل عن الزهري أنّه قال: ما رفع حجر بالشام إلّا وجد تحته دم عبيط، ولم ترفع حصاة ببيت المقدس إلّا وجد تحتها دم عبيط[١].

وهذه العبارات تختلف مع الفقرات السابقة التي رويت بوجوه مختلفة في كلام شمس الدين البغدادي سبط أبي الفرج وكلام ابن حجر المتأخّر صاحب الصواعق.

وعن أبي القبيل قال: لمّا قُتل الحسين عليه السلام انكسفت الشمس حتّى بدت الكواكب.

وكذلك روي عن أبي قبيل قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ رضوان الله عليهما بعث برأسه إلى يزيد فنزلوا أوّل مرحلة فجعلوا يشربون ويتحيّون بالرأس فبينماهم كذلك إذ خرجت عليهم من الحائط قلم حديد فكتبت سطراً بدم:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

فهربوا وتركوا الرأس[٢] [ثمّ عادوا إليه].

وهذه الأحاديث مرويّة في معجم الطبراني من مرويّات الطبراني أيضاً كما جاء ذلك في جمع الفوائد.

وفي مقتل أبي مخنف وهو معتمد بين الفريقين وتوجد نسخته منقولة في الينابيع، والفقير ـ يعني المؤلّف نفسه (المترجم) ـ لدفع بعض الاحتمالات أنقل عبارة الينابيع (ذكر أنّ القوم جلسوا يشربون) وإذا رأوا يداً خرج من الحائط معه قلم يكتب بدم عبيط شعراً:

أترجو أُمّة قتلت حسيناً شفاعة جدّه يوم الحساب

---

(١) ينابيع المودّة: ٢٢١ ط اسلامبول. (هامش الأصل)

(٢) نفسه ٣: ٤٥. (المترجم)

فـــلا والله ليس لهـم شـفيع وهم يوم القيامة فـي العـذاب
لقد قتلوا الحسين بـحكم جـور وخـالف أمـرهم حكـم الكـتاب

فهربوا ثمّ رجعوا ثمّ رحلوا من ذلك المنزل وإذا هاتف يقول:

مـــاذا تـقولون إذ قـال النـبيّ لكـم مـــاذا فـــعلتم وأنـــتم آخـر الأُمـم
بـــعترتي وبأهـــلي بـعد مـفقتدي[1] مـنهم أُسـارى ومـنهم ضُـرّجوا بـدم
مـا كـان هـذا جـزائـي إذ نـصحت لكـم أن تـخلفوني بسـوء فـي ذوي رحـمي

فلمّا وصلوا بلد تكريت (نشرت الأعلام وخرج الناس بالفرح والسرور، فقالت النصارى للجيش: إنّا بُراء ممّا تصنعون أيّها الظالمون) فلمّا رحلوا من تكريت (وأتوا على وادي النحلة) فسمعوا بكاء الجنّ وهنّ يلطمن خدودهنّ ويقلن شعراً: «مسح النبيّ جبينه إلى آخره...» وأُخرى تقول:

ألا يا عـين جـودي فـوق خـدّي فمن يبكي على الشهداء بـعدي
عـلى رهـط تـقودهم المـنايا (إلى) متجبّر في الملك وغدِ)[2]

قال أبو مخنف: نصبوا الرمح الذي عليه الرأس الشريف المبارك المكرّم إلى جانب صومعة الراهب فسمعوا صوت هاتف ينشد ويقول:

والله مـا جـئتكم حـتّى بـصرت بـه بـــالطفّ مـنعفر الخـدّين مـنحورا
وحـــوله فـــتية تـدمى نـحورهم مثل المصابيح يـغشون الدجـى نـورا

---

(١) في ينابيع المودّة ص ٢٣٠ ط اسلامبول و٣: ٨٩ دار الأُسوة تحقيق سيّد علي جمال أشرف الحسيني، نسخة المترجم: «عند مفتقدي».

(٢) وفي المعجم الكبير هكذا:

ألا يـا عـين فـاحتفلي بـجهدٍ ومن يبكي على الشهداء بـعدي
عـلى رهـط تـقودهم المـنايا إلى مـــتحيّر فـي مـلك عـبد

وفي كفاية الطالب: إلى متحيّر. (ص ٢٩٤)

كان الحسين سراجاً يستضاء به الله يعلم أنّي لم أقل زورا
مات الحسين غريب الدار منفرداً ظامي الحشاشة صادي القلب مقهورا

فقالت أُمّ كلثوم: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا ملك الجنّ، أتيت أنا وقومي لنصرة الحسين (رضي الله عنه وأرضاه) فوجدناه مقتولاً، فلمّا سمع الجيش من الجنّ فتيقنوا بكونهم من أهل النار[١].

وفي ينابيع المودّة بلا واسطة عن تفسير الثعلبي روى عن السدّي أنّه قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ عليه السلام بكت عليه السماء وبكائها حمرتها.

وحكى ابن سيرين: إنّ الحمرة لم تُر قبل قتله.

وعن سليم القاضي قال: مطرتنا السماء دماً أيّام قتله.

وعن إبراهيم النخعي قال: خرج عليّ كرّم الله وجهه فجلس في المسجد، واجتمع أصحابه فجاء الحسين، فوضع يده على رأسه فقال: يا بنيّ، إنّ الله ذمّ أقواماً في كتابه فتلا هذه الآية: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾[٢] وقال: يا بنيّ، لتقتلنّ من بعدي ثمّ تبكيك السماء والأرض. قال: وما بكت السماء والأرض إلّا على يحيى بن زكريّا وعلى الحسين ابني[٣].

ومرّت ترجمة[٤] هذا الخبر في الفصل الأوّل من أخبار الشيعة[٥].

وفي الينابيع عن كثير بن شهاب قال: بينا نحن جلوس عند عليّ في الرحبة إذ طلع الحسين عليه السلام قال: إنّ الله ذكر قوماً بقوله: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾

---

(١) ينابيع المودّة: ٣٥٢ ط اسلامبول. (هامش الأصل) ٣: ٨٩. (نسخة المترجم)

(٢) الدخان: ٢٩.

(٣) ينابيع المودّة: ص٣٢٢ ط اسلامبول. (هامش الأصل) و٣: ١٠١. (نسخة المترجم)

(٤) ينابيع المودّة: ٣٢٢ ط اسلامبول.

(٥) الفصل الثاني من تفسير القمّي: ١٠٨.

والذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليقتلنّ هذا ولتبكينّ عليه السماء والأرض[١].

وفي حياة الحيوان: رُئي هذا البيت: أترجو أُمّة... إلى آخر على جدار في دير راهب، فلمّا سُئل عنه قال: رُئي قبل البعثة بخمسمائة عام. وقال بعضهم: فخرج عليهم قلم من حديد من حائط فكتب سطراً بالدم: (أترجو أُمّة).. الخ[٢].

وفي غرر الخصائص للوطواط أنّهم قالوا يعني المشهور أنّ رأس الحسين عليه السلام حملوه إلى مجلس يزيد ووضع بين يديه فخرجت يد من الحائط وكتبت على جبهة يزيد المشئومة هذا البيت.

وفي خطط المقريزي هذه العبارة: لمّا قتل الحسين بكت السماء وبكاءها حمرتها.

وعن عطاء في قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾ قال: بكائها حمرة أطرافها.

وعن الزهري: بلغني أنّه لم يقلّب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين عليه السلام إلّا وجد تحته دم عبيط.

ويقال: إنّ الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثاً، وأصابوا في عسكر الحسين يوم قتل إبلاً فنحروها وطبخوها فصارت كالعلقم، وما استطاعوا أن يسيغوا منها شيئاً.

وروي أنّ السماء أمطرت دماً فأصبح كلّ شيء مملوئة دماً، انتهى كلامه.

وهذه العبارة منقولة في نور الأبصار للشبلنجي المصري الشافعي المعاصر[٣].

ونوح الجنّ عن أُمّ سلمة وكتابة «أترجو...» على جدار دير الراهب مذكور في الفصول المهمّة.

---

(١) ينابيع المودّة: ٣٢٢ ط اسلامبول.

(٢) ١: ٦٠ ط القاهرة، تاريخ الإسلام والرجال: ٣٨٦ عن حياة الحيوان، الأخبار الطوال: ١٠٩، تاريخ الخميس ٢: ٢٩٩ ط الوهبية. (هامش الأصل)

(٣) نور الأبصار: ١٢٣ ط مصر عن خطط المقريزي. (هامش الأصل)

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء: ولمّا قُتل الحسين مكثت الدنيا سبعة أيّام والشمس على الحيطان كالملاحف (المعصفرة) المصفرة والكواكب يضرب بعضها بعضاً، وكان قتله يوم عاشوراء وكسفت الشمس ذلك اليوم واحمرّت آفاق السماء ستّة أشهر بعد قتله، ثمّ لا زالت الحمرة ترى فيها بعد ذلك ولم تكن ترى فيها قبله.

وقيل: إنّه لم يقلّب حجر ببيت المقدس يومئذٍ إلّا وجد تحته دم عبيط، وصار الورس في عسكرهم رماداً، ونحروا ناقة في عسكرهم فكانوا يرون في لحمها مثل النيران وطبخوها فصارت مثل العلقم[1].

وروى أبو نعيم في الدلائل حديث أُمّ سلمة وسماع نوح الجنّ.

ونقل أيضاً عن أمالي ثعلب أنّه روى حديث أبو حباب الكلبي أنّه قال: قصدت كربلاء وقلت لرجل من أشراف العرب: أخبرني عمّا يقال عن سماعكم نوح الجنّ؟ فقال: لن تجد أحداً إلّا وقد سمع نوحهم، قلت: أخبرني أنت عمّا سمعته، فقال: سمعت الجنّ ينوحون بهذا الشعر: «مسح النبيّ جبينه ... إلى آخره».

وقال السيوطي في (عقود الجمان) في صنعة أُسلوب الحكيم: يعتقد علماء الهيئة أنّ الشمس لا تنكسف إلّا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين أو في وفاة النبيّ يوم العاشر من ربيع الأوّل ـ بناءاً على اعتقاد أهل السنّة والجماعة ـ فإنّها قد كسفت برواية الزبير بن بكار وفي يوم مقتل الحسين عليه السلام العاشر من محرّم كسفت أيضاً كما هو المشهور في التواريخ.

وفي شرح الهمزيّة لابن حجر: ومن جملة الآيات الظاهرة يوم مقتل ذلك

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٨٠ ط الميمنيّة بمصر. (هامش الأصل) و ١: ٢٠٧ مطبعة السعادة بمصر ١٣٧١ هجري، الطبعة الأُولى. (المترجم)

الشهيد المظلوم أنّ السماء مطرت دماً ومُلئت الجرار دماً، واسودّ الهواء حتّى ظهرت الكواكب في السماء، واشتدّت الظلمة حتّى ظنّ الناس أنّ القيامة قامت، وتضاربت النجوم، وانقضّ بعضها على بعض، واختلطت، ولم يرفع حجر إلّا وجد تحته دم عبيط يتفجّر، وظلّت الدنيا ثلاثة أيّام مغبرّة مظلمة، ومن يومئذٍ ظهرت الحمرة فيها، وقيل: امتدّت إلى ستّة أشهر، وبعد ذلك أخذت تظهر دائماً.

وروي عن ابن سيرين لم تظهر الحمرة في الشفق حتّى قُتل الحسين عليه السلام.

وفي الكامل: قال رجل من أهل بيت المقدّس أُقسم بالله أنّ المقدسيّين علموا بقتل الحسين عليه السلام يوم عاشوراء وذلك أنّهم ما رفعوا حجراً عن حجر إلّا وجدوا تحته دماً عبيطاً يجري (ومكث الناس شهرين أو ثلاثة كأنّما يلطخ الحوائط بالدماء ساعة تطلع الشمس حتّى ترتفع) وسمع في آخر الليل منادياً ينادي بهذا الشعر: «أترجو أُمّة قتلت حسيناً...» إلى آخره، وبقيت الشمس ثلاثة أيّام منكسفة لا تظهر، وأمطرت السماء دماً عبيطاً وتضاربت النجوم، وكنّا نحدّث أنفسنا عن وقائع وقعت فلم يمض طويل وقت حتّى جاء الخبر بمقتل الإمام المظلوم[1].

تنبيه

ما سمعته مكرّراً في هذا الفصل من ظهور الحمرة في آفاق السماء على أثر قتل سيّد الشهداء، وقال الشاعر:

وعلى الدهر[2] من دماء الشهيدين ... عليّ ونجله شاهدان

وهما في أواخر الليل فجران ... وفي أوليه شفّعان

---

(١) لم أعثر عليها في الكامل ولا شكّ بحذفها وهذه شنشنة القوم، نعم في الكامل العبارة التي وضعتها بين قوسين وذكر المؤلّف بعضها. (المترجم)

(٢) المشهور: وعلى الأُفق. (المترجم)

وحيث أنّ الأذهان العادية المأنوسة بتأويل السمعيّات تستبعد هذه المجريات استناداً على القوانين الهيئويّة، وقد تقرّر في علم الهيئة أنّ الشمس كلّما ارتفعت في الأُفق كان ظلّ الأرض وهو شكل مخروط مستدير قاعدته في الأرض ورأسه في فلك الزهرة خلافاً للشمس يتّجه من سمت الرأس إلى جانب المغرب، ويظهر في الأُفق ضوء كاذب شبيه بذنب السرحان ثمّ ينتشر شيئاً فشيئاً حتّى يظهر الصبح الصادق وهو الفجر المستدير، والفجر العارض يبيّن في الأُفق وتظهر الحمرة التي هي بسبب اختلاط النور بالظلمة في الفلق، ثمّ تميد الضوء رويداً رويداً وينبسط على المعمور كلّه حتّى تظهر الشمس. وفي غروب الشمس تكون المسألة بالعكس حيث تظهر الحمرة أوّلاً لقرب الشمس من مغربها وميل ظلّ الأرض جهة المشرق، ثمّ كلّما بعدت الشمس يتناقص الحمرة ويزداد البياض اتساعاً ويكون موازياً للفجر الصادق، ثمّ ينقص قليلاً قليلاً حتّى يكون بمثابة خطّ دقيق مثل ذنب السرحان في جهة الصبح ولا يدوم طويلاً حتّى يتلاشى، وتعود الظلمة تقهر النور وهي الغسق، وأثبتت التجربة الصحيحة أنّ سبب حدوث الحمرة التي تكون في أوّل الفجر الصادق هي عندما تنحط الشمس عن الأُفق بثمانية عشر درجة.

وكذلك غاية الشفق يكون حينما تنحطّ الشمس عن أُفق (يح)[1] كما هومذكور بالتفصيل في الهيئة وهذا القليل البضاعة ـ المؤلّف ـ أشار إليها في منظومته: «ميزان الفلك» وهذه الأبيات من تلك المنظومة:

والحال في الغروب تحت الأُفق ... يعكسه فالصبح عكس الشفق

---

(١) هكذا وجدتها عند المؤلّف ولم يشر إلى شرحها المحقّق ولست أدري هل هي حروف رمزيّة أشار بها المؤلّف إلى بعض الحقائق الفلكيّة أو هي خطأ لفظي وأرجح أن يكون الأوّل ولكن على المحقّق أن يشير إليه إلّا أن يكون مثلي. (المترجم)

فـــيطلع الحـــمرة فـــيه أوّلاً ثـــمّ مـــعارض البـــلاء يـــجتلى
ثـــمّ بـــياض اســـتطال واســـتدق فـــينتفي طُـــرّاً ويـــقهر الغســـق
ودلّت التـــــجربة الصـــحيحه أنّ انـحطاط الشمس فـي الصـبيحه
فـي الابـتداء عـند فـجر قـد صـدق يـــح وكـذاك عـند غـاية الشـفق

والجواب عن هذا الإشكال وإن لم أجد غيري قد تعرّض له، أقول:

أوّلاً: إنّ قواعد الهيئة لا تنتهي إلى الضروريّات والبراهين المسلّمة بل الغالب عليها أن تكون مقارنات بعد الوقوع وهي من قبيل الحجج النحويّة وهي في الحقيقة استدلال من المعلوم العام على العلّة الخاصّة ولهذا أنكر علماء أُروبا جميع تلك القواعد وشرعوا لأنفسهم في بناء قواعد جديدة بحيث تضبط بها الحركات واختلاف الفصول والحركات الليليّة والنهاريّة، وإن كان بعضها محلّ نظر وبعضها الآخر مخالف للقوانين الشرعيّة ولا دليل على حدوث الحمرة على أثر حركة الشمس، وما المانع أن يكون النور كلّما ازداد قوّة كان بياض الفجر أشدّ وضوحاً إلى شروق الشمس. والشاهد على وقوع الكسوف في يوم عاشوراء ـ وهذا يمكن ادّعاء التواتر عليه لرواية الفريقين له ـ مع أنّ قواعد القوم كما سمعته من كلام السيوطي حيث جرت الإشارة إليه تقتضي ما لم يكن القمر في عقدة الرأس والذنب وهو عبارة عن نقطة تقاطع منطقة ممثل القمر مع منطقة البروج وهو المسمّى بالجوزهر، ولمّا كان هذا الجوزهر ممرّاً لمركز التدوير، فإذا كان بجانب الشمال سمّي راساً، وإذا اتجه بجانب الجنوب سمّي ذنباً ومع هذا الوصف فإذا اجتمع القمر مع الشمس في برج واحد ففي هذه الصورة يكون القمر كاسفاً للشمس وأخفاها عن الأنظار، ويظهر القمر في الأُفق، ولمّا كان في ذاته كثيفاً مكدّراً لا تظهر له للعين صورة، وقد أشرت إليه في الميزان بقولي:

وهـــو بـــإحدى العـــقدتين إن وقـــع وكـــان إذ ذاك مـــع الشـــمس اجـتمع

يكسف جرم الشمس من جرم القمر ولا يرى إلّا الأخير في النظر[١]

وفي هذه الصورة تكسف الشمس لا محالة إمّا في الثامن والعشرين أو التاسع والعشرين وإلّا فلا يجتمع هذا الكوكبان[٢].

ثانياً: سلّمنا إمّا تفضّلاً أو بملاحظة التقريب الذي أوردناه ولكن لا يلزم أن تحدث الحمرة الواقعيّة المحسوسة التي تدرك بالحواس فما المانع أن يكون ظهور الحمرة الظاهريّة على أثر شدّة الحمرة الواقعيّة المستندة إلى هذه الحادثة العظيمة.

وأخيراً إنّ شهادة عدوّ أهل البيت وخصومهم في هذا الباب موجباً لتيقّن كلّ منصف خالٍ ذهنه من الشبهات بوقوع هذه الواقعة ـ ولا يلقي السمع لمثل هذه التلفيقات في ردّ أُمور معلومة موجبة لاستيقان أهل الإيمان وسبباً لمزيد اطمئنانهم.

---

(١) يقول علماء الهيئة اليوم عن الكسوف والخسوف أنّهما احتجاب الضوء المنبعث من جرم سماويّ احتجاباً جزئيّاً أو كلّيّاً بسبب من تحرّك جرم سماويّ آخر واتخاذه وضعاً معترضاً فإذا كان الضوء المتجب هو الشمس دعيت هذه الظاهرة كسوفاً، وإذا كان الضوء المتجب هو ضوء القمر دعيت تلك الظاهرة خسوفاً وإنّما يقع الكسوف أو الخسوف لأنّ الأرض والقمر جرمان سماويّان مظلمان فما أن يمرّ القمر مباشرة بين الشمس والأرض حتّى يحدث الكسوف، وما أن تعترض الأرض مباشرة بين الشمس والقمر حتّى يحدث الخسوف، والكوسف الكلّي نادر جدّاً وفيه يتحوّل ضوء النهار إلى ظلمة تامّة وتتراءى النجوم كشأنها أثناء الليل ويحدث انخفاض ملحوظ في الحرارة وما هي إلّا دقائق معدودات حتّى تبدو الشمس للعيان كرّة أُخرى .... (عن موسوعة المورد ـ المترجم)

(٢) يمكن أن يقال بعد وقوع التواتر في النقل وظهور الروايات الخاصّة والعامّة في كسوف يوم عاشوراء أنّ المراد ليس الكسوف الاصطلاحي بل لعظم الواقعة وجلال الموقف وشدّة المصاب حجب الله ضوء الشمس على وجه أظلم نهارها وظهرت النجوم وتكون قواعد الهيئة بناءاً على هذا التوجيه على حالها. (منه ﷺ)

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هٰذَا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ. اللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَماتِي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ...

الشرح: النيل: معناه بلوغ الشيء كما جاء في كتب اللغة العربيّة والفارسيّة.

والصلوات جمع الصلاة ومرّ تحقيقها[1] وجاء في اشتقاقها كلمات بعيدة عن مقام العلم والعلماء، وكانت مورداً لكثير من الإشكال، والأولى أن تكون مأخوذة من «صلّى» بمعنى حرّك الصلوين وهما العرقان المحيطان بطرفي الذنب والعظمان القريبان منهما اللذين ينحنيان بانحنائهما، والمصلّي هو الذي يأتي بعد السابق من خيل الحلبة وهو مأخوذ من هذا المعنى لأنّه يبلغ صلوي السابق.

وجملة القول: لمّا كانت التصلية بهذا المعنى تقتضي الانعطاف والانحناء الصوري فهي أحياناً تستعمل في الأركان المخصوصة المشتملة على الركوع والسجود بجامع الانحناء وتحريك الصلوين وأحياناً تستعمل بمعنى التعطّف والانحناء الباطني نظير ألفاظ الميل والانحناء والانعطاف وأشباهها فإنّها نفسها تستعمل في أفعال القلوب على سبيل التمثيل أو التوسّع في الاستعمال، وهذه الطريقة التي أشرنا إليها اختارها صاحب الكشّاف، وبناءاً على هذا لا وجه لما اشتهر على ألسنة علماء الأُصول من أنّ لفظ صلاة بمعنى الدعاء وإن كان استعمل في بعض أشعار أبناء الجاهليّة بهذا المعنى لكن الاستعمال أعمّ من الحقيقة.

والذين لهم علم بأنساب اللغات ووجوه انتقالها من المعاني إلى نظائرها بصفة جيّدة فإنّهم لا محالة على مذهب صاحب الكشّاف، الذي لم يبلغ مبلغه في فهم معاني الألفاظ والاستفادة من خصوصيّات العبارات ووجوه تحوّلها في أساليب اللغات أحد من علماء الأدب.

---

(١) في شرح «صلّى الله عليه وآله». (هامش الأصل)

الرحمة: المعنى الموافق لظاهر كتب اللغة هو رقّة القلب وانعطافه الموجب للتفضّل وهو من خواصّ الأجسام واشتقاق الرحم منه لأنّ انعطافه على ما فيه، وإطلاقه على واجب الوجود سبحانه كسائر عوارض الأجسام من الغضب والرضا وغيرهما على وجهين:

الأوّل: ما قاله الشهيد السعيد في القواعد[١] وساعده جماعة من أهل التحقيق، قال: وأسماء الله تعالى إنّما يؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعالات.

وحاصل هذا الكلام: أنّ هذه الأوصاف الملاحظة لنا لها مبادئ راجعة إلى تأثّرات وعوارض الأجسام مثل الحياء وهو انفعال النفس في مقام مخصوص وله ثمرات وآثار من مقولة الفعل والتأثير من قبيل الفضل والإحسان في خصوص محلّ السؤال، وتستعمل هذه الألفاظ بالاعتبار الثاني لا الأوّل وحينئذٍ تكون مستعملة على ضوء نتائجها المخصوصة بغضّ النظر عن أسبابها وعللها الطبيعيّة وبناءاً عليه فهي جميعاً ألفاظ مجازيّة.

الثاني: ما قاله جماعة من أكابر المحقّقين وتحريره كالتالي أنّ المعنى الواحد تنشأ له لوازم باعتبار اختلاف نشأته وتعدّد مواطنه وربّما استحال نفسه إلى حقائق مختلفة مع كونه معنى عامّاً مشتركاً بين جميع المراتب ويكون لفظه اسماً لذلك المعنى العام مثل العلم الذي يعرض لنا وله أسباب وعلل ولوازم عدّة ومن كان مترفّعاً عن مستوانا فهو منزّه منها ويكون جوهراً في عالم العقول والنفوس[٢]

---

(١) والرحمة لغة رقّة القلب وانعطاف يقتضي التفضّل والإحسان ومنه الرحم لانعطافها على ما فيه وأسماء الله تعالى إنّما تُؤخذ باعتبار الغايات التي هي أفعال دون المبادئ التي هي انفعال. (هامش الأصل والمترجم) القواعد ٢: ١٦٧، وفي هامش الأصل ص ٢٦٥.

(٢) أي العلم. (المترجم)

ولكنّه في ذات واجب الوجود تعالى ليس جوهراً ولا عرضاً بل عين ذاته المقدّسة المتعالية عن شوائب الأعدام والنقائص جلّ ذكره وعزّ قدره.

ولفظ العلم موضوع لذلك القدر المشترك بين المراتب الثلاث وهو خارج عن خصوصيّات العلل والمعلولات واللوازم والحدود، ومثله الرحمة التي هي اسم للمرتبة الخاصّة والدرجة المخصوصة المستلزمة للفضل والإحسان على الآخرين غاية الأمر أنّ هذا العمل ينبعث في البشر من صفة جسمانيّة وهي رقّة القلب، وهذا معنى كلام بعض المحقّقين الذي قال: «العوالم متطابقة فما وجد في الأدنى من الصفات الكماليّة يوجد في الأعلى على وجه أرفع وأبسط».

وتخصيص اللغويّين المعنى باللفظ إمّا لقصور علمهم وضيق أُفقهم وعدم سعة دائرة التعقّل عندهم كما هو المتصوّر في اقتصارهم على اللغويّات من أمثالهم، وإمّا أنّهم يكتفون بذكر لوازم الشيء عن ذكره؛ لأنّ اللغة لا تلتزم بأكثر من هذا وأنّهم لم يجدوا أكثر ممّا وجدوه[1]. ونحن نزلنا اختلاف أهل اللغة في معنى اللفظ الواحد أو كثرة المعاني للفظ واحد في كلام بعضهم على هذا المذهب، وبهذه الملاحظة لهذا السرّ وغيره من الأسرار يفتح باب واسع في فهم اللغة والاجتهاد في تعيين معاني الألفاظ[2] وهذا الباب خاصّ بأرباب القرايح اللطيفة

---

(١) وأقول لمولانا الشيخ: إن كنّا نتّهم علماء اللغة إلى هذه الدرجة المزرية، وبفضلهم عرفنا معاني الألفاظ وأصول وضعها واشتقاقها فمن أين لسادتنا العلماء الذين تحدّث سماحته عنهم هذه المعاني التي توصّلوا إليها وبنوا مناهجهم على ضوئها فهي إمّا أن تكون مأخوذة من أصل الوضع وبهذا يرجع إلى اللغوي، وإمّا أن تكون مستعملة مجازاً ولا ضير في ذلك فالمجال فيه مفتوح للشعراء كما هو مفتوح للعلماء فلا وجه لاتّهام علماء اللغة. (المترجم)

(٢) أقول لمولانا الشيخ: إنّ الاجتهاد مفسد للغة وهو إن جاز في الأحكام الدينيّة أراه غير جائز في الأحكام اللغويّة لأنّه في الأوّل يرجع إلى حجّة وهي القرآن والسنّة، وفي الثاني يرجع إلى العقل وهو مختلف. (المترجم)

والأذهان الدقيقة من الممارسين المتأمّلين في مجاري الاستعمالات، والمطّلعين على أساليب لغة العرب، والله الموفّق.

وفي هذا المقام إشكال آخر وهو ما معنى طلب الرحمة بعد أن وسعت رحمته كلّ شيء «وسعت رحمته كلّ شيء». والجواب على ذلك أنّ رحمة الله على قسمين:

الأوّل: عام ويدخل في دائرته كلّ ما يصدق عليه اسم شيء وموجود حتّى العدم باعتبار وجوده الذهني الذي يحمل مفهومه، وهذه هي الرحمة التي سبقت الغضب بل حتّى الغضب يرحم من حيث كونه وجوداً.

الثاني: خاص وهو منوط باختلاف الاستعدادات وتفاوت القابليّات، والأُولى الرحمة الرحمانيّة والإشارة إليها بقوله تعالى: ﴿مَا تَرَىٰ فِي خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَاوُتٍ﴾[1] في اعتقاد بعضهم، والثاني الرحمة الرحيميّة، وهذا اصطلاح مأخوذ من أحاديث أهل بيت العصمة كما قال الإمام الصادق عليه السلام «الرحمن» اسم خاصّ لصفة عامّة، و«الرحيم» اسم عامّ لصفة خاصّة[2]. ومعنى ذلك أنّ اسم الرحمن خاصّ لا يطلق على غير الله وموضوع بأزاء الصفة العامّة وهي الرحمة المبسوطة على هياكل الموجودات، والرحيم اسم عامّ يجوز أن يطلق على غير الله ولكن معناه صفة خاصّة قائمة ببعض الموارد واختلاف كمالات الأشياء منوط به، إذن يقصد بسؤال الرحمة هذه المرتبة وإن كانت تنال نصيباً من هذه الرحمة أيضاً وتختصّ بكمالات مخصوصة ولكن فيض رحمة الله غير محدودة ووجود المبذ الفيّاض لا

---

(١) الملك: ٣.

(٢) الرحمه اسم خاصّ بصفة عامّة، والرحيم اسم عامّ بصفة خاصّة. (مجمع البيان، نور الثقلين ١: ١٢ ـ هامش الأصل)

ينتهي عند حدّ: «لا يزيده كثرة العطاء إلّا جوداً وكرماً إنّه هو العزيز الوهّاب».

ومن هذه الجهة لمّا كانت كلّ طبيعة طالبة لكمالها تطلب الزيادة بالتوسّل بأسباب الإفاضة وهم أئمّة الهدى عليهم السلام، والمأمول من رحمة الله أن تبلغ المقصد، ولمّا كانت الصلوات والرحمة من أسباب المغفرة وإن لم تظهر آثارها إلّا بعد الغفران فقد ذكرت في المقدم.

ويمكن أن يكون المراد من الصلوات القرب والكمال النفساني في الدنيا، والمراد من الرحمة الكمال الأُخروي وارتفاع الشأن والدرجة، ولا ينافي هذا المعنى ما قاله في الفقره السابقة «مقامي هذا..» إذ لعلّ قصده هو أن يحصل في مقامه هذا على صفة بملاحظتها يكون مرحوماً في الآخرة نظير تعقل الواجب التعليقي الذي هو على التحقيق ترجع إليه جميع الواجبات المطلقة أو المقصود طلب الاستحقاق والأهليّة المحقّقة.

المغفرة: مصدر ميميّ من الغفران، وهو كما في شرح الصحيفة وساير كتب اللغة من القاموس والصحاح وغيرهما بمعنى «الستر» ولكنّه في معنى الستر الخاصّ الصادر من القادر على المؤاخذة مع التجاوز، ولا يقال: غفر زيد ذنب مولاه ولا عيبه، وقيد التجاوز الموجود في التعريف معتبر من خارج اللفظ بل أكمل مراتب الستر رفع آثاره الوجوديّة بحيث لا يمكن الاستدلال على وجوده؛ لأنّ ماله ظهور في الوجود على شكل من الأشكال لا يُعَدّ مستوراً، ومع عدم التجاوز يحقّ العقاب ويعرف وجود الذنب إذن لا يُعَدّ مستوراً حقيقة خلافاً لما يتجاوز عنه من رأس ويعفي عنه حيث أنّ إطلاق الستر بناءاً على هذا المعنى أحقّ وأولى.

وليعلم أنّ معنى الدعاء بمجموعه يلتئم مع معنى الآية الكريمة: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ* أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِن رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ

وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾[١] لأنّه بعد ذكر عظم مصيبة سيّدالشهداء عليه السلام وابتلائه بتلك المصيبة وإظهار الصبر والالتزام بأمر الله تعالى فإنّه يستحقّ الأجر وهو أجر الصابرين الذي وعدهم به في كتابه الكريم ... فلذلك توجّه إلى طلب كرم الله الذي لا يتناهى ثمّ شرع في التبتّل والضراعة.

محيى: مصدر ميميّ من حيي يحيى كما أنّ ممات مصدر ميمي من مات يموت، ويبعد أن يكون اللفظان اسم مكان وبناءاً على الأوّل فهما مفعولان مطلقان، وعلى الثاني مفعول فيه، والفرض منه بيان الحدّ والرتبة اللتين كانت عليهما حياة محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله ومؤدّى الوجهين واحد لأنّ الغرض من ذلك هو الطلب من الله أن يجعل الداعي تابعاً لهم وثابتاً على عقائدهم الشريفة وأخلاقهم الكريمة في جميع الأحوال من الموت والحياة، وأن يصله بدرجة المتابعة المطلقة المبيّنة بقوله تعالى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّٰهُ﴾[٢] ليحظى بمحبوبيّته[٣] وبالطبع بحكم الحديث القدسي: لا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل

---

(١) البقرة: ١٥٦ و١٥٧.

(٢) آل عمران: ٣١.

(٣) وما يلي مرسوم من أراد حياة محمّد وآل محمّد ومماتهم:

١ ـ حديث أمير المؤمنين عليه السلام:

* ماجيلويه وأحمد بن عليّ بن إبراهيم وابن ناتانة جميعاً عن عليّ، عن أبيه، عن محمّد بن عليّ التميمي قال: حدّثني سيّدي عليّ بن موسى الرضا عن آبائه عن عليّ عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من سرّه أن ينظر إلى القضيب الياقوت الأحمر الذي غرسه الله عزّ وجلّ بيده ويكون متمسّكاً به فليتولّ علياً عليه السلام والأئمّة من ولده فإنّهم خيرة الله وصفوته وهم المعصومون من كلّ ذنب وخطيئة[١].

---

(١) العيون: ٢١٩، بحار الأنوار ٣٦: ٢٤٤ ح٥٦ ط طهران، أمالي الصدوق: ٣٤٧ مثله. (هامش الأصل) العيون ١: ٦٢، بحار الأنوار ٢٣: ١١١ و٢٥: ١٩٣، أمالي الصدوق: ٣٢ وسياقه مختلف. (المترجم)

. . . . . .

* أحمد بن محمّد، عن الحسينب بن سعيد، عن محمّد بن سنان، عن أبي العلاء الخفّاف، عن الأصبغ بن نباتة، عن أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنّة عدن التي وعدني ربّي؛ قضيب من قضبانه غرسه بيده ثمّ قال له كن فكان [وهي جنّة الخلد] فليتولّ عليّاً [بن أبي طالب ـ المصدر] والأوصياء من بعده، فإنّهم لا يخرجونكم من الهدى ولا يدخلونكم في ضلالة.

عبدالله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، عن إبراهيم بن محمّد بن ميمون، مثله[1].

٢ـ حديث الإمام الباقر عليه السلام:

محمّد الحميري، عن أبيه، عن ابن أبي الخطّاب، عن محمّد بن حمّاد الكوفي، عن إبراهيم بن موسى الأنصاري، عن مصعب، عن جابر، عن محمّد بن عليّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّ أن يحيى حياتي ويموت مماتي ويدخل جنّة عدن غرسها ربّي بيده فليتولّ عليّاً ويعرف فضله والأوصياء من بعده [بعدي ـ خ] ويتبرّأ من عدوّي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، هم عترتي من لحمي ودمي، أشكو إليك [إلى ـ المصدر] ربّي عدوّهم من أمّتي، المنكرين لفضلهم القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلنّ ابني ثمّ لا تنالهم شفاعتي[2].

٣ـ حديث الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

* أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن فضاله، عن أبي المعزى، عن محمّد بن سالم، عن أبان بن تغلب قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أراد أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة ربّي جنّة عدن غرسها ربّي بيده فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليتولّ وليّه وليعاد عدوّه وليسلّم

(١) بصائر الدرجات: ١٥، بحار الأنوار ٣٦: ٢٤٨. (هامش الأصل) في بصائر الدرجات روايات عدّة بهذا السياق وفيها زيادات على ما ساقه المحقّق وأقرب رواية إلى روايته هي رقم ٩ وفيها: «من سرّه» بدل «من أحبّ» وتختم بقوله: «ولا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم». (بصائر الدرجات: ٥٠، بحار الأنوار ٢٣: ١٣٧ ـ المترجم)

(٢) كامل الزيارات: ٧١، البحار: ٤٤: ٢٦٠، عوالم العلوم: ١٣٨. (هامش الأصل) كامل الزيارات: ٦٩ و ٧١ وفي البحار عدد من الأحاديث بهذا المعنى وفيها بعض الاختلافات اليسيرة، راجع: ح٢٢ وج٢٣ وج٣٦ والصفحات ١٢٢ و١٣٦ و١٣٧ و١٣٨ و١٣٩ و٢٢٧ إلى آخره. (المترجم)

. . . . . .

➲ الأوصياء من بعده فإنّهم عترتي من لحمي ودمي، أعطاهم الله فهمي وعلمي، إلى الله أشكو من أُمّتي المنكرين لفضلهم والقاطعين فيهم صلتي [والقاطعين صلتي ـ المصدر] وأيم الله ليقتلنّ ابني، لا أنالهم الله شفاعتي(١).

* ابن الوليد، عن الصفّار، عن اليقطيني، عن زكريّا المؤمن، عن أيّوب بن عبدالرحمن وزيد بن الحسن وعباد جميعاً عن سعد الإسكاف، قال: قال أبو عبدالله عليه السلام [أبو جعفر ـ المصدر] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيا حياتي [محياي ـ المصدر] ويموت مماتي ويدخل جنّة عدن [فليلزم] قضيب غرسه ربّي بيده فليتولّ عليّاً والأوصياء من بعده وليسلّم لفضلهم فإنّهم الهداة المرضيّون، أعطاهم الله فهمي وعلمي وهم عترتي من لحمي [خلقي ـ الأصل] ودمي، إلى الله أشكو عدوّهم من أُمّتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، والله ليقتلنّ ابني «لا أنالهم الله» [لا نالتهم ـ خ والبحار] شفاعتي(٢).

٤ ـ حديث الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام:

أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن الحسين بن بشار [يسار ـ المصدر] عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يحيا حياتي ويموت مماتي ويدخل جنّة عدن التي وعدني ربّي قضيب من قضبانه غرسه بيده ثمّ قال له: كن فكان فليتولّ عليّ بن أبي طالب والأوصياء من بعده فإنّهم لا يخرجونكم من هدى ولا يدخلونكم في ضلاله.

عبدالله بن محمّد، عن إبراهيم بن محمّد، عن عبدالرحمن بن أبي، مثله(٣).

٥ ـ أحاديث الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله:

* ابن عبّاس وأبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة عدن منزلي منها غرسه ربّي ثمّ قال له كن فيكون، فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليّاً ثمّ الأوصياء من ولده فإنّهم

---

(١) بصائر الدرجات: ١٤، بحار الأنوار ٣٦: ٢٤٧ الرقم ٦١، كامل الزيارات: ٦٩ ح ٣ وفيه عن أبي جعفر، بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٩ و ٣٠٢، عوالم العلوم: ١٣٦ عن أبي عبدالله. (هامش الأصل) بصائر الدرجات عدّة أحاديث في معنى ما ساقه المحقّق وجميعها تختلف مع سياقه بألفاظ أو عبارات، راجع الصفحات ٥١ و ٥٢ و ٥٣، ومثله في بحار الأنوار وكامل الزيارات. (المترجم)

(٢) كامل الزيارات: ٦٩، البحار ٤٤: ٣٠٢، عوالم العلوم: ٥٩٧. (هامش الأصل)

(٣) بصائر الدرجات: ١٥، بحار الأنوار ٣٦: ٢٤٨ الرقم ٦٤. (هامش الأصل)

. . . . . .

عترتي خلقوا من طينتي ...[١].

* بالإسناد عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيا حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة عدن منزلي ويمسك قضيباً غرسه ربّي عزّ وجلّ ثمّ قال له كُن فكان فليتولّ عليّ بن أبي طالب وليأتمّ بالأوصياء من ولده فإنّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، إلى الله أشكو أعدائهم من أُمّتي، المنكرين لفضلهم، القاطعين فيهم صلتي، وأيم الله ليقتلنّ ابني الحسين بعدي، لا أنالهم الله شفاعتي[٢].

* ابن شهرآشوب: قال عبدالله بن موسى: تشاجر رجلان في الإمامة فتراضيا بشريك بن عبدالله، فجاءا إليه، فقال شريك: حدّثني الأعمش عن شقيق عن سلمة عن حذيفة اليمان، قال النبيّ ﷺ: إنّ الله عزّ وجلّ خلق عليّاً قضيباً من الجنّة فمن تمسّك به كان من أهل الجنّة.

فاستعظم ذلك الرجل وقال: هذا حديث ما سمعناه، نأتي ابن درّاج، فأتياه فأخبراه بقصّتهما، فقال: أتعجبان من هذا؟ حدّثني الأعمش عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله خلق قضيباً من نور فعلّقه ببطنان عرشه لا يناله إلّا عليّ ومن تولّاه من شيعته.

فقال الرجل: هذه أُخت تلك، نمضي إلى وكيع، فمضيا إليه فأخبراه بالقصّة، فقال وكيع: أتعجبان من هذا؟ حدّثني الأعمش عن أبي صالح عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أركان العرش لا ينالها إلّا عليّ ومن تولّاه من شيعته.

قال: فاعترف الرجل بولاية عليّ عليه السلام[٣].

قال خطيب منبج:

لقد غرس الإلّه بدار عدنٍ ... قضيباً وهو خير الفارسينا

من الياقوت يستعلي وينمو ... على قضبانها حسناً ولينا

فإن شئتم تمسّكتم فكونوا ... بحبل أخي من المتمسّكينا

---

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٢٥٩، مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٤ في محبّته عليه السلام. (هامش الأصل)

(٢) أمالي الصدوق: ٣٣، بحار الأنوار ٣٦: ٢٢٧ و ٤٤: ٢٥٨ ط طهران، عوالم العلوم ـ الإمام الحسين عليه السلام: ١٣٥. (هامش الأصل)

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٥. (المترجم)

. . . . . .

وقال الصفر البصري:

يـــروى بأنّ أبـا هـريرة قـال لي ... إنّـي مـلأت مـن النـبيّ مـسامعا
مـن رام أن يـتمسّك الغـصن الذي ... مـن أحـمر الياقوت أصبح لامعا
مـن غـرس ربّ العالمين وزرعـه ... مـن جـنّتي عـدن تـبارك زارعـا
فـــليلقين لولايـــة الهـادي أبـي ... حســن عـليّ ذي المـناقب تـابعا

* حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويتمسّك بالقصبة الياقوتة التي خلقها الله ثمّ قال لها كوني فكانت فليتولّ عليّ بن أبي طالب من بعدي[1].

* زيد بن أرقم عن النبيّ ﷺ قال: من أحبّ أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويسكن جنّة الخلد التي وعدني ربّي عزّ وجلّ غرس قضبانها بيده فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّه لم يخرجكم من هدى ولن يدخلكم في ضلالة[2].

* جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبدالله بن أبي ياسين، عن محمّد بن عبدالرحمن بن كامل، عن عليّ بن جعفر الأحمر، عن يحيى بن يعلى، عن عمّار بن زريق، عن أبي إسحاق، عن زيد بن مطرف، عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ: من أحبّ أن يحيى حياتي ويموت موتي ويدخل الجنّة التي وعدني ربّي فليتولّ عليّاً بعدي فإنّه لن يخرجكم من هدى ولا يدخلكم في ردى[3].

* محمّد بن الحسين [محمّد بن الحسن ـ المصدر] عن يزيد بن شعر [يزيد شعر ـ المصدر] عن هارون ابن حمزة، عن عبدالرحمن، عن سعد الإسكاف، عن محمّد بن عليّ بن عمر بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: من سرّه أن يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل جنّة ربّي التي وعدني جنّة عدن

---

(١) بحار الأنوار ٣٩: ٢٦٧ الرقم ٤٢. (هامش الأصل)

(٢) حلية الأولياء وفضائل أحمد وخصائص النطنزي، بحار الأنوار ٣٩: ٢٥٩، كشف الغمّة: ٢٨ ـ ٣١، بحار الأنوار ٣٩: ٢٧٦ الرقم ٥٢، كتاب الأربعين للحافظ أبي بكر محمّد بن أبي نصر عن زياد بن مطرف عن زيد بن أرقم ... بحار الأنوار ٣٩: ٢٧٥، مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٤ في محبّته عليه السلام. (هامش الأصل)

(٣) أمالي الشيخ: ٣١٤، بحار الأنوار ٣٨: ١٢٠ الرقم ٦٦، وبالإسناد عن مطرف عن زيد بن أرقم ... بشارة المصطفى: ١٩٤، بحار الأنوار ٣٩: ٢٨٥ الرقم ٧٥. (هامش الأصل)

. . . . . .

➲ منزلي، قضيب من قضبانه غرسه ربّي تبارك وتعالى بيده فقال له كن فكان، فليتولّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام والأوصياء من ذرّيته، إنّهم الأئمّة من بعدي، هم عترتي من لحمي ودمي، رزقهم الله فضلي وعلمي، وويل للمنكرين فضلهم من أمّتي، القاطين صلتي، والله ليقتلنّ ابني، لا أنالهم الله شفاعتي[1].

من أراد أن يطهّر قلبه عرّفه ولاية عليّ بن أبي طالب، ولم يبلغ إبراهيم وموسى وعيسى المرتبة إلّا بذلك

سليم بن قيس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ الله توحّد بملكه فعرّف أنواره نفسه ثمّ فوّض إليهم وأباحهم جنّته، فمن أراد أن يطهّر قلبه من الجنّ والإنس عرّفه ولاية عليّ بن أبي طالب، والذي نفسي بيده ما استوجب آدم أن يخلقه الله وينفخ روحه من روحه أن يتوب عليه ويردّه إلى جنّته إلّا بنبوّتي والولاية لعليّ بعدي، والذي نفسي بيده ما أُري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض ولا اتّخذه خليلاً إلّا بنبوّتي والإقرار لعليّ بعدي، والذي نفسي بيده ما كلّم الله موسى تكليماً ولا أقام عيسى آية للعالمين إلّا بنبوّتي ومعرفة عليّ بعدي، والذي نفسي بيده ما تنبّأ نبيّ إلّا بمعرفتي والإقرار لنا بالولاية، ولا استأهل خلق من الله النظر إليه إلّا بالعبوديّة والإقرار لعليّ بعدي[2].

تفسير حياة محمّد وآل محمّد ومماتهم عليهم السلام

* أحمد بن مهران، عن محمّد بن عليّ، عن أبي الحكم، عن عبدالله بن إبراهيم الجعفري وعبدالله بن محمّد بن عمارة، عن يزيد بن سليط قال: لمّا أوصى أبو إبراهيم عليه السلام، أشهد إبراهيم بن محمّد الجعفري وإسحاق بن محمّد الجعفري وإسحاق بن جعفر بن محمّد وجعفر بن صالح ومعاوية الجعفري ويحيى بن الحسن بن زيد بن عليّ وسعد بن عمران الأنصاري ومحمّد بن جعد بن سعد الأسلمي -وهو كاتب الوصيّة الأُولى [أي وصيّة آبائه عليهم السلام كما سيشير إليه قوله عليه السلام، وقد نسخت قبل ذلك في صدر الكتاب أو تحت الختم. قيل: المراد أنّ هذه الوصيّة موافقة لوصاياهم فالمعنى نسخت بعين كتابة هذه الوصيّة التي وصيّا بها -بحار الأنوار ٤٩: ٢٢٨] -أشهدهم أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده

---

(١) بصائر الدرجات: ٥٠، بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٨، عوالم العلوم: ١٣٦. (هامش الأصل)

(٢) كتاب سليم بن قيس: ١٦٨، بحار الأنوار ٤٠: ٩٦-٩٧. (هامش الأصل)

حتّى أُحبّه فإذا أحببته صرت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده

ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأنّ الوعد حقّ، وأنّ الساعة حقّ، وأنّ القضاء حقّ، وأنّ الوقوف بين يدي الله حقّ، وأنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ، وأنّ ما نزل به الروح الأمين حقّ، وأنّ الوقوف بين يدي الله حقّ، وأنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ، وأنّ ما نزل به الروح الأمين حقّ، على ذلك أحيي وعليه أموت، وعليه أُبعث إن شاء الله[1].

* ابن إدريس، عن محمّد بن أبي الصهبان، عن عبدالله بن محمّد الحجّال أنّ إبراهيم بن عبدالله الجعفري حدّثه عن عدّة من أهل بيته أنّ أبا إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام أشهد على وصيّته إسحاق بن جعفر بن محمّد بعد أن أشهدهم أنّه يشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنّ الله يبعث من في القبور، وأنّ البعث بعد الموت حقّ، وأنّ الحساب والقصاص حقّ، وأنّ الوقوف بين يدي الله حقّ، وأنّ ما جاء به محمّد ﷺ حقّ حقّ حقّ، وأنّ ما نزل به الروح الأمين حقّ، على ذلك أحيا وعليه أموت وعليه أُبعث إن شاء الله ...[2].

* حمدويه وإبراهيم معاً، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عاصم بن حميد، عن سلام بن سعيد، عن عبدالله بن عبد ياليل، عن رجل من أهل الطائف قال: أتينا ابن عبّاس رحمة الله عليهما نعوده في مرضه الذي مات فيه. قال: فأُغمي عليه في البيت فأُخرج إلى صحن الدار، قال: فأفاق فقال: إنّ خليلي رسول الله ﷺ قال: إنّي سأُهاجر هجرتين، وإنّي سأُخرج من هجرتي، فهاجرت هجرة مع رسول الله وهجرة مع عليّ وإنّي سأعمى فعميت، وإنّي سأُغرق فأصابني حجّة فطرحني أهلي في البحر فغفلوا عنّي فغرقت ثمّ استخرجوني بعد، وأمرني أن أبرأ من خمسة: من الناكثين وهم أصحاب الجمل، ومن القاسطين وهم أصحاب الشام، ومن الخوارج وهم أهل النهروان، ومن القدريّة وهم الذين ضاهوا النصارى في دينهم، فقالوا: لا قدر، ومن المرجئة وهم الذين ضاهوا اليهود في دينهم فقالوا: الله أعلم. قال: ثمّ قال: اللهمّ إنّي أحيا على ما حيي عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأموت على ما مات عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: ثمّ مات فغسّل وكفّن ثمّ صلّي على سريره. قال: فجاء طائران أبيضان فدخلا في كفنه فرأى الناس إنّما هو فقهه فدفن[3].

---

(١) الكافي ١: ٣١٦ و٣١٩، بحار الأنوار ٤٩: ٢٢٤ الرقم ١٧. (هامش الأصل)

(٢) العيون ١: ٣٣، بحار الأنوار ٤٨: ٢٧٧. (هامش الأصل)

(٣) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي): ٣٨، بحار الأنوار ٤٢: ١٥٢ الرقم ٢٠ ط طهران. (هامش الأصل)

التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها...[١] كما في بعض الطرق، فإذا أحبّه الله صدرت منه أعمال إلّهيّة واستنشقت منه روح الرحمن كما في الحديث الصحيح المتفق عليه في حقّ أويس ﷺ: إنّي وجدت روح الرحمن من طرف اليمن»[٢] ونعم ما قيل:

چون اويس از خويش فانی گشته بود آن زمينی آسمانی گشته بود

---

(١) الكافي ٢: ٣٥٢ ح ٥ كتاب الكفر والإيمان باب ١٤٥. (هامش الأصل)

(٢) أويس القرني كان ممّن شهد له رسول الله ﷺ بالجنّة ولم يره، وشهد مع أمير المؤمنين ﷺ صفّين واستشهد بها.

روي عن أمير المؤمنين ﷺ أنّه أخبره النبيّ ﷺ أنّه يدرك رجلاً من أُمّته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر.

روي عن رسول الله ﷺ أنّه كان يقول: تفوح روائح الجنّة من قبل قرن، واشوقاه إليك يا أويس القرني، ألا ومن لقيه فليقرئه منّي السلام. فقيل: يا رسول الله، ومن أويس القرني؟ قال: إن غاب عنكم لم تفتقدوه، وإن ظهر لكم لم تكترثوا به، يدخل الجنّة من شفاعته مثل ربيعة ومضر، يؤمن بي ولا يراني، ويُقتل بين يدي خليفتي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب في صفّين.

قيل لأويس القرني: كيف أصبحت؟ قال: كيف يصبح رجل إذا أصبح لا يدري أيمسي، وإذا أمسى لا يدري أيصبح؟ (سفينة البحار ١: ٥٣ مادة أوس)

قال أمير المؤمنين ﷺ بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، يبايعوني على الموت. قال ابن عبّاس: فجزعت لذلك وخفت أن ينقص القوم من العدد أو يزيدوا عليه فيفسدوا الأمر علينا، وإنّي أحصي القوم فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً، ثمّ انقطع مجيء القوم، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟ فبينما أنا مفكّر في ذلك إذا رأيت شخصاً قد أقبل حتّى دنا وهو رجل عليه قباء صوف ومعه سيف وترس وأداوة، فقرب من أمير المؤمنين ﷺ، فقال: أُمدد يديك لأُبايعك، قال عليّ ﷺ: وعلى ما تبايعني؟ قال: على السمع والطاعة والقتال بين يديك أو يفتح الله عليك، فقال: ما اسمك؟ قال: أويس القرني، قال: نعم، الله أكبر، قد أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أنّي أدرك رجلاً من أُمّته يقال له أويس القرني يكون من حزب الله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومضر. قال ابن عبّاس: فسرّي عنّي. (الخرايج ـ البحار ٤١: ٣٠٠ في إخباره بالغائبات). (هامش الأصل)

آن هـــليله پـــروريده در شكـــر *چـــاشنى تـــلخيش نـــبود دگـــر*

آن هـــليله رسـته از مـــا و مـــنى *از هـــليله شكـــل دارد طـــعم نـــى*

والله أعلم بمراد أوليائه.

وحـــين أويس لم يـــحسّ بـــذاتـــه **وطـينته صـارت إلى عـالم السـما**

وذات المـــذاق المـــرديفت بسكّـــر **فـلم يـتجرّع طـعمها المـرء عـلقما**

وهذا الطليق الحرّ من شكـل نـطفةٍ **دع ا لشكل مـا أعـلاه حـرّاً وأعـظما**

اللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ ...

الشرح: التبرّك: التيمّن بالشيء، كما جاء في كتاب «منتهى الإرب» وهو يوافق ما هو مذكور في القاوس والصحاح وغيرهما، وهو مشتقّ من البركة بمعنى النماء والزيادة وذخيرة السعادة. والأصل في معنى البركة من برك البعير إذا أناخ في موضع فلزمه، ولمّا كان مبرك البعير يستلزم الثبوت والدوام قياساً إلى حاله في الحركة، والأمر السعيد الباقي المتزايد إذا كان ثابتاً استعمل فيه، كما قال ابن الأثير في النهاية: اللهمّ بارك على محمّد وآل محمّد، أي ثبّت وأدِمْ له ما أعطيت من التشريف والكرامة. وسمّي الحوض بركة لأنّ الماء يدوم فيه، كما في الصحاح حيث قال ذلك: «ويقال: سمّيت بذلك لإقامة الماء» وترجع سائر الاستعمالات أيضاً إلى هذا المعنى.

وقال ابن الأثير في النهاية بعد ذكره معنى البروك ومعنى الزيادة والنماء: «والأصل الأوّل» والوجه ما بيّناه.

وفي شرح الصحيفة عن الراغب الاصفهاني وهو من مهرة أهل الصناعة هذه أنّه قال: «البركة ثبوت الخير الإلٰهي» وهذا الكلام شاهد على التحقيق السالف.

وهذا النوع من التوسّع في لغة العرب ليست من القلّة بحيث يمكن الإحاطة بها، من هذه الجهة أنكر بعض فقهاء اللغة الاشتراك فيها وهذا وإن لم يكن صحيحاً قطعاً إلّا أنّ أكثر موارد الاشتراك ـ اللفظي ـ وقد حسبه اللغويّون القشريّون متعدّد المعنى وتابعهم السطحيّون من أهل الصناعات وجروا على ظواهر كلامهم ـ راجع إلى الاشتراك المعنوي وإلى المناسبات البعيدة والانتقالات الخ فيّة وقد كانت بنظر اللغويّين في بدو الانتقال قريبة ظاهرة إلّا أنّ تطاول الزمان ونسيان القرائن أخفت المناسبة فكان الاشتراك لذلك، فمن كان يتتبع بذهن وقّاد كتب

الأُدباء العارفين بالحقيقة والباحثين عن الدقيقة أصحاب الإجادة والتصرّف مثل السيّدين الجليلين ـ رضي الله عنهما ـ المرتضى والرضي، ونجم الأئمّة والسيّد عليخان والزمخشري، والمطرّزي، والخطيب التبريزي، والراغب الاصفهاني والجوهري أحياناً، والفيّومي وابن الأثير وغيرهم من أصحاب معرفة لباب معاني البيان ونيل حقائق مقاصد الكلام، شريطة أن يكون على بصيرة من وجوه الاستفادات وبيانات القوم، وطريقة العرب عند التحوّل في أساليب المعاني وفنون التعبير فإنّه يستطيع بمعونة الملكة القويّة والطريقة السويّة أن يلمّ بالمناسبات والقرائن في كثير من المواضع، ويصبح نسّابة اللغة ومحقّقاً في فنّ الأدب.

وأخيراً نقول: إنّ تبرّك بني أُميّة في مثل هذا اليوم المشئوم على وجوه:

الأوّل: ادّخار القوت والأطعمة في هذا اليوم إعلاناً للسرور بقتل الإمام المظلوم، وهذه ثلمة كبيرة في الإسلام ـ وهي علامة على الخيبة والخسران ومنبع الفساد والعار ـ حيث اعتبروه يوم فتح وظفر وادّخروا أطايب الطعام فيه إلى العام القادم؛ لأنّه يوم سعادة لهم وسعة في الرزق ورغد في العيش كما جاء في الأخبار المأثورة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام فقد نهوا عن هذا الأمر مراراً وتكراراً من باب التعريض ببني أُميّة لعنهم الله.

ففي الأمالي والعيون وغيرهما وسيق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيدالله بن زياد

وعمر بن سعد لعنهم الله إلى أسفل درك من النار[١].

وقال شيخ الطائفة ـ قدّس الله نفسه الزكيّة ـ في «المصباح الكبير» بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام ضمن خبر طويل في آداب أعمال يوم عاشوراء الذي قرأناه في الباب الأوّل من شرح سند الزيارة المقدّسة الشريف على التمام أنّه قال لعلقمة: وإن استطعت أن لا تنتشر يومك في حاجة فافعل فإنّه يوم نحس لا تقضى فيه حاجة مؤمن فإن قضيت لم يُبارك ولم ير فيها رشداً، ولا يدّخرنّ أحدكم لمنزله فيه شيئاً، فمن ادّخر في ذلك اليوم شيئاً لم يبارك له فيما ادّخره، ولم يبارك له في أهله... الخ[٢].

كناية عن أولئك الذين طعموا من تلك الذخيرة فإنّ الله يسلب منهم البركة جميعاً من العلم والعمل والرزق والمعاش والدين والدنيا، ويلازمهم الشؤم والنحس، وينتقلون من خزي الدنيا إلى عذاب الآخرة، والله عالم بمراد أوليائه.

وأخبار أُخرى حول هذا المعنى يجدها المتتبّع، وتوجد أخبار في كتب العامّة تطابق ما ذكره الأئمّة من منع الادّخار والتبرّك الأموي لا فائدة من ذكرها.

الوجه الآخر من وجوه التبرّك، إقامة تقاليد العيد من التوسعة على العيال وتجديد الثياب وقصّ الشارب وتقليم الأظفار والمصافحة والمعايدات الأُخرى التي درج الناس على اتخاذها في الأعياد، وهي سنّة بني أُميّة وأتباعهم ـ وهم عامّة أهل السنّة والجماعة ـ التي جروا عليها كما يشاهد اليوم فعلاً في بلادهم لاسيّما البلاد النائية عن بلاد التشيّع مثل مكّة والمدينة، فقد اعتادوا على تسمية هذا اليوم

---

(١) أمالي الصدوق: ١١٢ المجلس السابع والعشرون، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤، عوالم العلوم، مجلّد الإمام الحسين عليه السلام: ٥٤٠ عن الأمالي. (هامش الأصل) اللفظ للأمالي: ١٢٩ في نسخة المترجم.

(٢) مصباح الطوسي: ٥٣٨ ـ ٥٤٢، كامل الزيارات: ١٧٤، بحار الأنوار ٩٨: ٢٩٠ و٢٩٦ ط لبنان. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المصباح: ص٧٧٣.

(بعيد العاشور» وبالغوا في إظهار المسرّات به بحيث لا يشبه ما يجري فيه من التقاليد والأفراح أيّ عيد من أعيادهم، من يشاهد حالات أهل المدينة في يوم عاشوراء الذين هم شرار خلق الله ـ كما ورد في حديث معتبر ـ يقف على ما يضمرون في خواطرهم من أنواع المسرّات في ذلك اليوم، كيف يظهرون الفرح والنشاط في يوم وقوع هذه المصيبة العظيمة ؟!

خاطب عبدالملك بن حبيب السلمي ـ وهو عالم الأندلسيّين ويقال عنه أنّه ألّف ألف كتاب ـ واحداً من خلفاء بني أُميّة وهنّأه في يوم عاشوراء بهذه الأبيات:

لا تنس لا ينسك الرحمن عاشورا ... واذكره لا زلت في التاريخ مذكورا

قال النبيّ صلاة الله تشمله ... قولاً وجدنا عليه الحقّ والنورا

فيمن توسّع في إنفاق موسمه ... أن لا يزال بذاك العام ميسورا

وقال في نفح الطيب: وهذا البيت الثالث نسيت لفظه فكتبته بالمعنى والوزن إذ طال عهدي به، والله تعالى أعلم[1].

وانظر كيف حرّضه على الإنفاق وحرّكه على التوسعة في يوم عاشوراء ونسبه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: من وسّع في الإنفاق في هذا اليوم وسّع عليه في العام كلّه وقضى عامه باليسر والراحة، نعوذ بالله من هكذا أكاذيب التي أُضيفت إلى الشريعة وألصقوها بالله ورسوله، فما أحسن ما قاله عالم حكيم متّزن الأخلاق:

دين تو را در پى آرايشند ... در پى آرايش و پيرايشند

بسكه بر او بسته شده برگ و ساز ... گر تو ببينى نشناسيش باز

حملوا دينك ما لم يحتمل ... بالأكاذيب وأقوال السفل

غيّروا الدين فلو أبصرته ... لم يكن ديناً من الله نزل

---

(١) نفح الطيب ٢: ٢. (المترجم)

ولقد جمع الشاعر الفاضل أحمد بن منير الطرابلسي رحمة الله عليه في قصيدته التتريّة التي خاطب بها السيّد الشريف الأجل المرتضى الرازي وهو متأخّر عن السيّد الأجل الأعظم المرتضى ذي المجدين قدّس سرّه الزكي وألحقه بالمقام العلي العلوي، وعمي على الكثيرين أنّ الخطاب معه عقائد أهل السنّة، والعجيب في أنّ جماعة منهم مثل تقي الدين ابن حجّة في كتاب ثمرات الأوراق أنّ القصيدة تطابق معتقداتهم، وفي هذه القصيدة يشير إلى الأُمور المتعلّقة بيوم عاشوراء جميعها، فيقول:

وحلقت في عشر المحرّم	ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره	وصيام أيّام أُخر
ولبست فيه أجلّ ثوب	للملابس يدّخر
وسهرت في طبخ الحبوب	من العشاء إلى السحر
وغدوت مكتحلاً أُصافح	من لقيت من البشر
ووقفت في وسط الطريق	أقصُّ شارب من غَبَر

الأمر الثالث من وجوه التبرّك: الالتزام باستحباب صوم هذا اليوم وقد وضعوا في ذلك أخباراً كثيرة والتزموا بصيام هذا اليوم كما صرّحوا في متون شروح كتب الفتوى وكتب أخبارهم باستحباب صومه، وتأكّد ندبه من غير وجه، وإن كان لي معهم موقف حوار ونقاش على مبناهم معهم وسنوافيك به في آخر البحث إن شاء الله تعالى، وسمعت الإشارة إليه في شعر ابن منير.

والظاهر أنّ التطابق على الاستحباب وفضله حاصل من المذاهب الأربعة ولا خلاف عندهم في المسألة لأنّ المسألة أساساً تعود إلى أُصولهم وهي معاداة أهل البيت عليهم السلام وهو قاسم مشترك بين الطوايف الأربعة ولا اختصاص له بطائفة دون أُخرى، ويجب أن تعلم أنّ أخباراً في استحباب صوم عاشوراء وردت من طرقنا

وأخباراً تذمّ ذلك، ويناسب هذا المقام الإتيان بشطر من أخبار القسمين ونذكر بعضاً من وجوه رفع التعارض الذي ذكره العلماء رضوان الله عليهم، ونذكر في أثناء ذلك ما يعن لنا من الأفكار التي يسدّد لها الباري سبحانه بفضل واستمداد أهل البيت عليهم السلام، فنقول إذاً:

روى الشيخ رحمه الله في التهذيب وساق السند إلى أبي همام أنّ الإمام أبا الحسن الرضا عليه السلام قال: صام رسول الله يوم عاشوراء[١].

وفي سنده إلى مسعدة بن صدقة روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه روى عن الإمام الباقر عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال: صوموا العاشوراء التاسع والعاشر فإنّه يكفّر ذنوب سنة[٢].

وكذلك أسند عن عبدالله بن ميمون القدّاح عن الصادق عليه السلام عن أبيه أنّه قال: صيام يوم عاشوراء كفّارة سنة[٣].

وأسند عن جعفر بن عثمان أنّه روى عن صادق آل محمّد أنّه قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله كثيراً ما يتفل في يوم عاشوراء في أفواه الأطفال المراضيع من ولد فاطمة عليها السلام من ريقه فيقول: ما نطعمهم شيئاً إلى الليل. وكان يروون من ريق رسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الوحش تصوم يوم عاشوراء على عهد داود[٤].

وأسند أيضاً عن الزهري عن عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ يوم عاشوراء من الأيّام

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢٠ الرقم ١ ص٣٣٧. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٢٩٩. (المترجم)

(٢) وسائل الشيعة، باب ٢٠ الرقم ٢. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٢٩٩. (المترجم)

(٣) وسائل الشيعة، باب ٢٠ الرقم ٣. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٢٩٩. (المترجم)

(٤) وسائل الشيعة، باب ٢٠ الرقم ٤. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٣٠٩ باب الزيادات. (المترجم)

التي يكون المرء في صومه بالخيار؛ إن شاء صام وإن شاء أفطر[١].

وأسند أيضاً عن كثير النوا عن الإمام أبي جعفر عليه السلام إنّه قال: لزقت السفينة ـ سفينة نوح ـ يوم عاشوراء على الجودي فأمر نوح عليه السلام من معه من الجنّ والإنس أن يصوموا ذلك اليوم...[٢].

وهذه مجموع الأخبار الواردة في استحباب صوم يوم عاشورا التي أوردها الشيخ شرف الله قدره في التهذيب واقتصر عليها في كتب الاستدلال والأخبار المعتبرة مثل (الوسائل).

وأمّا أخبار المنع: فإنّ الصدوق رحمه الله بإسناده عن زرارة ومحمّد بن مسلم رضي الله عنهما روى عنهما أنّهما سألا أبا جعفر الباقر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء، فقال: كان صومه قبل شهر رمضان فلمّا نزل شهر رمضان ترك[٣].

وساق الكليني روّح الله رمسه السند إلى عبدالملك بأنّه قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن صوم تاسوعاء وعاشوراء من شهر المحرّم، فقال: تاسوعاء يوم حوصر فيه الحسين وأصحابه رضي الله عنهم بكربلاء واجتمع عليه خيل أهل الشام وأناخوا عليه وفرح ابن مرجانة وعمر بن سعد بتوافر الخيل وكثرتها، واستضعفوا فيه الحسين صلوات الله عليه وأصحابه رضي الله عنهم وأيقنوا أن لا يأتي الحسين عليه السلام ناصر ولا يمدّه أهل العراق بأبي المستضعف الغريب.

ثمّ قال: وأمّا يوم عاشوراء فيوم أُصيب فيه الحسين عليه السلام صريعاً بين أصحابه، وأصحابه صرعى حوله عراة، أفصوم يكون في ذلك اليوم؟ كلّا وربّ البيت

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، الباب ٢٠ الرقم ٦. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٢٩٦ باب ٦٧ وجوه الصيام. (المترجم)

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، الباب ٢٠ الرقم ٥. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٣٠٠. (المترجم)

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢١ الرقم ١ (هامش الأصل) و ١٠: ٤٥٩. (المترجم)

الحرام، ما هو يوم صوم وما هو إلّا يوم حزن ومصيبة دخلت على أهل السماء وأهل الأرض وجميع المؤمنين، ويوم فرح وسرور لابن مرجانة وآل زياد وأهل الشام غضب الله عليهم وعلى ذرّيّاتهم، وذلك يوم بكت عليه جميع بقاع الأرض خلا بقعة الشام؛ فمن صامه أو تبرّك به حشره الله مع آل زياد ممسوخ القلب مسخوطاً عليه، ومن ادّخر إلى منزله ذخيرة أعقبه الله تعالى نفاقاً في قلبه إلى يوم يلقاه، وانتزع البركة عنه وعن أهل بيته وولده، وشاركه الشيطان في جميع ذلك[١].

وفي الكافي والتهذيب أيضاً بإسنادهما عن جعفر بن عيسى اليقطيني قال: سألت الرضا عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء وما يقول الناس فيه، فقال: عن صوم ابن مرجانة لعنه الله تسألني، ذلك يوم ما صامه إلّا الأدعياء من آل زياد بقتل الحسين صلّى الله عليه، وهو يوم تشائم به آل محمّد صلى الله عليه وآله ويتشائم به أهل الإسلام، واليوم المتشائم به الإسلام وأهله، لا يصام ولا يتبرّك به، ويوم الاثنين يوم نحس قبض الله فيه نبيّه صلى الله عليه وآله وما أُصيبت آل محمّد إلّا في يوم الاثنين فتشائمنا به، وتبرّك به أعداءنا، ويوم عاشوراء قُتل الحسين وتبرّك به ابن مرجانة وتشائم به آل محمّد فمن صامها وتبرّك بهما لقي الله عزّ وجلّ ممسوخ القلب، وكان محشره مع الذين سنّوا صومهما وتبرّكوا بهما[٢].

وفي أصل زيد النرسي وهو من الأُصول المعتبرة ونحن أثبتنا في علم الرجال في موضعه منها (حاشية رجال النجاشي) إجمالاً وتفصيلاً اعتباره، ونقل عنه في الكافي والتهذيب أيضاً، يقول: سمعت عبيد بن زرارة يسأل أبا عبدالله عليه السلام عن

---

(١) وسائل الشيعة باب ٢١ الرقم ٢، الكافي ٤: ١٤٧. (المترجم)

(٢) وسائل الشيعة، باب ٢١ الرقم ٢. (هامش الأصل) تهذيب الأحكام ٤: ٣٠١ واللفظ له، والكافي ٤: ١٤٦. (المترجم)

صوم يوم عاشوراء، فقال: من صامه كان حظّه من صيام ذلك اليوم حظّ ابن مرجانة وآل زياد.

قال: قلت: وما كان حظّهم من ذلك اليوم؟ قال: النار، أعاذنا الله من النار ومن عمل يقرّب من النار..[١]

والحديث ذاته أثبته الشيخ المفيد قدّس الله سرّه السعيد أيضاً في كتاب المقنعة بإرسال معتمد[٢].

وكذلك حدّث ثقة الإسلام ضاعف الله قدره وشيخ الطائفة رفع الله ذكره عن نجيّة بن الحارث العطّار مسنداً أنّه قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن صوم يوم عاشوراء فقال: صوم متروك بنزول شهر رمضان، والمتروك بدعة.

قال نجبة: فسألت أبا عبدالله عليه السلام من بعد أبيه عليه السلام عن ذلك، فأجابني بمثل جواب أبيه، ثمّ قال: أمّا إنّه صوم يوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنّة إلّا سنّة آل زياد بقتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليهما[٣].

وفي الكافي والتهذيب أيضاً مسنداً عن زرارة رحمه الله أنّه روى عن الصادقين عليهما السلام قالا: لا تصم في يوم عاشوراء ولا عرفة بمكّة ولا في المدينة ولا في وطنك ولا في مصر من الأمصار[٤] إذا كان ينافي الدعاء، وهذا القيد موصول بالأخبار الأُخرى.

---

(١) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢١ الرقم ٤. (هامش الأصل) ١٠: ٤٦١. (المترجم)

(٢) المقنعة: ٣٧٧ ط قم ١٤١٠ تحقيق جامعة المدرّسين. (المترجم)

(٣) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢١ الرقم ٥. (هامش الأصل) الكافي ٤: ١٤٦ باب صوم عرفة وعاشوراء، تهذيب الأحكام ٢: ٣٠١ ح١٣ باب المواقيت. (المترجم)

(٤) وسائل الشيعة، كتاب الصوم، باب ٢١ الرقم ٦. (هامش الأصل) الكافي ٤: ١٤٦، والتهذيب ٤: ٣٠٠ ولم أعثر على القيد في الكتب الثلاثة. (المترجم)

وفي التهذيب ومجالس الشيخ اعزّ الله شأنه وساق السند إلى أبي غندر[١] عن أبيه عن أبي عبدالله قال: سألته عن صوم يوم عرفة، فقال: عيد من أعياد المسلمين ويوم دعاء ومسألة، قلت: فصوم عاشوراء، قال: ذاك يوم قُتل فيه الحسين عليه السلام فإن كنت شامتاً فصُم، ثمّ قال: إنّ آل أُميّة نذروا نذراً إن قُتل الحسين عليه السلام أن يتّخذوا ذلك اليوم عيداً لهم يصومون فيه شكراً ويُفرحون أولادهم، فصارت في آل أبي سفيان سنّة إلى اليوم فلذلك يصومونه ويدخلون على عيالاتهم وأهاليهم الفرح ذلك اليوم.

ثمّ قال: إنّ الصوم لا يكون للمصيبة ولا يكون إلّا شكراً للسلامة، وإنّ الحسين عليه السلام أُصيب يوم عاشوراء فإن كنت فيمن أُصيب به فلا تصُم، وإن كنت شامتاً ممّن سرّه سلامة بني أُميّة فصُم شكراً لله تعالى[٢].

هذه جملة من الأخبار الواردة في المنع من صوم يوم عاشوراء والاختلاف ظاهر بين الطائفتين من الأخبار، لهذا عمد علماء الشيعة رضوان الله عليهم إلى الجمع بينها وتوجيهها، وخطر لي عدد من الوجوه في رفع التنافي والاختلاف بينها من خلال تتبّعي في مطاوي كلمات الأصحاب.

الوجه الأوّل

أنّ الصوم يقع على قسمين: الأوّل: صوم الترك وعنوانه التعييد والمسرّة، والثاني صوم الحزن لمن ألمّت بهم المصيبة وتنزل الأخبار الناهية على القسم

---

(١) في السند الحسين بن أبي غندر. (المترجم) وقال المحقّق: أبو غندر، بضمّ العين المعجمة وسكون النون كما أثبت ذلك العلّامة في الإيضاح. (منه عليه السلام)

(٢) وسائل الشيعة، كتاب الصوم باب ٢١ الرقم ٧، بحار الأنوار ٤٥: ٩٥. (هامش الأصل) وسائل الشيعة ١٠: ٤٦٢. (المترجم)

الأوّل، وأخبار الإذن بالصوم على القسم الثاني. فارتفع الاختلاف بهذا. ونسبوا هذا الجمع إلى المشهور بل ادّعوا عليه الإجماع كما أنّ عبارات الغنية تشتمل عليه. وفي الرياض والجواهر نفي وجود الخلاف لاستحباب الحزن والإنصاف يقضي سقوط هذا الجمع إذ ليس له طريق في مشرب الاستدلال، ولا مسرح في وادي الصحّة لأنّه:

أوّلاً: نأتي إلى أخبار الطائفة الأُولى فنجدها من حيث السند لا تقوم بمقابلة الأخبار المانعة لأنّ خبر «مسعدة» في هذا الموضع ليس بحجّة لأنّه باعتراف الكشّي والشيخ في الفهرست والاختيار[1] والعلّامة ﷺ في الخلاصة وغيرهم، عاميّ المذهب ومن الطائفة الخبيثة البتريّة وهي أخبث فرق الزيديّة مضافاً إلى أنّ هارون بن مسلم الراوي عنه بتصريح النجاشي والعلّامة قدّس سرّهما يقول بمذهب أهل الجبر والتشبيه، وهذا كاشف عن فساد مذهبه وإن كان قد وثّقوه.

وفي الخبر الثاني عبدالله بن ميمون القدّاح نقل الكشّي عن جبرئيل، عن محمّد ابن عيسى أنّه زيديّ المذهب ولا وجه لتضعيف هذا السند لأنّ جبرئيل بن أحمد معتمد عند الكشّيّ وهذه أمارة الجلالة بل الوثاقة، ومحمّد بن عيسى من أجلّة الثقات، وسياق رواية عبدالله حيث عبّر عن الإمام الصادق بجعفر في خصوص هذا الخبر شهادة إجماليّة على المدّعى كما أنّ علمائنا في كثير من المواضع استدلّوا بهذا التعبير على الانحراف.

وفي الخبرالثالث جعفر بن عثمان مشترك بين جماعة ويونس بن هشام مجهول.

---

(١) وإن كان الموجود في أيدينا من زمان العلّامة إلى زماننا هو اختيار الكشّي ونحن أبنّا في (رسالة قاعدة الإجماع) مشروحاً أنّ جميع ما في (اختيارات معرفة الرجال) هو مذهب الشيخ الطوسي مِن ثَمّ نسبناه إليه في الاختيار. (منه ﷺ)

وفي الخبر الرابع كثير النوا وهو من أخبث الطوائف يعني العامّة البتريّة.

وفي الخبر الخامس الزهري وفسقه مع كفر إبليس توأمان، والعجب أنّهم يقابلون بهذه الأخبار مع قلّة العدد وضعف السند الأخبار الناهية ثمّ يقومون بمحاولة الجمع بينها، والروايات الناهية جميعها معتبرة يعضدها تعدّدها ووجودها في الكتب المعتبرة والأُصول المعتمدة وسلامة أسانيدها غالباً.

فتبيّن الآن أن لا تكافئ بين الأخبار كما صرّح بذلك جماعة.

وثانياً: الأخبار المانعة توافق أعمال الشيعة وأُصولها، والأخبار المجوّزة توافق مذهب أهل السنّة والجماعة.

وثالثاً: الأخبار المجوّزة ضعيفة الدلالة على المطلوب لأنّ الخبر الأوّل يجتمع مع النسخ وسوف نبيّن عمّا قريب أنّ جماعة قالوا بوجوب صوم عاشوراء قبل شهر رمضان، وبناءاً على هذا جملة (صام رسول الله يوم عاشورا) لا تدلّ إلّا على الوقوع في الجملة.

والخبر الثالث لا دلالة فيه على العموم الاصطلاحي لأنّه أثبت الصوم للأطفال والوحش، وسوف ترى قريباً أنّه مُنَزَّلٌ على الوجه المختار.

وحديث كثير النوا لا يدلّ على الندب؛ لأنّ حكاية صوم نوح إنّما كان بعلّة خاصّة وهي لزوق السفينة على الجودي وهو مبنيّ على صحّة القول باستصحاب أحكام الشرايع السابقة بعد تسليمنا بأنّ خصوصيّة فعل في موضع مخصوص لا يدلّ على الشرعيّة المطلقة.

وحديث الظهر غير ظاهر في الاستحباب على وجه خاصّ؛ لأنّ معنى الإباحة في العبادات أنّ العمل ثابت على الثواب المقرّر لطبيعته فلا هو زائد عليها ليكون مستحبّاً، ولا ناقصاً عنها ليكون مكروهاً، والأخبار المانعة كلّ خبر منها يدلّ على المنع بألسنة مختلفة، ويضيف الصائمين في قائمة ابن زياد وجنده ويزيد وأتباعه، وكفى به خزياً وهواناً.

ورابعاً: إنّ الأخبار المانعة باعتراف الفئة التي حاولت الجمع بينها تامّة الحجّيّة وقد بلغت نصاب الكمال في صحّة الاحتجاج بها، وقد كان التصريح فيها والتنصيص على خلاف الجمع كما في حديث عبدالملك: «**ما هو يوم صوم وما هو** إلّا يوم حزن» وهذا صريح في أنّ الحزن لا يناسب الصوم بل الوارد في الأخبار الكثيرة عن الفريقين أنّ الصوم من وظايف الأعياد ولوازم الشكر والامتنان للمنعم.

وفي خبر جعفر بن عيسى اختلاف العنوانين في التبرّك والصوم، وحينئذٍ حمل الصوم المنهيّ عنه على التبرّك خلاف الظاهر.

وفي خبر أبي غندر صرّح بأنّ الصوم لا يكون على المصيبة وإنّما هو للشكر على السلامة حيث قال: «فإن كنت شامتاً فصُم» وهذه الفقرة صريحة بأنّ الصوم معلول للشماتة ولو كان له وجه آخر متصوّر لا يصحّ هذا التعليق من الإمام عليه السلام الصريح في العلّيّة المنحصرة وضعاً أو إطلاقاً، كما هو مقرّر في علم الأُصول، وكما هو واضح لذوي العلم والفهم كفلق الصبح ونور الشمس.

ومع وجود هذه التصريحات يكون الجمع بمثابة الطرح، وأخيراً هذا الجمع لا يصحّ بوجه من الوجوه ولا صحّة للشهرة والإجماع بل لم أجد للقائل تابعاً من الأوائل إلى الأواخر كما سأشرحه.

الوجه الثاني

الذي احتمله المحقّق الأردبيلي رحمه الله أنّ الأخبار المجوّزة منسوخة، وهذا الاحتمال معتضد ببعض الأخبار الدالّة على أنّ صوم يوم عاشوراء كان واجباً أوّلاً ثمّ ترك كما سمعت في صحيحة زرارة، وخبر نجيّة بن الحارث، وجاء في كتب الصحاح لأهل السنّة وتواريخهم أنّ صوم يوم عاشوراء فرض في السنة الأُولى من الهجرة وفي السنة الثانية نسخ بشهر رمضان وإن اختلفوا في وجه فرضه.

البخاري و(صحيح مسلم) و(الترمذي) نقلوا ببعض الطرق أنّ النبيّ ﷺ دخل المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء، فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح، هذا يوم نجّى الله بني إسرائيل من عدوّهم، فصامه موسى. قال: فأنا أحقّ بموسى منكم، فصامه وأمر بصيامه[١].

وفي بعض طرق مسلم والترمذي أنّ عاشوراء يوم تصومه قريش في الجاهليّة وكان رسول الله يصومه، فلمّا قدم المدينة صامه وأمر الناس بصيامه[٢].

ولكن المتأمّل في أخبار كربلاء وأخبار الصوم يجزم بأنّ عاشوراء من بدو العالم كان يوم مصيبة وغمّ وهمّ، بل ورد في بعض الأخبار أنّ الوحوش والطيور أيضاً تعزف عن الأكل والشرب كما سمعت في خبر عبدالله بن ميمون القدّاح أنّ الوحوش كانت تصومه في عهد داود[٣] ومنع الأطفال من الأكل والشرب مُنَزَّل على هذا المعنى لا على الصوم الاختياري، وروايات أُخرى في أبواب كتب المقاتل بهذا المعنى كثيرة جدّاً.

وحكايات كثيرة وقصص في كتب التاريخ منها ما جاء في (إنسان العيون) منقولاً عن أحدهم أنّه اعتقاد تقديم فتات الخبز والحبّ إلى النمل فإذا كان يوم عاشوراء عزفت النمل عن الأكل[٤]. واعتبروا هذه الحكاية شاهداً على استحباب صيام يوم العاشر ولكنّهم كشفوا السرّ عن منتهى شقائهم ونصبهم.

وفي خبر آخر نقله العامّة: أوّل طائر صام يوم عاشوراء الصرد[٥]. وحكم

---

(١) صحيح البخاري رقم الحديث ١٩٦٢، وصحيح مسلم رقم الحديث ٢٦١١ واللفظ للبخاري.

(٢) الترمذي رقم الحديث ٧٤٧. (المترجم)

(٣) خبر جعفر بن عثمان عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام. (هامش الأصل)

(٤) مقتل الخوارزمي ٢: ٩١ط الغري، إحقاق الحقّ ١١: ٤٩٠. (هامش الأصل) والخبر مترجَم.

(٥) قال القرطبي: ويقال له: الصرد الصوام. روينا في معجم عبد الغني بن قانع عن أبي غليظة بن خلف

بوضعه الحاكم في المستدرك[١]. لو صحّ هذا الحديث ولم يكن كذباً فإنّ الصرد أوّل طائر تنبّه إلى مأتم سيّدالشهداء ومنع نفسه من اللذائذ في يوم عاشوراء ...[٢].

الجمحي قال: رآني رسول الله ﷺ وعلى يده صردة، فقال: هذا أوّل طائر صام يوم عاشوراء. وكذلك أخرجه الحافظ أبو موسى والحديث مثل اسمه غليظ. قال الحاكم: وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين عليه السلام رواه أبو عبدالله ابن معاوية بن موسى بن أبي غليظ، قال: رآني رسول الله وعلى يده صرد، قال: هذا أوّل طير صام عاشوراء. (بحار الأنوار ٦١: ٢٦١، مستدرك السفينة ذيل صرد)

(١) لم أعثر على مطلب كهذا في المستدرك، ولعلّ المؤلّف العظيم أخذ هذا من البحار، وفيه: قال الحاكم: وهو من الأحاديث التي وضعها قتلة الحسين، وهذه العبارة حملته على القول بتكذيب الحاكم له.

(٢) يؤيّد هذا الحديث روايات الشيعة:

* حسين بن أبي غندر عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول في البومة، فقال: هل أحد منكم رآها نهاراً؟ قيل له: لا تكاد تظهر بالنهار ولا تظهر إلّا ليلاً. قال: أمّا إنّها لم تزل تأوي العمران أبداً ولا تأوي إلّا الخراب، فلا تزال نهارها صائمة حزينة حتّى يجنّها الليل، فإذا جنّها الليل فلا تزال ترنّ على الحسين حتّى تصبح[١].

* ابن فضّال، عن رجل، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ البومة لتصوم النهار فإذا أفطرت تدلّهت [ندبت ـ المصدر] على الحسين حتّى تصبح[٢].

* الحسن بن عليّ الهيثمي قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: يا أبا يعقوب، رأيت بومة قطّ تنفّس بالنهار؟ فقال: لا، قال: وتدري لم؟ قال: لا، قال: لأنّها تظلّ يومها صائمة [على ما رزقها الله] فإذا جنّها الليل أفطرت على ما رُزقت، ثمّ لم تزل ترنّم [ترنّ ـ خ] على الحسين عليه السلام حتّى تصبح[٣].

* حكيم بن داود بن حكيم، عن سلمة، عن الحسين بن عليّ بن صاعد البربري قيّماً لقبر الرضا عليه السلام قال: حدّثني أبي قال: دخلت على الرضا عليه السلام فقال لي: ترى هذه البومة، ما يقول الناس؟ قال: قلت: جعلت فداك، نسألك، قال: فقال لي: هذه البومة كانت على عهد جدّي رسول الله ﷺ تأوي المنازل والقصور والدور، وكانت إذا أكل الناس الطعام تطير فتقع أمامهم فيرمى إليها الطعام وتستقي ثمّ ترجع إلى مكانها،

---

(١) كامل الزيارات: ٩٨، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٣، عوالم العلوم: ٤٩٢.

(٢) كامل الزيارات: ٩٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤.

(٣) كامل الزيارات: ٩٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤، عوالم العلوم: ٤٩٢.

ويظهر من أخبار الصوم في كتب الفريقين أنّه خاصّ بالشكر والسعادة بالأعياد، ورفع شرف قدر الأيّام المخصوصة.

ومن ملاحظة هذين الأمرين في يوم عاشوراء، يتبيّن لنا أنّه من بدو العالم لم يكن الصوم الاصطلاحي مستحبّاً على الإطلاق كما يظهر من بعض الأخبار المشرعة له والتي أشرت إليها. ويعلم أيضاً أنّ صيام اليهود بسبب سرورهم واتّباع نبيّهم لمواطئة مسرّتهم.

وعلامة أُخرى تدلّ على كذب هذه الأخبار المذكورة أنّ غرق فرعون وجنوده لم يكن في يوم عاشوراء وهذا الخبر من الموضوعات كما ستستمع إليه في خبر ميثم إن شاء الله، وخبر نجيّة بن الحارث، وقوله عليه السلام: «أمّا إنّه صوم ما نزل به كتاب ولا جرت به سنّة» شاهد عدل على صدق هذا المدّعى.

ويؤيّد هذا المعنى ما نقله السيّد الأجلّ الأعظم رضي الدين ابن طاووس ـ نفعنا الله بعلومه ـ في كتاب الإقبال عن كتاب «تاريخ نيشابور للحاكم» في ترجمة نصر ابن عبدالله النيشابوري وساق السند إلى سعيد بن المسيّب عن سعدان أنّه قال: «إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لم يصُم عاشوراء» وهذا صريح في كذب ادّعاء تشريع الصوم مع أنّ الراوي من معتمدي أهل السنّة.

وأخيراً نقول: إنّ الظاهر من أخبار النسخ أيضاً أنّها من أجل التقيّة كما أشرنا إلى أنّ طريقة القوم مشعرة بهذا، ومن هذه الجهة نفى بعض علمائنا رضي الله عنهم أصل تشريع صوم عاشوراء مطلقاً ولم يعمل بمقتضى هذه الأخبار كما أُشير

➲ ولمّا قتل الحسين بن عليّ صلوات الله (وسلامه) عليهما خرجت من العمران إلى الخراب والجبال والبراري، وقالت: بئس الأُمّة أنتم، قتلتم ابن بنت نبيّكم ولا آمنكم على نفسي[1].

---

(١) كامل الزيارات: ٩٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٤، عوالم العلوم: ٤٩٣. (هامش الأصل)

إلى هذا المطلب في (مجمع الزيادة) و(الذخيرة) وغيرهما، فتبيّن ممّا قلناه أنّ احتمال النسخ باعتباره مؤسّساً على حكم سابق ضعيف مضافاً إلى أنّ هذا الاحتمال لو كان جارياً فإنّما يجري في الخبر الحاكي عن صوم رسول الله ﷺ، وعلى فرض سريانه إلى الخبر المنقول عن أميرالمؤمنين عليه السلام فإنّه يتمّ على وجه نقول فيه: إنّ كلا الخبرين يتعلّقان بما قبل النسخ ولكن على الخبرين الأخيرين لا يجري هذا الاحتمال إلّا في صورة واحدة وذلك بالتزامنا بوجود الناسخ والمنسوخ في أخبار الأئمّة أيضاً، وهذا المعنى وإن كنّا قوّيناه في بحوث الأُصول وفي باب توجيه تأخير التخصيص والتقييد عن العام بوجه لا نراه في هذا المقام يستحقّ الإشادة والذكر خلا أنّ هذا التوجيه لا يتمشّى في الأخبار المجوّزة لأنّ الشيعة قبل صدور هذه الأخبار وأعطف عليهم خواصّ المحبّين ما كانوا يصومون يوم عاشوراء بعنوان الاستحباب الخاصّ قطعاً ولم يكن الحكم فيه طبقاً لما تقدّم كما يفهم من الأخبار الناهية صراحةً.

الوجه الثالث

حمل أخبار التجويز على تقيّة الإمام عليه السلام في بيان الحكم أو بيان الحكم الواقعي للمبتلى به تقيّةً، وبناءاً على هذا فإنّ بعضهم أفتى بحرمة صوم يوم عاشوراء مطلقاً، وبعضهم أفتى بالحرمة بشرط الخصوصيّة في يوم عاشوراء، والإشكال على هذا القول بالإجماع أو الشهرة المحقّقة لا وجه له. وإن أصرّا في الرياض والجواهر على ذلك نظراً بما تقدّم في الوجه الأوّل من القول بالاستحباب على المشهور، وادّعى عليه الإجماع في الغنية، وكلا القولين محلّ إشكال لأنّ المحقّق الثاني في جامع المقاصد والشهيد الثاني في المسالك فسّروا عبارة المحقّق والعلّامة قدّست أسرارهم القائلين من جملة المستحبّات صوم يوم عاشوراء على

وجه الحزن بأنّ المراد من ذلك الإمساك قدراً من اليوم إلى بعد الزوال ثمّ يفطر الصائم بعد ذلك.

قال في (جامع المقاصد): أي صومه ليس معتبراً شرعاً بل هو إمساك بدون نيّة الصوم لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية فيستحبّ الإمساك فيه إلى بعد العصر حزناً وصومه شعار بني أُميّة سروراً بقتل الحسين عليه السلام[١].

وقال في المسالك: أشار بقوله «على وجه الحزن» إلى أنّ صومه ليس صوماً معتبراً شرعاً بل هو إمساك بدون نيّة الصوم لأنّ صومه متروك كما وردت به الرواية، وينبّه على ذلك قول الصادق عليه السلام: «صُمْه من غر تبييت وافطره من غير تشميت، وليكن فطرك بعد العصر» فهو عبارة عن ترك المفطرات اشتغالاً عنها بالحزن والمصيبة وينبغي أن يكون الإمساك المذكور بالنيّة[٢] (لأنّه عبادة).

وفي مجمع الزيادة والذخيرة احتملا أنّ المراد هذا المعنى بل استقرّ به في الذخيرة، وظاهر عنوان الوسائل أيضاً الموافقة على هذا كما هو معلوم للناظر.

ويقول الشيخ الفاضل عليّ بن شاه محمود البافقي وهو من معاصري المروّج المجلسي، وله ترجمة في أمل الآمل[٣] في كتابه منهاج الفلاح: «والمراد من الصوم إمساك بدون نيّة على وجه الحزن والغم؛ لأنّ بني أُميّة يصومون يوم عاشوراء على وجه السرور بقتل الحسين»، تمّت عبارته بعينها[٤].

---

(١) المحقّق الكركي، جامع المقاصد ٣: ٨٦ ط قم المهديّة ١٤٠٨.

(٢) الشهيد الثاني، مسالك الأفهام ٢: ٧٨ ط قم، بهمن، الأُولى ١٤١٣ هـ.

(٣) قال في أمل الآمل: مولانا عليّ بن شاه محمود البافقي فاضل صالح عابد معاصر، له كتب منها: منهاج الفلاح في أعمال السنة، وكتاب مجمع المسائل في الفقه، خرج منه الطهارة والصلاة، يجمع الفروع والأدلّة والأقوال والأحاديث، انتهى (منه قدس سره). (هامش الأصل)

(٤) العبارة مترجمة لأنّ الكتاب موضوع بالفارسيّة. (المترجم)

وما قاله بعض المتأخّرين من أنّ احتمال المسالك مناف لعبارة (المعتبر) لم أجد لها عيناً أو أثراً بعد الفحص التامّ في المعتبر، نعم نقل في المعتبر أخباراً مختلفة والجمع الأوّل المطابق لعبارة الشرايع منقول من تهذيب الشيخ وسوف يأتيك تأويل عبارة الشيخ.

وبعد تصريح هذين القدوتين المقدَّمَين والأُستاذين المعظّمين اللذان هما لسان الفقهاء وترجمان الأصحاب، ومن مرادهما يفهم المراد من عبارة المعتبر والتهذيب، ودليل هذا التفسير عبارة الشيخ في المصباح حيث يقول: فإذا كان يوم عاشوراء أمسك عن الطعام إلى بعد العصر ثمّ تناول شيئاً يسيراً من التربة[1]. لأنّه من الظاهر أن تتمّ معرفة كلام الشيخ في التهذيب من خلال فهم هذين العبارتين وبمعونتهما كما فهم ذلك هذان المحقّقان النحريران.

ومن جملة الأدلّة على المعنى المذكور هو أنّي وجدت في كتاب (مسار الشيعة) وهو من مصنّفات الشيخ المفيد المشهورة قدّس سرّه السعيد، حيث يقول: «وفي العاشر منه مقتل سيّدنا أبي عبدالله الحسين بن عليّ بن أبي طالب من سنة إحدى وستّين من الهجرة وهو يوم تجدّد فيه أحزان آل محمّد وشيعتهم، وقد جاءت الرواية عن الصادقين عليهما السلام باجتناب الملاذ فيه وإقامة سنن المصائب والإمساك عن الطعام والشراب إلى أن تزول الشمس والتغذّي بعد ذلك بما يتغذّى به أهل المصائب كالألبان وما أشبه بها دون الملاذ من الطعام والشراب» انتهى بألفاظه[2]. وهذا الكلام صريح على أنّ فتوى الشيخ المفيد على الوجه المذكور لا

---

(١) المصباح: ٥٤٧، بحار الأنوار ٤٥: ٦٣. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المصباح. ص ٧٧١ ط بيروت، فقه الشيعة، الطبعة الأُولى ١٤١١.

(٢) الشيخ المفيد، مسارّ الشيعة: ٤٣ ط دار المفيد ـ بيروت، الثانية ١٤١٤ هجريّة، والمؤلّف ساق ترجمة العبارة بالفارسيّة ثمّ أتبعها بالعربيّة فلم نجد ترجمة الترجمة لازمة لنا. (المترجم)

الصوم الاصطلاحي ـ ولمّا كان الشيخ الطوسي ﷺ نقل التوجيه المذكور من الشيخ المفيد علمنا أنّ مراده من الصوم الحزني هو ما تضمّنته عبارة الشيخ المفيد ﷺ الذي صرّح به الشيخ رضوان الله عليه في المصباح.

وبناءاً على هذا فإنّ جميع عبارات الأصحاب ما عدى طائفة منهم صرّحت بالخلاف مُنَزَّلٌ على هذا المعنى، إذاً فالمشهور عدم استحباب صوم يوم عاشوراء والعمل على طبق رواية المصباح عن عبدالله بن سنان كما تقرّر عمل الشيعة الإماميّة والسيرة القطعيّة على هذا.

وفي (مجمع الفائدة) ادّعى شهرة العمل على طبق هذه الرواية إجمالاً، وأفتى المحدّث الكاشاني والمروّج المجلسي ـ قدّس سرّهما ـ بأولويّة ترك الصوم ممّا ظاهره الكراهة.

وفي مجمع الفائدة والذخيرة كانا بين التقوية والترديد.

ومن المتأخّرين المحقّق النراقي والفقيه الورع الكلباسي الأولى عندهما الترك بل أفتى المحقّق النراقي بالحرمة إذا قصد بالصوم الخصوصيّة، ومع كلّ هذا من أين بدى [الاختلاف ـ ظ] والإجماع والشهرة.

والعجيب في الأمر أنّنا لو افترضنا عدم متابعة المحقّق الثاني والشهيد الثاني في معرفة مراد الأصحاب فكيف نستطيع هجران خلافهم. والمحدّث الكاشاني والعلّامة المجلسي والمحقّق الأردبيلي بل ما نسبه المحقّق الأردبيلي إلى رواية المصباح الظاهرة في عدم استحباب صوم يوم عاشوراء من العمل والشهرة، والفاضل البافقي وصاحب الرسائل في المسألة «بغير خلاف نجده» نقول كما في الجواهر والرياض، وأخيراً ينبغي نقل خبر المصباح بعينه كي لا نحتاج إلى ملاحظة كتاب آخر بعد ملاحظته.

روى الشيخ في المصباح عن عبدالله بن سنان ﷺ قال: دخلت على أبي عبدالله

في يوم عاشوراء فألفيته كاسف اللون، ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يابن رسول الله، ما بكاءك لا أبكى الله عينيك؟

فقال لي: أفي غفلة أنت؟ أما علمت أنّ الحسين بن عليّ أُصيب في مثل هذا اليوم؟

فقلت: يا سيّدي، فما قولك في صومه؟

فقال: صُمْه من غير تبييت، وافطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كما لا [كملا ـ الوسائل] وليكن إفطارك بعد [صلاة ـ الوسائل] العصر بساعة على شربة من ماء فإنّه في ذلك تجلّت الهيجاء [عن رسول الله ﷺ ـ الوسائل] وانكشف الملحمة عنهم[1].

قال في الذخيرة: والعمل بمضمون هذه الرواية متّجه وكأنّه المقصود كما قال بعض الأصحاب إلّا أنّه خلاف ما صرّح به جماعة منهم.

والحاصل أنّ دعوى الشهرة لاستحباب عاشوراء لا وجه له بل لا قائل فيه فيمن عدى المتأخّرين، وكلّ ما يراد إجرائه من الوظائف في يوم عاشوراء الشرعيّة والمستحبّة تضمّنها خبر المصباح، والصوم إذا قصد بمعنى الخصوصيّة والاستحباب فهو بدعة ومحرّم، وإذا كان بمعنى التبرّك فهو الكفر بعينه والخروج من ربقة الدين، وإذا القصد في صومه كان بمعنى الفضيلة المطلقة لمطلق الصوم عملاً بالإطلاقات فهو مكروه وناقص الثواب لأنّه تشبّه ببني أُميّة ومن تشبّه بقوم فهو منهم كما سمعت من الجماعة الذين سبق ذكرهم ورأيت ما في كلامهم، ولو لم يكن في الأمر إلّا فتوى هؤلاء الفحول والأساطين يمكن الحكم بكراهته بناءاً على عموم التسامح في أدلّة السنن في المكروهات والاكتفاء بفتوى الفقيه في تحديد البلوغ كما قال به جماعة.

---

(١) مصباح المتهجّد: ٥٤٧، وسائل الشيعة، باب ٢٠ أبواب الصوم المندوب، الرقم ٧. (هامش الأصل)

الوجه الرابع

الذي بلغه فكري القاصر هو حمل أخبار الصوم على الإمساك الناقص، وأخبار النهي على الإمساك الصومي، ويمكن أن نجعل خبر المصباح المنجبر بعمل الطائفة وهو حجّة يقيناً شاهداً على هذا الجمع، ولمّا كان التصرّف في المدلول أولى من التصرّف بجهة الصدور فإنّ هذا الوجه هو أقرب المحامل، وإن كان خلاف الظاهر في نفسه ولا يبعد أن يساعد عليه العرف.

وأخيراً نقول: إنّ حكم المسألة هو الذي حرّرناه آنفاً: صوم عاشوراء متردّد بين الكفر والحرمةوالكراهة، وبالقطع ليس مستحبّاً في مذهب أهل البيت وفقه آل محمّد عليهم السلام، ولا موضع فيه لاحتمال ذلك.

واعلم بأنّ تحقيق صوم عاشوراء وبسطه وتتبّع أخباره بالبحث والتحقيق من غنائم هذا الكتاب إذ لم أجده في كتاب آخر، والحمد لله، والله أعلم بحقائق أحكامه.

الأمر الرابع: من وجوه التبرّك بيوم عاشورا اعتبار الدعاء وطلب الحوائج فيه من الأُمور المستحبّة، ومن هذه الجهة وضعوا له مناقب وفضائل لا أصل لها من الصحّة وهي مفتراة على السنّة المعصومة قطعاً، ولفّقوا عدداً من الأدعية لقّنوها للعاصين وعلّموهم إيّاها ليلتبس الأمر وتعمّ الشبهة كما يقرئون في الخطبة التي أنشأوها في بلادهم ويرفعون لكلّ نبيّ في مثل هذا اليوم وسيلة وشرفاً زائدين كإخماد نار النمرود وقرار سفينة نوح وإغراق جند فرعون ونجاة عيسى من طلب اليهود، وأحياناً يفوّهون بكلام يموّهون به على العوام، ويخدعون البسطاء، كقولهم: وهذا يوم اختاره الله لقتل ابن بنت نبيّه كما سوف أشرح في الجملة الآتية

ما جاء عن عبدالقادر الگيلاني[١].

فياللعجب كيف انقلب هذا اليوم فكان لجميع الأنبياء زيادة فضل وإنعام ونجاة، وكان لنبيّنا بلاءاً وقتلاً وأسراً لآله وعترته، إلّا أن يعدّوا ذلك نعمة للإسلام ويقولوا: ـ العياذ بالله ـ هؤلاء الخوارج!! في هذا اليوم.

كما نقل ذلك الشيخ الصدوق قدّس الله لطيفه وأجزل تشريفه في كتاب الأمالي والعلل مسنداً عن بجيلة المكّيّة أنّها قالت: سمعت ميثم التمّار يقول: والله لتقتلنّ هذه الأُمّة ابن نبيّها في المحرّم لعشر مضين منه، وليتّخذنّ أعداء الله ذلك اليوم يوم بركة وإنّ ذلك لكائن قد سبق في علم الله تعالى ذكره، أعلم ذلك بعهد عهده إليّ مولاي أميرالمؤمنين عليه السلام (ولقد أخبرني أنّه يبكي عليه كلّ شيء).

ونحن أوردنا شطراً من هذا الحديث فيما تقدّم إلى أن تقول [بجيلة ـ المؤلّف، جبلة ـ المصدر]: فقلت له: يا ميثم، وكيف يتّخذ الناس ذلك اليوم الذي يُقتل فيه الحسين بن عليّ عليهما السلام يوم بركة؟

فبكى ميثم رحمه الله وقال: سيزعمون بحديث يضعونه أنّه اليوم الذي تاب الله فيه على آدم عليه السلام، وإنّما تاب الله على آدم عليه السلام في ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي أخرج الله فيه يونس من بطن الحوت وإنّما أخرجه الله من بطن الحوت في ذي القعدة، ويزعمون أنّه اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح على الجودي وإنّما استوت على الجودي يوم الثامن عشر من ذي الحجّة، ويزعمون أنّه اليوم الذي فلق الله فيه البحر لبني إسرائيل، وإنّما كان ذلك في شهر ربيع الأوّل[٢].

---

(١) في شرح: «وهذا يوم فرحت به آل زياد وآل مروان بقتلهم الحسين عليه السلام».

(٢) علل الشرايع ١: ٢٢٧، أمالي الصدوق: ١١٠، البحار ٤٥: ٢٠٢، عوالم العلوم: ٤٥٧. (هامش الأصل) الأمالي: ١٢٧ وعلل الشرايع ١: ٢٢٨. (المترجم)

وهاهنا حضرتني لطيفة وأنا أُحرّر في الكتاب، أنّ استقرار سفينة نوح في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة يناسب تماماً يوم الغدير، يوم نصب الإمام أميرالمؤمنين على الأُمّة لأنّه حقيقة سفينة نوح بنصّ «مثل أهل بيتي كسفينة نوح؛ من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق...» وقبل هذا اليوم كانت سفينة الولاية مضطربة خوفاً من المنافقين، ولمّا جاء الوعد بالعصمة «والله يعصمك» ونزل الأمر من الله سبحانه على سفيره «بلّغ ما أُنزل إليك والله يعصمك من النساس» رست سفينة نوح على جوديّ التنصيص وتصريح صاحب الرسالة، وهنا هدأ بال ركّابها بوصولها إلى ساحل الأمان.

وأخيراً مع كلّ هذا التصريح والتأكيد في خبر ميثم وهو في الحقيقة من معالم النبوّة والإمامة، والدليل على أحقّيّة طريقة الشيعة حيث روت مثل هذه الأخبار اليقينيّة وصحّح الشيخ الخبر المذكور لمطابقته للواقع المحسوس ورواه مكرّراً في كتابيه مع التزامه في كتبه بعدم رواية الخبر ما لم يحكم بصحّته الشيخ العظيم محمّد بن الحسن بن الوليد ﷺ يكون الخبر يقيناً معتمداً وموثّقاً ويقينيّ الصدور.

والعجيب في الأمر أنّ بعض الأصحاب عوّل على حديث كثير النوا وجعله شاهداً على استحباب الصوم يوم عاشوراء، والحديث كما يلي:

روى الشيخ في التهذيب مسنداً عن كثير النوا عن أبي جعفر قال: لزقت السفينة يوم عاشوراء على الجودي فأمر نوح من معه من الجنّ والإنس أن صوموا ذلك اليوم. قال أبو جعفر: أتدرون ما هذا اليوم؟ هذا اليوم الذي تاب الله عزّ وجلّ فيه على آدم وحوّاء، وهذا اليوم الذي فلق فيه الله البحر لبني إسرائيل فأغرق فرعون ومن معه، وهذا اليوم الذي غلب فيه موسى فرعون، وهذا اليوم الذي ولد فيه إبراهيم، وهذا اليوم الذي تاب فيه على قوم يونس، وهذا اليوم الذي ولد فيه

عيسى بن مريم، وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم ...[١].

وآثار الكذب والوضع ظاهرة على هذا الحديث، وظهر تكذيبه من حديث ميثم رحمه الله، ويمكن إثبات فقراته واحدة واحدة بالتتبّع من الأخبار والتواريخ بأنّها خلاف الواقع، مثلاً جاء عن ولادة إبراهيم عليه وعلى نبيّنا وآله السلام في عدد من الأخبار أنّها في أوّل ذي الحجّة، وأمّا حال كثير النوا فقد كشفناها قبل وبصورة إجماليّة ويحسن بنا هنا أن نكشفها على نحو التفصيل:

نسبه الشيخ في رجاله إلى البتريّة والبُتريّة بضمّ الباء الموحّدة وسكون التاء المثنّاة أتباع كثير النوا، وسمّيت بهذا الاسم نسبة إليه لأنّه أبتر بمعنى قطيع اليد، وكثير هذا والحسن بن صالح وسالم بن أبي حفصة والحكم بن عيينة وسلمة بن كهيل وأبو المقدام ثابت الحدّاد كما جاء في اختيار الشيخ الطوسي من رجال الكشي ابتدعوا مذهباً دعوا به ولاية عليّ بن أبي طالب ثمّ خلطوها بولاية أبي بكر وعمر، ويثبتون لهما إمامتهما وينتقصون عثمان وعائشة والزبير وطلحة، ويثبتون لكلّ من خرج من ولد عليّ عليه السلام الإمامة[٢]. فزيد عندهم إمام ولكن أباه السجّاد وأخاه الباقر وسائر أئمّة أهل البيت ما عدى الحسنين عليهما السلام ليسوا أئمّة.

وروى بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لو أنّ البُتريّة صفّ واحد مابين المشرق والمغرب ما أعزّ الله بهم ديناً.

ونقلوا عن زيد عليه السلام أنّه استقبل البُتريّة بوجهه وقال لهم: بترتم أمرنا بتركم الله، فسمّوا البُتريّة.

ومن هذه الجهة توهّم بعض القاصرين تصحيف اللفظ لأنّه «تبرّيّة بتقديم التاء

---

(١) تهذيب الأحكام ١: ٤٣٧، وسائل الشيعة، باب ٢٠ أبواب الصوم المندوب الرقم ٥. (هامش الأصل)

(٢) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٩٩ بتصرّف بسيط.

المثنّاة وتشديد الراء نسبة إلى التبرّي» ولكنّه مع كونه خلافاً لما صرّح به أئمّة هذا الفنّ فإنّ الحديث نفسه يدلّ عليه لأنّ لفظ الحديث كما يلي: «بترتم أمرنا بتركم الله فسُمّوا البُتريّة».

ومذكور في سائر الكتب أنّهم سُمّوا «البُتريّة» بكثير لأنّه مبتور اليد.

وجاء في الخلاصة والفهرست وسائر كتب المؤرّخين أنّ كثير عاميّ المذهب كما نقل عن البرقيّ، وبعضهم اقتصر على بتريّته.

وفي رجال الكشّي ويريد به «الاختيار» للطوسي بسند معتبر عن الصادق عليه السلام أنّه قال: اللهمّ إنّي إليك من كثير النوا بريء في الدنيا والآخرة».

ونقل أيضاً عن محمّد بن يحيى قال: قلت لكثير النواء: ما أشدّ استخفافك بأبي جعفر عليه السلام؟ قال: لأنّي سمعت منه شيئاً لا أُحبّه أبداً، سمعته يقول: إنّ الأرض السبع تفتح لمحمّد وعترته[1].

وبسند معتبر أيضاً عن أبي بصير قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ الحكم ابن عيينة وسلمة وكثير النواء وأبا المقدام والتمّار يعني سالماً أضلّوا كثيراً ممّن ضلّ من هؤلاء، وإنّهم ممّن قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾[2].[3]

وفي تكملة نقد الرجال عن العوالم عن تفسير العيّاشي نقل ذات الخبر.

ومع هذه المذمّة في الأخبار التي صدرت بحقّه ومع شديد عداوته للأئمّة عليهم السلام من أين لنا أنّه لم يضع تلك الأحاديث لتنفير قلوب الشيعة بهذه الأكاذيب ليصل

---

(١) اختيار معرفة الرجال ٢: ٥١١. (المترجم)

(٢) البقرة: ٨.

(٣) رجال الكشّي وتنقيح المقال ذيل كثير النواء وحكم بن عيينة. (هامش الأصل)

إلى غرضه من نفي إمامتهم في رأي بعض الجاهلين والمغفّلين؟ وعلى فرض تسليم صحّة الخبر لابدّ من كونه صادراً على وجه التقيّة لأنّه ثابت بالضرورة من مذهب الشيعة أنّ يوم عاشوراء يوم مشئوم كما مرّ في خبر المصباح، وليس يوماً مباركاً لتتواتر فيه نعم الله على الأنبياء.

وأعجب من هذا كلّه ما لفّقه من دعاء موافقاً لهذه الأكاذيب وحوّله إلى أيدي العامّة، وذكر في كتب بعض الغافلين عن حقيقة الأمر، وبالطبع قرائة هذا الدعاء بدعة وحرام، ونحن نورده من أجل تنبيه الناس فحسب لكي يجتنبه كلّ من اطّلع عليه، وهو هذا:

«بسم الله الرحمن الرحيم، سبحان الله ملأ الميزان ومنتهى العلم ومبلغ الرضا وزنة العرش، لا ملجأ ولا منجأ من الله إلّا إليه، سبحان الله عدد الشفع والوتر، وعدد كلماته التامّات وهو العفوّ للمعاصي برحمته، لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم، وهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير، وصلّى الله على خير خلقه محمّد وآله أجمعين».

ثمّ يصلّي بعده على النبيّ عشر مرّات ويقول:

«يا قابل توبة آدم يوم عاشوراء، يا رافع إدريس إلى السماء يوم عاشوراء، يا مسكّن سفينة نوح على الجودي يوم عاشوراء، يا غياث إبراهيم من النار يوم عاشوراء، يا جامع شمل يعقوب يوم عاشوراء، يا فارج كرب ذي النون يوم عاشوراء، يا كاشف ضرّ أيّوب يوم عاشوراء، يا غافر ذنب داود يوم عاشوراء، يا سامع دعوة موسى وهارون يوم عاشوراء، يا زائد الخضر في علمه يوم عاشوراء، يا رافع عيسى بن مريم إلى السماء يوم عاشوراء، صلّ على محمّد وآله الطاهرين والأنبياء والمرسلين والملائكة المقرّبين، يا رحمان الدنيا والآخرة ورحيمهما، يا قاضي الحاجات اقض حاجاتي في الدنيا والآخرة وطوّل عمري في طاعتك

ورضاك بحرمة يوم عاشوراء، يا وليّ الحسنات، يا دافع السيّئات والبليّات، يا حيّ يا قيّوم، يا ذا الجلال والإكرام، يا مالك يوم الدين، إيّاك نعبد وإيّاك نستعين، اكفني ما أهمّني من أمر الدنيا والدين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين وعترته الطاهرين أجمعين، والحمد لله ربّ العالمين».

وما من شكّ بأنّ هذا الحديث وضعه أحد نواصب المدينة أو خوارج مسقط أو من شاكلهم، وأتمّوا ظلم بني أُميّة، وسوف يأتيكم بعض المباحث التي لها مساس بحكاية أحوال أهل السنّة والجماعة ونقل أقوالهم في هذا الباب، واستحباب إقامة المناحة والعزاء في هذا اليوم في شرح الفقرة التالية[1] وإذا أمكن تنظيم مباحث هذا الشرح مع مبحثه يمكن أن تستخرج رسالة مستقلّة في هذه المسألة.

(١) «هذا يوم فرحت به آل زياد». (هامش الأصل)

وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبادِ، اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَىٰ لِسانِ نَبِيِّكَ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ ...

الشرح: الأكل في أصل اللغة يقال لغير السائل ولا يصحّ استعماله في الشرب لأنّه بالفارسيّة أعمّ من الشرب كما ورد في استعمال فصحاء القوم نظماً ونثراً (شصت كلمه دامغاني) يقول:

اسبی که صفیرش نزنی می نخورد آب	*نه مرد کم از اسب و نه می کم از آبست*
والخيل تشرب بالصفير فلا أرى	**أدنى من الخيل الرجال وأصغرا**
كلّا ولا حظّ السلاف إذا جرى	**في الدن من ماء أقلّ وأحقرا**

وأحياناً يستعمل في مطلق الاستيلاء والتصرّف لأنّ غالب أفرادهما في مأكولات الأكل وأظهر أفراد الاستيلاء الإتلاف بنحو الأكل بملاحظة أنّ استعماله يعمّ جميعالتصرّفات الاستيلائيّة حتّى الأشياء غير المنقولة كما في الآية الكريمة: ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾[1] استعمل بهذا المعنى، ويقال في المثل الفارسي: «أكل بيت فلان» وما شابه هذا الاستعمال.

كبد: معروف ويقابل الرئة في العربيّة، وهذه الكلمة وإن كانت مفردة وكلّ مفرد من أجزاء بدن الإنسان فهو مذكّر، ولكنّها ومفردات أُخرى من جسم الإنسان مستثناة من هذه القاعدة، وهذه واحدة من ثلاثين أسماء من أسماء أعضاء الجسم مصدّرة بالكاف وهي هذه: الكفّ، والكرسوع، والكوع، والكتف، والكاهل، والكبد، والكتد، والكلية، والكمرة، والكعب، والكذوب، والكعبرة «عقدة مكبّلة حائدة عن الرأس» والكثفة «محرّكة دائرة من الشعر عند الناصية تثبت صعداً»

---

(١) البقرة: ١٨٨.

والكرسمة والوجه ولا يقال إلّا في الشتم، والكرّ وأصل العنق، والكراويس «وما شخص من عظام البدن كالمنكبين والمرفقين» والكعاس «عظم السلامي» والكاتبة «مابين الكتفين إلى أصل العنق» والكلكل «الصدر» والكشح «الجنب وهو من لدن الورك إلى الخصر» والكفل، والكاذة «لحم مؤخّر الفخذ» والكراع «من الإنسان ما دون الركبة»، والكرشة «الذكر»، والكظر «ركب المرأة»، والكلثوم والكعثب «وهما الفرج فأمّا اسمه المشهور فهو على الصحيح تعريب مولّد ولا حجّة في شعر من نظمه في (كافات الشتاء) بقوله:

جاء الشتاء وعندي من حوائجه سبع إذا القطر عن حاجاتنا حبسا

إلى آخره[1] والكين «لحم باطن الفرج» والكراض «حلق الرحم».

ويُحكى عن ابن خالويه أنّه صنّف جزءاً في أعضاء الإنسان المصدّرة بالكاف فبلغ فيها المائة، وهذا عجيب للغاية وهو دالّ على التوسّع والاطّلاع الوافر.

لعين: بمعنى الملعون وسبق معنى اللعن[2].

لسان: في الأصل بمعنى الجارحة المخصوصة، ويستعمل في اللغة بمعناه للمناسبة مثل: اختلاف ألسنتكم، ويستعمل في مطلق «التكلّم» وهذا المعنى أنسب في هذا المقام، وليس المراد معناه الأوّل لأنّه يستحيل إثبات الجارحة للباري تعالى إلّا أن لا يقصد بالإسناد الحقيقة، والظاهر من مجيء على في الجملة هذا المعنى، ولو أُريد به معنى الكلام لكان استعمال حرف الجرّ أولى، لما يعرفه صرّاف المعاني ونقّاد الألفاظ.

وينبغي أن يعلم بأنّ لفظ لسانك موجود في بعض نسخ المصباح دون بعضها،

---

(١) كن وكيس وكانون وكاس طلاً بعد الكباب و ... ناعم وكسا.

(٢) في شرح: «فلعن الله أُمّة أسّست أساس الظلم ...». (هامش الأصل)

ويخلو منها كتاب (زاد المعاد) والبحار وهما يطابقان لغة المصباح ولكنّي لما وجدتها في بعض النسخ ذات الاعتبار رأيت إثباتها في المتن.

نبيّ: مأخوذ من النبأ بمعنى الخبر، وكانت النبوّة في الأصل النبوئة مثل المروئة والمروّة، واشتقاقها من النبأ بمعنى «ارتفع» خلاف الظاهر، وقرائة نافع نبيء بالهمز في القرآن كلّه.

ونحن إن اعتبرنا القراءات غير متواترة عن النبيّ ﷺ بل مشهورة بل أجمعوا على ذلك أمثال الشهيدين والمحقّق الثاني وغيرهم، بل جاء في كتاب «الروض» و«المقاصد العليّة» دعوى إجماع العلماء على نقل الإجماع عليها إلّا أنّنا لا نشكّ في تواتر القراءات السبعة وكلّها تطابق القواعد النحويّة والصرفيّة واللغة، فتبيّن من هذا أنّ قرائة «نبيء» دليل على صحّة اشتقاقها من نبأ، واحتمال تعدّد الاشتقاق فأحياناً يعتبر مشتقّاً من النبو الناقص الواوي وأحياناً من نبأ وكلاهما يطلق بمعنى واحد، وهذا ليس بعيداً.

والفرق بين النبيّ والرسول في وجود الكتاب والشرع مع الثاني، ويكون النبيّ أعمّ منه.

كلّ: يستعمل على وجهين:

الأوّل: العموم المجموعي وهو موضع القضيّة والمنظور إليه بالاستقلال (مثل: كلٌّ إليه راجعون).

والثاني: العموم المرآتي وهو والسور والمرآة التي تعكس أفراد المضاف إليه بأجمعهم (مثل كلّ إنسان) والظاهر منه في الجملة مع قطع النظر عن القرائن الحافّة بالكلام، هو المعنى الثاني.

الموطن: موضع الشيء ومكانه، كما في منتهى الإرب، وهذا المعنى موافق للقاموس والصحاح، ويظهر من عبارة أساس البلاغة أنّ حقيقة الوطن هو الإقامة

في مكانٍ مّا، كما هو المعروف من معناه، واستعماله في غير ما وضع له مثل مواطن الحرب ومواطن النسك في الحجّ إنّما هو استعمال تجوّز مبنى على ادّعاء أنّ الثبات والقرار مطلوب في هذه المقامات على وجه تكون كأنّها الوطن ويعبّر عنها بالموطن، وهذاالمعنى أدقّ وألطف يوافق ظواهر الاستعمال.

وقف: يأتي متعدّياً ولازماً كما في الصحاح والقاموس وغيرهما، وهاهنا مشتقّ من المعنى اللازم والمراد من الموقف موضع الوقوف.

وينبغي الكلام على شرح هذه الفقرة في موضعين:

الموضع الأوّل: آكلة الأكباد هند أُمّ معاوية وابنة عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت جادة في عداوتها لله ورسوله، وحضرت موقعة أُحد، ويُنسب لها هذا الرجز:

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

إن تقبلوا نعانق أو تدبروا نفارق

فراق غير وامق

وكانت تحرّض الكفّار لسوء طويتها على القتال، وكانت ترمى بالفاحشة كما قال ابن أبي الحديد وابن عبد ربّه، بل يفهم من كتب التاريخ أنّها كانت في مكّة من النساء المشهورات بذلك، بل رأيت في بعض الكتب بأنّها من ذوات الأعلام كما نقل ذلك في نهج الحقّ عن هشام بن السائب واعترف به ابن روزبهان، وسوف نعرض لهذه المسألة في شرح نسب ابنها معاوية (لعنه الله).

ولمّا قتل الوحشي غلام جبير بن مطعم سيّد الشهداء الحمزة عليه السلام في حرب أُحد جائت هند إلى جثّته واستخرجت كبده ووضعتها في فمها ولاكتها فحوّلها الله صخرة فما أثّرت بها أسنانها ثمّ مثّلت بالحمزة ونظمت أعضائه من الأُذن والأنف والمذاكير قلادة وعلّقتها في عنقها فاقتدين بها سائر نساء قريش ففعلن فعلها بالشهداء، فعظم ذلك على رسول الله صلى الله عليه وآله فتفطّر كبده وأهدر دم هند وكان ذلك

حتّى جاء عام الفتح وأسلم أبو سفيان مرغماً، فأظهرت هي الإسلام أيضاً، وقبله النبيّ لأنّه رحمة للعالمين، وعفى عنها، ولمّا جاءت للبيعة وبايعت النبيّ فكان ضمن عقود البيعة لها وللنساء عامّة «أن لا يزنين»، فقالت هند: وهل تزني الحرّة؟ فالتفت النبيّ إلى عمر وتبسّم وذلك كناية عن أنّها لطهارة جيبها ونقاء ذيلها اعتراها العجب من هذا الكلام، فقالت: وهل تزني الحرّة، ويمكن أن يكون استقباله عمر بوجهه الشريف فلكي ينبّهه أنّه خارج من هذاالشأن لأنّ أُمّه إن كانت قد زنت فهي أُمّه، وخارجة من تعجّب هند وغيرها[1].

ونقل سبط ابن الجوزي عن كتاب مثالب هشام بن محمّد الكلبي النسّابة بعد ذكره زنا هند، أنّ الشعبي قال: وقد أشار رسول الله ﷺ إلى هند يوم فتح مكّة بشيء من هذا، فنقل الخبر كما نقلناه.

ومجمل القول أنّ هنداً بعد إسلامها عاشت على النفاق إلى أن هلكت وذهبت إلى جهنّم وبئس المصير في خلافة عمر في اليوم الذي مات فيه أبو قحافة فرافقت روحها روحه إلى العذاب. ومن يوم أكلت فيه كبد الحمزة حازت لقب «آكلة الأكباد» وعلّق هذا العار إلى يوم القيامة في أولادها[2] كما قالت عقيلة خدر الرسالة والهداية، ورضيعة ثدي النبوّة والولاية زينب بنت عليّ عليها السلام في خطبتها الشريفة، ـ وهذه الخطبة بقطع النظر عن اعتبار سندها فإنّ بذاتها دليلاً على صدقها بل بلغت حدود الإعجاز ومن شواهد الإعجاز على صدق دعوة جدّها وأبيها وأخيها العظيم ـ: «وكيف يُرتجى مراقبة من نبت لحمه بدماء الشهداء ولفظ فوه أكباد الأزكياء».

---

(١) وفي الفخري لابن الطقطقي أنّه استقبل بذلك عمّه العبّاس. (المترجم)

(٢) سيأتي في حديث (ج) ضمن أحاديث لعن رسول الله والأنبياء يزيد وقاتلي الحسين عليه السلام. خبث هند ولعن رسول الله لها ولنسلها. (هامش الأصل)

وقال حسّان بن ثابت بعد ذلك اليوم شعره في هجائها:

أشرت لكاع وكان عادتها ... لؤماً إذا أشرت مع الكفر

أخزى الإله وزوجها معها ... هند الهنود طويلة البظر

ويقول في هجائها أيضاً:

لمن سواقط ولدان مطرّحة ... باتت تفحّص في بطحاء أجياد

باتت تفحّص لم يشهد قوابلها ... إلّا الوحوش وإلّا حيّة الوادي

وفي هاتين المقطوعتين أشار حسّان إلى زنا هند وفساد نسبها أيضاً، وهو مقطوع به.

ومن جملة المقرّرات ما قاله الشيخ المفيد عليه الرحمة في الإرشاد وأبو جعفر النقيب في نقض العثمانيّة من لزوم الاحتجاج بالشعر كما يحتجّ بالنثر، وهذا معنى العبارة المعروفة «الشعر ديوان العرب، والعمائم تيجانها، والاحتباء حيطانها» لأنّهم بالشعر يثبتون أنسابهم وأحسابهم ومناقبهم ومراتبهم، كما يظهر الرجوع إلى ديوان مراتب العسكر ومناصب أُمراء الجيش وسائر الأُمراء والأعيان اختلاف شئونهم وتفاوت أقدارهم.

وأخيراً إنّ الشعر الذي هجي به هند وأبو سفيان وأولادهما أكثر من أن يحيط به بيان، أو يحصيه لسان، ونحن ما نورده في كلّ باب من أبواب هذا الكتاب إنّما هو على سبيل المثال لا الحصر.

الموضع الثاني: الظاهر أنّ المراد من ابن آكلة الأكباد يزيد لعنه الله، ولعنه على لسان الله إمّا أن يكون إشارة إلى الشجرة الملعونة لأنّه فرع منها[1][2] فقد تكلّمنا

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) أوردت فصلاً نافعاً عن الشجرة الملعونة في كتابي «الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينيّة». (المترجم)

عنها بالتفصيل الذي يحتمله هذا المختصر[١] وإمّا أن يكون إشارة إلى لعنه على لسان أنبياء الله كما سنوافيك به إن شاء الله تعالى. وإمّا أن يكون إشارة إلى الأحاديث القدسيّة التي جاءت في لعنه ونحن نذكر أحدها في هذا المقام.

في كامل الزيارة وساق السند إلى ابن أبي يعفور عن الصادق عليه السلام قال: بينما رسول الله صلى الله عليه وآله في منزل فاطمة والحسين عليهما السلام في حجره إذ بكى وخرّ ساجداً ثمّ قال: يا فاطمة يا بنت محمّد، إنّ العليّ الأعلى تراءى إليّ في بيتك هذا في ساعتي هذه في أحسن صورة وأهيأ هيأة فقال لي: يا محمّد، أتحبّ الحسين؟ قلت: يا ربّ، قرّة عيني وريحانتي وثمرة فؤادي وجلدة ما بين عيني، فقال لي: يا محمّد، ووضع يده على رأس الحسين عليه السلام: بورك من مولود عليه بركاتي وصلواتي ورحمتي ورضواني، ونقمتي ولعنتي وسخطي وعذابي وخزيي ونكالي على من قتله وناصبه وناواه ونازعه، أما إنّه سيّد الشهداء من الأوّلين والآخرين في الدنيا والآخرة، وسيّد شباب أهل الجنّة من الخلق أجمعين، وأبوه أفضل منه وخير فاقرأه السلام وبشّره بأنّه راية الهدى ومنار أوليائي وحفيظي وشهيدي على خلقي وخازن علمي وحجّتي على أهل السماوات وأهل الأرضين والثقلين الجنّ والإنس[٢].

والمراد من لعن يزيد على لسان رسول الله يمكن تصويره على وجوه:

الأوّل: أن يكون الكلام مطابقاً للظاهر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أينما يكون وحيثما يحلّ على نحو الاستغراق الشمولي والعمومي الأُصولي، بلا استثناء لموضع، يلعن يزيد في الأوّل أو الآخر صريحاً لا بالإشارة والتلميح، وهذا المطلب وإن كان

---

(١) في شرح جملة: «لعن الله بني أميّة قاطبة». (هامش الأصل)

(٢) كامل الزيارات: ٧٠ و ٧١، البحار ٤٤: ٢٣٨، عوالم العلوم: ١٣٢ الرقم ٢. (هامش الأصل)

مطابقاً لظاهر الكلام ولكنّه مستبعد في الجملة.

الثاني: أنّ المقصود بعموم المواقف والمواطن بحسب الأنواع لا بحسب الأفراد، وخلاصة المعنى أن يكون على النحو التالي: إنّ رسول الله ﷺ في تمام الأحوال بحسب الأنواع بهذا المعنى سواءاً في الوقوف أو الجلوس، في السفر أو الحضر، في السلم أو الحرب، في الركوب أو المشي، في البيت أو خارجه، في البلد أو البريّة، على المنبر أو على الأرض، في الخلأ أو الملأ، في السرّ أو العلن بحسب كلّ حال وكلّ مقام يمكن افتراضهما يلعن يزيد مرّة واحدة على أقلّ تقدير إمّا بنحو التصريح أو بالكناية والتلميح، جهراً أو إخفاتاً.

وهذا وإن كان في المجموع المكوّر خارج عن حدّ الظهور لأنّ ظاهر العموم شمول ذوات الأفراد وليس إرادة الأنواع ولكنّه أقرب من المعنى الأوّل ـ تصديقاً ـ

الثالث: أنّ كلّ نبيّ غرضه على كلّ حال بحكم أنّه منصرف بكلّه إلى عالم القدس ومتوجّه لتحصيل مراضي الواحد الأحد جلّ ذكره بترويج الشرع وتبليغ الأوامر والنواهي وهداية الخليقة ولذا كلّ من وقف موقفاً ينافي حكماً من الأحكام الإلّهيّة ويمانع من إجرائه ساعة التبليغ فيكون بطبيعة الحال ذلك النبيّ بلسان الحال أو المقال مباعداً لذلك الشخص، ولاعناً له، إمّا بطلب من الله أو بمباعدته إيّاه لأنّ معنى لعنه بعده عن الرحمة الإلّهيّة، والأنبياء هم رحمة الله، ولقّب نبيّ آخر الزمان بالرحمة للعالمين لشمول نبوّته العموم ولرأفته الكاملة، ولمّا كان عمل يزيد يؤدّي إلى إزالة الشرع بتمام أجزائه بقتله الحسين عليه السلام لأنّه في الحقيقة الدين كلّه كما قيل:

نزد كوته نظران ماشطهٔ صورت دين نزد ارباب نظر معنى دينند همه

يراه قصير العقل في الدين حسنه ولكن يراه الأعلمون هو الدين

أو أنّ ولايته عليه السلام شرط في صحّة الأعمال جميعاً فتكون عداوته أو تصفيته من

الوجود عداوة للدين وتصفية له، وأنّ النبيّ ﷺ في تمام الأحوال التي يبلغ بها الأحكام، له حكم حتّى في حالة السكوت أو النوم إذا دلّ دليل على رجحانهما أو وجوبهما في كلّ وقت يقتضي فيه الوجوب.

فتبيّن من هذا أنّ كلّ آنة من آنات الوجود النبوي الشريف بحسب كمال نبوّته لا تخلو من لعن أعداء أهل البيت عليهم السلام لأنّهم قوام الشرع وتمام الدين لاسيّما يزيد وأقرانه، الذين زاد سعارهم في سبيل إطفاء نوره وإخفاء ظهوره، وأظهروا خلاف الحقّ والعداوة لله عزّ وجلّ، وهذاالمعنى وإن كان لأوّل وهلة يبدو بعيداً عن الأذهان العامّة ولكنّ ذوي الذوق السليم وأصحاب السليقة القويمة يجزمون بذلك بأدنى التفات ويعزبون عن الاحتمالين السابقين من رأس[1].

ومجمل القول أنّه يحسن بنا ذكر جملة من الأخبار في هذا الموضع تتضمّن لعن يزيد على لسان رسول الله ﷺ بل سائر الأنبياء بل الموجودات كافّة.

أ ـ روى الشيخ الصدوق في أماليه وساق السند إلى صفيّة بنت عبدالمطّلب عليها السلام قالت: لمّا سقط الحسين عليه السلام من بطن أُمّه فدفعته إلى النبيّ ﷺ فوضع النبيّ لسانه في فيه [فمه] وأقبل الحسين على لسان رسول الله ﷺ يمصّه. قالت: وما كنت أحسب رسول الله يغذوه إلّا لبناً أو عسلاً.

قالت: فبال الحسين عليه السلام فقبّل النبيّ بين عينيه ثمّ دفعه إليّ وهو يبكي ويقول: لعن الله قوماً هم قاتلوك يا بني ـ قالها ثلاثاً ـ. فقلت: فداك أبي وأُمّي، ومن يقتله؟ قال: بقيّة الفئة الباغية من بني أُميّة لعنهم الله[2].

---

(١) يمكن أن تراد المعاني الثلاثة بناءاً على أنّ للحديث القدسي بطوناً يفهمها كلّ واحد بقدر ما عنده من فهم وسعة صدر واستعداد فيصل إلى غاية مهمّة من فهمه وينال مطلباً مفيداً، والعلم عند الله. (منه رحمه الله)

(٢) أمالي الصدوق: ١١٧، البحار ٤٣: ٢٤٣، عوالم العلوم: ١٣. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من الأمالي: ١٣٦.

ب ـ وفي بحار الأنوار عن الأمالي روى عن أسماء بنت عميس أنّها قالت في بيان حكاية ولادة الإمام المظلوم عليه السلام التي تقدّمت جملة منها في أوائل الكتاب في إثبات إطلاق لفظ ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسمعتها[١]:

قالت أسماء: لمّا حملت الحسين إلى جدّه صلى الله عليه وآله استقبله بوجهه وقال: إنّه سيكون لك حديث، اللهمّ العن قاتله[٢].

وفي هذا الحديث أيضاً: فلمّا كان في يوم سابعه [ثامنه ـ المؤلّف] جائني النبيّ فقال: هلمّي ابني، فأتيته به... قالت: ثمّ وضعه في حجره ثمّ قال: يا أبا عبدالله، عزيز عليّ، ثمّ بكى، فقلت: بأبي أنت وأُمّي، فعلت في هذا اليوم وفي اليوم الأوّل فما هو؟ قال: أبكي على ابني هذا تقتله فئة باغية كافرة من بني أُميّة لعنهم الله، لا أنالهم الله شفاعتي يوم القيامة، يقتله رجل يثلم الدين ويكفر بالله العظيم. ثمّ قال: اللهمّ إنّي أسألك فيهما ما سألك إبراهيم في ذرّيّته، اللهمّ أحبّهما وأحبّ من يحبّهما، والعن من يبغضهما ملأ السماء والأرض[٣].

ج ـ وفي (بحار الأنوار) عن (مناقب ابن شهرآشوب) روى عن ابن عبّاس قال: سألت هند عائشة أن تسأل النبيّ تعبير رؤياها، فقال: قولي لها: فلتقصص رؤياها، فقالت: رأيت كأنّ الشمس قد طلعت من فوقي والقمر قد خرج من مخرجي، وكأنّ كوكباً قد خرج من القمر أسود فشدّ على شمس، خرجت من الشمس أصغر من الشمس فابتلعها فاسودّ الأُفق لابتلاعها، ثمّ رأيت كواكب بدت من السماء وكواكب مسودّة في الأرض إلّا أنّ المسودّة أحاطت بأُفق الأرض من كلّ مكان.

---

(١) الحديث التاسع منقول من تاريخ الخميس. (هامش الأصل)

(٢) أمالي الصدوق، عيون أخبار الرضا عليه السلام، بحار الأنوار ٤٤: ٢٥٠. (هامش الأصل)

(٣) نفس المصادر التي ذكرت في صدره. (المترجم) وفي البحار ٤٤: ٢٥١.

فاكتحلت عين رسول الله ﷺ بدموعه ثمّ قال: هي هند، أُخرجي يا عدوّة الله ـ مرّتين ـ فقد جدّدت عليّ أحزاني، ونعيت إليّ أحبابي، فقال: اللهمّ العنها والعن نسلها[١].

د ـ وفي كامل الزيارة مسنداً، وفي البحار أيضاً عن تفسير فرات بن إبراهيم قال: حدّثني جعفر بن محمّد الفزاري معنعناً عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كان الحسين عليه السلام مع أمّه تحمله، فأخذه النبيّ ﷺ وقال: لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك[٢].

هـ ـ عن ابن نما (مثير الأحزان) عن ابن عبّاس قال: لمّا اشتدّ برسول الله ﷺ مرضه الذي مات فيه، ضمّ الحسين عليه السلام إلى صدره يسيل من عرقه عليه وهو يجود بنفسه ويقول: مالي وليزيد، لا بارك الله فيه، اللهمّ العن يزيد، ثمّ غشي عليه طويلاً وأفاق وجعل يقبّل الحسين وعيناه تذرفان ويقول: أما إنّ لي ولقاتلك بين يدي الله عزّ وجلّ ...[٣].

ونعم ما قيل:

این انتقام گر نـفتادی بـه روز حشـر *با این عمل معامله دهر چون شـدی*

إذا لم ننتقم في الحشر إنّ الدهـــر يـــنتقم

وسوف ينال ما يـجني وسوف تـضمّه الحـمم

و ـ في الخصال وساق السند إلى سيّد الساجدين، أنّ النبيّ ﷺ قال: ستّه لعنهم

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٤: ٧٢، بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٣. (هامش الأصل) وفي نسخة المترجم من المناقب ٣: ٢٢٧ ط الحيدريّة، النجف ١٣٧٦.

(٢) تفسير الفرات: ٥٥، كامل اليارات: ١٦٨، البحار ٤٤: ٢٦٢، عوالم العلوم: ١٤٠ ـ ١٤١. (هامش الأصل) واللفظ لفرات ونسخة المترجم من تفسيره ص ١٧١. (المترجم)

(٣) بحار الأنوار ٤٤: ٢٦٦ الرقم ٢٤. (هامش الأصل)

الله وكلّ نبيّ مجاب الدعوة: الزائد في كتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والتارك لسنّتي، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله، والمتسلّط بالجبروت ليذلّ من أعزّه الله ويعزّ من أذلّه الله، والمستأثر بفيء المسلمين المستحلّ له[١].

ز ـ وفي كامل الزيارة روى عن كعب الأحبار أنّه قال: أوّل من لعن قاتل الحسين ابن عليّ عليه السلام إبراهيم خليل الرحمان، لعنه وأمر ولده بذلك وأخذ عليهم العهد والميثاق، ثمّ لعنه موسى بن عمران وأمر أُمّته بذلك، ثمّ لعنه داود وأمر بني إسرائيل بذلك، ثمّ لعنه عيسى وأكثر أن قال: يا بني إسرائيل، العنوا قاتله وإن أدركتم أيّامه فلا تجلسوا عنه فإنّ الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر[٢]، إلى آخر الحديث.

ح ـ وروى الشيخ الجليل فخر الدين الطريحي النجفي في المنتخب مرسلاً أنّ آدم عليه السلام لمّا أُهبط إلى الأرض لم ير حوّاء فصار يطوف الأرض في طلبها فمرّ بكربلاء فاعتلّ وأعاق وضاق صدره من غير سبب وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين حتّى سال الدم من رجله فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي، هل حدث منّي ذنب آخر فعاقبتني به فإنّي طُفْتُ جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض؟ فأوحى الله إليه: يا آدم، ما حدث منك ذنب ولكن يُقتَل في هذه الأرض ولدك الحسين عليه السلام ظلماً فسال دمك موافق لدمه، فقال آدم: يا

---

(١) الخصال: ٣٣٨، البحار ٤٤: ٣٠٠، عوالم العلوم: ٥٩٧.

(٢) قال المجلسي رحمه الله في بيان هذه العبارة: «فإنّ الشهيد معه كالشهيد مع الأنبياء مقبل غير مدبر» الصواب أن يقال: مقبلاً لأنّه حال من الشهيد، وبناءاً على ما في النسخ أنّه بالرفع صفة للشهيد لأنّه قوّة النكرة والذي يصل إليه نظري أنّ خبره مقبل غير مدبر، وكالشهيد حال من الاسم، ولا مانع عندنا من مجيء الحال من المبتدء والأظهر أن يكون خبراً بعد الخبر، واحتمال أن يكون مقبل حالاً لا وجه له؛ لا لفظاً ولا معنًى، وكونه وصفاً ركيك. (منه رحمه الله)

ربّ، أيكون الحسين نبيّاً؟ قال: لا ولكنّه سبط النبيّ محمّد، فقال: ومن القاتل له؟ قال: قاتله يزيد، فقال آدم: فأيّ شيء أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه يا آدم، فلعنه أربع مرّات ومشى خطوات إلى جبل عرفات فوجد حوّاء ...[١].

ط ـ وفي المنتخب أيضاً: إنّ نوحاً لمّا ركب السفينة طافت به جميع الدنيا فلمّا مرّت بكربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق فدعا ربّه وقال: إلهي، طُفْتُ جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض، فنزل جبرئيل وقال: يا نوح، في هذا الموضع يُقتل الحسين سبط محمّد ﷺ خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فقال: ومن القاتل له يا جبرائيل؟ قال: قاتله لعين أهل سبع سماوات وسبع أرضين، فلعنه نوح أربع مرّات، فسارت السفينة حتّى بلغت الجودي واستقرّت عليه[٢].

ى ـ وأيضاً في المنتخب روي أنّ إبراهيم مرّ في أرض كربلاء وهو راكب فرساً فعثرت به وسقط إبراهيم عليه السلام وشجّ رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار وقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟ فنزل إليه جبرائيل وقال: يا إبراهيم، ما حدث منك ذنب ولكن هنا يُقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء فسال دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرائيل، ومن يكون قاتله؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض، والقلم جرى على اللوح بلعنه، فأوحى الله إلى القلم أنّك استحققت الثناء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم يديه ولعن يزيد لعناً كثيراً وأمّن فرسه بلسان فصيح (فقال إبراهيم لفرسه: أيّ شيء عرفت حتّى تؤمّن على دعائي، فقال: يا إبراهيم، أنا

---

(١) المنتخب: ٤٨. (المترجم) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ الرقم ٣٧. (هامش الأصل)

(٢) نفسه: ٤٨. (المترجم) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ الرقم ٣٨.

أفتخر بركوبك عليّ فلمّا عثرت وسقطت عن ظهري عظمت خجلتي وكان سبب ذلك من يزيد)[١].

يا ـ وفي المنتخب أيضاً روي أنّ إسماعيل عليه السلام كانت أغنامه ترعى بشطّ الفرات فأخبره الراعي أنّها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوماً، فسأل ربّه عن سبب ذلك، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال: يا إسماعيل، سل غنمك فإنّها تجيبك عن سبب ذلك، فقال: لم لا تشربين من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أنّ ولدك الحسين عليه السلام سبط محمّد يُقتل عطشاناً فنحن لا نشرب من هذه المشرعة حزناً عليه، فسألها عن قاتله؟ فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين. فقال إسماعيل: اللهمّ العن قاتل الحسين عليه السلام[٢].

يب ـ وفي المنتخب أيضاً روي أنّ موسى كان ذات يوم سائراً ومعه يوشع بن نون، فلمّا جاء إلى أرض كربلاء انخرق نعله وانقطع شراكه ودخل الحسك في رجليه وسال دمه، فقال: إلهي، أيّ شيء حدث منّي؟ فأوحى الله إليه: إنّ هنا يقتل الحسين وهنا يسفك دمك موافقة لدمه، فقال: ربّ، ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمّد المصطفى وابن عليّ المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو لعين السمك في البحار والوحوش في القفار والطير في الهواء، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن يوشع بن نون على دعائه، ومضى لشأنه[٣].

يج ـ وفي المنتخب أيضاً روي أنّ سليمان عليه السلام كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء فمرّ ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث

---

(١) نفسه: ٤٨ و٤٩ والعبارات بين القوسين تمام الرواية ولم يذكرها المؤلّف. (المترجم) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ الرقم ٣٨.

(٢) المنتخب: ٤٩. (المترجم) وبحار الأنوار ٤٤: ٢٤٣ الرقم ٤٠.

(٣) المنتخب للطريحي: ٤٩. (المترجم)، بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ الرقم ٤١. (هامش الأصل)

دورات حتّى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء، فقال سليمان للريح: لم سكنت؟ فقالت: إنّ هنا يقتل الحسين عليه السلام، فقال: ومن يكون الحسين؟ قالت: هو سبط محمّد المختار وابن عليّ الكرّار، فقال: ومن قاتله؟ قالت: لعين السماوات والأرض يزيد، فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه وأمّن على دعائه الإنس والجنّ، فهبّت الريح وسار البساط ...[١].

يد ـ وفي المنتخب أيضاً روي أنّ عيسى كان سائحاً في البراري ومعه الحواريّون فمرّوا بكربلاء فرأوا أسداً كاسراً قد أخذ الطريق فتقدّم عيسى إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمرّ فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إنّي لم أدع لكم الطريق حتّى تلعنوا يزيد قاتل الحسين، فقال عيسى: ومن يكون الحسين؟ قال: سبط محمّد النبيّ الأُمّيّ وابن عليّ الولي، قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع خصوصاً أيّام عاشوراء، فرفع عيسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه وأمّن الحواريّون على دعائه، فتنحّى الأسد عن طريقهم ومشوا لشأنهم ...[٢].

ويوجد في كتب الأخبار والمقتل نظير ما تقدّم شيء كثير، واستقصائها شأن المطوّلات، والأخبار المنقولة عن النبيّ صلى الله عليه وآله «لا أنالهم الله شفاعتي ولا تنالهم شفاعتي، والويل لمن قتله، واللهمّ اخذل من خذله واقتل من قتله» ونظيرها من التعابير النبويّة إنّما مفادّها اللعن وتوجد في العيون والعلل والأمالي والمناقب وكامل الزيارة والبحار وغيرها وهي خارجة عن الحصر، وما ذكرناه هنا يكفي، وسوف يأتي لعن يزيد في فقرة أُخرى لاحقاً بإذن الله.

---

(١) المنتخب: ٤٩. (المترجم) بحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ الرقم ٤٢. (هامش الأصل)

(٢) المنتخب: ٤٩ و٥٠. (المترجم) وبحار الأنوار ٤٤: ٢٤٤ الرقم ٤٣. (هامش الأصل)

اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَبَا سُفْيانَ ...

الشرح: ذكر لعن أبي سفيان مستقلّاً جاء في سياق تذكّر مساوئ بني أُميّة وأفعال يزيد الشنيعة لأنّه فرع من فروع الشجرة الملعونة، وثمرات تلك الأُصول غير ميمونة.

وأبو سفيان اسمه صخر بن حرب بن أُميّة، وأُمّه صفيّة بنت مزن الهلاليّة، ولقد رأيت في بعض المراجع أنّها كانت زانية إلّا أنّي نسيته.

وكان أبو سفيان لغير رشدة، وولد قبل الفيل بعشرة أعوام، وظلّ حياته كلّها جاداً في عداوة الله ورسوله والإجلاب على النبيّ وتسعير الحروب وسوق الجنود وقيادة الأحزاب، ولا تقوم فتنة في قريش إلّا ولأبي سفيان لعنه الله قدم فيها راسخة، وسعي بالغ إلى قهره الإسلام، فأسلم عام الفتح مضطرّاً مقهوراً، وعاش بعد ذلك منافقاً، وكان في حصار الطائف مع النبيّ فأُصيبت عينه بسهم فعارت، وذهبت عينه الثانية في حرب اليرموك فأضرّ، وكان في حرب هوازن من المؤلّفة قلوبهم وصار نصيبه من الغنائم مائة بعير وأربعين أوقية فضّة، ونال ولداه معاوية ويزيد مثل نيله. وقتل ولده الآخر واسمه حنظلة ـ وبه كان يكنّى فيقال له أبو حنظلة ـ في بدر بيد أميرالمؤمنين عليه السلام فتقدّم جيش أبيه وأخيه وأقربائه إلى النار، وصار طعمة جهنّم.

وأولاد أبي سفيان هم: معاوية، وعمر، وعتبة، وصخرة، وهند، ورملة، وآمنة، وأُمّ حبيبة، وجويريّة، وأُمّ الحكم، وحنظلة، وعنبسة، ومحمّد، وزياد باستحاق معاوية إيّاه ـ كما مرّ[1] ـ ويزيد، ورملة الصغرى، وميمونة، كما ذكر ذلك ابن قتيبة في كتاب المعارف.

---

(١) في شرح: «ولعن الله آل زياد». (هامش الأصل) والعجيب من المؤلّف أنّه يذكر زياد في أولاده والنبيّ يقول: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». (المترجم)

وذهب إلى الجحيم عام ثلاثين للهجرة، وهجاه حسّان بن ثابت أبان المهاجاة بين المسلمين والكفّار بشعر كثير، ونحن من أجل أن نضفي على الكتاب زينة خاصّة نذكر قطعتين منها. قال حسّان بن ثابت في حرب أُحد:

عضضت بأير من أبيك وخاله ... وعضّت بنو النجّار بالسكر الرطب

فلست بخير من أبيك وخاله ... ولست بخير من معاظلة الكلب[1]

ولست بذي دين ولا ذي أمانة ... ولست بخير من لؤي ولا كلب

ولكن هجين ذو دناة لمقرف ... مجاجة ملح غير صاف ولا عذب

وله أيضاً:

ولست من المعشر الأكرمين ... لا عبد شمس ولا نوفل

وليس أبوك بساقي الحجيج ... فأقعد على الحسب الأرذل

ولكن هجين منوط بهم ... كما نوطت حلقة المحمل

تجيش من اللؤم أحسابكم ... كجيش المجاجة في المرجل[2]

وهذه الأبيات صريحة في خبث مولده وفساد نسبه، لأنّه نفاه من عبد شمس وجعله لصيقاً به.

واعلم بأنّ حال أبي سفيان في النفاق وعداوة أهل بيت الرسالة أشهر من أن تذكر، وأظهر من أن تنكر.

---

(١) لعلّها «معاظلة الكلب» وهذا في رأيي أولى، وليست في ديوانه، ولا أشار المؤلّف إلى مصدرها لتتطلّبه. (المترجم)

(٢) وفي رواية «المشاشة» وهي واحدة المشاش، رؤوس العظام اللّينة التي يمكن مضغها، وأهمل المؤلّف بيتاً خامساً له:

فلو كنت من هاشم في الصميم ... لم تهجنا وركبي مصطلي

(الديوان: ١٨٩)

وفي نهج البلاغة قابله بتكريم رسول الله ﷺ فقال: «منّا النبيّ ومنكم المكذّب»[١].

وذكره ابن قتيبة وهو قطب دائرة النصب والإعراض في المؤلّفة قلوبهم ولم يقل بعد ذكره ـ كما هي عادته في ذكر أمثاله ـ «وحسن إسلامه» وهذا دليل على أنّ نفاقه لا يمكن ستره وإلّا لكان ذكر هذه الجملة من أجل تعديل معاوية عليه الهاوية.

والجاحظ لعنه الله![٢] الذي هو عدوّ مجاهر لأميرالمؤمنين عليه السلام يقول في رسالة المفاخرة بين بني هاشم وبني أُميّه: «قد عرفنا كيف كان أبو سفيان في عداوة النبيّ وفي محاربته له وإجلابه عليه وغزوه إيّاه، وعرفنا إسلامه حيث أسلم، وإخلاصه كيف أخلص، ومعنى كلمته يوم الفتح حين رأى الجنود، وكلامه يوم حنين، وقوله يوم صعد بلال على الكعبة فأذّن، على أنّه أسلم على يدي العبّاس، والعبّاس هو الذي منع الناس من قتله وجاء به رديفاً إلى رسول الله ﷺ وسأله فيه أن يشرّفه وأن يكرمه وأن ينوّه به، وتلك يد بيضاء ومقام مشهود، ويوم حنين غير مجحود، فكان جزاء بيته أن حاربوا عليّاً وسمّوا الحسن وقتلوا الحسين وحملوا النساء على الأقتاب حواسر وكشفوا عن عورة عليّ بن الحسين حين أشكل عليهم بلوغه كما يُصنع بذراري المشركين إذا دخلت دورهم عنوة».

إلى أن قال: «وأكلت هند كبد حمزة فمنهم آكلة الأكباد، ومنهم كهف النفاق، ومنهم من نقر بين ثنيتي الحسين عليه السلام بالقضيب» انتهى[٣].

---

(١) الرسائل، عدد ٢٨. (هامش الأصل) تحقيق عبده ط دار المعرفة بيروت. (المترجم)

(٢) لم يكن للجاحظ دين ليحاسب عليه إنّما كان يتلاعب بالأحداث؛ فتارة يكون أمويّاً وأُخرى علويّاً وهو كافر بالاثنين. (المترجم)

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج١٥. (هامش الأصل) ص٢٣٦ تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم ط دار إحياء الكتب العربيّة ـ بيروت. (المترجم)

وأنت ترى الجاحظ مع عصبيّته ومروانيّته وسفيانيّته وقد كتب رسائل في فضائل هؤلاء الثلاثة، كيف شهد على أبي سفيان ووصفه بأنّه كهف النفاق، ولم يكن مخلصاً في الإسلام، وتكفينا شهادة هذين الناصبين ـ وهما عند النواصب من أعظم العدول ـ في نفاقه ودوام كفره.

واتفق العلماء على أنّه من المؤلّفة قلوبهم وأنّه دخل الإسلام حيلة ونفاقاً، ولم يثبت دليل يرفع عنه هذا الاتهام. وحينئذٍ تترتّب عليه أحكام النفاق الشرعيّة جميعاً من جواز لعنه ووجوب التبرّي منه وغيره بقاعدة الاستصحاب، ونصّ الكتاب الكريم في مسألة الرؤيا التي سلفت[1] يشهد بلعنه لأنّه في الحقيقة أصل الشجرة الملعونة، والمؤرّخون من العامّة والخاصّة أثبتوا ذلك، وقد جائت الإشارة في كتاب المعتضد إلى الأُمّة بلعن معاوية بذلك، وفيه:

بعد أن استتبت الأُمور في خلافة عثمان لبني أُميّة، وأدخل عثمان إلى بيته دار به بنو أُميّة وأظهروا الفرح بما جاءهم من الأمر والنهي، وأغلقوا الباب على الداخلين الغرباء، وفي هذا الحين رفع أبو سفيان عقيرته وقال: أفيكم من يُحتَشَم؟ فقالوا: كلّا، فقال: يا بني أُميّة، تلقّفوها تلقّف الكُرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان ما من عذاب ولا حساب ولا جنّة ولا نار ولا بعث ولا قيامة، فلمّا سمع عثمان ذلك خاف أن تنتشر كلمته في المسلمين فتحدث فتنة فأمر بإخراجه.

من هنا ألمّ أهل المعرفة والدقّة أنّ ثالث المنافقين عثمان، ففي سرّه شارك أبا سفيان في عقيدة الكفر والنفاق ولكن حمله على تأديب أبي سفيان رعاية المصلحة[2] وإلّا لكان عاقبه بالقتل لأنّ هذا جزاء المرتدّ لا بالإخراج.

---

(١) في شرح: «ولعن الله بني أُميّة قاطبة». (هامش الأصل)

(٢) صدق المؤلّف فلو كان جاداً في عقابه لحاسبه حساب المرتدّ لأنّ كلمته تدلّ على ارتداده وقد حارب أبوبكر الآلاف من المسلمين واستحلّ دمائهم على عقال بعير فكيف لم يقتل هذا المرتدّ؟ (المترجم)

ومجمل الحديث أنّ لعن رسول الله له ولولديه من الأخبار المشهورة التي نقلها ابن أبي الحديد عن البيهقي والزمخشري مرويّة، ورويت في كتاب المعتضد عن الثقات قول رسول الله ﷺ فيه وقد رآه مقبلاً على حمار ومعاوية يقوده ويزيد يسوقه: لعن الله الراكب والقائد والسائق[1].

ونقل ابن أبي الحديد من كتاب المفاخرات للزبير بن بكّار قال: اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، إنّ الحسن قد أحيا، وذكره إلى آخره، فبعثوا خلفه، فلمّا أقبل تطاول عليه الخبثاء كلّ واحد منهم بجرأته المعهودة على الحقّ كما جاء تفصيله في الكتاب المذكور، وبعد ذلك تكلّم سيّد شباب أهل الجنّة وخاطب معاوية وفي أثناء كلامه قال: أُنشدك بالله يا معاوية، أتذكر يوماً جاء أبوك على جمل أحمر وأنت تسوقه وأخوك عتبة هذا يقوده فرآكم رسول الله، فقال: اللهمّ العن الراكب والقائد والسائق.

ثمّ خاطب الحاضرين فقال: وأنتم أيّها الرهط، نشدتكم الله، ألا تعلمون أنّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أوّلها: يوم لقي رسول الله ﷺ خارجاً من مكّة إلى الطائف، يدعو ثقيفاً إلى الدين، فوقع به وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده وهمّ أن يبطش به فلعنه الله ورسوله وصرف عنه.

---

(١) مرّ في شرح «لعن الله بني أُميّة» كتاب المعتضد. (هامش الأصل) وانظر عند ابن أبي الحديد ١٥: ١٧٥. (المترجم)

والثانية: يوم العير، إذ عرض لها رسول الله ﷺ وهي جائية من الشام فطردها أبو سفيان وساحل بها فلم يظفر المسلمون بها، ولعنه رسول الله ﷺ ودعا عليه، فكانت وقعة بدر لأجلها.

والثالثة: يوم أُحد حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ في أعلاه وهو ينادي: أعل هبل ـ مراراً ـ فلعنه رسول الله ﷺ عشر مرّات ولعنه المسلمون.

والرابعة: يوم جاء بالأحزاب وغطفان واليهود، فلعنه رسول الله وابتهل.

والخامسة: يوم جاء أبو سفيان في قريش فصدّوا رسول الله ﷺ عن المسجد الحرام والهدي معكوفاً أن يبلغ محلّه، وذلك يوم الحديبيّة، فلعن رسول الله ﷺ أبا سفيان ولعن القادة والأتباع وقال: (ملعون كلّهم، وليس فيهم من يؤمن) فقيل: يا رسول الله، أفما يرجى الإسلام لأحد منهم فكيف باللعنة؟ فقال: لا تصيب اللعنة أحداً من الأتباع، وأمّا القادة فلا يفلح منهم أحد.

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته وكانوا اثني عشر رجلاً منهم أبو سفيان، فهذا لك يا معاوية.

ثمّ راح يعدّد مثالب البقيّة[1].

ونقل تقي الدين بن حجّة وهو من أكابر أُدباء أهل السنّة في كتابه «ثمرات الأوراق» فصلاً من هذا، ويقول: قال عليه السلام: «... وأُنشدكم بالله، أتعلمون أنّ معاوية كان يقود بأبيه على جمل وأخوه هذا يسوقه، فقال رسول الله: لعن الله الجمل وقائده وراكبه وسائقه؟»[2].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٩٠.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢: ١٠٢ ط مصر. (هامش الأصل)

وأخيراً، لا تخفى حال أبي سفيان عن المنصف المتتبّع وإن كان أهل السنّة والجماعة بناءاً على رأيهم في تعديل الصحابة كلّهم، يلزمهم أن يعتقدوا بأنّ عداوة رسول الله ﷺ واستمرار النفاق والقول للعبّاس: «لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً» لا تنافي العدالة، والاتفاق العجيب وقوع أبي سفيان بأزاء رسول الله ومعاوية بأزاء أميرالمؤمنين، ويزيد بأزاء الشهداء، وعداوة كلّ واحد منهم ليست من الهوان بحيث يحيط بها بيان.

وَمُعَاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيانَ ...

الشرح: المشهور أنّ معاوية ابن هند من أبي سفيان ولكن يرى المحقّقون أنّه لغير رشدة.

قال الراغب الاصفهاني في المحاضرات، ونقل ابن أبي الحديد عن الزمخشري في ربيع الأبرار قال: كان معاوية يُعزى إلى أربعة: إلى مسافر بن أبي عمرو، وإلى عمارة بن الوليد بن المغيرة، وإلى العبّاس بن عبدالمطّلب، وإلى الصبّاح مغنٍّ كان لعمارة بن الوليد.

قال: وكان أبو سفيان دميماً قصيراً، وكان الصبّاح عسيفاً لأبي سفيان شابّاً وسيماً فدعته هند إلى نفسها فغشيها. وقالوا: إنّ عتبة بن أبي سفيان من الصبّاح أيضاً، وقالوا: إنّها كرهت أن تدعه في منزلها فخرجت إلى أجياد[1] فوضعته هناك، وفي هذا المعنى يقول حسّان أيّام المهاجاة بين المسلمين والمشركين في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله قبل عام الفتح:

لمن الصبيّ بجانب البطحاء ... في الترب ملقًى غير ذي مهد

---

(١) أجياد جبل للنزهة في مكّة المعظّمة شرّفها الله تعالى وهو في الأصل جمع جواد بمعنى الفرس، وإنّما سمّي بهذا الاسم لأنّ «تتبع» كانت ترعى أفراسها به، وسمّي أجياداً بذلك، ومن موارد استعماله في الشعر قول ابن الفارض في تائيّته المعروفة الصغرى:

سقى بالصفى الرعي ربعاً له الصفا ... وجاد بأجياد ثرى فيه ثروتي

وهذه العبارة مع ما فيها من الغموض والإبهام وهو طابع كتاب القاموس لا تخلو من الخطأ لأنّك علمت أنّه جمع جواد الواوي لا جمع جيد اليائي لذلك ينبغي أن يذكر في مادّة جَوَد في تعداد جموع الجواد كما فعل إسماعيل بن عباد النيشابوري وهو جوهري اللغة، وفعل في الصحاح مثل فعله. ومن النوادر أنّه لم يذكر في جمع جواد أجياد أبداً وإن لم يكن الخطأ من أيّ نوع ليس عجيباً عليه ولا نادراً في كتابه، والذي يحتوي على أخطاء في هذا الكتاب لا تحصر فهو القاموس المحيط بالأخطاء والأغاليط، والله العاصم. (منه ﷺ)

نـجلت بـه بـيضاء آنسـة من عبد شمس صلتة الخـدّ..[١]

ونقل آية الله العلّامة نضّر الله وجهه عن الكلبي النسّابة وهو من الثقات عند الإماميّة وأقرّ ابن روزبهان أنّ معاوية كان يُدعى لأربعة: عمارة ومسافر وأبي سفيان ورجل رابع لم يذكر اسمه، وكانت هند أُمّه من ذوات الأعلام، وكانت مولعة بالسودان، فإذا وضعت وليداً أسود عمدت إليه فقتلته، وحمامة وهي واحدة من جدّات معاوية كانت صاحبة راية في سوق المجاز وبلغت إلى آخر حدود الزنا، ومن هنا يعرف نسب أبي سفيان لأنّه نغل من سفاح.

وذكر السيّد المحقّق الشهيد الثالث في كتاب إحقاق الحقّ عن كتاب نزهة القلوب للقطب الشيرازي وهو علّامة العلماء عند الإماميّة قال: أولاد الزنا ينجبون لأنّ الزاني يندفع للفعل بشهوة ونشاط فيكتسب الولد من هذا كمال القوّة، وما كان من الحلال فإنّه يتمّ بتصنّع وتكلّف، ومن هذه الجهة كان عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان من الدهاة المعدودين.

ثمّ ساق ما ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار من نسبهم[٢] وذكره سبط ابن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٦.

(٢) روى العالم الجليل الشيخ يوسف البحراني ﷺ وغيره عن محمّد بن السائب الكلبي وأبي مخنف لوط بن يحيى الأزدي في كتاب (الصلابة في معرفة الصحابة) وكتاب (التنقيح في النسب الصريح) وهؤلاء رووا عن عبدالله بن سبّابة بأنّه قال: نكاح الشبهة قسم من أقسم النكاح والمتولّد من الشبهة والزنا أنجب من المولود من الفراش وأحياناً تظهر منهم علامات من الدهاء تناسب حالهم وشأنهم، والعرب يفخرون بذلك في ظهور مثل ذلك في قبالهم أو سلالات كراعهم. ثمّ شرع في بيان نسب رمع. [شجرة طوبى، العلّامة النوري، ص٢]

وقال العلّامة السبزواري في كتاب (نزهة القلوب): أولاد الزنا يخرجون نجباء أزكياء لأنّ الزاني يزني بشهوة ونشاط فيخرج الولد تامّاً وما كان من الحلال فإنّما يتمّ بتكلّف من الرجل قبال المرأة، ومن هذه الجهة كان معاوية وعمرو بن العاص من دهاة الناس [شجرة طوبى، ورقة ١٦٨]. (هامش الأصل)

الجوزي كلاماً مبسوطاً عن كتاب الكلبي في شرح قول الإمام الحسين لمعاوية لعنه الله قال: وقد علمت الذي ولدت عليه.

وهذا الإجمال موافق لما تقدّم، ولمّا كان الاطّلاع عليه لاحقاً لما مرّت الإشارة إليه رأينا إعادته موجبة للتكرار، ومن أراد المزيد فليرجع إلى كتاب التذكرة. وبالجملة فما أحقّه بقول ابن الحجّاج:

يابن النساء الزواني العاهرات ومن ... سلقلقيّاتهم قد حضن من خلف

يابن التي نتفت من بعض شعرتها ... بيتاً من الشعر يغني جملة السلف

هلك معاوية في النصف من رجب عام خمسين وتسع للهجرة على قول، وعام ستّين على قول آخر، وضعّفه المؤرّخ المعاصر نظراً لأنّ قتل الحسين عليه السلام في يوم الجمعة العاشر من محرّم الحرام. وإذا رجعنا القهقرى ودقّقنا في حساب الشهور يكون يوم الجمعة العاشر من محرّم واقعاً في عام واحد وستّين لا عام ستّين، ولكن المشهور والمعتمد هو القول الأوّل.

وقال بعضهم: كان عمره عند وفاته سبعاً وثمانين سنة، وبناءاً على هذا تكون ولادته قبل البعثة بسبع سنين.

ويقول ابن قتيبة: كان عمره اثنتين وثمانين سنة وبناءاً على هذا تكون ولادته قبل البعثة بثلاثة عشر سنة أي بعد الفيل بسبع وعشرين سنة.

وأولاده: عبدالرحمن، ويزيد، وعبدالله، وهند، ورملة، وصفيّة.

وأظهر إسلامه بعد الفتح بعد ما أخذ الإسلام بخناقه، ولكنّه اتّخذ طريق النفاق مسلكاً له، وكان في حرب حنين من المؤلّفة قلوبهم، وأُعطي من سهامهم كما أشرنا إليه[1] أُعطي أربعين أوقية فضّةً على المشهور من الروايات.

---

(١) في شرح: «اللهمّ العن أبا سفيان». (هامش الأصل)

وقال في نهج الحقّ: ولمّا أهدر النبيّ دمه في فتح مكّة أقبل مضطرّاً إلى العبّاس ولجأ إليه قبل وفاة النبيّ بخمسة أشهر واستشفع به، وشهر إسلامه، وتشفّع له العبّاس بأن يجعله النبيّ كاتباً عنده[1] فكان يكتب أحياناً للنبيّ مكاتباته، وما اعتبره بعضهم من كونه من كتّاب الوحي إنّما هو محض افتراء واختلاق، والذي قلناه عن كتابته صرّح به كثير من مؤرّخي الخاصّة والعامّة.

وملخّص القول: إنّ أبابكر لمّا سيّر العساكر والجيوش إلى جهة الشام أمّر عليها يزيد بن أبي سفيان وجعل أخاه معاوية وأباه أبا سفيان تحت رايته، ولمّا هلك يزيد وسار إلى حيث يستقرّ أجداده وضع مكانه معاوية وأمّره على الشام كلّه، وكان بقيّة زمان أبي بكر وخلافة عمر وعثمان له ولاية الشام مستقلّة، فأكثر في هذا الحكم المديد من إحداث البدع وإحياء السنن الكسرويّة والقيصريّة، وظهرت عليه مظاهر التجبّر والتكبّر والتبختر حتّى قال له عمر ذات يوم: «أنت كسرى العرب» وكان مولعاً بالعقار يشربها ومتمرّساً بأنواع الفجور جارياً في هذا السنن بجدّ ونشاط حتّى قبل أن يلي الخلافة بأيّام، ثمّ قال قوم بأنّه أقلع عن ذلك، وقال آخرون: هذا في الظاهر وأمّا في الباطن فقد كان سائراً في السرّ على تناول كاسات العقار ومقيماً على تداول العهار.

ولمّا بلغ عليّ إلى حقّه وتسنّم غارب الخلافة قصرت الغاصبين والناصبين عن الامتداد إلى أنّيّهم فلم يقرّ معاوية على ولايته لاشتهاره بين الناس كلّهم، فقام بحرب ضروس على الإمام بحجّة الطلب بدم عثمان فسلّت السيوف في ذلك وقامت الحرب على قدم وساق إلى أن رحل الإمام عن هذا الوجود الفاني بقلب حزين وصدر بالغيظ مشحون من مفاسده، وعمرو بن العاص ومكائدهم حتّى

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢: ١٠٢، نهج الحقّ للعلّامة الحلّي: ٣١٠. (هامش الأصل)

شرب الإمام كأس الشهادة دهاقاً، عمد معاوية إلى محاربة الحسن حتّى تمّ الصلح بينهما وامتدّت هذه الفترة عشرين عاماً كان فيها أميراً، ومثلها استقلّ بالخلافة بالباطل وتفرّد بالولاية فامتدّت إمارته أربعين سنة.

وجملةالقول إنّك سمعت لعنه من فم رسول الله ﷺ في شرح حال أبي سفيان.

وفي ربيع الأبرار للزمخشري وهو موافق لما حكاه العلّامة في نهج الحقّ أنّ النبيّ كان في خطبته فأخذ معاوية بيد ولده يزيد وقام من المجلس فلم يسمع الخطبة، فقال رسول الله ﷺ: «لعن الله القائد والمقود أيّ يوم يكون لهذه الأُمّة من معاوية (لعنه الله) ذي الإسائة»[1].

والظاهر أنّ لفظ أخيه صحّفت بابنه في عبارة نهج الحقّ لأنّ خطّ العلّامة وعندي منه سطور وهومبعث فخر لي واعتزاز، موجودة في كتبي، ضعيف جدّاً، ومثل هذا التصحيف كثيراً يدور على أقلام الكتاب وإلّا فمن المستبعد كثيراً أن يكون يزيد في زمان النبيّ ﷺ مولوداً لأنّ مدّة عمره معلومة، ولعلّ الخطأ في نسخة «ربيع الأبرار» فلم يلتفت إليه العلّامة.

إذن، لا يكون طعن ابن روزبهان في الرواية صحيحاً ولو سلّمنا جدلاً لما يقوله ابن روزبهان فإنّ القدح في الحديث ينحصر بكونه من المتشابهات. وأمّا لعن معاوية فهو القدر المتيقّن من مضمون الخبر ولا يصحّ التخلّي عنه، والتفكيك في الحجّة، لاسيّما على وجه تستفاد فيه الأحكام من ألفاظ مختلفة فيكون بعضها حجّة والبعض الآخر فاقداً لها أثبتناه في علم الأُصول لا مانع منه.

وفي [كتاب ـ ط] (نهج الحق) يقول: واعترف الفضل بن روزبهان بفضل الله

---

(١) نهج الحقّ: ٣١٠. (هامش الأصل)

أنّ النبي كان يلعنه دائماً ويقول: «اللعين بن اللعين، الطليق بن الطليق»[١].

وروي عن النبي أيضاً في كتاب المعتضد أنّه قال: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[٢].

ونقل في صحاح أهل السنّة أيضاً أنّ الخلافة من بعدي ثلاثون ثمّ يكون ملكاً عضوضاً[٣].

لذلك اعترف ابن روزبهان بأنّ معاوية ليس من الخلفاء بل هو من الملوك ووقع سائر أوليائه في ضيق الخناق فعمدوا إلى التأويل وجائوا بأشياء باطلة ملفّقة ومحصّلها أنّ الملك أدنى من الخلافة بدرجة ولا ينافي صدق اسم الخلافة عليه، وهذا كلام ابن خلدون وابن حجر، وظاهر الحديث ينادي بخلاف ذلك لأنّه:

أوّلاً قابل الملك بالخلافة.

وثانياً سمّى الملك عضوضاً أي إنّه شديد وهذا ينافي أن يكون خلافة ناقصة أي كونه على حقّ وإن لم يصل إلى كمال الزمان السابق. وفي أخبار أُخرى سمّاه ملكاً وجبريّة وملكاً وجبروتاً، وهذان الكلمتان لا يقبلان التأويل.

ثالثاً: ويدلّ على بطلان هذا الوجه ما نقله السيوطي في كتاب تاريخ مصر من طبقات محمّد بن سعد فقد نقل مسنداً أنّ عمر قال لسلمان: هل أنا ملك أو

---

(١) «الطليق بن الطليق اللعين بن اللعين». نهج الحق: ٣٠٩.

(٢) مضى تخريجه في كتاب المعتضد. (هامش الأصل)

(٣) رواه في الصواعق المحرقة: ٢١٧ عن أبي داود والترمذي والنسائي والجمع بين الصحيحين عن مسند أنس بن مالك وأبي عامر أنّ النبيّ ﷺ قال: أوّل دينكم نبوّة ورحمة، ثمّ ملك ورحمة، ثمّ ملك جبريّة، ثمّ ملك عضوض يستحلّ فيه الحرّ والحرّة». راجع تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٩، ونهاية اللغة لابن الأثير ٣: ٣٥٣ مع تفاوت يسير، وأحمد بن حنبل في المسند ١: ٤٥٦، وتطهير اللسان لابن حجر: ١٦، ونهج الحقّ للعلّامة: ٣١٦.

خليفة؟ فقال له سلمان: إذا جبيت درهماً من بلاد المسلمين أو أقلّ من الدرهم ووضعته في غير حقّه فأنت ملك لا خليفة.

وكذلك ساق السند إلى سفيان بن أبي العوجاء أنّ عمر قال: والله ما أدري أخليفة أنا أم ملك؟ فإن كنت ملكاً فهذا أمر عظيم.

قال قائل: يا أميرالمؤمنين، إنّ بينهما فرقاً.

قال: ما هو؟

قال: الخليفة لا يأخذ إلّا حقّاً ولا يضعه إلّا في حقّ، وأنت بحمد الله كذلك، والملك يعتسف الناس فيأخذ من هذا ويعطي هذا.

وهذان الخبران أوّلهما قول صحابيّ وهو حجّة، والثاني تقرير عمر علاوة على أنّه مبطل لخلافته لإظهاره الشكّ وقسمه على الجهل بواقع الحال، وهذا مبطل لخلافة معاوية وغيره منهم.

فظهر أنّ المراد بالملك الظالم المتعسف، فتبيّن أنّ توجيه هذه الفرقة باطل، والالتفات إلى هذا الجواب من خصائص هذا الكتاب.

ومجمل القول أنّ ابن الأثير نقل في أُسد الغابة عن عبدالرحمان الزبيري أنّ عمر قال: إنّ هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثمّ في أهل أُحد ما بقي منهم أحد، ثمّ في كذا كذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء[1].

لقد نفى عمر الخلافة عن معاوية ـ والحمد لله ـ بعناوين ثلاثة؛ لأنّه طليق وابن طليق، وهو من مسلمة الفتح إن كان أسلم (وليس من أهل بدر ـ المترجم) وهذا الاستدلال ممّا انفردت به.

ونقل ابن الأثير وغيره عن ابن عبّاس مسنداً أنّه قال: كنت ألعب مع الصبيان

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٨٨ وقال: أخرجه الثلاثة. (المترجم)

فجاء رسول الله ﷺ فتواريت خلف باب فجاء وحطّأني حطأة وقال: اذهب فادع لي معاوية (لعنه الله) قال: فجئت فقلت: هو يأكل، ثمّ قال: اذهب فادع لي معاوية، قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: لا أشبع الله بطنه ...[١].

وذكر ابن خلّكان في ترجمة النسائي صاحب الخصائص قال: وخرج إلى دمشق فسُئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج رأساً برأس حتّى يفضل.

وفي رواية أُخرى: ما أعرف له فضيلة إلّا لا أشبع الله بطنك[٢].

ووصف ابن خلّكان النسائي فقال: الحافظ كان إمام عصره في الحديث، وامتدحه.

ونقل عن أبي سعيد صاحب تاريخ مصر إنّه قال: كان إماماً في الحديث ثقة ثبتاً[٣].

وهذه المسائل حجّة من النسائي لأنّه من أصحاب السنن وكتابه أحد الصحاح الستّة.

ونقل ابن حجّة الحموي في ثمرات الأوراق عن الإمام الحسن عليه السلام في مجلس المفاخرة: أُنشدكم الله والإسلام، أتعلمون أنّ معاوية كان يكتب الرسائل لجدّي فأرسل إليه يوماً فرجع الرسول وقال: هو يأكل، فردّ الرسول ثلاث مرّات كلّ ذلك وهو يقول: هو يأكل، فقال النبيّ: لا أشبع الله بطنه، أما تعرف ذلك في بطنك يا معاوية؟ ...

---

(١) أُسد الغابة ٤: ٣٨٦، صحيح مسلم ٤: ١٩٤.

(٢) وفيات الأعيان ١: ٦٦ ونقلنا الخبر برمّته. (المترجم)

(٣) نفسه ١: ٦٨. (المترجم)

ونقل السيّد الشهيد ﷺ من تاريخ اليافعي أنّ معاوية ابتلي بدعاء النبيّ ﷺ بشدّة الجوع، وهذا الأمر من المسلّمات المتواترات أنّ معاوية يأكل مرّات عدّة فلا يشبع ويملّ من كثرة الأكل. قيل: إنّه يأكل البعير الكامل.

قال الراغب وابن أبي الحديد وغيرهما: كان معاوية يأكل حتّى يربع، ثمّ يقول: ارفع ما شبعت، أكلت حتّى مللت، وقال الشاعر:

وصاحب لي بطنه كالهاويه ... كأنّ في أحشائه معاويه

وقال السنائي:

هست چون معاويه آز[1] ... كه بخاك از تو دست بردارد باز

وفي مختصر (ربيع الأبرار) المعروف بروض الأخبار يقول: كانت العرب لا تعرف الألوان إنّما كان طعامهم اللحم يطبخ بماء وملح، حتّى كان زمن معاوية فاتّخذ الألوان وتنوّق فيها، وما شبع مع كثرة ألوانه لدعاء رسول الله ﷺ.

والعجيب أنّ مسلماً في صحيحه روى الحديث التالي وأحاديث أُخرى في مضمونه أنّ النبيّ ﷺ قال: إنّما أنا بشر فأيّ المسلمين لعنته أو سببته فاجعله له زكاة وأجراً[2]. وهذا الحديث واضح أنّه موضوع لمصلحة معاوية لتعديله وإصلاح حاله، ولن يصلح العطّار ما أفسد الدهر. لأنّه لا يمكن أن يلعن نبيّ معصوم مبرء من الخلل والزلل أحداً ثمّ تكون له بركة ورحمة.

ثمّ ممّا لا يشكّ فيه أنّ ذلك الوجود القدسي والهيكل النوراني مع تمام تجرّده وكمال تألّهه لا يغضب على من لا يستحقّ الغضب بصريح قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ

---

(١) هكذا ورد الشعر مختلّ الوزن ولم يظهر لي معناه بل ولا بعضه فما أمكنت ترجمته. (المترجم)

(٢) صحيح مسلم، رقم الحديث ٦٥٦١.

عَنِ الْهَوَىٰ* إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[١] والدليل عموم هذه الدعوى. وعلى فرض التسليم لصحّة هذه الأخبار جدلاً فنقول: إن صحّت فينبغي أن يكون معاوية والحكم خارج الأُمّة، لأنّ دعاء النبيّ ظهر فيهما بما جرى على أيديهما من المساوئ كما مرّ في حال الحكم[٢] وما سمعته عن اليافعي والزمخشري وصاحب (روض الأخبار) وابن حجّة وغيرهم عن معاوية[٣] وبناءاً على هذا ينبغي أن يكون الاثنان كافرين، وشدّة اهتمام عثمان بالحكم وردّه بعد نفيه عن المدينة إليها كاشف عن حاله، والحرّ يكفيه الإشارة.

وفي نهج الحقّ روى عن ابن عمر أنّه قال: سمعت النبيّ يقول: سيخرج عليكم رجل يموت على غير سنّتي، فخرج معاوية (لعنه الله)[٤].

والأخبار المتواترة في كفر ونفاق مبغض أميرالمؤمنين عليه السلام الواردة في طرق أهل السنّة الصحيحة كثيرة، ويكفي آخر حديث الغدير: «اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه» وعداوة معاوية لأميرالمؤمنين وسبّه له أظهر من أن يمكن سترها أو إخفائها أو شرحها، ولم أجد من أهل السنّة من ردّها أو أ نكرها إلّا ابن خلدون في مقدّمة تاريخه فإنّه استبعد أن يكون معاوية سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام، وهذا القول منه وإن كان إنكار المتواتر ولكنّي على قلّة اطّلاعي رأيت أكثر من مأة كتاب من كتب أهل السنّة تنقل أنّ معاوية سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام بل حتّى ابن خلدون نفسه صرّح في ذيل أخبار معاوة (لعنه الله) بأنّ المغيرة بن شعبة سبّه وكتب عن حجر بن عدي قائلاً بأنّ سبب قتله إبائه من سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام، ومع ما هو عليه

---

(١) النجم: ٣ و ٤.

(٢) شرح جملة: «وآل مروان». (هامش الأصل)

(٣) في شرح عبارة: «ومعاوية بن أبي سفيان». (هامش الأصل)

(٤) كتاب صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٤٧، تاريخ الطبري ١١: ٣٥٧. نهج الحقّ: ٣١٠. (هامش الأصل)

يظهر من حاله أنّه يعترف بأنّ سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام منكر وموجب للخروج من الملّة لأنّه إن ثبتت الصغرى فإنّنا نثبت تواتر الكبرى بشهادته، وكفر معاوية لعنه الله برهانيّ ومسلّم الطرفين، والحمد لله على وضوح الحجّة.

وهذا المقام وإن استوجب البسط لكن رعاية الاختصار توجب الصمت، وفي أخبار كثيرة بالطرق المعتبرة بل يمكن الحكم عليها بالتواتر أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»[1] وقتله أبو العالية الجهني من جنود معاوية لعنهما الله، ولمّا قامت الفتنة في جيش معاوية أشاع بين الناس أنّ عمّاراً قتله من ألقاه طعمة لسيوفنا ورماحنا وهو عليّ، ولمّا سمع الإمام قوله قال: فينبغي أن يكون الحمزة قتله رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومجمل القول بأنّ الأخبار في ذمّ معاوية خارجة عن حدّ الحصر، وعن بعض متتبّعي فضلاء الهند، أنّه نقل مأتي خبر من الطرق المعتمدة لأهل السنّة فيكون الخلاف بينه وبين أميرالمؤمنين كالخلاف بين أبي جهل وبين رسول الله صلى الله عليه وآله ثابت بالضرورة، ويستحيل الجمع بين المتناقضين، فعلينا إمّا موالاته ومعاداة عليّ أو العكس، ولكن أهل السنّة اختاروا الشقّ الأوّل كما نقل عن كتب علماء ماوراء النهر أنّه يشترط في الستنّن أن يكون بقدر... من عداوة عليّ في القلب[2] وابن خلّكان رفع الحجاب في ترجمة عليّ بن جهم الناصبي نقل ذلك عن الخطيب البغدادي أنّه كان فاضلاً متديّناً ثمّ يقول: وكان مع انحرافه عن عليّ بن أبي طالب وإظهاره التسنّن مطبوعاً مقتدراً على الشعر[3].

---

(١) الإصابة ٢: ٥١٢، الاستيعاب: ٤٨٠، تهذيب التهذيب ٧: ٤٠٩. قالوا: وقد تواترت الأحاديث أنّ عمّار تقتله الفئة الباغية. (هامش الأصل)

(٢) إحقاق الحقّ ٧: ٤٤٧ ففيه ما يفيد المقام. (هامش الأصل)

(٣) إحقاق الحقّ ١: ٢ و ٦٤ و ٧: ٤٤٨ عن وفيات الأعيان. (هامش الأصل)

وهنا يمكن الحصول على فائدتين:

الأولى: إنّ النصب ينافي التديّن.

والثانية: إنّ إظهار التسنّن بالانحراف عن عليّ عليه السلام لأنّ الظاهر أنّ جملة «وإظهاره التسنّن» عطف تفسير على الانحراف فظهر منه أنّ التسنّن مشروط بالانحراف عن أميرالمؤمنين وبغضه، وهذه استفادة لطيفة.

ومن هذه الجهة نسب السيّد المحقّق الشهيد الثالث نضّر الله وجهه في مجالس المؤمنين إلى ابن خلّكان في الترجمة المذكورة: ألقول بأنّ عداوة عليّ شرط في التسنّن ...[1].[2]

ولم يلتفت متأخّروا أهل السنّة كصاحب التحفة في باب المكايد من الكتاب المذكور طريقة استنتاج الشهيد الثالث لعبارته السالفة لذلك عمد إلى تخطئته وتكذيبه... وبناءاً على ما تقدّم فإنّ دعاء الحديث المتواتر «اللهمّ عاد من عاداه» ينطبق على أهل السنّة عامّة إلّا أن يتشبّثوا بذيل حديث مسلم[3] أنّ لعن النبيّ من دواعي المغفرة وليس سبباً للبعد عن رحمة الله لأنّ النبيّ ـ العياذ بالله ـ أحياناً يتلاعب به الشيطان فيتعرّض للسهو والنسيان وغلبة الطبيعة البشريّة في الغضب والرضا ـ ثمّ يفيق من هذه الحالة ويرجع إلى الاستواء..[4].

---

(١) هذا اعتذار عن السيّد الشهيد الثالث لأنّ العبارة بلفظها لا توجد لكن توجد بمعناها ويؤيّد قول سيّدنا الشهيد الثالث قول شيخنا المرحوم أبي الحسن الخنيزي في كتابه «دعوة الحقّ»: لا يموت السنيّ إلّا وفي نفسه شيء من عليّ. (المترجم)

(٢) مرّ في إحقاق الحقّ ١: ٦٤ و٧: ٤٨٨. (هامش الأصل)

(٣) اللهمّ إنّي بشر، مرّ آنفاً. (المترجم)

(٤) أقول: لعن الله من قال ذلك فلقد أخزوا أنفسهم بما وضعوه لتعديل رجل ضالّ منحرف؛ لأنّ النبيّ إن كان يقول غير الحقّ في حالة الغضب ثمّ يعود إلى الصواب فإنّه كذلك في حالة الرضا فقد يغلب عليه

وفي الحقيقة إنّ هذه الحركة الماحقة للدين ما هي إلّا لتوجيه أفعال عمر بن الخطّاب لعنه الله وأخزاه الذي منع من كتابة الكتاب بنصّ البخاري ومسلم، ونسب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله الهجر ـ العياذ بالله ـ والهذيان مفترياً بذلك على الله ورسوله لكي يثبتوا أنّ النبوّة لا تحجز صاحبها عن الهجر والهذيان (قلم اينجا رسيد و سر بشكست).

إنّ المرء إذا وصل إلى هذا الحدّ من الجهل والسخف وبلغ في العناد والتعصّب إلى هذه الدرجة فإنّ الحديث معه لا يليق بأهل العلم والمعرفة.

وأخيراً لمعاوية أوائل عدّة يمكن تصيّدها من كتب التاريخ:

فهو أوّل من وضع البريد.

وأوّل من وضع ديوان الخاتم، وسببه أن أمر لرجل بمائة ألف درهم فلعب الرجل بالكتاب بعد فتحه وصيّر المبلغ مأتي ألف، مِن ثمّ وضع معاوية «ديوان الخاتم» فأتبعه من جاء بعده واقتفى سنّته.

وأوّل من اتخذ ا لمقصورة في المسجد بدعةً.

وأوّل من خطب جالساً بدعة.

وأوّل من حبق على المنبر بمسمع ومشهد[1] كما قال الراغب ذلك.

وأوّل من نقض العهد بجرأة كما قال ذلك على منبر الكوفة بعد إبرامه الصلح مع الإمام الحسن عليه السلام، قال: «إنّي شرطت للحسن شروطاً وكلّها تحت رجلي».

وأوّل من خالف الحديث الصحيح: الولد للفراش وللعاهر الحجر.

➲ الاعجاب برجل فيقول فيه مادحاً غير الحقّ أيضاً فيكون المدح على غير حقيقته ومخالفاً لطبيعته وحينئذٍ يكون كلّ ما وضعوه في حقّ سادتهم لعنهم الله من هذا القبيل لا يمكن أن يصدق أو يقطع به لأنّ قائله معرض لطغيان الطباع الغالبة وحاله حال الشاعر، وهنا لا أملك إلّا لعنهم والبرائة منهم. (المترجم)

(١) سبقه إلى ذلك وليّ نعمته عمر لعنه الله.

وأوّل من أظهر سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام وأشاعه بين الناس.

وأوّل من أقدم على قتل ذرّيّة النبيّ حين سمّ الإمام الحسن عليه السلام كما ثبت ذلك في الكتب المعتمدة لأهل السنّة. وفي قصيدة ابن عبدون يقول:

وفي ابن هند وفي ابن المصطفى حسن أتت بمعضلة الألباب والفكر

فبعضنا قائل ما اغتاله أحد وبعضنا ساكت لم يؤت من حصر

وأوّل من أخذ البيعة لولده واستخلف يزيد وطوّق إثمه في عنقه.

وأوّل من استخدم الخصيان.

وأوّل من أمر بتجريد الكعبة من كسوتها وكان الرسم قبل ذلك جرى برفع كسوتها شيئاً فشيئاً دون تجريدها.

وأوّل من أحيا رسوم الأكاسرة وجلس في مجلسه على السرير.

وأوّل من عبث رعيّته معه في اللهو من دون أن تهابه.

وأوّل من قتل صبراً كما فعل بحجر بن عدي.

وأوّل من رفع الرؤوس على أطراف الرماح كما فعل بعمرو بن الحمق.

وأوّل من استحلف في البيعة وتابعه الحجّاج فاشترط اليمين في البيعة كما رويت هذه المسألة في كتب أهل السنّة.

وفي التي ذكرنا من بدعه وفتنه كفاية عن غيرها، وليست بحاجة إلى بيان، ومن لم يستضيء بمصباح لم يستضيء بصباح.

تذييل وتسجيل

لمّا كان جواز لعن معاوية بل سائر المنافقين من الصحابة محلّ نزاع عظيم وخلاف كبير بين طائفتي الشيعة وأهل السنّة والجماعة، ونحن بيّنّا على طريقة الاحتجاج في هذا الكتاب قدراً يكفي في تصديق المنصف المستبصر ولكن نقل

حول الموضوع رسالة لبعض قدماء الزيديّة جامعة لمجامع الكلام ومحيطة بأطراف المقصود ولم يتوان دقيقة واحدة في علاج الموضوع وقد ذكرها الفاضل النحرير عبدالحميد بن أبي الحديد في الجزء العشرين من شرح نهج البلاغة في شرح كلمة الإمام في خطابه للمغيرة بن شعبة وحديثه معه، قال:

دعه يا عمّار فإنّه لن يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدنيا، وعلى عمد لبّس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته...[١].

ونحن هنا نورد مجمل كلام ابن أبي الحديد ونحسب معاني تلك الرسالة لإتمام الحجّة وإكمال النعمة، ومن كانت له رغبة في التفصيل أو اشتاق إلى فصاحة العبارات ذاتها فعليه بالرجوع إلى الموضع الوارد في الرسالة.

قال ابن أبي الحديد: وحضرت عند النقيب أبي جعفر يحيى بن محمّد العلوي البصري في سنة إحدى عشرة وستّمائة ببغداد وعنده جماعة وأحدهم يقرأ في الأغاني لأبي الفرج، فمرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم فذمّه بعضهم واثنى عليه بعضهم، وأمسك عنه آخرون، فقال بعض فقهاء الشيعة ممّن كان يشتغل بطرف من علم الكلام على رأي الأشعري: الواجب الكفّ والإمساك عن الصحابة وعمّا شجر بينهم.

فقد قال أبو المعالي الجويني[٢]: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وقال: إيّاكم وما شجر بين صحابتي، وقال: دعوا لي أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أُحد ذهباً لما بلغ مدّ أحدكم ولا نصيفه، وقال: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم،

---

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٨. (المترجم وهامش الأصل)

(٢) المؤلّف رحمه الله حذف بعض فقرات الرسالة ورأيت إثباتها لعموم فائدتها ولأنّ تلخيصها بالترجمة يجوز قبوله، أمّا وأنا أنقل الأصل ذاته فالتلخيص مذهب لكثير من فائدته وإن كلّفني جهداً. (المترجم)

وقال: (خيركم القرن الذي أنا فيه ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه ثمّ الذي يليه، وقد ورد في القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين، وقال رسول الله ﷺ: وما يدريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم، وقد روي عن الحسن البصري أنّه ذكر عنده الجمل وصفّين فقال: تلك دماء طهّر الله منها أسيافنا فلا نلطخ بها ألسننا.

ثمّ إنّ تلك الأحوال قد غابت عنّا وبعدت أخبارها على حقائقها فلا يليق بنا أن نخوض فيها، ولو كان واحد من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يحفظ رسول الله ﷺ فيه ومن المروءة] أن يحفظ رسول الله في عائشة زوجته وفي الزبير ابن عمّته وفي طلحة الذي وقاه بيده.

ثمّ ما الذي ألزمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه! وأيّ ثواب في اللعنة والبرائة! إنّ الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلّف لم لم تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يكن عاصياً ولا آثماً، وإذا جعل الإنسان عوض اللعنة استغفر الله كان خيراً له.

ثمّ كيف يجوز للعامّة أن تدخل أنفسها في أُمور الخاصّة وأولئك قوم كانوا أُمراء هذه الأُمّة وقادتها، ونحن اليوم في طبقة سافلة جدّاً عنهم فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم؟ أليس يقبح من الرعيّة أن تخوض في دقائق أُمور الملك وأحواله وشئونه التي تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريه، وقد كان رسول الله ﷺ صهراً لمعاوية وأُخته أُمّ حبيبة تحته فالأدب أن تحفظ أُمّ حبيبة وهي أُمّ المؤمنين في أخيها.

وكيف يجوز أن يلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسول الله مودّة! أليس المفسّرون كلّهم قالوا: هذه الآية أُنزلت في أبي سفيان وهي قوله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ

أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِنْهُم مَوَدَّةً﴾[١] فكان ذلك مصاهرة رسول الله ﷺ أبا سفيان وتزويجه ابنته، على أنّ جميع ما تنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاجرة لم يثبت وما كان القوم إلّا كبني أُمّ واحدة ولم يتكدّر باطن أحد منهم على صاحبه قطّ، ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع.

فقال أبو جعفر ﷺ: قد كنت منذ أيّام علقت بخطّي كلاماً وجدته لبعض الزيديّة في هذا المعنى نقضاً ورداً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي وأنا أخرجه إليكم لأستغني بتأمّله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه فإنّي أجد ألماً يمنعني من الإطالة في الحديث، لاسيّما إذا خرج مخرج الجدل ومقاومة الخصوم، ثمّ أخرج من بين كتبه كرّاساً قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون، وأنا أذكر هاهنا خلاصته، قال:

لولا أنّ الله أوجب معاداة أعدائه كما أوجب موالاة أوليائه وضيّق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها أو صحّ الخبر عنها بقوله سبحانه: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[٢] وبقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾[٣] وبقوله سبحانه: ﴿لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾[٤] ولإجماع المسلمين على أنّ الله تعالى فرض عداوة أعدائه وولاية أوليائه، وعلى أنّ البغض في الله واجب والحبّ في الله واجب لما تعرّضنا لمعاداة أحد من الناس في الدين ولا البرائة منه، ولكانت عداوتنا للقوم تكلّفاً ولو ظننّا إنّ الله عزّ وجلّ يعذرنا إذا

---

(١) الممتحنة: ٧.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) المائدة: ٨١.

(٤) الممتحنة: ١٣.

قلنا: يا ربّ غاب أمرهم عنّا فلم يكن لخوضنا في أمر قد غاب عنّا معنى، لاعتمدنا على هذا العذر، ووالياهم، ولكنّا نخاف أن يقول سبحانه لنا: إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم فلم يغب عن قلوبكم وأسماعكم، قد أتتكم به الأخبار الصحيحة التي بمثلها ألزمتم أنفسكم الإقرار بالنبيّ ﷺ وموالاة من صدّقه ومعاداة من عصاه وجحده، وأُمرتم بتدبّر القرآن وما جاء به الرسول، فهلّا حذرتم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً: ﴿رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاَ﴾[١].

فأمّا لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها وأوجبها، ألا ترى إلى قوله: ﴿أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾[٢] فهو إخبار معناه الأمر، كقوله: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ﴾[٣] وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ﴾[٤] وقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً﴾[٥] وقوله: ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً﴾[٦] وقال تعالى لإبليس: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾[٧] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيراً﴾[٨].

فأمّا قول من يقول: (أيّ ثواب في اللعن؟ وإنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف لم لم

---

(١) الأحزاب: ٦٧.

(٢) البقرة: ١٥٩.

(٣) البقرة: ٢٢٨.

(٤) المائدة: ٧٨.

(٥) الأحزاب: ٥٧.

(٦) الأحزاب: ٦١.

(٧) ص: ٧٨.

(٨) الأحزاب: ٦٤.

تلعن؟ بل قد يقول له: لم لعنت؟ وإنّه لو جعل مكان لعن الله فلاناً، اللهمّ اغفر لي لكان خيراً له، ولو أنّ إنساناً عاش عمره كلّه لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك) فكلام جاهل لا يدري ما يقول؟ اللعن طاعة ويستحقّ عليها الثواب إذا فعلت على وجوهها وهو أن يلعن مستحقّ اللعن لله وفي الله، لا في العصبيّة والهوى. ألا ترى أنّ الشرع قد ورد بها في نفي الولد ونطق بها القرآن وهو أن يقول الزوج في الخامسة: أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفّظ عباده بهذه اللفظة وأنّه قد تعبّدهم بها لما جعلها من معالم الشرع ولما كرّرها في كثير من كتابه العزيز، ولما قال في حقّ القائل: ﴿وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾[1] وليس المراد من قوله «ولعنه» إلّا الأمر لنا بأن نلعنه، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه لأنّ الله تعالى قد لعنه، أفيلعن الله تعالى إنساناً ولا يكون لنا أن نلعنه؟! هذا ما لا يسوغ في العقل. كما لا يجوز أن يمدح الله إنساناً إلّا ولنا أن نمدحه، ولا يذمّه إلّا ولنا أن نذمّه.

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِن ذَلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللّهِ مَن لَّعَنَهُ اللّهُ﴾[2] وقال: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْناً كَبِيراً﴾[3] وقال عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾[4].

وكيف يقول القائل: إنّ الله تعالى لا يقول للمكلّف لم لم تلعن؟ ألا يعلم هذا القائل أنّ الله تعالى أمر بولاية أوليائه، وأمر بعداوة أعدائه فكما يسأل عن التولّي يسأل عن التبرّي. ألا ترى أنّ اليهودي إذا أسلم يطالب بأن يقال له: تلفّظ بكلمة

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) المائدة: ٦٠.

(٣) الأحزاب: ٦٨.

(٤) المائدة: ٦٤.

الشهادتين ثمّ قل: برئت من كلّ دين يخالف دين الإسلام فلابدّ من البرائة لأنّ بها يتمّ العمل! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر:

تـودّ عـدوّي ثـمّ تـزعم أنّـني صديقك إنّ الرأي عـنك لـعـازب

فمودّة العدوّ خروج عن ولاية الولي، وإذا بطلت المودّة لم يبق إلّا البرائة لأنّه لا يجوز أن يكون الإنسان في درجة متوسّطة مع أعداء الله تعالى وعصاته بأن لا يودّهم ولا يبرأ منهم بإجماع المسلمين على نفي الواسطة.

وأمّا قوله: (لو جعل عوض اللعنة استغفر الله لكان خيراً له) فإنّه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه لأنّه يكون عاصياً لله تعالى، مخالفاً أمره في إمساكه عمّن أوجب الله تعالى عليه البرائة منه وإظهار البرائة، والمصرّ على بعض المعاصي لا تقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر، وأمّا من يعيش عمره ولا يلعن إبليس فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطئ على أنّ الفرق بينه وبين ترك لعنه على رؤوس الضلال في هذه الأُمّة كمعاوية والمغيرة وأمثالهما أن أحداً من المسلمين لا يورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم وتجنّب ما يورث الشبهة في الدين واجب، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيراً للإمساك عن لعن هؤلاء.

قال: ثمّ يقال للمخالفين: أرأيتم لو قال قائل: قد غاب عنّا أمر يزيد بن معاوية والحجّاج بن يوسف فليس ينبغي أن نخوض في قصّتهما، ولا أن نلعنهما ونعاديهما، ونبرأ منهما هل كان هذا إلّا كقولكم: قد غاب عنّا أمر معاوية والمغيرة بن شعبة وأضرابهما فليس لخوضنا في قصّتهم معنىً!

وبعد: فكيف أدخلتم أيّها العامّة والحشويّة وأهل الحديث أنفسكم في أمر

عثمان، وخضتم فيه، وقد غاب عنكم! وبرئتم من قتله ولعنتموهم! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصدّيق!!! في محمّد ابنه فإنّكم لعنتموه وفسقتموه، ولا حفظتم عائشة أُمّ المؤمنين في أخيها محمّد المذكور ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما، المتغلّب على حقّه وحقوقهما! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنّة عندكم، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكلّفاً!

وكيف أدخلت العامّة أنفسها في أمر عائشة وبرئت ممّن نظر إليها ومن القائل لها: يا حميراء، وإنّما هي حميراء، ولعنته بكشفه سترها ومنعتنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها؟

فإن قلتم: إنّ بيت فاطمة إنّما دخل، وسترها إنّما كشف حفظاً لنظام الإسلام وكيلا ينتشر الأمر ويخرج قوم من المسلمين أعناقهم من ربقة الطاعة ولزوم الجماعة.

قيل لكم: وكذلك ستر عائشة إنّما كشف وهودجها إنّما هتك لأنّها نشرت حبل الطاعة وشقّت عصا المسلمين، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب إلى البصرة وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتب التاريخ والسير، فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعد جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقّق، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار والبرائة من فاعله من أوكد عرى الإيمان، وصار كشف بيت فاطمة والدخول عليها منزلها وجمع الحطب ببابها وتهدّدها بالتحريق من أوكد عرى الدين وأثبت دعائم الإسلام وممّا أعزّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة،

والحرمتان واحدة والستران واحد[١].

وما نحبّ أن نقول لكم أنّ حرمة فاطمة أعظم ومكانها أرفع وصيانتها لأجل رسول الله ﷺ أولى فإنّها بضعة منه وجزء من لحمه ودمه، وليست كالزوجة الأجنبيّة التي لا نسب بينها وبين الزوج وإنّما هي وصلة مستعارة، وعقد يجري مجرى إجار المنفعة وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء، ولهذا قال الفرضيّون: أسباب التوارث ثلاثة: سبب ونسب وولاء، فالنسب القرابة، والسبب النكاح، والولاء ولاء العتق، فجعلوا النكاح خارجاً عن السبب، ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين.

وكيف تكون عائشة وغيرها في منزلة فاطمة وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنّها سيّدة نساء العالمين؟

قال: وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله ﷺ في زوجته وحفظ أُمّ حبيبة في أخيها، ولم تلزم الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ﷺ في أهل بيته ولا ألزمت الصحابة أنفسها حفظ رسول الله ﷺ في صهره وابن عمّه، ابن عفّان، وقد قتلوهم ولعنوهم، ولقد كان كثير من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة منهم عائشة كانت تقول: اقتلوا نعثلاً لعن الله نعثلاً، ومنهم عبدالله بن مسعود، وقد لعن معاوية عليّ ابن أبي طالب وابنيه حسناً وحسيناً وهم أحياء يرزقون بالعراق، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ويقنت عليهم في الصلوات، وقد لعن أبوبكر وعمر سعد بن عبادة وهو حيّ، وبرئا منه وأخرجاه من المدينة إلى الشام، ولعن عمر خالد بن الوليد لمّا قتل مالكاً ابن نويرة، وما زال اللعن فاشياً في المسلمين إذا عرفوا من

---

(١) لا يقول أحد إلّا من أعمى الله قلبه بالمساواة بين فاطمة عليها السلام وعائشة لعنها الله؛ هذه صاحبة الجمل وتلك سيّدة نساء العالمين. (المترجم)

الإنسان معصية تقتضي اللعن والبرائة.

قال: ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يحفظ زيد لأجل عمرو فلا يلعن لوجب أن يتحفظ الصحابة في أولادهم فلا يلعنوا لأجل آبائهم، فكان يجب أن يحفظ سعد بن أبي وقّاص فلا يلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين، وأن يحفظ معاوية فلا يلعن يزيد صاحب وقعة الحرّة وقاتل الحسين ومخيف المسجد الحرام بمكّة، وأن يحفظ عمر بن الخطّاب في عبيدالله ابنه قاتل الهرمزان والمحارب عليّاً عليه السلام في صفّين.

قال: على أنّه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه رعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ولكن محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله ليست كمحبّة الجهّال الذين يصنع أحدهم محبّته لصاحبه موضع العصبيّة وإنّما أوجب الله ورسول الله محبّة أصحابه لطاعتهم لله فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبّتهم فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبّتهم ولا تغطرس فيم العدول عن التمسّك بموالاتهم.

فلقد كان صلى الله عليه وآله يحبّ أن يعادي أعداء الله ولو كانوا عترته كما يحبّ أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه، والشاهد على ذلك إجماع الأُمّة على أنّ الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتدّ بعد الإسلام وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه.

وذلك أنّه صلى الله عليه وآله قد قطع يد السارق، وضرب القاذف، وجلد البكر إذا زنى، وإن كان من المهاجرين والأنصار. ألا ترى إنّه قال: لو سرقت فاطمة لقطعتها، فهذه ابنته الجارية مجرى نفسه لم يحابها في دين الله ولا راقبها في حدود الله، وقد جلد أصحاب الإفك ومنهم مسطح ابن أثاثة وكان من أهل بدر.

قال: وبعد فلو كان محلّ اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محلّ من لا يعادى إذا عصى

الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح بل يحبّ أن يراقب لأجل اسم الصحبة ويغضى عن عيوبه وذنوبه لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثنائه في القرآن لمّا اتّبع هواه فانسلخ ممّا أُوتي من الآيات وغوى، قال سبحانه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[1] ولكان ينبغي أن يكون محلّ عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحلّ لأنّ هؤلاء كلّهم قد صحبوا رسولاً جليلاً من رسل الله سبحانه.

قال: ولو كانت الصحابة عند أنفسها بهذه المنزلة لعلمت ذلك من حال أنفسها لأنّهم أعرف بمحلّهم من عوام أهل دهرنا، وإذا قدرت فعل بعضهم ببعض دلّتك على أنّ القصّة كانت على خلاف ما سبق إلى قلوب الناس اليوم. هذا عليّ وعمّار، وأبو الهيثم بن التيهان وخزيمة بن ثابت، وجميع من كان مع عليّ عليه السلام من المهاجرين والأصنار لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتّى فعلوا بهما وبمن معهما ما يفعل بالشراة في عصرنا.

وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم وفي جانبهم لم يروا أن يمسكوا عن عليّ حتّى قصدوا له كما يقصد للمتغلّبين في زماننا.

وهذا معاوية وعمرو لم يريا عليّاً بالعين التي يرى بها العامي صديقه أو جاره ولم يقصّروا دون ضرب وجهه بالسيف ولعنه ولعن أولاده وكلّ من كان حيّاً من أهله وقتل أصحابه وقد لعنهما هو أيضاً في الصلوات المفروضات ولعن معهما أبا الأعور السلمي وأبا موسى الأشعري وكلاهما من الصحابة.

وهذا سعد بن أبي وقّاص ومحمّد بن مسلمة وأُسامة بن زيد وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وعبدالله بن عمر وحسّان بن ثابت وأنس بن مالك لم يروا أن

---

(١) الأعراف: ١٧٥.

يقلّدوا عليّاً في حرب طلحة ولا طلحة في حرب عليّ، وطلحة والزبير بإجماع المسلمين أفضل من هؤلاء المعدودين لأنّهم زعموا أنّهم قد خافوا أن يكون عليّ قد زلّ في حربهما وخافوا أن يكونا قد غلطا وزلّا في حرب عليّ.

وهذا عثمان قد نفى أباذر إلى الربذة كما يفعل بأهل الخنا والريب.

وهذا عمّار وابن مسعود تلقّيا عثمان بما تلقّياه به لمّا ظهر لهما ـ بزعمهما ـ منه ما وعظاه لأجله، ثمّ فعل بهما عثمان ما تناهى إليكم، ثمّ فعل القوم بعثمان ما قد علمتم وعلم الناس كلّهم.

وهذا عمر يقول في قصّة الزبير بن العوام لمّا استأذنه في الغزو: ها إنّي ممسك بباب هذا الشعب أن يتفرّق أصحاب محمّد ﷺ في الناس فيضلّوهم.

وزعم أنّه وأبابكر كانا يقولان: إنّ عليّاً والعبّاس في قصّة الميراث زعماهما كاذبين ظالمين فاجرين، وما رأينا عليّاً والعبّاس اعتذرا ولا تنصّلا، ولا نقل أحد من أصحاب الحديث ذلك، ولا رأينا أصحاب رسول الله ﷺ أنكروا عليهما ما حكاه عمر عنهما ونسبه إليهما، ولا أنكروا أيضاً على عمر قوله في أصحاب رسول الله ﷺ أنّهم يريدون إضلال الناس ويهمّون به، ولا أنكروا على عثمان دوس بطن عمّار ولا كسر ضلع ابن مسعود ولا عمّار وابن مسعود ما تلقّيا به عثمان كإنكار العامّة اليوم الخوض في حديث الصحابة، ولا اعتقدته الصحابة في أنفسها ما يعتقدوه العامّة فيهما، اللهمّ إلّا أن يزعموا إنّهم أعرف بحقّ القوم منهم.

وهذا عليّ وفاطمة والعبّاس ما زالوا على كلمة واحد يكذّبون الرواية «نحن معاشر الأنبياء لا نورّث» ويقولون إنّها مختلقة[1]. قالوا: وكيف كان النبيّ ﷺ

---

(١) مع كلّ هذا وفي الشيعة وجوه بارزة راحت تأوّل هذا القول المزعوم وتوجد له الوجوه والاحتمالات

يعرّف هذا الحكم غيرنا ويكتمه عنّا ونحن الورثة ونحن أولى الناس بأن يؤدّىٰ هذا الحكم إليه.

وهذا عمر بن الخطّاب يشهد لأهل الشورى أنّهم النفر الذين توفّي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إن أخّروا فصل الإمامة، هذا بعد ان ثلبهم وقال في حقّهم ما لو سمعته العامّة اليوم من قائل لوضعت ثوبه في عنقه سحباً إلى السلطان ثمّ شهدت عليه بالرفض واستحلّت دمه، فإن كان الطعن على بعض الصحابة رفضاً فعمر بن الخطّاب أرفض الناس وإمام الروافض كلّهم.

ثمّ شاع واشتهر من قول عمر: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه، وهذا طعن في العقد وقدح في البيعة الأصليّة.

ثمّ ما نقل عنه من ذكر أبي بكر في صلاته وقوله عن عبد الرحمن ابنه دويبة سوء ولهو خير من أبيه.

ثمّ عمر القائل في سعد بن عبادة وهو رئيس الأنصار وسيّدها: اقتلوا سعداً قتل الله سعداً، اقتلوه فإنّه منافق، وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه، وحكم بفسقه وبوجوب قتله، وخوّن عمرو بن العاص ومعاوية ونسبهما إلى سرقة مال الفيء واقتطاعه[1] وكان سريعاً إلى المسائة كثير

➲ البعيدة التي تضحك الثكى، منهم سيّدنا الشهيد الصدر في كتاب فدك والشيخ البياضي في كتاب الصراط المستقيم بل والمفيد أيضاً في بعض كتبه. وأقول لهؤلاء وغيرهم ممّن يعزف على هذا الوتر المتهرّء، إنّها إساءة بحسن نيّة إلى أهل البيت وإلى الصدّيقة منهم خاصّة، وكأنّهم استشعروا من أنفسهم فضاعة الكذب على رسول الله من صحابيّ متقدّم فراحوا يخرجون له الوجوه والتأويلات، وأقول لهم بصراحة ولا أخشى أحداً إلّا الله: إنّ أبابكر لعنه الله كذب على رسول الله فتبوّأ مقعده من النار. (المترجم)

(١) اقرأ كتابي «الحكم والأخلاق في منطق الثورة الحسينيّة» لتعرف علاقة عمر لعنه الله الصميمة بمعاوية وكيف قوّاه ليجعل منه واجهة لحرب عليّ في المستقبل. (المترجم)

الجبه والشتم والسبّ لكلّ أحد، وقلّ أن يكون في الصحابة من سلم من معرّة لسانه أو يده، ولذلك أبغضوه وملّوا أيّامه مع كثرة الفتوح فيها، فهلّا احترم عمر الصحابة كما تحترمهم العامّة؟ إمّا أن يكون عمر مخطئاً وإمّا أن يكون العامّة على خطأ[1].

فإن قالوا: عمر ما شتم ولا ضرب ولا أساء إلى عاصٍ مستحقّ لذلك.

قيل لهم: فكأنّا نحن نقول: إنّا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحقّ البرائة والمعاداة، كلّا، ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل، وإنّما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضّح أنّ الصحابة قوم من الناس لهم ما للناس وعليهم ما عليهم؛ من أساء منهم ذممناه، ومن أحسن منهم حمدناه، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبير فضل إلّا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير، بل ربّما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم لأنّهم شاهدوا الأعلام والمعجزات فقربت اعتقاداتهم من الضرورة، ونحن لم نشاهد ذلك فكانت عقائدنا محض النظر والفكر ومعرضة للشُّبَه والشكوك، فمعاصينا أخفّ لأنّا أعذر.

ثمّ نعود إلى ما كنّا فيه فنقول: وهذه عائشة أُمّ المؤمنين خرجت بقميص رسول الله ﷺ فقالت للناس: هذا قميص رسول الله ﷺ لم يبل وعثمان قد أبلى سنّته، ثمّ تقول: أُقتلوانعثلاً قتل الله نعثلاً، ثمّ لم ترض بذلك حتّى قالت: أشهد أنّ عثمان جيفة على الصراط غداً، فمن الناس من يقول: روت في ذلك خبراً، ومن الناس من يقول: هو موقوف عليها، وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامّة زنديقاً.

ثمّ حصر عثمان حصرته أعيان الصحابة فما كان أحد ينكر ذلك ولا يعظمه ولا يسعى في إزالته وإنّما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له وهو رجل كما علمتم من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ ثمّ من أشرافهم ثمّ هو أقرب إليه من أبي

---

(١) أقول: عمر والعامّة كاليهود والنصارى كلاهما مخطئان. (المترجم)

بكر وعمر، وهو مع ذلك إمام المسلمين والمختار منهم للخلافة، وللإمام حقّ على رعيّته عظيم، فإن كان القوم قد أصابوا فإذن ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامّة، إن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول من أنّ الخطأ جائز على آحاد الصحابة كما يجوز على آحادنا اليوم، ولسنا نقدح في الإجماع ولا ندّعي إجماعاً حقيقيّاً على قتل عثمان، وإنّما نقول: إنّ كثيراً من المسلمين فعلوا ذلك والخصم يسلّم أنّ ذلك كان خطأ ومعصية فقد سلّم أنّ الصحابي يجوز أن يخطئ ويعصي وهو المطلوب.

وهذا المغيرة بن شعبة وهو من الصحابة، ادّعي عليه الزنا وشهد عليه قوم بذلك فلم ينكر ذلك عمر ولا قال هذا محال وباطل لأنّ هذا صحابيّ من صحابة رسول الله ﷺ لا يجوز عليه الزنا، وهلّا أنكر عمر على الشهود وقال لهم: ويحكم هلّا تغافلتم عنه لما رأيتموه يفعل ذلك فإنّ الله تعالى قد أوجب الإمساك عن مساوئ أصحاب رسول الله ﷺ وأوجب الستر عليهم؟ وهلّا تركتموه لرسول الله ﷺ في قوله: (دعوا لي أصحابي) ما رأينا عمر إلّا قد انتصب لسماع الدعوى وإقامة الشهادة، وأقبل يقول للمغيرة: يا مغيرة، ذهب ربعك، يا مغيرة ذهب نصفك، يا مغيرة ذهب ثلاثة أرباعك، حتّى اضطرب الرابع فجلد الثلاثة[1]. وهلّا قال المغيرة لعمر: كيف تسمع فيّ قول هؤلاء وليسوا من الصحابة وأنا من الصحابة ورسول الله ﷺ قد قال: (أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم)[2] ما رأيناه قال ذلك بل استسلم لحكم الله تعالى.

---

(١) إنّما اضطرب الرابع بتلقين عمر له، والرابع هو زياد بن أبيه. (المترجم)

(٢) وما أحسن قول الشاعر:

صحابه گرچه ايشان كالنجومند ولي بعض كواكب نحس وشومند

(زهر الربيع: ٣٤٨ط بيروت ـ هامش الأصل)

وهاهنا من هو أمثل من المغيرة وأفضل، قدامة بن مظعون لمّا شرب الخمر في أيّام عمر فأقام عليه الحدّ وهو رجل من علية الصحابة ومن أهل بدر، والمشهود لهم بالجنّة، فلم يردّ عمر الشهادة ولا درأ عنه الحدّ لعلمه أنّه بدريّ، ولا قال قد نهى رسول الله ﷺ عن ذكر مساوئ الصحابة.

وقد ضرب عمر أيضاً ابنه حدّاً فمات وكان ممّن عاصر رسول الله ﷺ ولم تمنع معاصرته له من إقامة الحدّ عليه.

وهذا عليّ عليه السلام يقول: ما حدّثني أحد بحديث عن رسول الله ﷺ إلّا استحلفته عليه أليس هذا اتهاماً لهم بالكذب وما استثنى أحداً من المسلمين إلّا أبابكر على ما ورد في الخبر[1].

وقد صرّح غير مرّة بتكذيب أبي هريرة وقال: لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله ﷺ.

وقال أبوبكر في مرضه الذي مات فيه: وددت أنّي لم أكشف بيت فاطمة ولو كان أُغلق عليّ حرب، فندم، والندم لا يكون إلّا عن ذنب.

ثمّ ينبغي للعاقل ان يفكّر في تأخّر عليّ عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستّة أشهر إلى أن ماتت فاطمة؛ فإن كان مصيباً فأبوبكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة، وإن كان أبوبكر مصيباً فعليّ على الخطأ في تأخّره عن البيعة وحضور المسجد.

ثمّ قال ابوبكر في مرض موته أيضاً للصحابة: فلمّا استخلفت عليكم خيركم في نفسي ـ يعني عمر ـ فكلّكم ورم لذلك أنفه يريد أن يكون الأمر له لما رأيتم الدنيا قد جاءت، أما والله لتتخذنّ ستائر الديباج ونضائد الحرير، أليس هذا طعناً في الصحابة وتصريحاً بأنّه قد نسبهم إلى الحسد لعمر لمّا نصّ عليه بالعهد ولقد

---

(١) حاشا عليّاً أن يقول هذا وقد ثبت عنده كذب أبي بكر في حديث لا نورّث. (المترجم)

قال له طلحة لمّا ذكر عمر للأمر: ماذا تقول لربّك إذا سألك عن عباده وقد ولّيت عليهم فظّاً غليظاً؟ فقال أبوبكر: اجلسوني اجلسوني، بالله تخوّفني؟! إذا سألني قلت: ولّيت عليهم خير أهلك، ثمّ شتمه بكلام كثير منقول، فهل قول طلحة إلّا طعناً في عمر؟ وهل قول أبي بكر إلّا طعن في طلحة؟

ثمّ الذي كان بين أُبي بن كعب وعبدالله بن مسعود من السباب حتّى نفى كلّ واحد منهما الآخر عن أبيه وكلمة أُبيّ بن كعب مشهورة منقولة: ما زالت هذه الأُمّة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيّهم، وقوله: ألا هلك أهل العقدة والله ما آسى عليهم إنّما آسى على من يضلّون من الناس.

ثمّ قول عبدالرحمن بن عوف: ما كنت أرى أن أعيش حتّى يقول لي عثمان: يا منافق، وقوله: لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما ولّيت عثمان شسع نعلي، وقوله: اللهمّ إنّ عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعل به وافعل.

وقال عثمان لعليّ عليه السلام في كلام دار بينهما: أبوبكر وعمر خير منك، فقال عليّ: كذبت أنا خير منك ومنهما؛ عبدت الله قبلهما وعبدته بعدهما.

وروى سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال: كنت عند عروة بن الزبير فتذاكرنا كم أقام النبيّ بمكة بعد الوحي، فقال عروة: أقام عشراً، فقلت: كان ابن عبّاس يقول: ثلاث عشرة، فقال: كذب ابن عبّاس.

وقال ابن عبّاس: المتعة حلال، فقال له جبير بن مطعم: كان عمر ينهى عنها، فقال: يا عدوّ نفسه، من هاهنا ضللتم، أُحدّثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله وتحدّثني عن عمر.

وجاء في الخبر عن عليّ عليه السلام: لولا ما فعل عمر بن الخطّاب في المتعة ما زنى إلّا

شقيّ. وقيل: ما زنى إلّا شفاء أي قليلاً[١].

ومجمل القول تدور مثل هذه الكلمات كثيراً على ألسنة الأصحاب وتخطئة بعضهم لبعض في الأحكام الفقهيّة والشرعيّة كثيرة، ولقد جاء شطر منها في مقال هذا العالم الزيدي الذي نقلناه على وجه التحصيل [التفصيل ـ ظ][٢] إلى أن يقول:

قال المتكلّم: وكيف يصحّ أن يقول رسول الله ﷺ: أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم؟ لا شبهة أنّ هذا يوجب أن يكون أهل الشام في صفّين على هدى وأن يكون أهل العراق أيضاً على هدى، وأن يكون قاتل عمّار بن ياسر مهتدياً، قد صحّ الخبر الصحيح أنّه قال: تقتلك الفئة الباغية، وقال في القرآن: ﴿فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[٣] فدلّ على أنّها ما دامت موصوفة بالمقام على البغي مفارقة لأمر الله ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتدياً.

وكان يجب أن يكون بسر بن أرطاة الذي ذبح ولدي عبدالله بن عبّاس الصغيرين مهتدياً؛ لأنّ بسراً من الصحابة أيضاً.

وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاويه اللذان كاننا يلعنان عليّاً أدبار الصلاة وولديه مهتدين.

وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي محجن الثقفي، ومن يرتدّ عن الإسلام كطليحة الأسدي ابن خويلد فيجب أن يكون كلّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتدياً.

وإنّما هذا من موضوعات متعصّبة الأمويّة فإنّ لهم من ينصرهم بلسانه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١ ـ ٢٥. (المترجم)

(٢) إن لم ينقله المؤلّف مفصّلاً في ترجمته إيّاه فقد نقلته على تمامه وكماله دون حذف منه إتماماً للفائدة. [المترجم]

(٣) الحجرات: ٩.

وبوضعه الأحاديث إن عجز عن نصرهم بالسيف.

قال: فأمّا ما ورد في القرآن من قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّـهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[١] وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾[٢] وقول النبيّ ﷺ: إنّ الله اطّلع على أهل بدر، إن كان الخبر صحيحاً فكلّه مشروط بسلامة العاقبة.

ومن الصحابة الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ الكتاب، ومنهم حبيب بن مسلمة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية، وبسر بن أرطاة عدوّ الله وعدوّ رسوله.

وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس.

وقال كثير من المسلمين: مات رسول الله ﷺ ولم يعرّفه الله سبحانه كلّ المنافقين بأعيانهم وإنّما كان يعرف قوماً منهم ولم يعلم بهم أحداً إلّا حذيفة فيما زعموا[٣]. (فما الذي جرى لهم وأين ولّوا بعد رسول الله ـ المؤلّف).

قال: والعجب من الحشويّة وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء، ويثبتون أنّهم عصوا الله تعالى وينكرون على من ينكر ذلك ويطعنون فيه ويقولون قدريّ معتزليّ، وربّما قالوا: ملحد مخالف لنصّ الكتاب، وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادلون في هذا الباب، فتارة يقولون: إنّ يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة، وتارة يقولون: إنّ داود قتل أُوريا لينكح امرأته، وتارة يقولون: إنّ رسول الله ﷺ كان كافراً ضالّاً قبل النبوّة، وربّما ذكروا زينب بنت جحش وقصّة الفداء يوم بدر، فأمّا قدحهم في آدم عليه السلام وإثباتهم

---

(١) الفتح: ١٨.

(٢) الفتح: ٢٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٩ و٣٠ و٣٣.

معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك فهو دأبهم وديدنهم، فإذا تكلّم واحد في عمرو ابن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح احمرّت وجوههم وطالت أعناقهم وتخازرت أعينهم، وقالوا مبتدع رافضيّ يسبّ الصحابة، ويشتم السلف، فإن قالوا إنّما اتّبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب، قيل لهم: فاتّبعوا في البرائة من جميع العصاة نصوص الكتاب[1] فإنّه تعالى قال: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّـهَ وَرَسُولَهُ﴾[2] وقال: ﴿فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُمَا عَلَى الأُخْرىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ﴾[3] وقال: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[4] ثمّ يسألون عن بيعة عليّ عليه السلام: هل هي صحيحة لازمة لكلّ الناس؟ فلابدّ من (بلى) فيقال لهم: فإذا خرج على الإمام الحقّ خارج أليس يجب على المسلمين قتاله حتّى يعود إلى الطاعة؟ فهل يكون هذا القتال إلّا البرائة التي نذكرها لأنّه لا فرق بين الأمرين وإنّما برئنا منهم لأنّا لسنا في زمانهم فيمكننا أن نقاتل بأيدينا فقصارى أمرنا الآن أن نتبرّأ منهم ونلعنهم وليكون ذلك عوضاً من القتال الذي لا سبيل إليه[5].

وهذا خلاصة كلام ذلك الرجل الزيدي[6]. والحقّ يقال إنّه كلام متين ومتقن ومبنيّ على قواعد المناظرة وصادر عن كمال الديانة وتمام النظر والاطّلاع وبعد ملاحظته بدقّة لا تبقى حجّة لمدّعٍ في الإمساك عن سبّ الصحابة الذين هم من قبيل معاوية وأضرابه.

---

(١) مع أنّنا نستطيع أن نستدلّ على معاصي الصحابة من ظواهر الكتاب. (المؤلّف)

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) النساء: ٥٩.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٣٢ و٣٣. (المترجم)

(٦) نقلنا شطره الأكبر كما هو من دون تلخيص. (المترجم)

وإن كان الانصاف يقتضينا أنّ لعن معاويه لا يفتقر إلى دليل، فمن دقّق النظر فيه وفي أبويه وأبنائه لعنه بالضرورة، وقد أجاد الحكيم السنائي زاد الله سنائه حيث قال:

داستان پسر هند مگر نشنیدی	*که از او وسه کس او به پیمبر چه رسید*
پدر او در دندان پیمبر بشکست	*مادر او جگر عمّ پیمبر بمکید*
او بناحق حق داماد پیمبر بستاد	*پسر او سر فرزند پیمبر ببرید*
بر چنین قوم تو لعنت نکنی شرمت باد	*لعن الله یزید وعلی آل یزید*

خذ أخي واعلم بما قد فعل النغل العنيد
نغل هند وأبي سفيان في العهد البعيد
كفّ صخر كسرت سنّاً هو الدرّ النضيد
لنبيّ‌الله خير الخلق في هذا الوجود
أُمّه قد أكلت أحشاء مولانا الشهيد
نغله قد قتل الـ سبط بأوباش عبيد
أفلا تلعنهم لعناً على الدهر يزيد
لعن الله يزيد وعلى آل يزيد

تنبيه

أراد أهل السنّة لضيق مجالهم وسوء حالهم وغاية اضطرارهم أن يخترعوا مناقب لمعاوية ولكنّهم عجزوا عن ذلك كما جاء في رسالة الصمصام القاطع لعبدالحقّ الدهلوي في شرح «سفر السعادة»، فقد قال: لم يثبت حديث صحيح واحد في باب فضائل معاوية لعنه الله. وقيل: لم يثبت له إلّا كتابته بين يدي رسول‌الله ﷺ وحتّى هذه لم تثبت أيضاً، كذا في جامع الأُصول وغيره، تمّ كلام عبدالحقّ.

وأمّا حديث: اللهمّ اجعله هادياً مهدياً فهو دائر على طرق ثلاث وفي طريقين

منها يتردّد اسم محمّد بن إسحاق بن حرق اللؤلؤي البلخي. وقال ابن الجوزي في رسالته (الردّ على المتعصّب العنيد): كان كذّاباً يبغض أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

وذكره قتيبة بالسوء وقال: سمعت عنه أنّه سبّ أميرالمؤمنين عليه السلام بالكوفة ولمّا أرادوا القبض عليه هرب.

وقال أبو عليّ صالح بن محمّد الحافظ: إنّ محمّداً بن إسحاق كذّاب وضّاع، وكان يروي أحاديث منكرة.

وقال ابن حبّان: يروي عن الثقات شيئاً لا يحلّ روايته.

وفي الطريق الآخرة إسماعيل بن محمّد، وروى ابن الجوزي عن الدارقطني أنّ إسماعيل كذّاب، مضافاً إلى أنّه كما اعترف بذلك ابن الجوزي أن يكون محارب أميرالمؤمنين هادياً مهدياً، كما يشهد بذلك الحديث: حربك حربي.

وجملة القول: إنّهم لعجزهم تشبّثوا بالآية: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾[1] فلقّبوه بخال المؤمنين، وفساد هذا الخيال ظاهر؛ لأنّ المراد بالأُمّ هنا ليست الحقيقة الوالدة بالضرورة كما صرّح بذلك السيّد الأجلّ المرتضى سلام الله عليه في شرح قصيدة الحميري المذهّبة، والفخر الرازي خذله الله في تفسيره الكبير، وإنّ المراد من إطلاق الأُمّ على أزواج النبيّ صلى الله عليه وآله إثبات حرمتهنّ أو المراد بذلك حرمة الزواج منهنّ بعد وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، أو وجوب احترامهنّ ما دُمْنَ على الصراط المستقيم والجادّة القويمة من الشريعة كما أنّ حال الأُمّهات مشبهة لحالهنّ: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلاَ تُطِعْهُمَا﴾[2].

---

(١) الأحزاب: ٦.

(٢) العنكبوت: ٨.

وبناءاً على هذا يكون مؤدّى الآية التنزيل والتشبيه على سبيل الاستعارة وهي على التحقيق الحقيقة الادّعائيّة ومجاز في أمر عقليّ أو على سبيل التشبيه البليغ من قبيل زيد أسد، بناءاً على المذهب المشهور، وهذا في حقيقته راجع إلى الأوّل. والجوهري العارف بأصناف الجوهر المميّز بين أقسام التعابير وطرق المحاورات وأنحاء الأساليب يلمّ بأدنى التفات بما ندّعيه.

وعلى أيّ تقدير افترضته لا تترتّب عليه لوازم الأُمّ وأحكامها من ثَمّ أبنائهنّ لسن أخوات ومحارم للمسلمين[1] كما أنّ أُمّهاتهنّ لسن جدّات، وأخواتهنّ لسن خالات، ولا يحرمن على أيّ واحد من المسلمين بل يجوز للمسلم أن ينكح ابنة زوجة النبيّ من غيره كزينب بنت أُمّ سلمة عليها السلام، وبهذا الوصف كيف يكون أخوهنّ خالاً للمؤمنين، وإذا كان الأمر كذلك فينبغي أن تكون هند جدّة المؤمنين كما قاله السيّد، ويكون أبو سفيان جدّهم، أو تترتّب على منزلته جميع الأحكام أو يُغضّ الطرف عنها بأجمعها وحينئذٍ ما هو الفرق بين هؤلاء ومعاوية؟ وما الذي أوجب التفكيك وأثبت هذا الاعتبار الركيك؟

ومع غضّ النظر عن جميع ذلك نريد أن نعلم من هي الأفضل: عائشة أو أُمّ حبيبة[2]؟ لا ريب سيختارون الأوّل، وفي هذا الحال سنقول لهم: لم لا يكون محمّد بن أبي بكر رضي الله عنه ولعن الله أباه خالاً للمؤمنين؟ إلّا أن يقولوا: إنّ محمّداً كان موافقاً لعليّ واستشهد معه وقد كان لله عبداً صالحاً وولداً ناصحاً من ثمّ سقط من رتبة اعتبارهم، بل قتله معاوية بن خديج لعنه الله بأمر من عمرو بن العاص لعنه الله في فتح مصر، ووضع جثّته في جيفة حمار وأحرقه كما هو مذكور في أدب المحاضرة للسيوطي وغيره من كتب العامّة والخاصّة، والآن قبره يوجد

---

(١) لو كنّ أُمّهات على الحقيقة لجاء إبداء زينتهنّ لأبنائهنّ المؤمنين كما هي عليه حال الأُمّ الحقيقيّة، إقرأ الآية: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ﴾. (المترجم)

(٢) كلاهما لا فضل لهما يا سيّدي، وإن أردت الحقّ والقياس فأُمّ حبيبة أفضل. (المترجم)

في مصر وهو مدفن لبقيّة الأعضاء التي سلمت من النار لهذا الولد الصالح، أو أنّه مكان مقتله ولكنّه مهجور ويزوره الشيعة تقيّة وإن كنت وفّقت لزيارته مراراً، وجرت عادة السنّة أن يولّوا قبره ظهورهم ويقرؤوا الفاتحة لأبيه، وعند عوام العجم مثل معروف يقول: الخير يعرف باب بيت أهله.

وعلى فرض التسليم لخؤلته وهو نسبة عارضة، فما الذي تجديه مع خباثته الظاهرة الذاتيّة؟ لقد آمن الحكيم السنائي بخؤلته لعدم اطّلاعه على التحقيق المتقدّم ولكنّه قال وأحسن:

پسر هند اگرچه خال من است ... دوستی وِیَمْ بکاری نیست
ور نوشت او خطی زبهر رسول ... بخطش نیز افتخاری نیست
در مقامی که شیر مردانند ... در خط و خال اعتباری نیست

إن كان خالي ابن هند لست أقبله ... خالاً ولا حبّه في القلب مركوز
وإن غدى لرسول الله كاتبه ... فليس في ذاك تكريم وتعزيز
وتأنف الأسد من خال بوجنتها ... والخطّ والخال للوجنات تطريز

وقد نظمت البيتين التاليين مع التحقيق المتقدّم مع رعاية الجناس التام ولزوم ما يلزم وذلك في سفري الذي قصدت به الشام من طريق الحجّ وفي دمشق نظمت الأبيات وقلت:

قيل لي فيم لا تعدّ ابن هند ... لك خالاً فقلت ليس بخال
وإذن هند جدّة وأبو سفيان ... جدّ وذاك أكذب خال
ولئن خطّ للرسول كتاباً ... فهو خطّ عن السعادة خالي
وإذا عدّت الفحول المزايا ... لم تكن عبرة بخطّ وخال[1]

(١) ديوان المؤلّف: ٢٧٩ و ٢٨٠. (هامش الأصل)

وَيَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَةَ ...

يزيد بن معاوية لقد سبق ومرّ بك من حالات جدّه وأبيه ما اتّسع له هذا المختصر، وأُمّه ميسون بنت بجدل الكلبيّة.

وفي البحار: قال مؤلّف إلزام النواصب وغيره: إنّ ميسون بنت بجدل الكلبيّة أمكنت عبد أبيها من نفسها فحملت يزيد لعنه الله، وإلى هذا أشار الكلبي:

فإن يكن الزمان أتى علينا بقتل الترك والموت الوحي

فقد قتل الدعي وعبد كلب بأرض الطف أولاد النبي

أراد بالدعي عبيدالله بن زياد لعنه الله.. ومراده بعبد كلب: يزيد ابن معاوية لعنهما الله[1].

ويؤيّد الأخبار الواردة في كامل الزيارات بسندين عن كليب بن معاوية وإسماعيل بن كثير وعن عبدالخالق وداود بن فرق وعبدالله بن مسكان عن الصادق عليه السلام أنّه قال: قاتل الحسين ولد زنا[2]. وهذا الخبر إن لم يكن متواتراً فهو متفق مع أُصول الشيعة ويعتبر مقطوعاً بصدوره لأنّ بعض طرقه صحيح وبعضها مشتمل على أصحاب الإجمال مثل زرارة ومحمّد بن أبي عمير ومنها خمس روايات نقلها خمسة من أصحاب الصادق عليه السلام.

وقاتل الحسين عنوان يندرج تحته شمر وابن سعد وابن زياد ويزيد لعنهم الله، ونحن أشرنا إلى ولاداتهم لغير رشدة ولا نعيد[3].

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٩. (المترجم وهامش الأصل) وعوالم العلوم: ٦٠١. (المترجم)

(٢) كامل الزيارة: ٧٨، بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٣، عوالم العلوم (الإمام الحسين): ٦٠٠. (هامش الأصل) كامل الزيارات: ١٦٣ ط النشر الإسلامي ـ قم ـ الأولى ١٤١٧. (المترجم)

(٣) في شرح قوله: «لعن الله عمر بن سعد ولعن الله شمراً. (هامش الأصل)

وجملة القول انّه لا خلاف في هلاك يزيد وأنّه سنة أربع وستّين للهجرة، والمشهور الموافق لتاريخ الكامل وتاريخ الخلفاء ومختصر أبي الفداء وتتمّة ابن الوردي وغير ذلك أنّه كان في ليل الرابع عشر من ربيع الأوّل انتقل إلى دركات النار. وقال بعضهم: السابع عشر منه.

ووقع الاختلاف في عمره هل هو ثلاث وثلاثون أو ستّ أو ثمان وثلاثون، والأخير هو الأشهر. وزعم السيوطي أنّ ولادته كانت سنة خمس وعشرين، وإلّا ففي ستّ وعشرين هجريّة، وهذا يلائم سنّ الثامنة والثلاثين لذلك المخذول.

وأولاده طبقاً لما جاء في المعارف: معاوية وخالد وعبدالله الأكبر وأبو سفيان وعبدالله الأصغر وعمر وعاتكة وعبدالرحمن وعبدالله أصغر الأصاغر، وعثمان وعتبة الأعور ويزيد ومحمّد وأبوبكر وأُمّ مزيد وأُمّ عبدالرحمن[1].

ويزيد عليه اللعنة قضى عمره باللعب بالقرود والفهود وشرب العقار وأنواع القمار وهتك حرمات الإسلام وقتل الذرّيّة الطاهرة وكشف الستر عن نساء المهاجرين والأنصار وإهانة الحرم النبوي الشريف وسفك دماء أهل المدينة واسترقاق الأحرار من كبار التابعين وهدم الكعبة وإحراق كسوتها المعظّمة وغيرها ممّا لا يتّسع المقام لذكره، وهذا مشتهر غاية الاشتهار، ومنتشر غاية الانتشار، وأوّل من أشاع الفسق والفجور وجاهر بشرب الخمر وسماع الأغاني.

وقال ابن الجوزي في رسالة تجويز لعن يزيد: ذهب وفد إلى الشام من المدينة ولمّا رجعوا أعلنوا سبّه وقالوا: قدمنا من عند رجل ليس له دين، يشرب الخمر ويعزف بالطنابير، ويلعب بالكلاب.

وروي عن عبدالله بن حنظلة غسيل الملائكة أنّه قال في حقّ يزيد: إنّ رجلاً

---

(١) ابن قتيبة، المعارف: ١٥٣. (المترجم)

ينكح الأُمّهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لأبليت لله فيه بلاءاً حسناً.

من هنا ظهرت مناقب إمام أهل السنّة من شرب الخمر وترك الصلاة واللعب بالكلاب والضرب على الطنبور والناي ووطئ الأُمّهات ـ أُمّهات أولاد أبيه ـ والأخوات والبنات، لعنه الله ولعن أشياعه.

وجاء في مروج الذهب أنّه كان يحضر مجالس الطرب ويؤتى بالقيان، فيشرب وابن زياد إلى جانبه، ويأمر الساقي أن يسقيه ويقرأ هذا الشعر المشوم:

اسقني شربة تـروي مشـاشي ثمّ صل فاسق مثلها ابـن زيـاد

صاحب السرّ والأمـانة عـندي ولتسـديد مـغنمي وجـهادي

وفي كامل التواريخ مذكور: قال عمر بن سبيئة: حجّ يزيد في حياة أبيه، فلمّا بلغ المدينة جلس على شراب له فاستأذن عليه ابن عبّاس والحسين، فقيل له: إنّ ابـن عـبّاس إذا وجـد ريـح الشـراب مـع الطيـب (عـرفه، فـلم يأذن له، وأذن للحسين عليه السلام فلمّا وجد ريح الشراب مع الطيب، فقال: لله درّ طيبك ما أطيبه، فما هذا؟ قال: هو طيب يصنع بالشام، ثمّ دعا بقدح فشربه ثمّ دعا بآخر، فقال: اسق أبا عبدالله، فقال له الحسين: عليك شرابك أيّها المرء لا عين عليك منّي، فقال يزيد[1]:

---

(١) لم يدركني العجب من ابن الأثير ولا من يزيد، ولا من الراوي بقدر ما أدركني من المؤلّف الذي نقل رواية موضوعة تصرّح بكذب واضعها لعنه الله ولم يخضعها للنقد العلمي بحيث يتناول سندها أوّلاً وينظر فيه نظر الناقد البصير فيرى من الراوي وعمّن روى وهل هي مسندة أو مرسلة، ومن عمر بن سبيئة هذا راوي الخبر فلم تعرفه كتب الرواة ولا معاجم الرجال، والسند في الكامل مقصور عليه، ومن ثَمّ يكون أدنى من حديث مرسل.

ألا يـا صـاح للـعجب دعـوتك ذا ولم تـجب
إلى الفتيات والشهوات والصـهباء والطـرب
وبـاطية مكـلّلة عـليها سادة العـرب
وفـيهنّ الذي تـبلت فـؤادك ثـمّ لم تـبت

فنهض الحسين وقال: بل فؤادك يابن معاوية تبلت[١].

من هذه القصّة يظهر صلب هذا الإنسان السافل القذر وقلّة حيائه وسوء فطرته وفرط دنائته[٢].

وفي مروج الذهب أيضاً: إنّه كان ليزيد قرد يكنى بأبي قيس، يحضره مجلس منادمته ويطرح له متّكئاً، وكان قرداً خبيثاً، وكان يحمله على أتان وحشيّة قد ريّضت وذلّلت لذلك بسرج ولجام يسابق بها الخيل يوم الحلبة، فجاء في بعض الأيّام سابقاً، فتناول القصبة ودخل الحجرة قبل الخيل وعلى أبي قبيس قباء من

➲ ثمّ ما بال الشيخ غفل عن المتن فلم يخضعه للنقد الواعي البصير، فهل من اللائق بالحسين أن يجلس في مجالس يزيد الذي أنكر عليه وعلى أبيه أفعالهم وتعدّيهم على الأُمّة وغمطهم لحقّها وظلمهم لها، والحسين لم يدخل على معاوية إلّا مكرهاً أو منكراً ـ بكسر الكاف ـ فكيد يدخل على يزيد الخمور والفجور؟ ثمّ هل كان هذا قبل ولايته للعهد أو بعدها؟ فإن كان بعدها فحال الحسين مع يزيد معروفة، وأمّا قبلها فلم يحدّثنا التاريخ الصحيح عن زيارة يزيد المدينة وهذه الرواية تترك زيارته من دون تاريخ وتقول في حياة أبيه فحسب دون تعيين السنة وهذا دليل كذبها ووضعها، وإن قصّر الكاذب مرّة فقد قصّر راوي الكذب ألف مرّة لاسيّما إذا كان ممّن يوالي أهل البيت. (المترجم)

(١) لا يخفى ما في الخبر من قوله: «لا عين عليك» وأنّه من الأكاذيب، ولكن نقله من باب الإلزام للنواصب والتفكيك في الأُصول وفي الأقارير في الفقه غير عزيز ولما فيه من الاستهجان أغمضنا عن ترجمته. (منه ﷺ)

(٢) ويظهر أنّ سماحتك بنقلك لهذه الفرية حاطب ليل، وكيف تجعل ما فيه حطّ لمقام الإمامة والعصمة إلزاماً للناصب بل ليس من المستبعد أن يجعلها الناصب إلزاماً عليك رحمك الله، أنا لا أشكّ بولائك وعلمك ونجابتك وإلّا لكان لي معك حديث آخر. (المترجم)

الحرير الأحمر والأصفر مشمّر وعلى رأسه قلنسوة من الحرير الأحمر منقوش ملمّع ذات ألوان بشقائق وعلى الأتان سرج من الحرير الأحمر منقوش ملمّع بأنواع من الألوان فقال في ذلك بعض شعراء الشام في ذلك اليوم:

تمسّك أبا قيس بفضل عنانها فليس عليها إن سقطت ضمان

ألا من رأى القرد الذي سبقت به جياد أميرالمؤمنين أتان[1]

الحقّ يقال، هؤلاء المؤمنون الذين يسفكون دماء ابن النبيّ ويقترفون مع بنات الصحابة المحرّم ويربطون الخيل في حرم النبيّ وتخلو المدينة من سكّانها بحيث يبول الكلب على... العياذ بالله، بحاجة إلى أمير مثل هذا؛ تارة يصطاد بالنمور، وأُخرى يسابق بالقرود، وأحياناً هو حليف القمار والخمور، وأحياناً رفيق الناي والطنبور.

وأخيراً روى السيوطي في تاريخ الخلفاء عن مسند أبي يعلى عن أبي عبيدة بن الجرّاح عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: لا يزال أمر أُمّتي قائماً بالقسط حتّى يكون أوّل من ثلمه رجل من بني أُميّة يقال له يزيد[2].

وفي مسند الروياني روى عن أبي الدرداء أنّه قال: سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: أوّل من يبدّل سنّتي رجل من بني أُميّه يقال له يزيد[3].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٧٩ و ٨٠. (المترجم)

(٢) تاريخ الخلفاء، وتطهير اللسان لابن حجر: ٦٤ ط القاهرة، الصواعق المحرقة: ٢٢١. (هامش الأصل) السيوطي، تاريخ الخلفاء ١: ٢٠٨ ط مطبعة السعادة بمصر، ١٣٧١ أولى. وأظنّ ـ والله العالم ـ أنّ جملة يقال له يزيد أُلحقت بالنصّ بآخره ولذلك يرويها صاحب جمع الشمل بدونها ويقول: أوّلته الخوارج بعثمان ابن عفّان، فلو كانت الجمله موجودة لما تناولت نعثل لعنه الله ولكنّهم ألحقوها لئلّا تشمله لعنهم الله ولعنه.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٢١. (هامش الأصل)

ولقد سمعت أخبار لعن يزيد في الفقرة السابقة وعرفت أدلّة لعنه من كلام ذلك الرجل الزيدي مشروحاً، وينبغي بعد هذا أن لا يقع خلاف في الأُمّة على جواز لعنه لأنّ من يقتل كبد النبيّ ويسبي عياله في الأطراف والأكناف من بلد إلى بلد كما يفعل بأسرى الكافرين من غير أن ترعى لهم حرمة رسول الله ﷺ وأن يرتكب في حقّهم ما لا يليق بالمسلم تحمله من أي جنس كان طبعاً يكون شخص كهذا مستحقّاً للعن.

ومع كلّ هذا فإنّ الغزالي الذي يدّعي متابعة شريعة النبيّ ﷺ بل يدّعي دعوى الوصول والشهود، ويرى نفسه نبع العلم والعمل، والبالغ أقصى مراتب المنى والأمل (والأهل) لم يستح من الله ورسوله فمنع منعاً باتّاً من لعن يزيد فنجم من بعده طائفة يحملون في صدورهم الحقد القديم ولا يجرؤون على التصريح به ولكنّهم يسرّونه بإظهار التخلّف عن العترة ويضمرون حرمة لعن يزيد كما سمعنا ورأينا الكثير من ذلك طيلة إقامتنا في سامرّاء من قضاتهم ومتعصّبيهم، والآن أرى من الصواب من أجل فضيحة هذا الشيخ الضالّ الذي هو عمدة أهل الجهل والضلال، نقل كلامه ثمّ الجواب على شُبَهه لينال عموم أهل الإيمان ثواب لعنه لأنّه في رأس القائمة من أتباع يزيد، فنقول:

قال ابن خلّكان في ترجمة عليّ بن محمّد الطبري المشهور بالكياء الهراسي، بعد نقل كلام له في المنع عن لعن يزيد سنشير إليه: وقد أفتى الإمام أبو حامد الغزالي في مثل هذه المسألة بخلاف ذلك فإنّه سُئل عمّن صرّح بلعن يزيد لعنه الله هل يحكم بفسقه أم لا؟ وهل يكون ذلك مرخّصاً له فيه؟ وهل كان يزيد قتل الحسين أم كان قصده الدفع؟ وهل يسوغ الترحّم عليه أم السكوت عنه أفضل؟ تنعم بإزالة الاشتباه منّا.

فأجاب: لا يجوز لعن المسلم أصلاً، ومن لعن المسلم فهو الملعون، وقد قال

رسول الله ﷺ: «المسلم ليس بلعّان» وكيف يجوز لعن المسلم ولا يجوز لعن البهائم وقد ورد النهي عن ذلك، وحرمة المسلم أعظم من حرمة الكعبة بنصّ النبيّ، ويزيد صحّ إسلامه، وما صحّ قتله الحسين ولا أمره به ولا رضاه بذلك، ومهما لا يحّ منه لا يجوز أن يظنّ ذلك به فإنّ إساءة الظنّ بالمسلم أيضاً حرام وقد قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾[1] وقال النبيّ ﷺ: إنّ الله حرّم من المسلم ماله ودمه وعرضه، وأن يظنّ به ظنّ السوء. ومن زعم أنّ يزيد أمر بقتل الحسين أو رضي به فينبغي أن يعلم أنّ به غايه الحماقة فإنّ من قتل من الأكابر والوزراء والسلاطين في عصره لو أراد أن يعلم حقيقة من قتله، ومن الذي أمر بقتله، ومن الذي رضي به، ومن الذي كرهه لم يقدر على ذلك وإن كان قد قتل في جواره وزمانه وهو يشاهد فكيف لو كان في [مكان ـ ظ] بعيد، ومن زمن قديم قد انقضى فكيف يعلم ذلك فيما قد انقضى، فكيف يعلم ذلك فيما انقضى قريب من أربعمائة سنة في مكان بعيد وقد تطرّق التعصّب في الواقعة فكثرت فيها الأحاديث من الجوانب فهذا أمر لا يعرف حقيقته أصلاً، وإذا لم يعرف وجب إحسان الظنّ بكلّ مسلم.

وعلى هذا فلو ثبت على مسلم أنّه قتل مسلماً فمذهب أهل الحق إنّه ليس بكافر، والقتل ليس بكفر بل هو معصية، وإذا مات القاتل فربّما مات بعد التوبة، والكافر لو تاب من كفره لم يجز لعنه فكيف من تاب عن قتل، وبم يعرف أنّ قاتل الحسين مات قبل التوبة وهو الذي يقبل التوبة عن عباده، فإذن لا يجوز لعن أحد ممّن مات من المسلمين، ومن لعنه كان فاسقاً عاصياً لله تعالى، ولو جاز لعنه فسكت لم يكن عاصياً، بل لو لم يلعن إبليس طول عمره لا يقال له في القيامة لم

---

(١) الحجرات: ١٢.

لم تلعن إبليس، ويقال للاعن: لم لعنت؟ ومن أين عرفت أنّه مطرود ملعون؟ والملعون هو البعيد من الله، وذلك غيب لا يعرف إلّا فيمن مات كافراً فإنّ ذلك علم بالشرع، وأمّا الترحّم عليه فهو جائز مستحبّ بل هو داخل في قولنا في كلّ صلاة: اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات فإنّه كان مؤمناً، والله أعلم، كتبه الغزالي، انتهى كلام الوفيات[1].

وذكر نحواً من هذا في كتاب (آفات اللسان) من المجلّد الثالث من إحياء العلوم ولكنّه جوّز اللعن مقيّداً كأن يقول: اللهمّ العنه إن مات قبل التوبة.

وخلاصة هذه الأساطير التي هي من إفرازات الحشيش والأفيون، وهي أنّه أجاب السائل عن جواز لعن يزيد وعن صحّة قتل سيّدالشهداء بأمره وهل يجوز الترحّم عليه أو لا؟ فيقول في الجواب: لا يجوز لعن المسلم، ويزيد مسلم، ونسبة قتل الحسين أو رضاه به أو أمره إساءة ظنّ بالمسلم، ومن أجاز ذلك أو صحّحه فإنّه بحكم الكتاب والسنّة غاية في الرعونة.. وسوء الظنّ بالمسلم حرام، ولو أنّ سلطاناً أو اميراً او وزيراً في زماننا قتل أحداً لعسرت معرفة الحقيقة عن القاتل أو الآمر من هو؟ وإن كان السلطان قريباً من مسرح القتل ويراه الرائون فكيف إذا وقع القتل في زمان بعيد ومكان شاسع وقد مرّ على هذا القتل قرابة أربعمائة عام فكيف تعرف حقيقته، ومع عدم العلم يجب إحسان الظنّ بأهل القبلة، ولو ثبت على مسلم القتل فإنّ ذلك لا يوجب الكفر عند الأشاعرة ويمكن أن يموت القاتل بعد التوبة، ولا يجوز لعن الكافر بعد التوبة فكيف بالقاتل، ومن ذا الذي يجزم بأنّ يزيد مات قبل التوبة أو يعلم ذلك، إذن لا يجوز لعن المسلم مطلقاً، ومن لعنه عُدّ فاسقاً عاصياً، ولو جاز لعنه ثمّ سكت لم يكتب عاصياً، ولو

---

(١) وفيات الأعيان ٣: ٢٨٨ ط بيروت، دار الثقافة، تحقيق إحسان عبّاس. (المترجم)

لم يلعن إبليس طول عمره لا يُسئل عن ذلك يوم القيامة، ولو لعن لسُئل عن ذلك، لأنّ اللعن طرد من الرحمة، والملعون مطرود من رحمة الله، وكيف تعرف حاله وهو بعيد، والإخبار عنه تخرّص بالغيب إلّا في حقّ امرئ مات على الكفر، وأمّا الترحّم على يزيد فهو جائز ومستحبّ بل هو داخل في قولنا في كلّ صلاة: اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات، ويزيد كان مؤمناً[1]، وهذا حاصل تحقيق الغزالي الذي ألقاه على قلبه الشيطان، استمداداً من باطن يزيد بحكم: «إنّ الشياطين ليوحون إلى أوليائهم زخرف القول».

والحقّ يقال أنّ ادّعاء الإيمان ليزيد يتمّ بثمن باهض على أولياء أهل البيت عليهم السلام حيث أنّه قتل أولاد النبيّ وساق بناته ونسائه حواسر على الجمال من بلد إلى بلد ومن تنوفة إلى تنوفة، كأنّهم أسرى الترك والكابل، يتصفّح وجوههنّ القاصي والداني من العراق إلى الحجاز، وحمل رأس ابن النبيّ على السنان فتارة يصلبه على باب داره وأُخرى يضعه في الطشت، ويشرب الخمر ثمّ يلقي عليه ثمالة الكأس، ويظهر الفرح والسرور، ويضرب شفتيه وأسنانه استخفافاً بقضيبه وهي من أعظم المصائب عند الإنسان الغيور، فياللعجب أن يكون شخص مثل هذا مؤمناً والترحّم عليه مستحبّاً.

لمؤلّفه:

قل لمن لا يجيز لعن يزيد ... أنت إن فاتنا يزيد يزيد

زادك الله لعنة وعذاباً ... وله الله ضعف ذاك يزيد..[2]

---

(١) احتاج المؤلّف إلى عرض هذا التلخيص لأنّه اعتبره بمثابة الترجمة للنصّ السابق واضطررت إلى متابعته وإن كان قد تكرّر نوّاً لأنّي رأيت عدم ترجمته تحدث ثغرة في الكتاب. (المترجم)

(٢) ديوان المؤلّف: ٢٨٠. (هامش الأصل)

ونحن نعرض لجواب هفوات الغزالي ونجيبه على جزئيّات كلامه على نحو الإجمال لا التفصيل وإن كان هذا الكلام غاية في الضعف والركاكة وإيغالاً في الفساد والسخافة، ولا يستحقّ الردّ بل لا يجد المسلم لا ولا الكافر الملتفت إلى الأُصول والقواعد الإسلاميّة شبهة من هذه الكفريّات والأباطيل، ولكنّنا لإثبات أنّ هذا الكلام صدر من صاحبه تعصّباً للباطل وعناداً للحقّ وهو صرف زندقة وإلحاد نعرض لإبطال أقواله قولاً قولاً:

أمّا قوله: «لا يجوز لعن المسلم» فجوابه أنّ لعن المسلم إن كان على الإسلام فهذا غير جائز طبعاً وهو كفر، وإذا كان لعنه من دون سبب فهو غير جائز أيضاً ويُعدّ فسقاً، وإذا أُريد باللعن اللعن المطلق لعناوين أُخرى مثل الظلم والفسق وشرب الخمر وقتل النفس وأمثال ذلك فهذا مخالف لنصوص الكتاب والسنّة ـ أي عدم تجويزه ـ بل ينافي الضرورات من دين الإسلام لأنّ اللعن على العناوين المذكورة ورد كثيراً في القرآن والحديث المتواتر، وهو يفوق حدّ الحصر.

واستشهاده بأنّ المسلم ليس بلعّان يظهر جوابه ممّا حكى ابن الجوزي عن خطّ القاضي أبي الحسن محمّد بن القاضي أبي يعلى وتصنيفه فإنّه صنّف كتاباً في بيان من يستحقّ اللعن، وذكر فيهم يزيد، وقال: الممتنع من ذلك إمّا أن يكون غير عالم بجواز ذلك أو منافقاً يريد أن يوهم بذلك، وربّما استغرّ الجهّال بقوله: المؤمن لا يكون لعّاناً وهو محمول على من لا يستحقّ اللعن.

وأمّا قوله: «يزيد مسلم» فهو أوّل الكلام لأنّ أقواله وأفعاله كليهما يدلّان على كفره، على أنّه لا يوجد سبب يدلّ على إسلامه وتحوّله من الكفر إليه لأنّك سمعت كفر جدّه وأبيه اللّذَين عاشا في ظلّ الشرك عمرهما كلّه تفصيلاً فلا يعدّان والحال هذه من المسلمين، فمتى ولج الإسلام بيته بعد هذا ليحكم به له؟

أمّا دلالة أقواله على كفره فهي ظاهرة مثل هذا الشعر الذي قاله في نعت الخمر:

شميسة كرم برجهها قعر دنّها ومشرقها الساقي ومغربها فمي
فإن حرمت يوماً على دين أحمد فخذها على دين المسيح ابن مريم

ومثل هذا الشعر الذي أنكر به المعاد ونقله عنه الكياالهراسي:

أقول لصحب ضمّت الكأس شملهم وداعي صبابات الهوى يترنّم
خذوا بنصيب من نعيم ولذّه فكل وإن طال المدى يتصرّم

ومثل هذا الشعر الذي ذكر جمع من المؤرّخين أنّه تمثّل به بعد دخول أهل البيت مجلسه وهو شعر ابن الزبعرى:

ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

وأوّل الأبيات هذه:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل
ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا يا يزيد لا تشل

قال ابن الجوزي الحنبلي في رسالته الموسومة بـ«الردّ على المتعصّب العنيد المانع من لعن يزيد»: أنبأنا عليّ بن عبدالله الزاغولي قال: أخبرنا أبو جعفر بن مسلمة، عن أبي عبدالله المرزباني قال: أخبرنا محمّد بن أحمد الكاتب قال: أخبرنا عبدالله بن أبي معد الورّاق قال: حدّثنا يحيى الأحمري قال: أنبأنا ليث عن مجاهد قال: جيء برأس الحسين بن عليّ فوضع بين يدي يزيد بن معاوية فتمثّل بهذين البيتين:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثمّ قالوا لي بغيب لا تشل

قال مجاهد: نافق فيها ثمّ والله ما بقي في عسكره إلّا تركه أي عاب، ولامه.

قلت: هذه الأبيات لابن الزبعرى ثمّ نقل شيئاً منها وقال: وذلك أنّ المسلمين قتلوا يوم بدر منهم خلقاً فقتلوا منهم يوم أُحد خلقاً فاستشهد به يزيد وكأنّه غيّر بعضها ويكفي استشهاده بها خزياً.

ونسب سبط ابن الجوزي الأبيات الأربعة ليزيد وروى البيتين الأوّليّين «لعبت هاشم» إلى آخره عن الشعبي وأنّها نسبها إلى يزيد[١] وقدّس الله روح الرضي حيث قال وأجاد:

طلبت ترات الجاهليّة عندها ... وشفت قديم الغلّ من أحقادها

زعمت بأنّ الدين سوّغ قتلها ... أوليس هذا الدين من أجدادها

ومجمل القول: نقل المسعودي في مروج الذهب: وكتب إلى ابن الزبير:

أدعو إلهك في السماء فإنّني ... أدعو عليك رجال عكّ واشعر

كيف النجاة أبا حبيب منهم ... فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر[٢]

ونقل في ديوانه وشهد به سبط ابن الجوزي وهو معروف في كتب المقاتل أنّه أنشد هذين البيتين لمّا ورد أهل البيت الشام وكان يزيد في منظره على جيرون (مجاز في الجامع الأموي) اللذين أخبرا عن كفره القديم ونفاقه الدفين:

لمّا بدت تلك الحمول وأشرقت ... تلك الشموس على ربى جيرون

نعب الغراب فقلت نح أو لا تنح ... فلقد قضيت من النبيّ ديوني[٣]

قال في التذكرة: قال الزهري: لمّا جاءت الرؤوس كان يزيد (لعنه الله) في منظرة على جيرون، فأنشد لنفسه: «لمّا بدت» إلى آخره.

---

(١) تذكرة الخواصّ: ٢٣٥.

(٢) مروج الذهب ٣: ٨١. (المترجم)

(٣) التذكرة: ٢٣٥ وفيها من الغريم وعند المؤلّف جيحون وهو تصحيف. (المترجم)

وروى سبط ابن الجوزي أيضاً عن ابن عقيل أنّه قال: وممّا يدلّ على كفره وزندقته فضلاً عن سبّه ولعنه أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، فمنها قوله في قصيدته التي أوّلها:

عليه هاتي واعلني وترنّمي ... بذلك إنّي لا أُحبّ التناجيا
حديث أبي سفيان قدماً سمى به ... إلى أُحد حتّى أقام البواكيا
ألا هات[1] فاسقيني على ذاك قهوة ... تخيّرها العنسي كرماً شنآميا
إذا ما نظرنا في أُمور قديمة ... وجدنا حلالاً شربها متواليا
وإن متّ يا أُمّ الأُحيمر فانكحي ... ولا تأملي بعد الفراق تلاقيا
فإنّ الذي حدثت عن يوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القلب واهيا
ولابدّ لي من أن أزور محمّداً ... بمشمولة صفراء تروي عظاميا

قال القزغلي: ومنها:

لو لم يمسّ الأرض فاضل بردها ... لما كان فيها[2] مسحة للتيمّم

ومنها: «لمّا بدت تلك الحمول...» وقد ذكرناها.

ومنها قوله:

معشر الندمان قوموا ... واسمعوا صوت الأغاني
واشربوا كأس مدام ... واتركوا ذكر المعاني
شغلتني نغمة العيدان ... عن صوت الأذان
وتعوّضت عن الحور ... عجوزاً في الدنان

إلى غير ذلك ممّا نقلته من ديوانه، انتهى[3].

---

(١) سقيني ـ المؤلّف.

(٢) عندي ـ المؤلّف.

(٣) التذكرة: ٢٦٠ و ٢٦١.

وأمّا أفعاله فيكفي في فظاعتها قتل سيّدالشهداء عليه السلام ريحانة النبيّ صلى الله عليه وآله وسيّد شباب أهل الجنّة ومحبوب حبيب الله، ومن المعلوم أنّ قتله هتكٌ لحرمة جدّه صلى الله عليه وآله، ولقد أفتى علماء أهل السنّة كما ورد في الصواعق أنّ رمي الصحف في مجمع القاذورات كفر لأنّه راجع إلى هتك حرمة الشرع، سبحان الله! فكيف لا يكون قتل فلذة كبد الرسول وبضعة الطاهرة البتول هتكاً لحرمة الشرع النبوي وموجباً للكفر، ولله درّ منصور النمري شاعر هارون في الجهر والعلن، ومادح أميرالمؤمنين سرّاً بل كان يكنّى بهارون عن أميرالمؤمنين لقول النبيّ صلى الله عليه وآله فيه: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» كما ذكره السيّد في الغرر والدرر، قال:

لا شكّ عندي في كفر قاتله ... لكنّني قد أشكُّ في الخاذل

يقتل ذرّيّة النبيّ ويرجون ... جنان الخلود للقاتل

مضافاً إلى ما فعله من الاستخفاف بحقّ العترة الطاهرة بعد القتل من النهب والأسر وسوقهنّ أسرى إلى بلاد ليس معهنّ من حماتهنّ حمي، ولا من ولاتهنّ ولي، يتصفّح وجوههنّ القريب والبعيد، والشريف والوضيع، الذي لا يناسب أدنى حدود الإسلام.

يقول ابن الجوزي في رسالته (الردّ على المتعصّب العنيد): ليس العجب من فعل عمر بن سعد وعبيدالله بن زياد وإنّما العجب من خذلان يزيد وضربه بالقضيب على ثنية الحسين عليه السلام وإغارته على المدينة أفيجوز أن يفعل هذا بالخوارج[1] أو في الشرع أنّهم يدفنون.

أمّا قوله: لي أن أسبيهم فأمر لا يقنع لفاعله ومعتقده باللعنة، ولو أنّه احترم

---

(١) لقد فعل أبوبكر بن أبي قحافة بالعرب باسم الردّة من القتل والحرق والنهب والأسر حين سلّط السفّاح خالد بن الوليد عليهم ما فعله يزيد بالمدينة، فما الفرق بين الأوّل والآخر ليت شعري! (المترجم)

الرأس حين وصوله وصلّى عليه ولم يتركه في طست ولم يضربه بقضيب ما الذي كان يضرّة وقد حصل مقصوده من القتل، ولكن أحقاد جاهليّة ودليلها ماتقدّم من إنشاده: «ليت أشياخي ببدر شهدوا..» الخ.

وكذلك دليل كفره وقعة الحرّة وانتهاك حرمة رسول الله ﷺ فيها ما أشرنا إلى ذلك إجمالاً.

ومختصر القول في بيانها أنّ عبدالحقّ الدهلوي وهو من أكابر المتأخّرين وأهل الهند السنّة، يقول في كتابه (جذب القلوب إلى ديار المحبوب) وهو كتاب موضوع في تاريخ المدينة، قال: قال القرطبي: كان سبب خروج أهل المدينة عنها كما جاء في بعض الأحاديث وقعة الحرّة حين بلغت المدينة المطهّرة في الرونق والعمارة إلى أحسن مرتبة وأكمل درجة وكانت تعجّ ببقايا الأصحاب من المهاجرين والأنصار والعلماء أصحاب الوزن الرفيع من التابعين والأخيار، ولمّا تواترت الحوادث عليها هجرها أهلها خوفاً من توالي الأحداث وحدوث الآفات، ورحوا من ذلك الموضع الذي هو محلّ الرحمات ومتنزّل البركات.

وأرسل يزيد بن معاوية لعنهما الله مسلم بن عقبة المرّي في جحفل جرّار من الشام لقتال أهل المدينة وأمره بالتمثيل بهم على أقبح وجه، وأباح لهم مدّة ثلاثة أيّام، فهتكوا الحرمات واستحلّوا الفروج والدماء، ومن هذه الجهة سمّيت واقعة الحرّة[1].

وقعت هذه الحرّة في حرّة واقم التي تبعد ميلاً عن الحرم النبوي الشريف فقتل فيها ألف وسبعمائة من بقايا المهاجرين والأنصار والعلماء الأخيار، وعشرة آلاف

---

(١) للمدينة حرار تحيط بها وهي الحجارة السوداء وقد وقعت هذه في إحداها فسمّيت الحرّة باسمها وليست اشتقاقاً من الحريّة كما تصوّر صاحب هذا الكلام. (المترجم)

من غمار الناس ما عدا النساء والأطفال، وقتل سبعمائة شخص من حملة القرآن المجيد وسبعة وتسعون من قريش، قتلوا بالسيف صبراً، وأُبيح الفسق فيها والزنا والفساد إلى الحدّ الذي وضعت ألف امرأة بعد هذه الواقعة من الزنا أولاداً، وربطوا الخيل في مسجد النبيّ ﷺ وبالت وراثت في الموضع الذي هو روضة من رياض الجنّة أي بين القبر والمنبر. وأخذ البيعة ليزيد من الناس على أنّهم عبيد وخول إن شاء باع وإن شاء أعتق، وإن شاء أذن لهم بالطاعة أو قسرهم على المعصية.

ولمّا قال يزيد بن عبدالله بن رفعة: أُبايعكم على كتاب الله وسنّة رسوله، ضربوا عنقه فوراً.

يقول هذا العبد ـ المؤلّف ـ: إنّ هذا العمل نتيجة لما فعله عبدالرحمن بن عوف لعنه الله في بيعة أميرالمؤمنين حين أبى قبولها على كتاب الله وسنّة رسوله يوم الشورى وعند ذلك قال له: على كتاب الله وسنّة رسوله وسيرة الشيخين لعنهما الله، فأبى عليّ عليه السلام وقال: بل على كتاب الله وسنّة رسول الله، فأبى عبدالرحمن لعنة الله عليه وبايع عثمان، والحقيقة أنّ عبدالرحمن يتحمّل وزر أفعال يزيد وهي في عنقه[1] كما يحصل ذلك للعاقل المتأمّل المحايد.

بعد ذلك قال عبدالحقّ: قال القرطبي: عن رواة الأخبار أنّ المدينة في ذلك الوقت خلت من أهلها تماماً وصارت ثمارها وفواكهها للوحوش والهوام والبهائم، واتخذت الكلاب والحيوانات في المسجد الشريف بيوتها وأوجارها، وصحّ ما أخبر عنه الصادق، وبان للعيان ما حدّث عنه، انتهى كلام (جذب القلوب)[2].

---

(١) سيّدي أيّها الشيخ الجليل إنّ الوزر الأكبر في عنق الكلبين اللذين تصدّيا لها واغتصباها من أهلها. (المترجم)

(٢) ويناسب المقام نقل كلام السعد التفتازاني وابن حجر: قال السعد: والحقّ أنّ رضاء يزيد بقتل الحسين

وأخيراً مع هذا القدر من الهتك والاستخفاف في حرم النبيّ فمن شكّ في كفر يزيد فإنّه هو الكافر طبعاًفلعنة الله عليه وعلى من والاه وعلى من نصره أو مال إليه.

ونقل ابن الجوزي عن المدائني قريباً من هذا في رسالة الردّ على المتعصّب العنيد وهو صاحب التاريخ، ووثّقه، ونقل ابن حجر هذه الوقائع تفصيلاً وقال: وأُخيفت أهل المدينة أيّاماً فلم يتمكّن أحد دخول مسجدها حتّى دخلته الكلاب والذئاب وبالت على منبره ﷺ تصديقاً لما أخبر، انتهى موضع الحاجة.

والسبب الثاني: هتك الكعبة كما قال ابن الجوزي في مقاتلة ابن الزبير، وقذفت الكعبة بالمجانيق يوم السبت ثالث ربيع الأوّل، وأخذ رجل قباء (كذا) من رأس رمح فطارت به الريح واحترق البيت.

وتفصيل هذين الواقعتين مذكور في الكتب المعتمدة لأهل السنّة مثل (كامل ابن الأثير) و(تاريخ أبو الفداء) و(تاريخ ابن الوردي) وغيرها، وليس غرضنا من هذا الكتاب التاريخ بل لمحض الإشارة وإتمام الحجّة ننقل أحياناً نقولاً مختصرة من الوقايع للمناسبة، والله الموفّق.

ووافقنا جماعة من أهل السنّة على كفر يزيد كابن حجر في الصواعق، فقد قال: اعلم أنّ أهل السنّة اختلفوا في تكفير يزيد بن معاوية ووليّ عهده من بعده، فقالت

➲ وإهانته أهل البيت ممّا تواتر معناه وإن كانت تفاصيله آحاداً، فنحن لا نتوقّف في شأنه بل في إيمانه فلعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

وفي المسايرة: واختلف في كفر يزيد، فقيل: نعم، وقيل: لا، وقيل بالتوقّف، وقد أجاز لعنه أحمد بن حنبل والقاضي أبو يعلى، وحزمه الغزالي وابن عربي (لعنهما الله).

وقال ابن حجر: وصحّ أيضاً أنّه ﷺ رأى ثلاثين منهم ينزون على منبره نزو القردة فغاضه ذلك وما ضحك بعده إلى أن توفّاه الله سبحانه وتعالى، ولعلّه هؤلاء ويزيد بن معاوية فإنّه من أقبحهم وأفسقهم، بل قال جماعة من الأئمّة بكفرهم. راجع تطهير الجنان وتذييله ص٥٣ ط القاهرة. (هامش الأصل)

طائفة: إنّه كافر لقول سبط ابن الجوزي وغيره المشهور أنّه لمّا جاءه رأس الحسين عليه السلام جمع أهل الشام وجعل ينكث رأسه بالخيزران وينشد أبيات ابن الزبعرى: «ليت أشياخي ببدرٍ شهدوا»[1] إلى آخره. ثمّ نقل كلام ابن الجوزي عن كتاب التذكرة لسبطه ونحن نقلناه من الكتاب ذاته وظاهر العبارة كما يلي:

إنّ مذهب مجاهد تكفير يزيد ونقل ذلك عن إمامهم أحمد بن حنبل. وحكي عن ملّا علي القاري في كتاب الشرح الفقه الأكبر أنّه وافق على كفر يزيد ردّاً على سؤال أتاه عن ذلك وتمسّك بواحد من الوجوه السابقة وقال: قيل: نعم لمّا روي عنه ما يدلّ على كفره من تحليل الخمر وتفوّهه عند قتل الحسين وأصحابه إنّي جازيتهم ما فعلوا بأشياخ قريش وصناديدهم وأمثال ذلك ولعلّه وجه ما قال الإمام أحمد بكفره لما ثبت عنده نقل تقريره لا لما وقع منه من الاجتراء على الذرّيّة الطاهرة كالأمر بقتل الحسين عليه السلام، انتهى كلامه.

وسنذكر كلام التفتازاني عمّا قريب إن شاء الله وما أحسن ما قاله عمارة الفقيه اليمني الشاعر المشهور في التعريض بكلام يزيد هذا وحال بني أُميّة، ولله درّه وعلى الله برّه.

غصبت أُميّة إرث آل محمّد ... سفهاً وشنّت غارة الشنآن

وغدت تخالف في الخلافة أهلها ... وتقابل البرهان بالبهتان

لم تقتنع حكّامهم بركوعهم[2] ... ظهر النفاق وغارب العدوان

وقعودهم في رتبة نبويّة ... لم يبنها لهم أبو سفيان

حتّى أضافوا بعد ذلك أنّهم ... أخذوا بثأر الكفر في الإيمان

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٢٠ ط القاهرة. (هامش الأصل)

(٢) هكذا هي وأظنّها بركوبهم. (المترجم)

فأتى زيـاد فـي القـبيح زيـادة تركت يزيد يزيد في النـقصان

وجملة القول فإنّ هذا المذهب ليس من بدع الروافـض وإن زعـمه الغـزالي خذله الله إن مات على كفره وزندقته وإلحاده وتعصّبه وجحوده وعناده، ونحن باستطاعتنا أن نثبت كفر يزيد من طرق أهل السنّة الصحيحة وأخبارهم عـموماً وخصوصاً مثل كفر منكر الولاية لأهـل البـيت ومـبغضهم ومـحاربهم، وشـانئ الحسنين عليهما السلام واستلزام إيذاء النبيّ الموجب للكفر بحمد الله ولكن لمّا كانت هذه الطائفة لا تستحقّ الخطاب لعنادهم وتعصّبهم وإنّ الغشـاوة التـي عـلى قـلوبهم ليست من الخفّة بحيث ترتفع أو تزول بهذه البيانات والإلزامات لم تر من اللازم تطويل المقال مع ضيق المجال، ولا فائدة تبتغى وراء ذلك.

إن كان في البـيت أحـد يكـــفي نـداء واحـد

مع أنّ مطالعة هذا الكتاب سابقه ولاحقه تغني عن بسط الكلام في هذا المقام، والله الهادي.

وأمّا قول الغزالي نسبة القتل... الخ فقد كفانا مؤنة جوابه الملّا سعد التفتازاني الذي ملأ صيته بين أهل السنّة والجماعة سمع الدنيا فـي كـتابه (شـرح العـقائد النسفيّة) وشرح المقاصد وأظهر حكم الغزالي تلويحاً يقول في الكتاب: الأوّل: الحقّ أنّ رضا يزيد بقتل الحسين عليه السلام واستبشاره بذلك وإهانة أهل بيت رسـول الله صلى الله عليه وآله ممّا تواترمعناه وإن كان تفصيله آحاداً فنحن لا نتوقّف في شأنه بل فـي إيمانه، لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه[1].

ويقول في شرح المقاصد: ما وقع بين الصحابة من المحاربات والمشاجرات على الوجه المسطور في كتب التواريخ والمذكور على ألسنة الثقات يدلّ بظاهره

---

(١) والغزالي منهم، والعجب من الشهيد السيّد الشوشتري كيف جعله من الشيعة. (المترجم)

على انّ بعضهم قد حاد عن طريق الحقّ وبلغ حدّ الظلم والفسق وكان الباعث له الحقد والعناد والفساد والحسد واللداد وطلب الملك والرياسة والميل إلى اللذّات والشهوات إذ ليس كلّ صحابيّ معصوماً ولا كلّ من لقي النبيّ ﷺ بالخير موسوماً إلّا أنّ العلماء لحسن ظنّهم بأصحاب رسول الله ﷺ ذكروا لها محامل وتأويلات بها تليق، وذهبوا إلى أنّهم محفوظون عمّا يوجب التضليل والتفسيق صوناً لعقائد المسلمين عن الزيغ والضلالة في حقّ كبار الصحابة سيّما المهاجرين منهم والأنصار والمبشّرين بالثواب في دار القرار.

وأمّا ما جرى بعدهم من الظلم على أهل بيت النبيّ فمن الظهور بحيث لا مجال للإخفاء، ومن الشناعة بحيث لا اشتباه على الآراء إذ يكاد يشهد به الجماد والعجماء، ويبكي له من في الأرض والسماء، وينهدّ منه الجبال، وتنشقّ الصخور، ويبقى سوء عمله على كرّ الشهور ومرّ الدهور فلعنة الله على من باشر أو رضي أو سعى ولعذاب الآخرة أشدّ وأبقى.

فإن قيل: فمن علماء المذهب من لا يجوّز اللعن على يزيد مع علمهم بأنّه يستحقّ ما يربو على ذلك ويزيد.

قلنا: تحامياً عن أن يرتقى إلى الأعلى فالأعلى كما هو شعار الروافض على ما يروى في أدعيتهم ويجري في أنديتهم فرأى المعتنون بأمر الدين إلجام العوام بالكلّيّة طريقاً إلى الاقتصاد في الاعتقاد بحيث لا تزلّ الأقدام عن السواء ولا تضلّ الأفهام بالأهواء، وإلّا فمن يخفى عليه الجواز والاستحقاق؟ وكيف لا يقع عليهما الاتفاق... إلى آخر ما قال.

والمنّة لله على أنّ هذا العلّامة عظيم الشأن من أهل السنّة اعترف بظهور الفسق والظلم الناشئ عن الحقد والعناد من الصحابة، وأنّ الظلم لأهل البيت بلغ حدّاً أبكى معه الجمادات والحيوانات، وعلماء السنّة مجمعون على لعن يزيد، وإنّما

جرى المنع لئلّا يسري منه إلى معاوية، ومن معاوية إلى عثمان، ومن عثمان إلى عمر، ومن عمر إلى أبي بكر[١] لأنّ هؤلاء سلسلة واحدة وحبل واحد فلا يسوغ لعن الأوّل والترحّم على الآخر، ولعلّ إلى هذه السلسلة أشار تعالى بقوله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ﴾[٢] ونحن سنوضّح هذه المقالة في ذيل شرحنا لهذه الفقرة بقدر ما يتّسع له الوقت وحجم الكتاب بمنّة تعالى.

من هنا علمت حال الغزالي من كونه منكراً للمتواتر إمّا للمصلحة اعتمد المنع وفي الحقيقة إنّه من المجوّزين والحمد لله على الوفاق.

وأمّا قوله: «لو أنّ سلطاناً...» إلى آخر كلامه فإن كان قصده أنّ تعيين الواقعة مع بعد العهد وتطاول الزمن مشكل فهو مسلّم، وإن زعم أنّ ذلك مستحيل فهو سدّ لباب إثبات الشرايع وإنكار إمكان التواتر، وبناءاً على هذا لا يبعد أن يقول له اليهود والنصارى من أين جاءك العلم بأنّ شخصاً يدعى محمّداً بعث في أرض تهامة وادّعى النبوّة وأقام المعجزة على دعواه؟ فما يجيب به اليهودي نجيب نحن به يهودي الأُمّة الذي لقّب نفسه بحجّة الإسلام وفي الحقيقة ينبغي أن يدعى بـ(شبهة الكفر) حذو النعل بالنعل لأنّه لا جواب له إلّا دعوى تواتر النقل وتظافر الأخبار، وثبت عندنا بهذا التواتر نفسه قتل يزيد لسيّدالشهداء ورضاه بذلك كما اعترف بذلك شارح العقائد النسفيّة.

---

(١) شاهد هذا القول قول الغزّالي وغيره: ويحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكاياته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنّه يهيج على بغض الصحابة والطعن فيهم.. الصواعق المحرقة: ٢٢٣. (هامش الأصل) وأنا بدوري لا أملك لهم إلّا اللعنة التي جرت على لساني يوم نطقت وسوف تكون آخر كلمة أقولها إن شاء الله. (المترجم)

(٢) الحاقّة: ٣٠ـ ٣٢.

وأمّا قوله: «من أين يعلم أنّ يزيد لم يتب» وجوابه أنّ إصراره على الفعل وإهانته لأهل البيت بعد قتلهم وسروره واستبشاره وجلوسه مع ابن زياد في مجلس الشراب وأمره الساقي بسقيه ومدحه بالأمانة وأنّه صاحب السرّ في أشعاره السابقة تكفي في إثبات إصراره. وسبط ابن الجوزي يروي القصّة على النحو التالي:

إنّه استدعى ابن زياد إليه وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرّب مجلسه ورفع مجلسه وأدخله على نسائه وجعله نديمه وسكر ليلة وقال للمغنّي: غنّ، ثمّ قال يزيد بديهاً:

اسقني شربة تروي فؤادي[١] ثمّ مل فاسق مثلها ابن زياد

صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي

قاتل الخارجيّ أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحسّاد[٢]

وفي الفتاوي الكبرى وهي من الأُصول المعتمدة عند أهل السنّة والجماعة مرويّ أنّ صاحبها قال: اكتحل يزيد بدم الحسين وبالأثمد لتقرّ عينه[٣]، ومن هنا

---

(١) مشاشي ـ المؤلّف.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٢٦٠. (المترجم)

(٣) إن كان شيخنا الجليل يقصد بـ«الفتاوى الكبير» الفتاوى الكبرى لابن تيميّة لعنه الله، فقد جاء فيه: سُئل شيخ الإسلام عمّا يفعله الناس في يوم عاشوراء من الكحل والاغتسال والحناء والمصافحة وطبخ الحبوب وإظهار السرور وعزوا ذلك إلى الشارع فهل ورد في ذلك عن النبيّ ﷺ حديث صحيح أم لا؟ وإذا لم يرد حديث صحيح في شيء من ذلك فهل يكون فعل ذلك بدعة أم لا؟ وما تفعله الطائفة الأُخرى من المأتم والحزن والعطش وغير ذلك من الندب والنياحة وقرائة المصروع (كذا) وشقّ الجيوب هل لذلك أصل أم لا؟

الجواب: الحمد لله ربّ العالمين، لم يرد في شيء من ذلك حديث صحيح عن النبيّ ﷺ ولا عن الصحابة ولا استحبّ ذلك أحد من المسلمين؛ لا الأئمّة الأربعة ولا غيرهم، ولا روى أهل الكتب المعتمدة في ذلك شيئاً؛ لا عن النبيّ ﷺ ولا الصحابة ولا التابعين، لا صحيحاً ولا ضعيفاً، لا في كتب الصحيح ولا في

ندرك أنّ اكتحالهم في يوم عاشورا مستند إلى الأُسوة بيزيد لعنه الله ولعن من استنّ بسنّته، ومع أنّ توبته لم تثبت وحكم كفره ما يزال قائماً ثابتاً فليس من سبب يدعو للاستدلال خلاف ذلك، ولا دليل على قبول التوبة من كلّ مذنب، لأنّ وجوب التوبة تحقيقاً لا يعود إلى العقل بل يوجب الوعد، ولا يوجد هذا الوعد بحقّ يزيد لعنه الله، فقد جاء في كتاب العيون بثلاثة طرق عن الإمام الرضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ موسى بن عمران سأل ربّه عزّ وجلّ فقال: يا ربّ، إنّ أخي هارون مات فاغفر له، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، لو سألتني في الأوّلين والآخرين لأجبتك ما خلا قاتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام فإنّي أنتقم له من قاتله[1].

وحديث وحشيّ وقول النبيّ صلى الله عليه وآله له: غيّب وجهك عنّي لا أراك شاهد على المدّعى كما جاء في أُسد الغابة عن وحشيّ أنّ النبيّ قال له: ويحك! غيّب وجهك

السنن ولا المسانيد، ولا يعرف شيء من هذه الأحاديث على عهد القرون الفاضلة، ولكن روى بعض المتأخّرين في ذلك أحاديث مثل ما رووا: إنّ من اكتحل يوم عاشوراء لم يرمد من ذلك العام، ومن اغتسل يوم عاشوراء لم يمرض ذلك العام، وأمثال ذلك. ورووا فضائل في صلاة يوم عاشوراء، ورووا أنّ في يوم عاشوراء توبة آدم واستواء السفينة على الجودي وردّ يوسف على يعقوب وإنجاء إبراهيم من النار وفداء الذبيح بالكبش ونحو ذلك. ورووا في حديث موضوع مكذوب على النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر السنة، ورواية هذا كلّه عن النبيّ صلى الله عليه وآله كذب ولكنّه معروف من رواية سفيان بن عيينة (لعنه الله) عن إبراهيم بن محمّد بن المنتشر عن أبيه، قال: بلغنا أنّه من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته. وإبراهيم بن محمّد بن المنتشر من أهل الكوفة، إلى آخر ما قال. [الفتاوى الكبرى ٢: ٢٩٥ فأنت ترى أنّ القول الذي عزاه المؤلّف إلى الفتاوى لا يوجد فيها ولعلّه يقصد كتاباً آخر يحمل مثل هذا الاسم، والله أعلم]. (المترجم)

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٤٧، بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٠، عوالم العلوم: ٦٠٦. (هامش الأصل) وجرى تطبيقه على العيون. (المترجم)

عنّي لئلّا أرى وجه قاتل الأحبّة..[١].

فلو أنّه رأى يزيد لارتعد بدنه واحترق لبّه وتراخت عبراته، وقد أجاد ابن الجوزيّ حيث قال: وأنين العبّاس وهو مأسور ببدر منع النبيّ النوم فكيف بأنين الحسين ؟! ولمّا أسلم وحشيّ قاتل حمزة قال له النبيّ: غيّب وجهك فإنّي لا أُحبّ أن أرى من قتل الأحبّة، وهذا الإسلام يجبّ ما قبله فكيف بقلبه أن يرى من ذبح الحسين عليه السلام وأمر بقتله وحمل أهله على أقتاب الجمال، انتهى لفظه في رسالة الردّ على المتعصّب العنيد.

وأيّ مسلم يرضى بتوبة يزيد لو فرضناها محالاً، فيرحمه الله ويبوئه الجنّة على أنّ حقوق المسلمين في هذه الواقعة معقودة في عنق يزيد، والتوبة لو صحّت أنّها تنفعه فإنّها تسقط حقّ الله دون ما سواه، وقوله تعالى: ﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لأَمْرِ اللّهِ﴾[٢] لا يصحّ نزولها في وحشيّ كما يظهر ذلك من أخبار أهل البيت عليهم السلام، ولو سلّمنا جدلاً بالتوبة فإنّ الآية شاهد على عدم وجوب قبولها على الله سبحانه، ويثبت مطلبنا ما جاء من امتنان الله على خلقه في خلق النار وعذاب جهنّم في سورة الرحمن[٣] لأنّه لو بطل الجزاء ولم يؤخذ للمظلوم من ظالمه، ولم توضع جهنّم نصب عين الظالم فإنّ ذلك يكون جوراً داخلاً على المظلومين.

وأمّا ما قاله الغزاليّ: «لا يجوز لعن المسلم وهو كفر وإلحاد وزندقة وتدليس وتلميع ومخرقة» ففي القرآن الكريم لعن الله طائفة من الناس وإن كانوا مسلمين، ويزيد تنطبق عليه عناوين اللعن جميعاً، ومنها يعرف جواز لعن يزيد، وقد ذكر

---

(١) أُسد الغابة في ترجمة الوحشيّ. (هامش الأصل)

(٢) التوبة: ١٠٦.

(٣) ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِن نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلاَ تَنتَصِرَانِ * فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ * فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٥ـ٣٧]. (هامش الأصل)

الفاضل الزيديّ شطراً منها، ونحن هاهنا نسوق آيات ثلاثاً من القرآن المجيد تنطبق انطباقاً تامّاً على يزيد وتلعنه صراحة مع غضّ النظر عن الآية الكريمة والشجرة الملعونة في القرآن[1] التي أجازت لعن بني أُميّة قاطبة.

الآية الأُولى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾[2]. ولمّا كان يزيد قد أباد جماعة من المؤمنين بل سيّد شباب أهل الجنّة بالقهر والظلم والغلبة فهو ملعون ومغضوب عليه ومخلَّد في نار جهنّم، وحال به العذاب العظيم حتماً إن شاء الله.

الآية الثانية: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ* أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[3]. ابن الجوزيّ وساق السند إلى صالح ابن أحمد بن حنبل قال: قلت لأبي: إنّ طائفة من الناس ينسبونا إلى موالاة يزيد، فقال أبي: وهل يوالي يزيد مؤمن أو من جعل الله فيه خيراً؟ فقلت له: ولم لا تلعنه إذاً؟ فقال: ومتى رايتني لعنت أحداً، وأنت ألا تلعن من لعنه الله ورسوله في كتابه؟ قلت: وأين لعنه الله في القرآن؟ فقرأ قوله تعالى: «فهل عسيتم...» الآية، ثمّ قال: وهل أشدّ فساداً من القتل.

وأورد على هذه الآية عبدالمغيث البغدادي في رسالته التي كتبها في منع لعن يزيد، يقول: نزلت هذه الآية في اليهود وليس لها صلة بغيرهم.

وأجابه ابن الجوزيّ أنّ راوي اختصاص نزولها في اليهود مقاتل وحده، وأجمع المحدّثون على تكذيبه مثل البخاري ووكيع والساجي والرازي والنسائي

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) النساء: ٩٣.

(٣) محمّد ﷺ: ٢٢ و٢٣.

وغيرهم، وهل يكون مع قول أحمد في نزولها في المسلمين قول آخر مقبول؟ ولو سلّمنا جدلاً نزولها في اليهود، فإنّ خصوص المورد لا يوجب خصوص الحكم كما هو مقرّر في علم الأُصول.

الآية الثالثة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُهِيناً﴾[1]. وما من شكّ بأنّ يزيد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين وفاطمة، وبناءاً على ما ذكره البخاري ومسلم في الصحيحين ورواه أحمد في المسند كما سلف في أوائل الكتاب[2] وإيذائهم إيذاء لرسول الله صلى الله عليه وآله، فتبيّن ممّا تقدّم أنّ لعنه مصرَّح به في القرآن، ولعلّ أهل السنّة والجماعة يجنحون إلى لعنه أكثر من جنوحهم إلى تكفيره.

قال عليّ بن برهان الشافعيّ فيما حكى عنه في سيره ناقلاً عن الكياالهراسي ما لفظه: وقد استفتى الكياالهراسي من أكابر ائمّتنا معاشر الشافعيّة وكان من رؤوس تلامذة إمام الحرمين عن يزيد هل هو من الصحابة؟ وهل يجوز لعنه؟ فأجاب بأنّه ليس من الصحابة لأنّه ولد في أيّام عمر بن الخطّاب، وللإمام أحمد قولان في لعنه تلويح وتصريح، وكذا للإمام مالك وكذا لأبي حنيفة، ولنا قول واحد التصريح دون التلويح، وكيف لا يكون كذلك وهو اللاعب بالنرد والصيّاد بالفهد ومدمن الخمر وشعره في الخمر معلوم، انتهى. ونقل هذه المقالة ابن خلّكان في ترجمة الكياالهراسي المسمّى عليّ بن محمّد ابن عليّ الطبريّ عنه.

ومحصّل القول أنّ الأئمّة الأربعة متفقون على جواز لعن يزيد بل انعقد

---

(١) الأحزاب: ٥٧.

(٢) في شرح: «لعن الله أُمّة أسّست أساس الظلم». وما روي لأن العامّة: «من حاربكم فقد حارب رسول الله، ومن سالمكم فقد سالم رسول الله». (هامش الأصل)

إجماعهم على هذا، والغزّالي خرق الإجماع من الأئمّة مضافاً إلى مخالفة القرآن الكريم، بل خالف نصوصه الصريحة كالذي رواه ابن الجوزيّ أنّ النبيّ ﷺ قال: من أخاف المدينة أخافه الله، وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، ولا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلاً.

وهاهنا لطيفة تناسب المقام لا مناص من ذكرها. يقول مجير الدين الحنبليّ في كتابه «الأنس الجليل» الذي كتبه في تاريخ القدس والخليل، وهو من كتب القوم الجليلة، يقول تحت عنوان «مدن وقرى بيت المقدس»: منها إقطاع تميم الداريّ الذي أقطعه له النبيّ ﷺ، وهي الأرض التي ولد بها بلد سيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، وما حولها من الأرض، وكتب له في ذلك قطعة أديم من خفّ أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام بخطّه.

وقد حكى المؤرّخون لفظ الإقطاع على وجوه مختلفة، وقد رأيت عند التكلّم على الإقطاع المشار إليه القطعة الأديم التي يقال إنّها من خفّ أميرالمؤمنين عليّ ابن أبي طالب عليه السلام وقد صارت رثّة وفيها بعض أثر الكتابة، ورأيت معها ورقة مكتوبة في الصندوق الذي فيه القطعة الأديم منسوب خطّ هذه الورقة إلى أميرالمؤمنين المستنجد بالله العبّاسيّ تغمّده الله برحمته، كتب فيها نسخة الإقطاع وصورة ما كتبه المستنجد بخطّه:

الحمد لله، هذه نسخة كتاب رسول الله ﷺ الذي كتبه لتميم الداريّ وإخوته في سنة تسع من الهجرة بعد منصرفه من غزوة تبوك في قطعة أديم من خفّ أميرالمؤمنين عليّ وبخطّة نسخته كهيئته رضي الله تعالى عنه وعن جميع الصحابة:

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أنطاه محمّد رسول الله ﷺ لتميم الداري وإخوته حبرون والمرطوم وبيت عينون وبيت إبراهيم وما فيهنّ نطيّة بت بينهم ونفذت وسلّمت ذلك لهم ولأعقابهم؛ فمن آذاهم آذاه الله، فمن آذاهم لعنه الله،

شهد عتيق بن أبي قحافة وعمر بن الخطّاب وعثمان بن عفّان، وكتب عليّ بن أبي‌طالب وشهد، وقد نسخت ذلك من خطّ المستنجد بالله كهيئته، ولعلّ هذا أصحّ ما قيل فيه، والله أعلم.

واستمرّ هذا الإقطاع بيد ذرّيّة تميم الداريّ يأكلونها إلى يومنا وهم مقيمون ببلد سيّدنا الخليل عليه الصلاة والسلام، وهم طائفة كثيرة يقال لهم: الداريّة، وهذا ببركات النبيّ صلى الله عليه وآله.

وتقدّم عند ذكر الصحابة أنّ تميم الداريّ كان أميراً على بيت المقدس وقد تعرّض بعض الولاة لآل تميم وأراد انتزاع الأرض منهم ورفع أمرهم إلى القاضي أبي حاتم الهرويّ الحنفيّ قاضي القدس الشريف فاحتجّ الداريّون بالكتاب، فقال القاضي: هذا الكتاب ليس بلازم لأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أقطع تميماً ما لم يملك، فاستفتى الوالي الفقهاء وكان الإمام أبو حامد الغزّاليّ رحمه الله حينئذٍ ببيت المقدس قبل استيلاء الإفرنج عليه، فقال: هذا القاضي كافر فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: زويت لي الأرض كلّها، وكان يقطع الجنّة فيقول: قصر كذا لفلان، فوعده صدق وعطاؤه حقّ، فخزي القاضي والوالي وبقي آل تميم على ما بأيديهم، وكانت هذه الحادثة حين كان أبوبكر ابن العربيّ بالشام، وتقدّم في ترجمته أنّه دخل إلى الشرق في سنة خمس وثمانين وأربعمائة وقدم إلى الشام وبيت المقدس[1].

كان هذا كلام صاحب تاريخ بيت المقدس، وتميم بن أوس الداري هذا له ترجمة في أُسد الغابة و(السحابة)(كذا)[2] وغيرهما من الكتب التي ترجمت للصحابة.

ويشتمل هذا الحديث على ثلاث فوائد:

---

(١) مجير الدين الحنبليّ، الأُنس الجليل ٢: ٨١ و٨٢ ط المكتبة الحيدريّة ـ النجف ١٣٨٦ هـ. (المترجم)

(٢) لعلّه يريد الإصابة.

الأُولى: يظهر للإنسان الناظر فيه كيف يلعن النبيّ من آذى أولاد تميم الداري ولكنّه لا يلعن من آذى أولاده (هذا لا يجوّزه عاقل فضلاً عن فاضل وإن جوّزه الخبيث الجاهل[1]).

الثانية: بيان أحوال علماء أهل السنّة وولاتهم وكيفيّة مخالفتهم للنصّ النبويّ الصريح، وكيف يجتهدون في مقابل النصّ ويحكمون بخطأ المشرّع في إقطاع الأراضي، وورثوا هذا الاجتهاد من خليفتهم (لعنه الله) الذي منع من كتابة الكتاب وحكم بهذيان النبيّ ﷺ. وقال في موضع آخر: «متعتان محلّلتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وأنا أُحرّمهما وأُعاقب عليهما».

الثالث: إنّ الغزالي حكم بكفر هذا القاضي ولم يحكم بكفر يزيد الذي قطع فرع شجرة النبوّة وأنكر الشرع والشارع صراحة، ونفى البعث والوحي والكتاب، ويدّعي هو الإسلام في حين يرى عدوّ الله ورسوله وقاتل ذرّيّة البتول مسلماً يالله ويا للمسلمين أهون بهذه الشريعة والملّة وأهون بهذا المذهب والطريقة.

وأمّا قوله: «كلّ من لعن يزيد فهو فاسق وعاصٍ» فلقد سمعت أوّلاً أنّ رسول الله ﷺ، وثانياً: الأئمّة الأربعة، وثالثاً علماء المذهب كما عرفت في كلام شارح المقاصد ذلك، فإن قصد الغزالي بحكمه عموم الأُمّة فهو كفر صريح، وإن قصد العلماء من مذهبه ونسب إليهم الفسق والعصيان فإنّنا نتفق معه على فسقهم وعصيانهم وإن خالفناه في الاستدلال.

وأمّا قوله: «لو جاز لعنه» إلى آخره، فهو كلام سخيف ومنهار من أساسه، لأنّ ترك لعن الكفّار والمنافقين ناشئٌ من الكفر والنفاق، كترك لعن إبليس، بل لعن يزيد وأمثاله أشدّ لزوماً من لعن إبليس كما عرفت الفرق في كلام الرجل الزيديّ

---

(١) هذه العبارة جاءت بالعربيّة. (المترجم)

الذي سلف.

وأمّا قوله: «من أين يعلم» الخ، فهو كلام ضعيف وظاهر الفساد، لأنّ القصد من لعنة شخص هو الدعاء عليه باللعنة مثل لعنه الله، واللهمّ العنه، وهو إنشاء، وليس إخباراً، ومعناه الطلب من الله أن يبعّده من رحمته وليس إخباراً عن الغيب، هذا أوّلاً، وأمّا ثانياً فإنّ البعد من رحمة الله يعرف بإخبار الأنبياء الذين هم سفراء الله تعالى بينه وبين خلقه؛ لأنّ الجنّة دار القرب من الله، والنار دار البعد عنه، فمن أخبروا عنه أنّه من أهل الجنّة كان قريباً من رحمة الله، ومن أخبروا عنه أنّه من أهل النار فهو البعيد عنها، وفهم هذا المطلب يعود إلى الشرع ويسهل فهم المسألة في الرجوع إليه.

وأمّا جواز الترحّم على يزيد لعنه الله واندراجه في عموم قوله: «اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات» فهو من باب زاد في الشطرنج بغلة[1] وزاد في الطنبور نغمة وإلّا فلم يسمع من أحد من علماء الإسلام إلّا عن عبدالمغيث البغدادي صاحب الرسالة في المنع من لعن يزيد، ومحيي الدين ابن العربي وعبدالقادر الجيلاني وعامّة النواصب، وليس واحد منهم مسلماً فلم يلتزم بذلك غيرهم، وإن كان من لوازم مذهبهم كما سوف تعرفه إن شاء الله.

وكيف كان فقد انتقض ـ ولله الحمد ـ غزل الغزالي، وانصرم حبل كيده وضلالته، ودمّرنا على بنيان بيانه المؤسّس على شفا جرف هار من غيّه وضلالته.

نادرة

وعن عجائب الأُمور أنّ الغزالي مع إصراره الشديد على المنع من لعن يزيد وإنكاره رضاه بقتل سيّدالشهداء، يعجب في كتاب (سرّ العالمين) من أولئك

---

(١) لأوّل مرّة أعثر على مثل مثل هذا في اللغة العربيّة. (المترجم)

الذين ينكرون نسبة القتل إلى يزيد بعد عدّة كلمات في ردّ خلافة الخلفاء الثلاثة، وبيان غلبة الهوى والعصبيّة عليهم، ومن المناسب نقل نفس عبارته في هذا الكتاب ليظهر للعين تهافته الصريح وتناقضه الواضح بين كلاميه، واعترافه هذا من فضل مذهبنا الحقّ، الذي يعترف خصومه بين الفينة والفينة لإتمام الحجّة الإلٰهيّة وبالإمدادات من فيوض الولاية، قهراً باللوازم والمؤيّدات لهذا المذهب ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾[1].

قال الغزالي في كتابه المسمّى بسرّ العالمين وكشف ما في الدارين:

المقالة الرابعة في ترتيب الخلافة: اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن آل أمرها إليه، فمنهم من زعم أنّها بالنصّ، ودليلهم قوله تعالى: ﴿قُل لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً﴾[2] وقد دعاهم أبوبكر إلى الطاعة بعد رسول الله ﷺ فأجابوه.

وقال بعض المفسّرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ...﴾[3] الآية قال في الحديث: إنّ أباك هو الخليفة من بعدي يا حميراء، وقالت امرأته: إذا فقدناك فإلى من نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر، ولأنّه أمّ بالمسلمين على بقاء رسول الله والإمامة عماد الدين، هذا جملة ما يتعلّق به القائلون بالنصوص.

وقالوا: لو كان عليّ أوّل الخلفاء لانسحب عليهم ذيل الفناء ولم يأتوا بفتوح ولا مناقب، ولا يقدح في خلافته كونه رابعاً للخلفاء كما لا يقدح في نبوّة رسول

---

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) الفتح: ١٦.

(٣) التحريم: ٣.

الله ﷺ أنّه كان آخراً.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أنّ هذا تعلّق فاسد جاء على زعمكم وأهويتكم، فقد وقع ميراث في الخلافة والأحكام مثل داود وسليمان وزكريّا ويحيى، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة فبهذا تعلّقوا، وهذا باطل، إذ لو كان ميراثاً لكان العبّاس أولى، لكن أسفرت الحجّة عن وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث عن خطبة يوم غدير خمّ باتفاق الجمعى، وهو يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فقال عمر: بخ بخٍ يا أبا الحسن، لقد أصبحت مولاي ومولى كلّ مؤمن ومؤمنة، وهذا تسليم ورضا وتحكيم، ثمّ بعد هذا غلب الهوى لحبّ الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود البنود وخفقان الهوى في قعقعة الرايات واشتباك ازدحام الخيول، وفتح الأمصار، سقاهم كأس الهوى فعادوا إلى الخلاف الأوّل، فنبذوه وراء ظهورهم، واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

ولمّا مات رسول الله ﷺ قال قبل وفاته: ايتوني بدوات وبياض لأُزيل عنكم إشكال الأمر وأُذكّركم من المستحقّ بعدي، قال عمر: دعوا الرجل فإنّه ليهجر، وقيل: يهذي.

فإذا بطل تعلقكم بتأويل النصوص فعدتم إلى الإجماع وهذا منقوض أيضاً فإنّ العبّاس وأولاده وعليّاً وزوجته وأولاده لم يحضروا حلقة البيعة وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرجيّ.

ودخل محمّد بن أبي بكر على أبيه في مرض موته، فقال: يا بنيّ، ائت بعمّك عمر لأُوصي له بالخلافة، فقال: يا أبه، أكنت على حقّ أو باطل؟ فقال: على حقّ، فقال: أُوصِ بها لأولادك إن كان حقّاً، ثمّ خرج إلى عليّ عليه السلام وجرى ما جرى[1].

---

(١) لا يصحّ هذا الخبر مطلقاً لأنّ عمر محمّد عند وفاة أبيه سنتان اثنتان فكيف حاوره بما حاوره به.

وقوله على منبر رسول الله ﷺ: أقيلوني فلست بخيركم، أفقاله هزلاً أم جدّاً أم امتحاناً؟ فإن كان هزلاً فإنّ الخلفاء منزّهون عن الهزل، وإن كان جدّاً فهذا نقض للخلافة، وإن كان امتحاناً فالصحابة لا يليق بهم الامتحان لقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِنْ غِلٍّ﴾[1] فإذا ثبت هذا فقد صارت إجماعاً وشورى بينهم، هذا الكلام في الصدر الأوّل.

وأمّا في زمن عليّ ومن نازعه فقد قطع الشرع قولكم في الخلافة بقوله: إذا بويع الخليفتان فاقتلوا الآخر منهم، والعجب كلّ العجب من حقّ واحد كيف ينقسم ضربين، والخلافة ليست بجسم لا ينقسم، ولا بعرض يتفرّق، ولا بجوهر يحدّ، فكيف تباع أو توهب.

وفي حديث أبي حازم أوّل حكومة تجري في المعاد بين عليّ ومعاوية، فيحكم لعليّ بالحقّ والباقون تحت الشبه.

وقول المشرّع لعمّار بن ياسر: «تقتلك الفئة الباغية» فلا ينبغي للإمام أن يكون باغياً والإمامة ضيّقة لشخصين كما لا تليق الربوبيّة لاثنين.

أمّا الذين بعدهم طائفة تزعم أنّ يزيد لم يكن راضياً بقتل الحسين عليه السلام فأضرب لكم مثلاً في ملكين اقتتلوا فملك أحدهما الآخر أفتراه يقتله العسكر في غير اختيار صاحبها إلّا غلطاً، ومثل الحسين لا يحتمل حاله الغلط لما جرى من القتل والعطش والسبي وحمل الرأس إجماعاً من جماهير المسيرين، وقتل الأمة المغنية حيث مدحت عليّاً في غنائها أفتراه قتلها بغضاً لعليّ أم لها؟

وقول يزيد بن معاوية لعليّ بن الحسين زين العابدين: أنت ابن الذي قتله الله؟

➲ (المترجم)

(١) الأعراف: ٤٣.

قال: بل ابن الذي قتله الناس، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً﴾[1] أفتراك يا يزيد تجعل جهنّم لربّك جزاءاً وتخلّده فيها وتغضب عليه وتلعنه وتعدّ له عذاباً عظيماً؟!

فإن قلت: هذه البراهين معطّلة لا يحكم بصحّتها حاكم الشرع، فنقول في حججكم مثل ما تقولون.

ثمّ إجماع الجماهير بشتم عليّ على المنابر ألف شهر أمركم الكتاب أم السنّة أم الرسول؟ ثمّ الذين بعدهم من غيرهم أخذوها نصّاً أم سنّة أم إجماعاً؟ لكن أخذوها بسيف أبي مسلم الخراسانيّ، فانظروا إلى قطع إجماعكم بسيف الشرع حيث قال: لكم الخلافة بعدي ثلاثون، ثمّ يتولّى ملك جبروت، وبقوله للعبّاس: يا أبا الأربعين ملوكاً، ولم يقل خليفة، والملوك كثير والخليفة واحد في زمانه، انتهى.

وبه نقض إبرامه فيا عجباً من تهافت قوليه وتنافر كلاميه، ومن هذه الجهة نسبه بعضهم إلى التشيّع[2] بل يقولون إنّه التقيّ السيّد الأجلّ المرتضى، وأسلم على يديه ونسبوا إليه الشعر التالي:

يار بر من عرض ايمان كرد و رفت　　پير كبرى را مسلمان كرد و رفت

لقد قدم الإسلام لي ثمّ عافني　　فأسلم شيخ كافر ثمّ أسلمه

وكانت ولادة الغزالي بعد مضي سنين من وفاة السيّد المرتضى، لذا قالوا: إنّه السيّد مرتضى الرازي صاحب (تبصرة العوام) ولا زال عالقاً بخاطري أنّ الفاضل

---

(١) النساء: ٩٣.

(٢) يعني الشهيد القاضي التستري في مجالس المؤمنين، وأنا أشكّ أن يكون هذا الكتاب للغزالي لأنّه بعد عن روحه وأسلوبه بُعد السماء عن الأرض. (المترجم)

المحقّق الكرمانشاهي ابن الأستاذ الأعظم في «المقامع» انتصر لهذا الاحتمال واعتبره السيّد المحقّق الشهيد على جاري عادته في تكثير عدد الشيعة في قبال ادّعاء أهل التسنّن الباطل من أنّ التشيّع صناعة صوفيّة.. من الشيعة بل من علمائهم، وهذا المحقّق العالم وإن كان معذوراً وعند أجداده الكرام مأجوراً على اتّخاذ هذه الخطّة لكنّا بحمد الله لسنا بحاجة إلى رجل كالغزالي لأنّ في عالم التشيّع المئات من أمثال الغزالي من الحكماء الراسخين والعرفاء الشامخين والفقهاء الراشدين والصلحاء الزاهدين من علماء الشيعة، فما الحاجة إلى تلفيق مثله؟!

والطائفة التي فيها مثل أُستاد البشر الخواجه نصير ﷺ الذي اعتبره المؤالف والمخالف أُستاداً مسلّماً به فيسبغون عليه أحياناً لقب أفضل المحقّقين وأحياناً يسمّونه العقل الحادي عشر، وأحياناً سلطان الفقهاء والحكماء والوزراء كما جاء في إجازة الشهيد الثاني للشيخ حسين بن عبدالصمد والد الشيخ البهائي، ويقولون أحياناً عنه أفضل أهل عصره في العلوم النقليّة كما شهد بحقّه العلّامة والمحقّق الثاني. وتارة يقولون عنه: أفضل من شاهدناه في الأخلاق كما قال ذلك العلّامة في إجازته بني زهرة.

ومصنّف الزيج الخاقاني المدعوّ ميرزلغ بيك، فقد أثنى عليه ثناءاً بليغاً، وصدر العلم والعلماء عنه في سرور وجذل[1].

---

(١) قال فيه: وكان في مواقع بعض النجوم تقديم وتأخير فرصدنا الخسوفات بقدر الوسع وعدلنا موقع القمر مع باقي الكواكب طبقاً للرصد الذي وضعه الفيلسوف بحقّ والحكيم المطلق المولى الأعظم والحبر الأعلم، مظهر الحقائق، ومبدع الدقائق، أستاد البشر، أعلم أهل البدو والحضر، متمّم علوم الأوائل والأواخر، كاشف معضلات المسائل والمآثر، سيّد الحكماء، أفضل العلماء، سلطان المحقّقين، برهان المدقّقين، ينبوع الحكمة، نصير الملّة والدين، محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، قدّس الله نفسه،

وما أحسن ما قاله الأُستاذ الأعظم البهبهاني ﷺ في تعليقة رجال الميرزا: لا يحتاج إلى التعريف لغاية شهرته مع أنّ كلّما يقال فيه فهو دون رتبته.

والحقّ يُقال: إنّ ألفاً مثل الغزالي وخيراً من الغزالي عليهم أن يلتقطوا الحبّ من بيادر تحقيقات هذا المحقّق الشهير والعلّامة الكبير، بل لو نظرت بعين الانصاف ونبذت العصبيّة جانباً لاعتبرت الخواجه ﷺ أفضل علماء بني آدم[1] من بدو الدنيا إلى يومنا هذا.

ويكفي في فضله أنّ علماء الفرنجه جعلوه في كتابه «المجسطي» في قبال إعجاز القرآن حين أنكروا العجز عن الإتيان بمثله، وردّوا على الإسلام ونقضوا

➲ وزاد في حظائر القدس أنسه، لأنّ من المعلوم بلوغه جميع العلوم إلى درجة الكمال لاسيّما فنّ الرياضات، بل هو المتمّم والمكمّل لهذا الفنّ، ولو نظرت إليه بعين الانصاف لعلمت أنّه خلّاق علومه ـ إلى أن قال: ـ هو شمس أوج الكمال، وفنّان نحن في قباله بمنزله الذرّة، حاش لله بل أقلّ منها.

ويشهد لنا على هذا المدّعى القوشجي في أوّل شرحه ـ مع شديد عداوته ومخاصمته له في المذهب، ونسخته معروفة ـ.

ويقول المحقّق عليه الرحمة في رسالة (التياسر): حريّ في نثار الفرايد المولى أفضل علماء الإسلام، وأكمل فضلاء الأنام، نصير الدنيا والدين، محمّد بن محمّد بن الحسن الطوسي، أيّد الله بهمّته العالية قواعد الدين ومدركاته، ومهّد بمباحثه السامية بنيانه ـ إلى أن قال: ـ وفرض على من يقف على فوائد هذا المولى الأعظم من علماء الأنام أن يبسطوا لديه الانقياد والاستسلام، وأن يكون قصاراهم التقاط ما يصدر عنه من جواهر الكلام، فإنّه شفاء الأنفس وجلاء الأفهام، غير أنّه ـ ظاهر الله إجلاله ولا أعدم أوليائه فضله وإفضاله ـ سوّغ لي الدخول في الباب وأذن لي أن أورد ما يخطر في الجواب».

فانظر إلى اعتراف المحقّق الذي انعقدت عليه الخاصّة بفضله ووجوب الاستسلام لديه وإنّه أفضل علماء الإسلام. (منه ﷺ)

(١) وهنا ينبغي أن يحدّ شيخنا الكريم من غلوّه في هذا الفيلسوف العظيم فإنّ حكماً كهذا الحكم يعتمد على الاستقراء أو الحصر العقلي وكلاهما غير متيسّر في حقّ المؤلّف، ثمّ علينا أن ننظر بعين الواقع إلى رجالنا لئلّا تضيع علينا حقائقهم في ظلّ المبالغات. (المترجم)

عليه بما قالوا بأنّ الزمن لم يأت بمثل الخواجه في المجسطي[١].

وقد جعله صاحب كشف الظنون وغيره في المرتبة الأُولى من الطبقة الأُولى من المصنّفين، واعترف بأنّ له على جميع أهل العلم حقّاً ظاهراً تجب مراعاته، ولقد بلغ من الفضل والتحقيق أنّ إشكالاً واحداً في عبارة التجريد في بحث الماهيّة متوهّماً حمل السعد التفتازاني على عدم الرضا بنسبة الكتاب إليه لعدم تصديقه بصدور خلاف منه، وقال: إنّ هذا ينبئ عن أنّ نسبة هذا الكتاب لغير هذا المحقّق، مع أنّ شأن كتاب التجريد أجلّ من أن يُنسب إلى غيره، وهذا هو كلام التفتازاني مع ظهور عداوته ومنافسته للخواجه الذي ما يزال أتباع السعد يجأرون من صدمة بنانه وبيانه وحدّة سيفه وسنانه. والحمد لله على وضوح الحجّة.

واعتبر الصلاح الصفدي في (شرح لامية العجم) الخواجه من الذين لم يبلغ أحد شأوهم في فنّ «المجسطي»[٢] وخصّصه بالمجسطي عناداً وحسداً.

---

(١) وأربأ بسيّدي الشيخ عن مثل هذا الدليل الفجّ على فضل الشيخ لأنّه باطل من القول، وكيف يجعل الباطل دليلاً على الحقّ، وإنّ للفرنجه وعلمائهم رأياً مختلفاً في القرآن، وما منهم أحد إلّا وهو ينظر إلى القرآن بعين الحقد الصليبيّة ولو أنّهم يتأتّى لهم لفضّلوا عليه حتّى مؤلّفات «أجاثا اكريستي». (المترجم)

(٢) اختلفت الأقوال فيه:

فقال بعضهم: إنّه كتاب وضعه كاهن مجوسيّ يدعى مجست، في أحكام عبادة النار.

وقال آخرون: إنّه اسم كتاب كتبه اقليدس الفيلسوف اليوناني في علم الرياضيات.

وقال آخر: إنّه رسالة كتبها بطلميوس ولا ارتباط له بطقوس النار.

ومنهم من قال: هو كتاب في الرياضيّات يشتمل على دلائل علم الهندسة وأُصولها وأشكالها، وضعه بطلميوس وكان في الأصل يطلق على علم الهيئة وعلم الأفلاك والأرض ومقادير الحركات وكميّات الأبعاد والأجرام، ويدعى في اليونانيّة بعلم الترتيب، لأنّ هذا العلم لم يكن قبل بطلميوس بهذا الترتيب، وقال بعضهم إنّه نتاج أفكار اقليدس، وفعلاً إنّ الترجمة التي كتبها نصير الدين الطوسي هي من وضع هذا الفيلسوف، وإذا رجعنا إلى أُصوله في اليونانيّة نراه يسمّى «مگيس سونتاكسين» أي الترتيب العظيم،

خـجـسته رهـنموی ذو فـنونی که در هریک بود چون مرد یک فن

لمؤلّفه:

في كلّ فنّ بارع كأنّه لم يتّخذ سواه يوماً فنّه

وجملة القول أنّ فضائل هذا البحر الموّاج الذي هو في ظلمات الجهل سراج وهّاج، أعظم من أن تلخّص في هذه الصفحة.

ويا عجباً منّي أُحاول وصفه وقد فنيت فيه القراطيس والصحف

ونعم ما قيل:

كتاب فضل تو را آب بحر کافی نیست که ترکنی سر انگشت و صفحه بشماری

كتاب فضلك لا يكفي لقارئه يمّ يندي به أطراف أصبعه

فيكشف الصفحات الغرّ مائدة تفني المياه ولم يبلغه لمطلعه

ومع وجود هذا البحر الذي ليس له ساحل وهو أُستاذ علماء الدنيا فما حاجتنا للتباهي بأمثال الغزالي وما غرضنا بأشباهه وإنّما خصّصنا الذكر بالعلّامة الطوسي قدّس الله سرّه القدّوسي لقوّه امتيازه بجامعيّة فنون الكمالات وأخذه بأطراف صنوف العلوم وجمعه شتات أنحاء الفضائل، وتسالم الكلّ على رجحان وزنه

فعرّبه العرب إلى مجسطي وحلّوه بلام التعريف فصار المجسطي، ودخلت هذه الكلمة المعربة إلى اللغة الفرنسيّة هكذا: «المأجست».

وقال بعضهم: إنّها رسالة في علم الهيئة تأليف بطلميوس القلوذي لا اقليدس، وليست كتابين. (راجع موسوعة دهخدا مادة مجسطى ـ المترجم)

وقال في موسوعة المورد: المجسطي موسوعة فلكيّة ورياضيّة ألّفها عالم الفلك اليوناني بطلميوس حوالي العام ١٤٠ للميلاد، كانت مرجعاً رئيساً لعلماء الفلك العرب والأوربيين حتّى مطلع القرن السابع عشر تقريباً، ترجمت إلى العربيّة نقلاً عن السريانيّة عام ٨٢٨ للميلاد ثمّ ترجمت إلى اللاتينيّة نقلاً عن العربيّة في الثاني من القرن الثاني عشر وهي تقع في ثلاثة عشر كتاباً. (راجع موسوعة المورد ١٢١١١ مادة مجسطي ـ المترجم)

وجلالة قدره، وإلّا والحمد لله تعالى فإنّ لنا في جميع العلوم العقليّة والحكمة العمليّة والنظريّة من الإلّهي والطبيعي والرياضي والطبّ وغيره وجميع العلوم الإسلاميّة من الحديث والتفسير والرجال والفقه والأُصول والكلام والأدب واللغة والنحو والصرف والشعر والتاريخ وغير ذلك رجالاً فحولاً صناديد، وأساتيد نبغوا في هذه الطائفة من القيروان إلى القيروان[1] وسطعت أنوار فضلهم على العالم وكلّ واحد في فنّه أعظم من الغزالي مأة مرّة كما وردت أسمائهم الشريفة في الكتب المؤلّفة في هذا الفنّ، والحديث في هذا المضمار وإن طال إلّا أنّه لا يخلو من فائدة.

وعلى كلّ حال، فإنّ المظنون بل المتيقّن في الغزالي هو النصب والعداوة المعهودة لاسيّما إذا دقّقنا في سائر مواضيع كتاب (سرّ العالمين) وتصريحه بالمطالب التي ذكرناها هو من باب تأييدات الهيّة لإظهار المناقب والمثالب على لسان الأعداء ليظهر الحقّ وتتمّ الحجّة عليهم وتطمئنّ قلوب المؤمنين، ونحن نعمل بفتواه ضدّه ونختم كلامنا بهذا الدعاء: (اللهمّ العن الغزالي إن مات على ضلالته ولم يرعوِ عمّا كان عليه من غيّه وجهالته)[2].

إلزام وإرغام

مقتضى أُصول أهل السنّة وقواعدهم ما قاله الغزالي، وما ذكرناه نحن في هذا المجال إنّما هو على سبيل الإلزام والجدل لا الالتزام بجميع مقدّمات مذهبهم، لأنّ لازم مذهبهم الأساسي هو أنّ يزيد لعنه الله إمام حقّ وطاعته واجبة، وسيّدالشهداء

---

(١) القيروان وزن شيروان تقال لحدود مجموع العالم، والقيروان اسم مدينة في المغرب وتقال أيضاً للمشرق والمغرب. (هامش الأصل نقلاً عن البرهان القاطع)

(٢) العبارة بين قوسين عربيّة من المؤلّف. (المترجم)

خارج عليه والعياذ بالله فقتله بحقّ كما اعترف بذلك بعض علمائهم[١]، وشرح هذا المقام هو ما قاله صاحب المقاصد، يقول:

تنعقد الإمامة بطرق متعدّدة منها بيعة أهل الحلّ والعقد من العلماء والرؤساء ووجوه الناس إذا أمكن حضورهم مجلس عقد البيعة ولا يشترط عدد مخصوص ولا يشترط أيضاً اتفاق أهل سائر البلاد، بل لو انعقد البيعة بواحد من أهل الحلّ والعقد لكفى.

وإنّما يقول هذا لأنّه من المسائل المقطوع بها المتواترة ونقل مجمله في الصحاح الستّة ولم يحضر بيعة الأوّل أميرالمؤمنين ولا الحسنان وابن عبّاس وبنو هاشم كافّة وجماعة من الصحابة أمثال سلمان والمقداد وأبي ذر وأبي الهيثم بن التيهان وخالد بن سعيد والزبير وجماعة أُخرى، وتخلّفوا عنها إلى مدّة، وبناءاً على هذا لا يكون الإجماع على خلافة أبي بكر حاصلاً، وكان تصدّيه للخلافة هذه المدّة فسوقاً وعصياناً، وهذا هدم الخلافة وإبطال لقياس الجلافة.

فتصدّى لدفع هذا الإشكال العضدي في المواقف والبيضاوي في الطوالع، والتفتازاني في المقاصد وشرحه، ومير سيّد شريف في شرح المواقف وغيرهم على النحو التالي:

ليس المراد من أهل الحلّ والعقد إجماعهم كلّهم بل تنعقد الخلافة ببيعة الواحد والاثنين منهم كما حصل الإجماع بهذه الكيفيّة على بيعة أبي بكر ومثله عمر، وصار واجباً على غيرهم اتّباعهم.

وفي كلام شارح المقاصد دقيقة زادت على غيره ونشير إليها، وهي:

لم يدخل في أهل الحلّ والعقد من عدى عمر، فأميرالمؤمنين والحسنان

---

(١) هو الفقيه الأندلسي أبوبكر بن العربي لعنه الله صاحب كتاب العواصم من القواصم. (المترجم)

وفاطمة عليها السلام ووجوه بني هاشم ليسوا من أهل الحلّ والعقد، ومثلهم سائر الأكابر من المهاجرين والأنصار الذين اتّبعوهم بإحسان، سبحان الله! يهبط جبرئيل في بيت عليّ ويقوم الإسلام بسيفه ولا يؤخذ رأيه في بسط وقبض عمل الإسلام، سبحانك هذا بهتان عظيم.

ومجمل القول؛ يقول شارح المقاصد:

الطريق الثاني من طرق إثبات الخلافة الاستخلاف ونصّ الإمام السابق على الإمام اللاحق.

والطريق الثالث: قيامها بالقهر والاستيلاء، إذامات الإمام السابق وقام من بعده اللاحق المؤهّل لها والجامع لشرائط الإمامة فتصدّى للأمر بالشوكة القاهرة فإنّ الخلافة تنعقد له (حين يسلم من معارض يساويه)[1] وإن كان جاهلاً فاسقاً على الأظهر[2] تمّ كلام التفتازاني[3].

ومن الواضح أنّ الطرق الثلاثة تحقّقت في خلافة يزيد:

أمّا الإجماع فإنّ أهل الشام جميعاً بايعوه بل أُخذت له البيعة في حياة معاوية حين أرسل إلى الأطراف والأكناف من أخذ له البيعة كما يظهر ذلك من تواريخهم المعتمدة، بل الإجماع على بيعة يزيد أشدّ إحكاماً منه على بيعة أبي بكر لأنّه ببيعة عمر واحد صار إماماً، وهذا بايعته الألوف من الناس الذين كلّ واحد منهم عمر زمانه، وكان على الباقين متابعته.

وأمّا نصّ الخليفة السابق عليه فقد نصّ عليه إمامهم معاوية وهو واجب الطاعة

---

(١) أضفت هذه العبارة لعلمي بدخولها في مجموع رأيهم وإن كان المؤلّف أهملها. (المترجم)

(٢) شرح المقاصد ٢: ٢٧١ و ٢٧٢.

(٣) العبارة مترجمة.

عندهم.

ويقول ابن حجر في الصواعق وفي رسالة (تطهير الجنان) الذي كتبه في إثبات فضائل معاوية، يقول: أصبح معاوية بعد صلح الحسن إماماً واجب الطاعة مصيباً، وكان قبل ذلك باغياً إلّا أنّه سار بالعدل في الرعية ولم يكن إماماً، واجتهد في حربه الإمام أميرالمؤمنين والحسن فأخطأ لأنّهما إماما حقّ، ولكن بعد ذلك لم يكن شكّ في إمامته ولزوم طاعته[1].

ويقول السيوطي في أوّليّات معاوية: إنّه أوّل من جعل ولده وليّاً للعهد.

وأمّا القعهر والغلبة فمعلوم لأنّ كلّ من قاتلوه قتلهم وأباد خضرائهم، وعلى فرض فسق يزيد فإنّ ذلك لا ينافي إمامته لما سمعته من شرح المقاصد أنّ الإمامة مع الشوكة لا تنافي الفسق والجهل إذا كان منذ البداية، أمّا الطارئ فلا ينافي الخلافة في جميع أشكالها لأنّ في أخبارهم لاسيّما الصحيحين الحثّ على لزوم الطاعة ووجوب متابعة السلطان والمنع من شقّ العصى والخروج على السلطان وإن كان غاية في الفسق، كما سيرد عليك خبران من البخاري ومسلم.

ويقول شارح العقائد النسفيّة في ذيل عبارة المصنّف: «ولا يعزل الإمام بالفسق والجور» بعد أن فسّر الفسق بالخروج عن طاعة الله، والجور الظلم على عباد الله، وقال: لأنّه قد ظهر الفسق وانتشر الجور من الأئمّة والأُمراء بعد الخلفاء الراشدين، والسلف كانوا ينقادون لهم ويقيمون الجمعة والأعياد، ولا يرون الخروج عليهم، ولأنّ العصمة ليست شرطاً في الإمامة ابتداءاً فبقاءاً أولى، تمّ كلامه بعينه.

بل نقل من جامع الرموز أنّ السلطان إذا كان واجب الطاعة لم يكن عليه ولاية لأحد أعلى منه مرتبة؛ سواءاً عدل أو ظلم. وقال بعضهم: العدالة مشترطة وإطلاق

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢١٨، وتطهير الجنان: ١٧. (هامش الأصل) والنصّ مُترجَم. (المترجم)

أدلّة متابعة السلطان تشعر بعدم شرطيّة الإسلام أيضاً. وبناءاً على هذا يقول بإمامة يزيد حتّى أولئك الذين يعتقدون فسقه.

ومن جملة الشواهد على هذا القول المدّعى، أنّ خلف خليفتهم المحترم الذي يعتبرونه زاهد الصحابة وهو عبدالله بن عمر كان يرى طاعة يزيد لازمة ونقض بيعته حراماً كما جاء في صحيح البخاري وصحيح مسلم عن نافع مولاه، وقول مسلم: «باب الأمر بلزوم الجماعة» عن نافع قال: جاء عبدالله بن عمر إلى عبدالله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية لعنهما الله، فقال: اطرحوا لأبي عبدالرحمن وسادة، قال: إنّي لم آتك لأجلس، أتيتك لأحدّثك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجّة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهليّة.

ورواه بطريقين عن نافع، وروى بطريق آخر عن زيد بن أسلم عن أبيه معنى حديث نافع عن ابن عمر، ولفظ حديث البخاري الذي هو أصحّ الكتب عندهم بعد كتاب الباري: «لمّا خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر حشمه وولده، فقال: إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: ينصب لكلّ غادر لواء يوم القيامة، وإنّا قد بايعنا هذا الرجل على بيعة الله ورسوله، إنّي لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيعة الله ورسوله ثمّ ينصب له القتال، وإنّي لا أعلم أحداً منكم خلعه ولا بايعه في هذا الأمر إلّا كانت [كان ـ ظ] الفصل بيني وبينه[1].

انتهت الحكاية عن رسالة الصمصام القاطع للسيّد المؤيّد السيّد محمّد والد السيّد الفاضل النحرير السيّد دلدار علي الهندي قدّس سرّهما، ونسخة البخاري

---

(١) صحيح البخاري ١: ١٦٦، سنن البيهقي ٨: ١٥٩، مسند أحمد ٢: ٩٦. (هامش الأصل) رقم الحديث في البخاري ٦٨٥٣. (المترجم)

عندي إلّا أنّ ضيق المجال عاقلني عن مراجعتها إليها، ولا بأس بعد وثاقة الناقل لاسيّما مثل هذا الفاضل[١].

وظاهر كلام جماعة منهم أنّ يزيد إمامٌ منصوص عليه من رسول الله ﷺ وملخّص المسألة كما يلي: فقد نقل متواتراً عن الفريقين على وجه التسالم: لا ينقضي هذا الأمر حتّى يقوم في الأُمّة اثنا عشر أميراً وخليفة كلّهم من قريش. ولفظ البخاري ومسلم مشترك بناءاً على ما نقله السيوطي: لا يزال هذا الأمر عزيزاً ينصرون على من ناواهم[٢].

وفي صحيح مسلم: لا يزال أمر الناس ماضياً ما ولّاهم اثنا عشر رجلاً.

وروى مسلم أيضاً: إنّ هذا الأمر لا ينقضي حتّى يمضي فيهم اثنى عشر خليفة.

وروى مسلم أيضاً: لا يزال أمر الإسلام عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة.

وفي تاريخ الخلافة عن أحمد: لا يزال الأمر ماضياً...

ونقل عنه أيضاً: لا يزال هذا الأمر صالحاً.

ونقل عن البزّار: لا يزال أمر أُمّتي قائماً حتّى يمضي اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش.

وأخيراً إنّهم نقلوا هذا الحديث بسياقات مختلفة بل ادّعوا عليه التواتر، وهذا الحديث دليل على أحقّيّة مذهب الشيعة والإثنا عشر رجلاً الذين يستوي عليهم

---

(١) أنظر إلى دقّة هذا العالم الكبير فقد أبت ذمّته إلّا أن يصارح القاري بالمصدر الذي أخذ منه رواية البخاري. (المترجم)

(٢) راجع البخاري رقم الحديث ٣٨٠٨ بغير هذا اللفظ ولكن نفس المعنى، ومثله مسلم رقم الحديث ٤٦٥٨. (المترجم) الحديث والرواية في هذا الموضوع نقل عن النبيّ ﷺ بالتواتر، ونقله كتاب عوالم العلوم بالتفصيل مع المستدركات في مجلّد النصوص على الأئمّة الاثني عشر عليهم السلام تحقيق ونشر مدرسة الإمام المهدي عليه السلام، وإحقاق الحقّ ١٣: ١ ـ ٧٤. (هامش الأصل)

لباس الخلافة وتليق بهم الخلافة العظمى والزعامة الكبرى ليسوا سوى الإثني عشر إماماً الذين تعتقد الإماميّة بإمامتهم، بل الأخبار بمثل هذه المغيّبات من دلائل نبوّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وورد التصريح بأسمائهم ونسبهم عن النبيّ صلى الله عليه وآله ورواه الشيعة الإماميّة ضاعف الله اقتدارها إجمالاً وتفصيلاً بما يفوق حدّ التواتر، وكتاب «كفاية الأثر» للشيخ الأقدم عليّ بن محمّد الخزّاز القمّيّ الذي لم يُكتب كتاب في جودته في الإمامة عند الشيعة إلى اليوم دليل واضح وبرهان قاطع على هذا المدّعى.

ويوجد في مرويّات أهل السنّة والجماعة أكثر من مأة حديث مصرّحة بأسمائهم الشريفة وألقابهم الكريمة، ومع كلّ هذا فقد هرع أهل السنّة إلى ضيق التأويل وضيّقوا على أنفسهم الخناق فوقعوا في حيص بيص من التأويلات والتوجيهات حفظاً لأُصولهم وتشييداً لقواعدهم الباطلة، وألزموا أنفسهم استخراج هذا العدد «اثنا عشر» من خلفائهم فذكروا وجوهاً حشر يزيد في غالبها.

منها ما جاء في تاريخ الخلفاء وغيره عن القاضي عيّاض، وروي عن ابن حجر العسقلاني صاحب (التقريب) و(فتح الباري) أنّه استحسنه، ومحصّل كلام السيوطي هكذا:

قال القاضي عياض: لعلّ المراد بالإثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنّهم يكونون في مدّة عزّة الخلافة وقوّة الإسلام واستقامة أُموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أُميّة ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العبّاسيّة فاستأصلوا أمرهم.

قال شيخ الإسلام ابن حجر في شرح البخاري: كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه لتأييده بقوله: في بعض طرق الحديث: «كلّهم يجتمع عليه الناس» وإيضاح ذلك أنّ المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته، والذي وقع أنّ

الناس اجتمعوا على أبي بكر ثمّ عمر ثمّ عثمان ثمّ عليّ إلى أن وقع أمر الحكمين في صفّين فتسمّى معاوية يومئذٍ بالخلافة ثمّ اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن، ثمّ اجتمعوا على ولده يزيد، ولم ينتظم للحسين أمر بل قُتل قبل ذلك، ثمّ لمّا مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبدالملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير، ثمّ اجتمعوا على أولاده الأربعة الوليد، ثمّ سليمان، ثمّ يزيد، ثمّ هشام، وتخلّل بين سليمان ويزيد عمر بن عبدالعزيز، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك، اجتمع الناس عليه لمّا مات عمّه هشام، فولي نحو أربع سنين ثمّ قاموا عليه فقتلوه وانتشرت الفتن وتغيّرت الأحوال من يومئذٍ ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك[1].

ويظهر من هذا الكلام أنّ يزيد من الخلفاء المنصوص عليهم، والعجيب في أمر هؤلاء أنّهم لم يذكروا معاوية بن يزيد ولا عمر بن عبدالعزيز وكلاهما إمام عادل عندهم، نعم ربّما كان ذنب معاوية بن يزيد أنّه أقرّ بظلم أبيه وجدّه كما ذكر ابن حجر ذلك في الصواعق المحرقة، واعترف من حيث لا يشعر بحقيقة المسلك الأموي حيث قال:

ومن صلاحه الظاهر أنّه لمّا ولي صعد المنبر فقال: إنّ هذه الخلافة حبل الله وأنّ جدّي معاوية نازع الأمر أهله ومن هو أحقّ به منه عليّ ابن أبي طالب، وركب بكم ما تعلمون حتّى أتته منيّته فصار في قبره رهيناً بذنوبه، ثمّ قلّد أبي الأمر وكان غير أهل له، ونازع ابن بنت رسول الله ﷺ فقصف عمره وانبتر [كذا في الصواعق، وفي الكتاب: أُبتر] عقبه وصار في قبره رهيناً، ثمّ بكى وقال: إنّ من أعظم الأُمور علمنا بسوء مصرعه وبئس منقلبه، وقد قتل عترة رسول الله ﷺ وأباح الخمر [كذا

---

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء ١: ١١.

في المصدر، وفي الكتاب: الحرم] وخرّب الكعبة، ولم أذق حلاوة الخلافة فلا أتقلّد بمرارتها، فشأنكم أمركم، والله لئن [كذا في المصدر، وفي الكتاب: وإن] كانت الدنيا خيراً فقد نلنا منها حظّاً، ولئن كانت شرّاً كفى ذرّيّة أبي سفيان ما أصابوا منها، ثمّ تغيّب في منزله حتّى مات بعد أربعين يوماً[1]. انتهى ما في الصواعق.

وفيه شهادة واضحة لما ادّعيناه في حال يزيد ومعاوية.

وأمّا عمر بن عبدالعزيز فذنبه ترك سبّ أميرالمؤمنين لذلك لم يحسبوه من الخلفاء الإثني عشر.

وألمّ بعضهم بشناعة هذا التقسيم فرتّبوا الخلافةعلى وجه آخر بحيث أخرجوا الوليد الفاسق الذي سلفت الإشارة عنه عنها، ووضعوا مكانه مروان الملعون وقالوا: انتقل الأمر بعد الخلفاء الأربعة إلى معاوية بصلح الإمام الحسن عليه السلام وبعده يزيد وبعده معاوية ابنه، ثمّ وقع الخلاف بين عبدالله بن الزبير ومروان، ثمّ استقلّ مروان بالأمر، ثمّ جاء بعده عبدالملك ابنه ثمّ الوليد بن عبدالملك ثمّ من بعده سليمان ثمّ عمر بن عبدالعزيز وهو ختام الإثني عشر.

وروي هذا الكلام أيضاً عن ابن حبّان في شرح صحيحه.

ومجمل القول أنّ القولين مشتركان في عدّ يزيد إماماً، وكذلك جعلوا الدليل على إمامة يزيد الحديث المتواتر: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهليّة» الوارد في صحاحهم والمذكور في كتب الفريقين الكلاميّة؛ لأنّ الظروف في زمن يزيد كانت مهيّأة له من الإجماع والنصّ ما لم يتهيّأ لغيره، فلا مناص من عدّه إمام زمانه.

«واحتمل بعض متأخّريهم من المراد بإمام زمانه هو القرآن» وهذا احتمال

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٢٤ ط القاهرة. (هامش الأصل)

سخيف جدّاً لأنّ ظاهر اللفظ تعدّد الأئمّة مضافاً إلى ما كان يرويه عبدالله بن عمر ـ وقد مرّ آنفاً ـ وهو صريح في هذا المعنى، وأنّ لكلّ زمانٍ إماماً.

ونقل ابن أبي الحديد أنّ عبدالله بن عمر طرق على الحجّاج بابه ليلاً ليبايع لعبدالملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام زعم لأنّه روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من مات ولا إمام له (ولم يعرف إمام زمانه ـ المؤلّف) مات ميتة جاهليّة»[1]. وبالطبع إن كان عبدالملك إماماً فلا مانع من إمامة يزيد.

وجملة القول أنّ قواعد هذه الطائفة ولوازم أُصولها تقتضي إمامة يزيد لعنه الله، بل رووا أخباراً أُخرى في فضائل يزيد، ومن هنا ينبغي أن يعتبر إماماً مفترض الطاعة، وأنّ الخروج عليه بغي، والخارج باغ ويستحقّ القتل كما صرّح بعض علمائهم بهذا اللازم مثل عبدالمغيث البغدادي في رسالته المنع من لعن يزيد، يقول ـ كما نقل ابن الجوزي في رسالة الردّ عليه ـ: ذهب قوم إلى أنّ الحسين كان خارجيّاً، وعبدالله الرقاوي في (تحفة الناظرين فيمن ولي مصر من الولاة والسلاطين) بعد أن قال في شرح أحوال الإمام الحسين عليه السلام وأنّ يزيد بن معاوية دسّ إليه السُمّ على يد امرأة من أهل الري فبقي أربعين يوماً عليلاً دنفاً ثمّ ودّع الحياة الفانية بعد ذلك، يقول عن يزيد:

وفي مدّة خلافته أرسل إلى الحسين عليه السلام وقتله لكونه امتنع من البيعة ـ إلى أن قال: ـ ولا يجوز لعنه على الراجح، انتهى.

مع اعترافه بكونه قاتل الحسين عليه السلام لكنّه لا يرى لعنه جائزاً، وأشار إلى سبب قتل سيّدالشهداء وقال: لكونه امتنع من البيعة فيكون قتله بناءاً على هذا سائغاً.

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٤٢. (المترجم) ومرّ الحديث عن صحيح البخاري وصحيح مسلم: ٢٥٨. (هامش الأصل)

ونقل عن محيي الدين ابن عربي[١] كلاماً في الصواعق صرّح بجميع ما قلناه على سبيل الإجمال وعبارته هكذا:

لم يقتل الحسين إلّا بسيف جدّه أي بحسب اعتقاده الباطل أنّه الخليفة والحسين باغٍ عليه والبيعة سبقت ليزيد ويكفي فيها بعض أهل الحلّ والعقد وبيعته كذلك لأنّ كثيرين أقدموا عليها مختارين لها هذا مع عدم النظر إلى استخلاف أبيه له، أمّا مع النظر لذلك فلا تشترط موافقة أحد من أهل الحلّ والعقدُ على ذلك[٢]، انتهى بألفاظه.

والعجب من بعض الشيعة أنّهم بعد وقوفهم على مثل هذه الأقوال ما زالوا يظهرون الهوى والميل إلى الغزالي ومحيي الدين بزعم أنّ هذه الفرقة هم أهل العرفان، يا للعجب من رسوخ محبّة التصوّف في عروقهم قبل رسوخ محبّة التشيّع[٣] ثمّ إن أراد هؤلاء التصوّف فليجنحوا مع صوفيّة الشيعة فما الحاجة إلى الميل لأعداء أهل البيت الذين أعرضوا عن معادن العلم كالحسن البصري ومحمّد الغزالي ومحيي الدين بن عربي. نعم، لو أنّهم تابوا فإنّ هذه الشنعة لا تعلق بهم، والظاهر أنّهم بهذه الملاحظة يعمدون إلى توجيه كلماتهم العلميّة وقد سبقهم إلى هذا الزعم غالباً في أكثر الموارد السيّد المحقّق الشهيد الثالث ولكنّنا أفصحنا عن عذره، والله العالم.

وجملة القول: إنّ ابن حجر أراد التفصّي عن هذا الإشكال، فقال: إنّ حرمة

---

(١) الصحيح أنّه القاضي أبوبكر ابن العربي. (هامش الأصل)

(٢) خلاصة عبقات الأنوار ٤: ٢٣٧. (عنه)

(٣) خفي على المؤلّف ﷺ أنّ محيي الدين بن العربي المالكي غير ذاك الصوفي، وقد فرّق العلماء بينهما بأداة التعريف؛ العربي للفقيه، وعربيّ للصوفيّ، وقد خدعه اتحاد اسميهما ولقبيهما ووالديهما، ولكن الاتجاه مختلف عند الاثنين. (المترجم)

الخروج على الإمام الجائر تتمّ بإجماع الأُمّة ولم يحصل إجماع على الحرمة آنذاك، وكان الحسين عليه السلام مجتهداً فاقتضى اجتهاده الخروج فخروجه كان بحقّ إذاً، ونحن قبلاً أشرنا إلى حديثين عن البخاري ومسلم وجعلنا ذلك شاهداً أنّ ابن عمر روى أنّ الخروج على الإمام الجائر وخلع يد الطاعة حرام على كلّ حال. ومثل هذا الخبر أخبار كثيرة عنهم وردت في مضمونه، ولكن ذلك لا يوصل إلى مكان.

وابن الجوزي دلّس تدليساً غريباً وكشف عن لون جديد من ألوان الخيانة في مذهبه، فقد قال في رسالة ردّ مانع لعن يزيد: إنّ الإجماع منعقد على وجوب نصب إمام على الأُمّة لأنّ انتظام أمر الدين منوط بوجوده، وللإمام شروط وصفات عدّة اجتمعت بجملتها عند الحسين عليه السلام وقال الفقهاء: لا تجوز ولاية المفضول على الفاضل إلّا مع وجود المانع من الخوف أو الجهل بالسياسة، قال:

«... ويدلّ على تقديم الأفضل أنّ في الصحيحين من حديث عمر أنّ أبابكر يوم السقيفة أخذ بيد عمر وبيد أبي عبيدة بن الجرّاح وقال: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيّهما شئتم، قال عمر: كان والله أن أقدم فيضرب عنقي لا يقربني من ذلك إثم أحبّ إليّ من أن أتأمّر على قوم فيهم أبوبكر. هذا حديث متفق على صحّته.

ولمّا ولّى أبوبكر عمر دخل عليه جماعة فقالوا: ما أنت قائل لربّك إذا سألك عن استخلافك عمر وقد ترى غلظته؟! فقال أبوبكر: اجلسوني، أبالله تخوّفوني؟ أقول: اللهمّ استخلفت خير أهلك.

وفي الصحيح: إنّ عمر لمّا جعل الخلافة شورى في ستّة قال: يشهدكم ابن عمر، ليس له من الأمر شيء، وقد كان ابن عمر خيراً من ألف يزيد.

ثمّ يقول: لمّا ثبت بأنّ الصحابة يسعون وراء الأفضل ليقلّدوه باعتباره أحقّ، فهل يشكّ أحد بأنّ الحسين أحقّ من يزيد بالخلافة؟ كلّا، بل لا يشكّون في

أولئك الذين يقلّون رتبة عن الحسين مثل عبدالرحمن بن أبي بكر وعبدالله بن عمر وعبدالله بن الزبير وعبدالله بن عبّاس؛ لأنّ هؤلاء جميعاً لهم الحسب والنسب والنجدة والكفائة والعلم الوافر، ولا تدنو رتبة يزيد من أدناهم، فما الوجه إذن في تقديمه.

تمّ كلام ابن الجوزي بعد حذف ما لا صلة له بموضوعنا، وفساد هذا القول ظاهر؛ لأنّ مدار الخلافة لو كان على الأفضليّة بطلت خلافة الثلاثة البتّة[1] لأنّه لا يشكّ عاقل في وجود إنسان بعد النبيّ في الحسب والنسب والعلم والحلم والشجاعة والسماحة والعقل والرفق والصلابة في ذات الله والجهاد والسابقة وسائر الفضائل التي يعتبرها العاقل فضلاً أو صارت فضائل باعتبار اسلاميّ قريع[2] لأميرالمؤمنين عليه السلام أو قرينٍ.

ومن هذه الجهة أنكر الأشاعرة وجوب تقديم الفاضل، ونسبة هذا القول إلى مطلق الفقهاء خطأ، واستدلّوا على عدم اعتبار الأفضليّة بقصّة الشورى، فقد كان بعضهم أفضل من بعض، فكانوا جميعاً إمام الإمامة في مستوى واحد، فكيف جعل ابن الجوزي هذه الحكاية شاهداً على تقديم الأفضل، وينبغي أن يقرّ الجميع بفضل أميرالمؤمنين وتقدّمه كما قال الملّا سعد التفتازاني في شرح العقائد:

والانصاف أنّه إن أُريد بالأفضليّة كثرة الثواب فللتوقّف جهة، وإن أُريد كثرة ما يعدّه ذوو العقول من الفضائل فلا جهة له.

وقال بعض المحشّين من أعيانهم المتأخّرين: أي فلا جهة للتوقّف بل يجب أن يجزم بأفضليّة عليّ كرّم الله وجهه إذ قد تواتر في حقّه ما يدلّ على عموم

---

(١) بتشديد التاء ومعناها قطعاً، وهي لفظ عربيّة وإن دخلت اللغة الفارسيّة كغيرها من اللغات. (المترجم)

(٢) قريع صفة للإنسان في عبارة (في وجود إنسان). (المترجم)

مناقبه، ووفور فضائله، واتصافه بالكمالات، واختصاصه بالكرامات. هذا هو المفهوم من سوق الكلام، ولهذا قيل فيه رائحة الرفض، لكنّه فرية بلا مرية، إذ أكثريّة فضائل عليّ وكمالاته العليّة تواتر النقل فيه معنى بحيث لا يمكن لأحد إنكاره، ولو كان هذا رفضاً وتركاً للسنّة لم يوجد من أهل الرواية والدراية سنّيّ أصلاً، فإيّاك والتعصّب في الدين والتجنّب عن الحقّ واليقين.

وأخيراً على فرض تسليم لزوم الأفضليّة فإنّ تقديم المفضول لحكمة أو مانع جائز كما يقول بهذه الأفضليّة أهل بغداد والبصرة، وأشار ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة في مقدّمته قائلاً: الحمد لله الذي قدّم المفضول على ا لفاضل لمصلحة اقتضاها (التكليف) الحكمة[1] ومن أين حصل له العلم أن لا يكون هناك مانع، لأنّ الناس إن بايعوا سيّدالشهداء واستتبّ الأمر له واستقلّ به فسوق يثبت إمامة أخيه وأبيه، وعند ذلك يذري دين أهل السنّة بالريح ولا مانع أقوى من هذا المانع، كما نقل ابن أبي الحديد ذلك عن أحد علماء أهل السنّة والجماعة (وهو عليّ بن الفارقي مدرّس المدرسة الغربيّة ببغداد):

فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟

قال: نعم.

قلت: فلم لم يدفع إليها أبوبكر فدك وهي عندك صادقة؟

فتبسّم ثمّ قال كلاماً لطيفاً مستحسناً مع ناموسه وحرمته وقلّة دعابته، قال: لو أعطاها اليوم فدك بمجرّد دعواها لجائت إليه غداً وادّعت لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء لأنّه يكون قد أسجل على نفسه أنّها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنة ولا شهود.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١: ٣. (المترجم)

وقال ابن أبي الحديد: وهذا كلام صحيح[١].

والحقّ يقال أنّ الرجل صدق، وفهم الوضع جيّداً، مضافاً إلى هذا كلّه فليس سبب الإمامة مطلق الأفضليّة بل لابدّ من تحقّق أسباب ثلاثة لكي يكون الأفضل أحقّ بالإمامة، ويعتقد السنّة في الحسين أنّه لا نصّ عليه ولا شوكة له، ولم يبايعه أحد، فكيف يكون إماماً بالنسبة لهم؟ إنّما إمامه يزيد فحسب، وإن شاء الله سوف يذهبون مع إمامهم يسوقهم الملائكة الغلاظ الشداد إلى دركات الجحيم عندما يأتي «يوم ندعو كلّ أُناس بإمامهم». وقد أجاد مهيار الديلمي رحمه الله حيث قال مخاطباً العرب:

ما برحت مظلمة دنياكم ... حتّى أضاء كوكب من هاشم

نبلتم به وكنتم قبله ... سرّاً يموت في ضلوع كاتم

ثمّ قضى مسلّماً من ريبه ... فلم يكن عن غدركم بسالم

ثقفتموا عهوده في أهله ... وجزتم عن سنن المراسم

وقد شهدتم مقتل ابن عمّه ... خير مصلٍّ في الورى وصائم

وما استحلّ باغياً إمامكم ... يزيد في الطفّ من ابن فاطم

وها إلى اليوم الظبا خاضبة ... من دمهم مناسر القشاعم

يقول سبط ابن الجوزي: وتطرّق إلى هذه الأُمّة العار بولايته عليها حتّى قال أبوالعلاء المعرّي يشير بالشنار إليها:

أرى الأيّام تفعل كلّ نكر ... فما أنا في العجائب مستزيد

أليس قريشكم قتلت حسيناً ... وكان على خلافتكم يزيد

والغرض من إيراد هذه الجملة هو إثبات أنّ أهل السنّة تخلّفوا عن سفينة النجاة

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٨٤. (المترجم)

التي تضمّنها الحديث المنقول بالتواتر: «مثل أهل بيتي كسفينة نوح؛ من ركبها نجى ومن تخلّف عنها غرق». وكذلك نقل بالتواتر أنّ النبيّ ﷺ قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي»؛ فالنبيّ ﷺ يدعو إلى التمسّك بالعترة وركوب سفينة نوح، والقوم مهّدوا لأنفسهم أُصولاً وقواعد يكون يزيد الذي قتل فلذتي كبد رسول الله وريحانتيه أحدهما بسمّ جعدة والآخر بشفرة شمر بن ذي الجوشن لعنه الله، بمقتضاها إماماً مفترض الطاعة، كما التزم نجل خليفتهم المحترم زاهد الصحابة باعتقادهم بإمامته، ومع أنّه لم يبايع أميرالمؤمنين ـ كما نقل ذلك في الاستيعاب لابن عبدالبرّ ـ فقد أصرّ على بيعة يزيد وبيعة عبدالملك، ولمّا كان صحابيّاً فقد وجب الاقتداء به في إمامة يزيد بحكم «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» وهذا وحده دليل مستقلّ.

فتبيّن من هذا أنّ يزيد إمام أهل السنّة والجماعة وخليفتهم، والحمد لله الذي جعلنا متمسّكين بولاية أميرالمؤمنين وأولاده الطاهرين، ووفّقنا للبرائة من يزيد ومستخلفيه من المنافقين بل الكافرين.

عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْآبِدِينَ ...

الشرح: الأبد كما جاء في الصحاح والقاموس ومنتهى الإرَب وغيرها بمعنى الدهر، ويقولون: الأبد الأبيد مثل دهر داهر، وليل أليل، ويوم أيوم، وشعر شاعر، وموت مائت، وهم ناصب يعتبرون نفس الصفة موصوفاً، ويشتقّون له صفة من لفظه ليدلّ على التكرار والاشتمال على هذا الوصف ويفيد المبالغة ويقولوا في مقام التأبيد: أبد الآبدين ودهر الداهرين وأبد الأبيد وأبد الأبديّة وأبد الآبدين مثل الأرضين، وأبد الآبد وأبد الدهر، وأبيد الأبيد.

وهذه الألفاظ تدلّ على الدوام والاستمرار والبقاء والاتصال، ونحن ذكرنا في شرح الجملة: «ما بقي الليل والنهار» ثلاثين لفظاً من ألفاظ التأبيد الجارية على ألسنة الفصحاء القدماء والمستعملة في محاوراتهم وخطاباتهم، وهذا من ذاك، وقد ذكرناه هناك، والله أعلم.

وَهٰذَا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيادٍ وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلاَم ...

الشرح: يستعمل الفرح أحياناً بمعنى السرور وأحياناً بمعنى البطر كما جاء في كتب اللغة من الصحاح والقاموس وغيرهما، والمراد بالبطر النشاط مع الغرور[1] ومن هذا الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾[2]. وليس الذمّ لمطلق الفرح، ولفظ الزيارة يحتمل المعنيين، والأنسب بحال زياد وحال آل مروان هو المعنى الثاني، والذي يحتاج إلى شرح من سائر ألفاظ الزيارة شرحناه في الفقرات السابقة.

ومن الصواب هنا نقل ما يدلّ على فرح آل مروان وآل زياد من أقوال الفرقة السنّيه وما يدلّ على فرحهم هم أنفسهم لأنّهم في حقيقة الأمر آل زياد وآل مروان تشملهم اللعنة من هذه الزيارة التي ذكرناه في مواضع من هذا الكتاب لذوي الألباب الذين أصل الحديث معهم.

المسعودي وهو من أعظم علماء الشيعة القدماء كما يظهر ذلك من التأمّل في طيّات كلماته في مروج الذهب وهو شاهد على ما أقول، وإن كان يذكر في بعض المواقع من كتابه من باب التقيّة أو الاحتمال أو نقل الخبر الضعيف مطالب مخالفة لمذهب الحقّ، وهذا المعنى صار سبب الالتباس على المحقّق الألمعي أغا محمّد علي ابن الأستاذ الأعظم خلافاً للجميع فقد صرّح بعدم تشيّعه، ومن رأى كتابه «إثبات الوصيّة» لا يعتريه ريب في تشيّعه، وذكر أبوالعبّاس النجاشي في فهرسته

---

(١) قال في اللسان: البطر، النشاط وقيل التبختر، وقيل احتمال النعمة، وقيل: الدهش والحيرة، وقيل البطر: الطغيان في النعمة. (لسان العرب مادة بطر ـ المترجم)

(٢) القصص: ٧٦.

مناقبه ومع هذا فهو معتمد أهل السنّة به يثقون وعليه يعتمدون[١]، ولا يوجد مؤرّخ لم يعتمد عليه، من هؤلاء ابن خلدون فإنّه يقول في المقدّمة:

وقد دوّن الناس وأكثروا وجمعوا تواريخ الأُمم والدول في العالم وسطروا، والذين ذهبوا بفضل الشهرة والأمانة المعتبرة، واستفرغوا دواوين من قبلهم في صحفهم المتأخّرة وهم قليلون لا يكادون يجاوزون عدد الأنامل ولا حركات العوامل مثل ابن إسحاق والطبري وابن الكلبي ومحمّد بن عمر الواقدي وسيف عمر الأسدي والمسعودي وغيرهم من المشاهير المتميّزين عن الجماهير.

بهذه الملاحظة فإنّ النقل عن المسعودي في مروج الذهب الذي طبع مراراً وتكراراً مستقلاً وتبعاً في مصر، وهذا في نفسه دليل على الاعتماد عليه عندهم، وقد وردت ترجمته في فوات الوفيات مذكورةً بالتفصيل لا يكون خارجاً عن صناعة الجدل، مضافاً إلى أنّ ابن أبي الحديد وافقه على مذهبه.

جملة القول أنّه قال في مروج الذهب مسنداً: قال الحجّاج يوماً لعبدالله بن هانئ وهو رجل من أودحي من اليمن وكان شريفاً في قومه، شهد مع الحجّاج مشاهده كلّها وشهد معه تحريق البيت وكان من أنصاره وشيعته: والله ما كافأناك بعد، ثمّ أرسل إلى أسماء بن خارجة وكان من فزارة أن زوّج عبدالله ابن هانئ ابنتك، فقال: لا والله ولا كرامة، فدعا له بالسياط، فقال: أنا أُزوّجه، فزوّجه، ثمّ بعث إلى سعيد بن قيس الهمداني رئيس اليمانيّة أن زوّج عبدالله بن هانئ ابنتك، قال: ومن أود؟ والله لا أُزوّجه ولا كرامة، قال: هاتوا السيف، قال: دعني حتّى أُشاور أهلي، فشاورهم، فقالوا: زوّجه لا يقتلك هذا الفاسق، فزوّه، فقال له

---

(١) ردّ ابن تيميّة كتابه «مروج الذهب» واعتبره من الكتب المخالفة لهم وشاهده على ذلك أنّ لصاحبه كتاباً اسمه إثبات الوصيّة. (المترجم)

الحجّاج: يا عبدالله قد زوّجتك بنت سيّد بني فزارة وابنة سيّد همدان وعظيم كهلان، وما أود هنالك.

فقال: لا تقل أصلح الله الأمير ذلك، فإنّ لنا مناقب ماهي لأحد من العرب.

قال: وما هي هذه المناقب؟

قال: ما سبّ أميرالمؤمنين عثمان في نادٍ لنا قطّ.

قال: هذه والله منقبة.

قال: وشهد منّا صفّين مع أميرالمؤمنين معاوية سبعون رجلاً وما شهدها مع أبي تراب منّا إلّا رجل واحد وكان والله ما علمته امرئ سوء.

قال: وهذه والله منقبة.

قال: وما منّا أحد تزوّج امرأة تحبّ أبا تراب وتتولّاه.

قال: وهذه والله منقبة.

قال: وما منّا امرأة إلّا نذرت إن قتل الحسين أن تنحر عشر جزائر لها، ففعلت.

قال: وهذه والله منقبة.

قال: وما منّا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلّا فعل وقال: وأزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأُمّهما فاطمة.

قال: وهذه والله منقبة.

قال: وما من أحد من العرب له من الملاحة والصباحة ما لنا، وضحك، وكان دميماً شديد الأدمة مجدّراً في رأسه أعجر مائل الشدق أحول قبيح الوجه وحش المنظر[1].

(يقول المؤلّف): إلى هنا كانت ترجمة كلام (مروج الذهب) وهذه الأُمور التي

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٦٢ و١٦٣. (المترجم)

اعتبرت مناقب كلّ واحدة منها عجيبة العجائب، وهذه المناقب ورثها علماء أهل السنّة من أسلافهم، واقتفوا آثارها كما ذكر عبدالقادر الگيلاني الذي يعتبر الغوث الأعظم والهيكل الصمداني في محكي كتاب الغنية الذي هو تأليفه بشهادة جماعة من أعلام أهل السنّة، قال ما لفظه:

وقد طعن قوم على صيام هذا اليوم العظيم وما ورد فيه من التعظيم وزعموا أنّه لا يجوز صيامه لأجل قتل الحسين بن عليّ فيه، وقالوا: ينبغي أن تكون المصيبة فيه عامّة [لجميع الناس لفقده ـ المصدر] وأنتم تأخذونه يوم فرح وسرور وتأمرون فيه بالتوسعة على العيال والنفقة الكثيرة والصدقة على الضعفاء المساكين، وليس هذا من حقّ الحسين على جماعة المسلمين، وهذا القائل خاطئ ومذهبه قبيح فاسد؛ لأنّ الله اختار لسبط نبيّه ﷺ الشهادة في أشرف الأيّام وأعظمها وأجلّها وأرفعها عنده ليزيده بذلك رفعة في درجاته وكرامة مضاعفة إلى كراماته، ويبلغه منازل الخلفاء الراشدين الشهداء بالشهادة.

ولو جاز أن يتّخذ [نتّخذ ـ المصدر] يوم موته مصيبة لكان يوم الاثنين أولى بذلك إذ قبض الله فيه نبيّه، وكذلك أبوبكر الصدّيق قبض فيه وهو ما روى هشام عن عروة عن أبيه عن عائشة قال أبوبكر لي: أي يوم توفّي النبيّ؟ قلت: يوم الاثنين، قال: إنّي أرجو أن أموت فيه، فمات فيه، وفقد رسول الله ﷺ وفقد أبي بكر[1] أعظم من فقد غيرهما، وقد اتفق الناس على شرف يوم الإثنين وفضيلة صومه وأنّه يعرض فيه وفي يوم الخميس أعمال العباد وكذلك [يوم ـ المصدر] عاشوراء لا يتّخذ [يتّخذ ـ المصدر] يوم مصيبة، ولأنّ يوم عاشوراء يتّخذ يوم مصيبة ليس بأولى من أن يتّخذ يوم عيد وفرح وسرور لما قدّمنا ذكره وفضله من

---

(١) في كلّ واد أثر من ثعلبة. (المترجم)

أنّه يوم نجّى الله فيه أنبياءه من أعدائهم وأهلك فيه أعدائهم الكفّار من فرعون وقومه وغيرهم، وأنّه خلق السماوات والأرض والأشياء الشريفة [فيه ـ المصدر] وآدم وغير ذلك، وما أعدّ الله لمن صامه من الثواب الجزيل والعطاء الوافر وتكفير الذنوب وتمحيص السيّئات فصار عاشوراء مثل [بمثابة ـ المصدر] بقيّة الأيّام الشريفة كالعيدين والجمعة وعرفة وغيرها. ثمّ لو جاز أن يتّخذ هذا اليوم يوم مصيبة لاتّخذته الصحابة والتابعون لأنّهم أقرب إليه منّا وأخصّ به منّا، انتهى كلام الناصب الدعيّ.

ومحصّل حديثه أنّ ردّ الشيعة على أهل السنّة في اتخاذ يوم عاشوراء يوم فرح وسرور حديث واهٍ وكلام باطل، لأنّه يوم مبارك وميمون اختاره الله لشهادة ابن النبيّ ليزيد في كرامته، وإذا كان يوم عاشوراء يوم مصيبة فيوم الإثنين الذي توفّي فيه رسول الله وأبوبكر وكلاهما أعظم منه يوم مصيبة أيضاً مع كون صيامه مستحبّاً وراجحاً، والأعمال تعرض على الله فيه وفي يوم الخميس، بل ينبغي أن يكون يوم عاشوراء يوم فرح واستبشار لنزول البركات المختصّة به، مثل خلق السماوات والأرض، وخلق آدم، ونجاة الأنبياء، وهلاك أعداء الله فيه مثل فرعون وقومه، ولاستحباب الصوم فيه وزيادة فضله، وإذا كان هذا اليوم يوم مصيبة لم يخف على الصحابة والتابعين لقرب منه وشدّة اختصاصهم به، ولم يفعل أحد منهم ذلك.

وهذا خلاصة كلام عدوّالله ورسوله، وشناعة هذا الكلام وظهور فساده بحيث لا يخفى على أيّ مسلم ذي دين ولا يشكّ في بطلانه أحد، ونحن ذكرنا في مواضع من هذا الشرح بطلانه بما فيه غنية وكفاية، ولكن لإتمام الحجّة وإزاحة العلّة نعرض له في هذا الموضع من الشرح إجمالاً.

أمّا قوله: «إنّه يوم مبارك اختاره الله لشهادة ابن بنت نبيّه ليضاعف له به الأجر»

فهو تدليس يخدع به العوام والسُذّج، وإلّا فلا تخفى حاله على العاقل العارف بالحقايق، ولا يعتقد أحد بأنّ شرف اليوم يكون سبباً في قتل الأنبياء وأبنائهم فيه، وجرت عادة الناس أن يحسبوا اليوم الذي يموت فيه أحبّائهم من أب أو أُمّ أو ولد أو أخ أو ذي رحم يوم نحس ويتشائمون به ويتطيّرون منه، ولا يحتاج هذا الأمر إلى برهان.

وأمّا ما قاله: «لو صحّ ذلك لكان يوم الإثنين يوم نحس»:

أوّلاً: هناك فرق واضح بين وقوع اليوم في العام مرّة ووقوعه في الأُسبوع مرّة كيوم عاشوراء ويوم الإثنين، ولا يصحّ النقض، مِن ثَمّ كان يوم الثامن والعشرين من صفر وهو يوم وفات سيّد الأنبياء عند الشيعة يوم العزاء الأعظم، وما يجري في عاشوراء من الآداب يجرونه في هذا اليوم بلا أدنى تفاوت.

وثانياً: يوم الإثنين يوم نحس مستمرّ وورد في أخبار أهل البيت أنّه يوم بنيأُميّة ويعتبر يوم مصيبة المسلمين، وليس له عندنا أيّة حرمة ولا حجّة علينا في أخبار عدوّنا لأنّها بأجمعها كذب ووضع وافتراء، والبخاري الذي يرون كتابه أصدق كتاب بعد القرآن وكتابه أصحّ الكتب كان أكذب البريّة كما ظهرت حالات أسانيده في كتاب «استقصاء الأفهام» للسيّد الجليل المعاصر المولوي مير حامد حسين ـ نوّر الله ضريحه ـ وعرف واقعها.

وإذا ما كنّا نحن نستدلّ بها أحياناً فإنّما هو لإفحام الخصم وإلزامه بالحجّة، والاحتجاج بها على الشيعة خارج عن أدب الحوار والمجادلة وفاقد للصواب.

وثالثاً: موت الأوّل يجب أن يكون سب البركة واليمن لا موجباً للشؤم والنحس، اللهمّ إلّا بالنظر لمن يخلفه من حيث هو فظّ غليظ القلب ويكون الناس معه كالمستجير من الرمضاء بالنار، وبهذه الملاحظة يكون يوم نحس وشؤم.

وأمّا قوله: «لو كان يوم عاشوراء يوم فرح فهو الأولى لبركاته» فلقد مرّ عليك[١] أنّ حدوث هذه الوقايع فيه هو محض الكذب وعين الافتراء، وهو من موضوعات النواصب.

وأمّا قوله: «إنّ الصوم فيه مستحبّ» فقد مرّ عليك آنفاً بأنّ الصوم مردّد فيه بين الكفر والحرام والمكروه[٢].

وأمّا قوله: «إنّ الصحابة والتابعين لهم لم يتّخذوه يوم مصيبة» فهو مخدوش بالمراد منه هل أنّه قبل وقوع المصيبة أو بعدها؟ فإن كان قبل مقتل سيّدالشهداء فهو خارج عن محلّ النزاع لأنّ في ذلك اليوم لم يكن عزاء بحسب الظاهر وإذا كان بعد القتل فما المراد بالصحابة والتابعين، فهل هم أتباع يزيد ومعاوية أو أتباع أهل البيت عليهم السلام؟ فإن كان المراد الأوّل فأفعالهم ليست حجّة، وإن كان الثاني فإنّ نسبة ذلك إليهم كذب فقد اتّخذوا هذا اليوم من أوّل يوم وقعت فيه المصيبة يوم حزن وبكاء، وإن كانوا لم يظهروا ذلك علناً لوجود الموانع في بعض الظروف، وقد أبدع بعض النواصب وهوابن حسكينا في الاعتذار عن الاكتحال يوم عاشوراء حيث قال:

ولائم لام في اكتحال ... يوم استباحوا دم الحسين

فقلت دعني أحقّ عضو ... يلبس فيه السواد عيني

فإنّه اعترف بذلك وأجاد في شعره المشتمل على زندقته في تزيينه عيون القاصرين، وكأنّه أُوحي إليه من الشياطين.

وابن حجر المكّي في كتاب (الصواعق) حكى كلام جماعة من هذه الطائفة

---

(١) في شرح قوله: «اللهمّ إنّ هذا يوم تبرّكت به بنو أُميّة». (هامش الأصل)

(٢) في شرح قوله: «اللهمّ هذا يوم تبرّكت فيه بنو أُميّة». (هامش الأصل)

وذكر بعض الأخبار الذي تمسّكوا ببدعهم من أجلها، والعجيب في الأمر أنّه مع صلابته الحجريّة التي أخرجته من الطبيعة البشريّة فقد اعترف بفساد مداركهم وضعفها وإنكان قد طعن في الشيعة لإقامتهم عزاء سيّدالشهداء وقيامهم بواجب النياحة والبكاء، ونحن استمداداً من بركة سيّدالشهداء وخامس آل العباء عليه السلام بإذن الله تعالى سوف نعرض لدفع شبهاته وتُرّهاته، وننقل هنا حاصل كلامه ومجمل حديثه كالتالي:

وإيّاه ثمّ إيّاه أن يشغله ببدع الرافضة ونحوهم من الندب والنياحة والحزن، إذ ليس ذلك من أخلاق المؤمنين وإلّا لكان يوم وفاته صلى الله عليه وآله أولى بذلك وأحرى، أو ببدع الناصبة المتعصّبين على أهل البيت أو الجهّال المقابلين الفاسد بالفاسد، والبدعة بالبدعة، والشرّ بالشرّ، من إظهار غاية الفرح والسرور واتخاذه عيداً، وإظهاراً لزينة فيه كالخضاب والاكتحال ولبس جديد الثياب وتوسيع النفقات وطبخ الأطعمة والحبوب الخارجة عن العادات، واعتقادهم أنّ ذلك من السنّة والمعتاد، والسنّة ترك ذلك كلّه فإنّه لم يرد في ذلك شيء يعتمد عليه، ولا أثر صحيح يرجع له.

وقد سُئل بعض أئمّة الحديث والفقه عن الكحل والغسل والحنّاء وطبخ الحبوب ولبس الجديد وإظهار السرور يوم عاشوراء، فقال: لم يرد فيه حديث صحيح عنه صلى الله عليه وآله ولا عن أحد من أصحابه، ولا استحبّه أحد من أئمّة المسلمين؛ لا من الأربعة ولا من غيرهم، ولم يرد في الكتب المعتمدة في ذلك صحيح ولا ضعيف، وما قيل أنّ من اكتحل يومه لم يرمد ذلك العام، ومن اغتسل لم يمرض كذلك، ومن وسّع على عياله فيه وسّع الله عليه سائر سنّته وأمثال ذلك من فضل الصلاة فيه وأنّه كان فيه توبة آدم واستواء السفينة على الجودي وإنجاء إبراهيم من النار، وإفداء الذبيح بالكبش، وردّ يوسف على يعقوب فكلّ ذلك موضوع إلّا

حديث التوسعة على العيال لكن في سنده من تكلّم فيه، فصار هؤلاء لجهلهم يتّخذنه موسماً، وأولئك لرفضهم يتّخذونه مأتماً، وكلاهما مخطئ مخالف للسنّة، ذكر ذلك جميعه بعض الحفّاظ، وقد صرّح الحاكم بأنّ الاكتحال يومه بدعة مع روايته خبر: إنّ من اكتحل بالأثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبداً، لكنّه قال: إنّه منكر، ومِن ثَمّ أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق الحاكم.

قال بعض الحفّاظ: ومن غير تلك الطريق ـ أي أنّه موضوع بأيّ طريق نقل ـ.

ونقل المجد اللغوي ـ أي صاحب القاموس ـ عن الحاكم أنّ سائر الأحاديث في فضله غير الصوم وفضل الصلاة فيه والإنفاق والخضاب والإدهان والاكتحال وطبخ الحبوب كلّه موضوع ومفترى.

وبذلك صرّح ابن القيّم أيضاً، فقال: حديث الاكتحال والإدهان والتطيّب يوم عاشوراء من وضع الكذّابين، والكلام فيمن خصّ يوم عاشوراء بالكحل ...[1].

تمّ ما أردنا نقله من كلام ابن حجر، وفي هذا الكلام مواضع يحتجّ بها على المطالب المذكورة:

الأوّل منها: قلنا في شرح الفقرة السابقة[2] أنّ علماء السنّة والجماعة افتروا أخباراً موضوعة في فضائل عاشوراء، وذكر ابن حجر جملة من هذه الأخبار.

الثاني: قلنا إنّها موضوعة ومختلقة، ووضعت كذباً وافتراءاً، وشهد شاهد من أهلها وهو ابن حجر، ونقل عن ابن القيّم والحاكم وابن الجوزي والمجد اللغوي وبعض أئمّة الحديث الاعتراف بكذبها.

الثالث: اعترف بأنّها بدعة.

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٨٣ و ١٨٤. (هامش الأصل والمترجم)

(٢) «اللهمّ هذا يوم تبرّكت فيه بنو أميّة».

الرابع: اعترف بنصب فاعلها وعلى هذا يكون أكثر أهل السنّة والجماعة بل جميعهم ما عدى طائفة منهم ابتلوا بمعاشرة أهل الحقّ فاضطرّوا لمماشاتهم على وجه التقيّة هم نواصب؛ لأنّ الغالب في بلادهم عمل هذه الشعائر، ولقد اطّلع الحجّاج على ما يفعله أهل مكّة والمدينة وبلغت أسماء سائر الناس كأهل مكّة الذين هم بعد أهل المدينة أنصب خلق الله وشاهدنا من غرائب هذه الجماعة إبّان إقامتنا في البلدة الشريفة سامرّاء ما يضيق عنه اللسان ويكلّ عنه البيان، منها أنّهم أقاموا حفلة عرس في تلك السنة ـ سنة إقامة المؤلّف في سامرّاء/المترجم ـ يوم عاشوراء وكان زفاف العروس إلى بيت عرّيسها ليلة الحادي عشر من المحرّم.

ومجمل القول: إنّ تيمّن أهل السنّة وتبرّكهم في يوم عاشوراء واقع مشهور مسموع صداه، مهتوك ستره بحيث لا يقبل الإنكار، ويكفي هذا المقدار في إثبات هلاكهم وضلالهم، وأنّهم مع وجود الأوامر البليغة والتأكيدات الشديدة على محبّة أهل البيت الذين جعل الله مودّتهم أجر الرسالة وأجمع كلّ مسلم على لزوم التمسّك بهم ووجوب الاقتداء بجنابهم، وهذا مسلّم عند الفريقين، فإنّهم ـ أهل السنّة والجماعة ـ تخلّفوا عن سفينة النجاة بحيث اعتبروا يوم قتلهم ونهبهم وأسرهم من أعيادهم، وجعلوا من السنّة في هذا اليوم الاكتحال والتطيّب وارتداء الثياب الجديدة والإدهان وسائر لوازم العيد، ومن هذه الجهة أطلقوا على أنفسهم اسم السنّة حيث أنّهم عملوا بسنّة يزيد وبني مروان (لعنهم الله جميعاً).

گر مسلمانی از اینست که ایشان دارند — وای اگر از پس امروز بود فردائی

إن كان إسلامهم هذا الذي نقلوا — ويل لهم من عذاب الله يوم غد

وقد أجاد أبو الحسين الجزّار في قوله:

وبعود عاشورا يذكّرني — رز الحسين فليت لم يعد

يا ليت عيناً فيه قد كحلت — لشماتة لم تخلُ من رمد

ويداً به لمسرّة خضبت مقطوعة من زندها بيدي

أما وقد قتل الحسين به فأبو الحسين أحقّ بالكمد

وهذه شواهد صدق على ما قاله سيّد الساجدين عليه السلام في الخطبة التي قرأها بعد دخوله المدينة، قال فيها: «لو أنّ النبيّ تقدّم إليهم في قتالنا كما تقدّم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا»[1] فلعن الله أوّلهم وآخرهم.

تذييل

كلّ ما يقام ممّاهو متعارف عليه بحمد الله في بلاد الشيعة من إقامة العزاء والاجتماع في المجالس ونشر الأعلام ونصب الخيام والتشبيه وتمثيل واقعة عاشوراء في بعض بلاد الهند وصنع الضريح المقدّس ورفعه على الاكتاف وغير ذلك من الحداد ولبس السواد وتعطيل الأسواق في يوم عاشورا والخروج في الشوارع بمواكب اللطم والنياحة وما كان من هذاالنمط فجميع ذلك مشروع وراجح في الشريعة المطهّرة، ودليلنا على هذا المدّعى من طريقين:

الطريق الأوّل: بناءاً على مسلك علماء الإماميّة وفقه أهل البيت عليهم السلام، وهذا المطلب وإن كان غنيّاً عن الدليل بناءاً على ما في أُصول مذهبنا وهو غاية في الوضوح إلّا أنّنا نشير إشارة إجماليّة إلى بعض موارد الاشتباه وضمناً نقيم الدليل على عموم المسألة.

اعلم أنّ الأخبار وردت متواترة في استحباب البكاء على سيّدالشهداء عليه السلام وتذكّر مصابه والإبكاء بل والتباكي أيضاً، ومعناه اتخاذ شكل البكاء وإظهار الحزن على هيئة الباكي لا كما توهّمه بعض القاصرين أنّه الرياء في البكاء؛ لأنّ البكاء على سيّدالشهداء عبادة بالضرورة والرياء في العبادات نظير القياس في الأدلّة

---

(١) اللهوف: ٢٠٢. (المترجم)

والربا في المعاملات غير جائز بوجه من الوجوه. مضافاً إلى هذا فقد جاء في الأخبار الكثيرة الواردة في إحياء أمر أهل البيت عليهم السلام والأئمّة عليهم السلام وفضل الجلوس في المجالس التي تحيي أمرهم وكذلك في الأخبار المتعدّدة ما ورد من الجزع مكروه على كلّ شيء إلّا الجزع على سيّدالشهداء، وورد في الأخبار أنّ أيّام عاشوراء أيّام مصيبة أهل البيت وحزنهم، وورد أيضاً عنهم «يحزنون لحزننا، ويفرحون لفرحنا» والحثّ على تجديد عزاء ذلك الإمام الغريب وإقامة طقوس عزائه كما ورد تجويز لطم الخدود وشقّ الثياب.

ومن هذه الأخبار يعرف جواز هذه الأفعال كلّها واستحبابها ورجحانها عموماً وخصوصاً؛ إمّا بالإصالة أو أنّها من باب المقدّمة. وتوضيح المطلب مع الاختصار بنقل بعض الأحاديث في هذا الباب وتطبيقها إجمالاً على الأمور المذكورة:

روى الشيخ الصدوق في الأمالي مسنداً عن الإمام الرضا عليه السلام: من تذكّر مصابنا وبكى لما ارتكب منّا كان معنا في درجتنا يوم القيامة، ومن ذكر بمصابنا فبكى وأبكى لم تبكِ عينه يوم تبكي العيون، ومن جلس مجلساً يجيء فيه أمرنا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب[1].

والحديث ذاته روي في العيون ولكن مكان قوله «من ذكر مصابنا» جاء قوله: «من تذكّر مصابنا».

وفي أمالي الشيخ وساق السند إلى معاوية بن وهب قال: قال الإمام الصادق عليه السلام: كلّ الجزع والبكاء مكروه سوى الجزع والبكاء على الحسين عليه السلام[2].

---

(١) الأمالي، المجلس ١٧، وبحار الأنوار ٤٤: ٢٧٨، والعيون ١: ٢٩٤، والبحار ٤٤: ٢٧٨ رقم ٢، عوالم العلوم: ٥٣١ ح ١٤. (هامش الأصل)

(٢) الأمالي ١: ١٦٣، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٠ رقم ٩، عوالم العلوم: ٥٣٣ رقم ٦. (هامش الأصل)

وروي في كامل الزيارة بطريقين عن صادق آل محمّد ﷺ: ما ذكر الحسين بن عليّ عند أبي عبدالله في يوم قطّ فرُئي أبو عبدالله متبسّماً في ذلك اليوم والليل[١].

وفي قرب الإسناد وساق السند إلى الصادق عليه السلام أنّه قال لفضيل بن يسار: تجلسون وتحدّثون؟ قال: نعم جعلت فداك قال: إنّ تلك المجالس أُحبّها فأحيوا أمرنا، رحم الله من أحيا أمرنا. يا فضيل، من ذكرنا أو ذُكرنا عنده فخرج من عينه مثل جناح الذباب غفر الله له ذنوبه ولو كانت أكثر من زبد البحر.

وفي أمالي الصدوق رحمه الله وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام عن إبراهيم بن أبي محمود قال: قال الرضا عليه السلام: إنّ المحرّم شهر كان أهل الجاهليّة يحرّمون فيه القتال فاستحلّت فيه دمائنا، وهتك فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا ونسائنا، وأُضرمت النيران في مضاربنا، وانتهبت ما فيها من ثقلنا، ولم تُرْعَ لرسول الله ﷺ حرمة في أمرنا. إنّ يوم الحسين قرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذلّ عزيزنا بأرض كرب وبلاء، وأورثتنا [يا أرض كرب وبلاء أورثتنا] الكرب والبلاء إلى يوم الانقضاء؛ فعلى مثل الحسين فليبك الباكون، فإنّ البكاء عليه يحطّ الذنوب العظام.

ثمّ قال عليه السلام: كان أبي عليه السلام إذا دخل شهر المحرّم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكئابة تغلب عليه حتّى يمضي منه عشرة أيّام، فإذا كان يوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قتل فيه الحسين عليه السلام[٢].

وفي الأمالي وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال عليه السلام: من ترك السعي في حوائجه يوم عاشوراء قضى الله له حوائج الدنيا والآخرة، ومن كان يوم عاشوراء

---

(١) كامل الزيارة باب ٣٦، البحار ٤٤: ٢٨٠. (هامش الأصل)

(٢) الأمالي: مجلس ٢٧ رقم ٢، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٣ رقم ١٧، عوالم العلوم: ٥٣٨ الحديث الأوّل. (هامش الأصل) الأمالي: ١٢٨. (المترجم)

يوم مصيبته وحزنه وبكائه جعل الله عزّ وجلّ يوم القيامة يوم فرحه وسروره، وقرّت بنا في الجنان عينه، ومن سمّى يوم عاشوراء يوم بركة وادّخر فيه لمنزله شيئاً لم يبارك له فيما ادّخر، وحشر يوم القيامة مع يزيد وعبيدالله بن زياد وعمر ابن سعد لعنهمُ الله إلى أسفل درك من النار[١].

وفي العيون والأمالي وساق السند إلى شبيب بن الريّان عن الإمام الرضا في حديث طويل أنّهُ قال: يابن شبيب، إن سرّك أن تكون معنا في الدرجات العلى من الجنان فاحزن لحزننا وافرح لفرحنا، وعليك بولايتنا، فلو أنّ رجلاً تولّى حجراً لحشره الله معه يوم القيامة[٢].

وفي كامل الزيارة وساق السند إلى أبي هارون المكفوف قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام فقال لي: أنشدني، فأنشدته، فقال: لا كما تنشدون وكما ترثيه عند قبره، قال: فأنشدته:

امرر على جدث الحسين ... فقل لأعظمه الزكيّه

قال: فلمّا بكى أمسكت أنا، فقال: مرّ، فمررت، قال: ثمّ قال: زدني، زدته فأنشدته:

يا مريم قومي فاندبي مولاك ... وعلى الحسين فاسعدي ببكاك[٣]

قال: فبكى وتهايج النساء، قال: فلمّا أن سكتن قال لي: يا أبا هارون، من أنشد في الحسين فأبكى عشرة فله الجنّة، ثمّ جعل ينقص واحداً واحداً حتّى بلغ

---

(١) الأمالي، المجلس ٢٧ رقم ٤، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٥ رقم ٤، عوالم العلوم: ٥٣٩ ح ٢. (هامش الأصل) الأمالي نسخة المترجم المجلس ٢٧ ص ١٢٩. (المترجم)

(٢) أمالي الصدوق: ١٣٠. (المترجم) الأمالي: المجلس ٢٧ رقم ٥، العيون ١: ٢٩٩، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤، عوالم العلوم: ٥٣٩ ح ٣. (هامش الأصل)

(٣) الشعر للحميري وذكر في الأغاني قسماً منها. (منه بيّة)

الواحد، فقال: من أنشد في الحسين عليه السلام فأبكى واحداً فله الجنّة. ثمّ قال: من ذكره فبكى فله الجنّة.

وفي الكامل أيضاً (روى عن أبي عبدالله) قال: لكلّ شيء [سرّ ـ المؤلّف] ثواب إلّا الدمعة علينا[1]، أي إنّ إخفاء كلّ أمر عباديّ له ثواب (لئلّا يتبادر إليه الرياء) إلّا البكاء علينا فإنّ إعلانه من أجل تعظيم شعائر الإسلام وإحياء أمر أئمّة الأنام فإنّه مطلوب لذاته.

واحتمل المجلسيّ عليه الرحمة أن يكون مكان قوله «سرّ» «شيء» ومعنى نفي الثواب عن البكاء أي أنّة غير محدود بحدود، وهذا غاية في البعد بل لا يستحقّ تسجيله في كتاب علميّ، والحقّ أنّه هو المعنى الأوّل الذي ذكره العلّامة المجلسيّ نفسه.

وفي ثواب الأعمال روي هذا الحديث باختلاف يسير «فقال: أنشدني كما تنشدون يعني بالرقّة» وفي آخر الحديث يقول: «ومن ذكر الحسين عنده فخرج من عينيه مقدار جناح ذبابة كان ثوابه على الله ولم يرض له بدون الجنّة»[2].

والمراد من قوله في الحديثين: «لا كما تنشدون» أو «أنشدي كما تنشدون» أنّ أبا هارون على الظاهر راعى حرمة الإمام فلم يقرأ الشعر بلحنهم الخاصّ تأدّباً فاعترضه الإمام وطلب منه أن يكون على نهج النياحة المعهودة عند الراثين وبالرقّة المطلوبة التي يقرئون بها عند قبره، ومن الغرائب أنّ العلّامة المجلسيّ عليه الرحمة ضبط لفظ الرقّة في البحار بالفتح وحملها على قرىً عدّة تقع غربيّ

---

(١) كامل الزيارات: ١٠٦، البحار: ٤٤: ٢٨٧، عوالم العلوم: ٥٤٢ ح ٤. (هامش الأصل) وكامل الزيارة نسخة المترجم ص٨٦. (المترجم)

(٢) ثواب الأعمال: ٨٤. (المترجم) ثواب الأعمال: ١١٠، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٩، عوالم العلوم: ٥٤٢. (هامش الأصل)

بغداد بالعراق على نهر الفرات في أعماق دياربكر[١] وهذا النوع من التصحيفات اللفظيّة والمعنويّة الدائرة في أحاديث البحار حملت على الظنّ بأنّها لا ترجع إلى ذلك العالم النحرير والناقد البصير؛ لأنّ هذا العلّامة ذو المرتبة الرفيعة ينبغي أن يترفّع عن مثل هذه الاشتباهات الواضحة والأخطاء الظاهرة لأنّ مقامه الرفيع أسمى من ذلك مئة مرّة.. والله أعلم[٢].

وفي منتخب الشيخ الطريحي ﷺ مرسلاً أنّ النبيّ ﷺ لمّا أخبر ابنته فاطمة بقتل

---

(١) قرائة «الرقّة» بفتح الراء وهو اسم قرية، والمجلسي ﷺ أخذه من الفيروزآبادي فلا لوم عليه. (هامش الأصل) هذا لو كان الموضوع لغويّاً أمّا وهو من المواضيع الخاصّة بالشيعة فلا ينبغي أخذه من لغويّ بل الرجوع به إلى أُصوله فهو ملوم على كلّ حال. (المترجم)

(٢) من أوهام بيانات البحار ٤٥: ١٠٩ ضبط لفظ «قَصّة» بالقاف والصاد المهملة في خطبة سيّدتنا زينب الطاهرة بالكوفة بـ«فضّة» [طبقاً لنسخة المصدر: ١٣٠، وعوالم العلوم: ٣٨٧] ويقول ابن الأثير في النهاية: «القصّة» الجصّ ومنه حديث زينب بنت عليّ: «أو كقصّة على ملحودة» ولم تجر العادة بتزيين القبر بالفضّة. ومن العجايب التي تدعو إلى الحيرة والاعتبار وينبغي أن ينزّه منها مقام العلّامة المجلسيّ العالي، فقد قال في شرح البيتين المثبتين في الديوان المبارك ورثاء سيّدة النساء ﷺ:

فقد قال في الأمثال في البين قائل ... أضرّ به يوم الفراق رحيل

لكلّ اجتماع من خليلين فرقة ... وكلّ الذي دون الفراق قليل

التضريب مبالغة في الضرب، والبين الفراق، أي أضرب المثل الذي قاله القائل يوم الفراق الذي هو رحيل، والمثل قوله: «لكلّ اجتماع». (بحار الأنوار ٤٣: ٢١٦)

وهذا ممّا لا يكاد ينقضي منه التعجّب فإنّه تصحيف لفظيّ ومعنويّ جعل الإضرار المتصل بحرف الجرّ تضريباً وجعل الرحيل وهو فاعل اضرب خبراً محذوفاً، وجعل الجملة وصفاً للفراق، وأعاد الضمير المجرور الراجع إلى العامل إلى المثل المفهوم من العبارة، وهذا لا ينبغي صدوره من أصاغر الطلبة فإنّه من مضحكات الثكالى، ولا يجوز لعاقل فضلاً عن فاضل نسبته إلى ذلك الحبر النحرير والناقد البصير، والله العالم. (هامش الأصل) أقول: لم ينفرد الشيخ المجلسي في جمع بحار الأنوار ولا في التعليق عليه فقد شاركه جمّ غفير من أهل الفضل والعلم ومن طلّابه أيضاً فلا بدع أن تكون هذه هفوة بدرت من أحد مساعديه وبقيت عالقة في الكتاب حتّى تحمّل وزرها الشيخ وهو أعلى وأجلّ من ذلك. (المترجم)

ولدها الحسين وما يجري عليه من المحسن بكت فاطمة عليها السلام بكاءاً شديداً وقالت: يا أبتي متى كون ذلك؟ قال: في زمان خال منّي ومنك ومن عليّ، فاشتدّ بكاءها، وقالت: يا أبة، فمن يبكي عليه؟ ومن يلتزم بإقامة العزاء له؟ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا فاطمة، إنّ نساء أُمّتي يبكون على نساء أهل بيتي، ورجالهم يبكون على رجال أهل بيتي ويجدّدون العزاء جيلاً بعد جيل في كلّ سنة[1].

وفي الكافي والتهذيب وساق السند إلى صادق آل محمّد صلى الله عليه وآله قال: قال لي أبي: يا جعفر، أوقف لي من مالي كذا وكذا لنوادب تندبني عشر سنين بمنى أيّام منى[2].

وفي التهذيب وساق السند إلى الصادق عليه السلام عن خالد بن سدير قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن رجل شقّ ثوبه على أبيه أو على أُمّه أو على أخيه أو على قريب له، فقال: لا بأس بشقّ الجيوب، قد شقّ موسى بن عمران على أخيه هارون، ولا يشقّ الوالد على ولده، ولا زوج على امرأته، وتشقّ المرأة على زوجها، وإذا شقّ زوج على امرأته أو والد على ولده فكفّارته حنث يمين، ولا صلاة لهما حتّى يكفّرا ويتوبا من ذلك، وإذا خمشت المرأة وجهها أو جزّت شعرها أو نتفته ففي جزّ الشعر عتق رقبة أو صيام شهرين متتابعين أو إطعام ستّين مسكيناً، وفي الخدش إذا دميت وفي النتف كفّاره حنث يمين، ولا شيء في اللطم على الخدود سوى الاستغفار والتوبة، وقد شققت الجيوب ولطمن الخدود الفاطميّات على الحسين ابن عليّ عليهما السلام، وعلى مثله تلطم الخدود وتشقّ الجيوب[3].

ومن هذا الحديث الشريف يظهر شرف بيت العصمة وجلالتهم لأنّ الإمام

---

(١) المنتخب ١: ٢٩ المجلس الثاني. (المترجم) وبحار الأنوار ٤٤: ٢٩٢، عوالم العلوم الإمام الحسين عليه السلام: ٥٣٤. (هامش الأصل)

(٢) الكافي ٥: ١١٧. (المترجم) باب ٣٥ ح١، التهذيب ٦: ٣٥٨ باب ٩٣ ح١٤٦. (هامش الأصل)

(٣) التهذيب ٨: ٣٢٥. (المترجم) وهامش الأصل: آخر الكفّارات.

يحتجّ بفعل بنات عليّ وفاطمة في يوم عاشوراء ليدلّ على أنّهنّ على ما هنّ عليه من البلاء المبرم لم يفعلن ما يخالف الشرع ولعلهنّ دليل الإباحة لأنّهنّ ربّين في منزل الوحي ونشأن في خدر العصمة والطهارة ورضعن من درّها، سلام الله عليهنّ أجمعين.

واستدلّ ابن إدريس في السرائر بذيل الحديث على جواز شقّ الثوب، ومن هنا نعلم بقطعيّة صدور هذا الخبر؛ لأنّ مبناه في الأُصول المنع من حجّيّة خبر الواحد كما هو مشهور عند أهله.

وهذه جملة من أخبار هذا الباب.

ويمكن أن نستفيد منها أحكاماً كلّيّة منها البكاء، ومنها الإبكاء، ومنها إحياء أمر الأئمّة، ومنها وجوب الاقتداء بهم في الفرح والحزن، وأحكاماً جزئيّة منها استحباب الاجتماع وذكر الحديث، ومنها استحباب اجتماع النساء في موضع يستمعن فيه إلى الرجال في مجالس العزاء كما جاء في خبري أبي هارون[1] واستحباب ترقيق الصوت وتحزينه على وجه يستثير البكاء ويحفظ حرمة العزاء واستحباب نياحة النساء وندبتهنّ على سيّدالشهداء كما اتضح ذلك من خبر الكافي والتهذيب، حيث لا فرق بين الأئمّة من هذه الجهة، واستحباب اللطم وشقّ الجيوب على سيّدالشهداء واستحباب تجديد عزائه، والالتزام به في كلّ عام، واستحباب إظهار الكآبة والحزن في يوم عاشوراء، واستحباب ترك الكسب والسعي وراء الحوائج في يوم عاشوراء، وما كان من هذا القبيل من الأحكام.

ولا يضرّ في الأخبار ضعف إسناد بعضها، لأنّ التسامح في أدلّة السنن من القواعد الإجماعيّة، مضافاً إلى تعدّد أخبارها ومطابقتها لروح المذهب وأُصوله

---

(١) مرّ في كامل الزيارة رقم ١٠٠ و١٠٦. (هامش الأصل)

ولعلّ المتتبّع لا يعدم العثور على خبر صحيح في كلّ واحد منها.

ومجمل القول أنّ ما هو متداول اليوم بأيدي الشيعة لم يخرج من إطار الأقسام المذكورة؛ لأنّ النصوص تشمل انعقاد المجالس للعزاء ومجالس الشبيه مضافاً إلى كونها إبكاءاً وإحياءاً وهما منصوص عليهما، ولا ينبغي احتمال حرمة عقد مجالس الشبيه لدخول بعض المنكرات فيها من قبيل الغناء والكذب؛ لأنّ الحديث في نفس المجلس لا فيما يتخلّله من الحرام، فهو لا مانع منه.

وأجازه المحقّق القمّي صريحاً في أجوبة مسائله، وأمّا قرائة اللطميّات والضرب على الصدور المعبّر عنه بالموكب فيظهر جوازه من الحديث الآخر إذ لا فرق بين اللطم على الخدّ واللطم على الصدر، وعلى فرض وجود الضرر في الجملة فإنّ ذلك لا ينافي العبادة؛ لأنّه من الممكن أن نقول في قوله «لا ضرر» أراد نفي الإلزام لانفي المصلحة.

يعني إذا قصد المكلّف إحراز المصلحة الواقعيّة للفعل فارتكبه فإنّه ينال ثوابه، نعم يعبّر لنا لسان «لا ضرر» عن عدم الرغبة في شيء لوجود الضرر ولوجوده أرفع يدي عن نيل المطلوب من أجل التسهيل والتوسعة على المكلّفين؛ لا من أجل تصدر المصلحة مع وجود المفسدة كما قرّرنا ذلك في محلّه تلقّياً من السيّد الأُستاذ أنار الله برهانه كما عظم في الدين والدنيا شأنه.

كما يستحبّ لبس السواد، وكسوة البيت بالسواد طلباً للقيام بواجب العزاء ولتعظيم الشعائر وإحياء أمر الأئمّة عليهم السلام، وما ورد من كراهة لبس الثياب السود مع أنّ في بعضها ذكر السبب من كونه إشعاراً بترك سنّة بني العبّاس الذين جعلوا لبس السواد شعاراً لهم حكم واقع في نفسه لولا المعارض، ونحن بملاحظه طريان عنوان آخر وهو العزاء والاستعانة بعرف هذا الزمان حيث اتّخذ السواد شعاراً للحزن يكون مجرى حديثنا، لهذا أفتى جماعة من الفقهاء مثل صاحب الجواهر

وغيره في باب الحداد على المعتدّة عدّة الوفاة ترك التزيّن بثياب مصبّغة والألوان تختلف باختلاف العادات ويجب عليها ارتداء ثياب العزاء سواء كانت سواداً أو غيره[١].

وجاء في بعض الأخبار أنّ الإمام الصادق عليه السلام ارتدى ثياباً بيضاً يوم عاشوراء[٢].

واقتفى بعض الفقهاء المعاصرين هذه السنّة فلبس ثياباً بيضاء وخرج على الناس يوم العاشر، وهذا خطأ؛ لأنّ المؤيّد في زماننا لبس السواد، وكان البياض شعار الحزن في العصر العبّاسيّ كما هو وارد في التاريخ، وجرى الإمام عليه السلام على عرف أهل زمانه وعادتهم ولمّا كان عرف اليوم يقضي بالسواد ثياباً للحداد

---

(١) يؤيّده ما ورد في كتاب «تاريخ النياحة على الإمام الحسين» ينقل عن الدكتور عبداللطيف السعداني في مقالة له يقول فيها: تتغيّر صورة الحياة في كلّ عام بدنوّ شهر محرّم في المغرب، لأنّ الناس يودّعون أُنسهم وشهواتهم، وفي هذا الشهر يتحوّل مدن المغرب كلّها إلى ضوضاء وهرج ومرج، لا يمكن تصويره إلّا أن نقول حدثت حادثة عظمى لهؤلاء الناس، وألمّت بهم، وهذا لأنّهم استشعروا أنّ شهر المحرّم هو شهر العزاء لأنّ الحزن والألم فيه تغلف القلوب، ويعزب الناس عن التجمّل والزينة حتّى يتركون غسل ثيابهم وبيوتهم، ويهجرون التزاوج في هذا الشهر، ويتركون الطبول والأصوات الموسيقيّة والغناء، بل الناس في بلاد المغرب يرتدون الثياب البيضاء لأنّها ثياب الحزن عندهم لهذه المناسبة، وتقوم طائفة العلويّين بإجراء هذه الطقوس من أوّل المحرّم إلى اليوم العاشر منه، وأمّا غيرهم من الأشراف المحترمين فإنّ طقوسهم تمتدّ إلى نهاية الشهر وفي يوم الشهادة يعمدون إلى طبخ الطعام ويتصدّقون به ويغتنم التجّار وطبقة المياسير هذه المناسبة لبذل المال. ولكن باقي الناس يتركون الطعام تقرّباً إلى الله وتظهر عليهم أمارات الحزن ولا تفارقهم، وكانوا يعتقدون أنّ المرء لا يبكي تلقائيّاً بل للحصول على السعادة من إراقة هذه الدموع الغالية حزناً على مصاب الشهيد. وأمّا الأطفال فإنّهم يتّخذون الذكرى الحسينيّة على شكل لعبة تراود نفوسهم البريئة وترى الكبار يناولونهم جرار الماء إشارة إلى عطش ذلك السيّد الشهيد الذي فارق الدنيا على ظمأ، وأعظم شيء يثير انتباه المرئ تلك المناظر التمثيليّة ومشاهد الشبيه التي تحكي الواقعة وتجري في كلّ سنة في المراكز المهمّة من البلاد مثل مدينة بكناس وفاس ومراكش ....

(٢) مع كثرة تتبّعنا لم نعثر على مصدره. (هامش الأصل)

استحبّ لبسها نظراً لعمومات الباب مضافاً إلى وجود خبر خاصّ في المسألة:

في البحار عن المحاسن وساق السند إلى عمر(و) بن عليّ بن الحسين قال: لمّا قتل الحسين بن عليّ صلوات الله عليه، لبس نساء بني هاشم السواد والمسوح، وكنّ لا يشتكين من حرّ ولا برد، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام يعمل لهنّ الطعام للمآتم..[1].

---

(١) المحاسن: ٤٢٠، بحار الأنوار: ١٨٨ (٧٩: ٨٤ ـ المترجم) جعفر بن قولويه في (كامل الزيارة) عن الحسين بن عليّ الزعفرانيّ عن محمّد بن عمر النصيبيّ، عن هشام بن سعد، عن المشيخة في خبر أنّ ملكاً من ملائكة الفردوس الأعلى نزل على البحر ونشر أجنحته عليها ثمّ صاح صيحة وقال: يا أهل البحار، البسوا أثواب الحزن فإنّ فرخ الرسول مذبوح. (مستدرك الوسائل، أبواب أحكام الملابس في غير الصلاة: ص ٢٢١)

ابن شهرآشوب في المناقب عن تاريخ الطبريّ أنّ إبراهيم الإمام أنفذ إلى أبي مسلم لواء النصرة وظلّ السحاب وكان أبيض، طوله أربعة عشر ذراعاً، مكتوب عليها بالحبر: «أُذن للذين يقاتلون بأنّهم ظلموا ولكنّ الله على نصرهم لقدير» فأمر أبو مسلم غلامه أرقم أن يتحوّل بكلّ لون من الثياب، فلمّا لبس السواد قال: معه هيبة فاختاره خلافاً لبني أُميّة، وهيبة للناظر، وكانوا يقولون: هذا السواد حداد آل محمّد صلى الله عليه وآله وشهداء كربلاء وزيد ويحيى. (مستدرك الوسائل)

قال ابن فهد في التحصين: قيل لراهب رُئي عليه مدرعة شعر سوداء: ما الذي حملك على لبس السواد؟ فقال: هو لباس المحزونين وأنا أكبرهم، فقيل له: من أيّ أنت محزون؟ قال: لأنّي أُصبت في نفسي وذلك أنّي قتلتها في معركة الذنوب فأنا حزين عليها، ثمّ أسبل دمعه. (مستدرك الوسائل: ٢٢٢ أحكام الملابس في غير الصلاة)

فخر الدين الطريحي في المنتخب أنّ يزيد لعنه الله استدعى بحرم رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهنّ: أيّما أحبّ إليكنّ: المقام عندي أو الرجوع إلى المدينة ولكم الجوائز السنيّة؟ قالوا: نحبّ أوّلاً أن ننوح على الحسين عليه السلام. قال: افعلوا ما بدا لكم ثمّ أُخليت لهم الحجر والبيوت في دمشق فلم تبق هاشميّة ولا قرشيّة إلّا ولبست السواد على الحسين عليه السلام وندبوه على ما نقل سبعة أيّام. (مستدرك الوسائل باب الصلاة أحكام الملابس في غير الصلاة، ص ٢٢١)

الطريحي في (المنتخب): قالت سكينة: يا يزيد، رأيت البارحة رؤيا وذكرت للرؤيا... فإذا بخمس نسوة قد عظّم الله خلقتهنّ وزاد في نورهنّ امرأة عظيمة الخلقة ناشرة شعرها وعليها ثياب سود وبيدها قميص

وهذا الخبر مع ملاحظة تقرير الإمام بل بدونه نظراً للاحتجاج بفعل الفاطميّات كما سمعت في خبر «اللطمة» في باب الكافي ...[١].

ولكن ينبغي أن يحترز من تسويلات الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء ووساوس إبليس فلا يلبس ثياب الحداد من أجل الزينة حيث يبالغ بثمنها وإناقتها، ومثلها يقال في تعطيل الأسواق وترك التكسّب المتعارف من باب العمل بحديث الأمالي[٢]، وأوّل من قام بتطبيق هذا الخبر وإقامة هذه السنّة معزّ الدولة أحمد بن بويه حين أقامها في عام اثنتين وخمسين بعد الثلاثمائة للهجرة كما جاء في شرح شافية أبي فراس، نقلاً عن تاريخ الذهبي:

وفي سنة ٣٥٢ في يوم عاشوراء ألزم معزّ الدولة أهل بغداد بالمأتم والنوح على الحسين بن عليّ عليه السلام وأمر بأن تغلق الأسواق، وأن يعلّق عليه المسوح، وأن لا يطبخ طبّاخ، وخرجت نساء الشيعة مسخّمات يلطمن وينحن، وفعل ذلك سنوات.

وقال ابن الوردي في تتمّة المختصر: وفي سنة اثنتين وخمسين وثلاثمائة أمر معزّ الدولة بالنياحة واللطم ونشر شعور النساء وتسويد وجوههنّ على الحسين، وعجزت السنّة عن منع ذلك لكون السلطان مع الشيعة.

وتابعه بعد ذلك المعزّ لدين الله أبو تميم معد بن منصور العبيدي الفاطمي الذي تربّع على سرير مصر والمغرب في سنة أربعين بعد الثلاثمائة كما جاء في خطط المقريزيّ، قال: قال ابن زولاق: في يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستّين وثلاثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم إلى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة

➲ مضمّخ الدم إلى أن ذكرت أنّها كانت فاطمة الزهراء عليها السلام. (مستدرك الوسائل، أبواب أحكام الملابس في غير الصلاة، ص ٢٢١). (هامش الأصل)

(١) الكافي ١: ٢٨٦.

(٢) الأمالي، الصدوق: ص ١١٢، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤.

ومعهم جماعة من الفرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين، واقتفى سنين عدداً سلاطين الشيعة في إيران، والحمد لله آثار الأئمّة الأطهار في ممالك إيران في إقامة هذا الشعار وإجراء هذه السنّة النبويّة لشرع النبيّ المختار ونالوا التوفيق يوماً بعد يوم في الترويج الزائد والتأييد المتنامي لهذه الشعائر الحسينيّة.

وأمّا ما التزم به أهل السنّة من الاكتحال والاختضاب وسائر العادات الخبيثة مضافاً إلى شاهد صريح العقل في خلافه فإنّ عملهم ذاته واقع ميزاناً للباطل وأمارة للخلاف عملاً بموجب أخبار التعادل والتراجيح حيث قالوا: خُذ ما خالف العامّة فإنّ الرشد في خلافهم، وهو دليل الكراهة واستحباب الترك، بل إذا نوى به التبرّك يئول إلى الكفر، وإذا اتّخذ لأصل خصوصيّة الاستحباب فهو بدعة وتشريع، وإذا كان للمتابعة ويؤخذ بعنوان المستحبّ العام من غير نظر إلى خصوصيّته فإنّ محض التشبّه بهم مكروه، ويستفاد من عدد من الأخبار كراهتها واستحباب الالتزام بتركها.

في الكامل عن صادق آل محمّد عليه السلام: ما اختضبت منّا امرأة ولا ادّهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتّى أتانا رأس عبيد الله..[1].

وروى ابن نما في مثير الأحزان عن الصادق ٧: ما اكتحلت هاشميّة ولا اختضبت ولا رُئي في دار هاشميّ دخان خمس حجج حتّى قتل عبيدالله بن زياد[2].

وروى عن فاطمة بنت عليّ عليها السلام: ما تحنّأت امرأة منّا ولا أجالت في عينها مروداً

---

(١) كامل الزيارات، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٧. (هامش الأصل)

(٢) كشّي، محمّد بن مسعود، بحار الأنوار ٤٥: ٣٤٤ الرقم ١٢، عوالم العلوم: ٦٥٢.

ولا امتشطت حتّى بعث المختار رأس عبيدالله[١].

وهذه الأُمور من باب المثال والغرض منها الالتزام بلوازم العزاء، ولمّا دلّت الأخبار السابقة على أنّ هذه الأيّام العشر لاسيّما يوم عاشوراء أيّام عزاء الأئمّة وكآبتهم وحزنهم فيكون الاقتداء ببني هاشم راجحاً في أيّام العزاء، وترك ذلك مكروه.

وفي رواية المصباح وسوف نشير إليه أنّه قال لعبدالله بن سنان: يا عبدالله بن سنان، إنّ أفضل ما تأتي به في هذا اليوم أن تعمد إلى ثياب طاهرة فتلبسها وتسلّب، قلت: وما التسلّب؟ قال: تحلّ إزارك وتكشف عن ذراعيك كهيئة أصحاب المصاب[٢].

ومن هنا يعرف أنّه لا خصوصيّة لرفع اليد وشقّ الثوب إلّا لكونهما يريان حال المصاب، فتبيّن من هذا أنّ بقاء الإنسان أشعث أغبر في يوم عاشوراء.

ومن الأخبار في وصف الملائكة زوّار الحسين عليه السلام كونهم شعثاً غبراً، ومن أخبار منع الطيب يمكن الفقيه الاستدلال على كراهة الحمّام والتطيّب.

ومجمل القول: كلّ ما هو لوازم العزاء فهو مستحبّ، وما كان من لوازم الابتهاج والفرح فهو إمّا كفر وإمّا حرام أو مكروه.

وما هو متداول في بلاد الهند من تمثيل الضريح المقدّس يوم عاشوراء لم أعثر في كلام علماء الهند على استدلال بخصوصه ويمكن أن يستدلّ على رجحانه بما رواه شيخ الطائفة رحمه الله في المصباح عن عبدالله بن سنان، قال:

وروى عبدالله بن سنان قال: دخلت على سيّدي أبي عبدالله جعفر بن محمّد ـ

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣٨٦. (هامش الأصل)

(٢) مصباح المتهجّد: ٥٤٧، بحار الأنوار ١٠١: ٣٠٤. (هامش الأصل)

ونحن نقلنا صدر الرواية في أخبار الصوم واستحباب الإمساك يوم عاشوراء حتّى تزول الشمس ومرّت عبارته في صدر الورقة، وقال بعد ذلك عليه السلام: ـ ثمّ تخرج إلى أرض مقفرة أو مكان لا يراك به أحد، أو تعمد إلى منزل لك، فقال: أو في خلوة منذ حين يرتفع النهار فتصلّي أربع ركعات تحسن ركوعها وسجودها ـ إلى أن قال: ـ ثمّ تمثّل لنفسك مصرعه ومن كان معه من ولده وأهله ولتسلّم وتصلّي عليه، إلى آخر الحديث[1].

وروى هذا الحديث السيّد في الإقبال باختلاف في السند وتغيير بسيط في اللفظ، فقال: وتمثّل بين يديك مصرعه وتفرغ ذهنك وجميع بدنك وتجمع له عقلك[2].

وفي لفظ التمثيل احتمالان:

الأوّل: أن تمثّل مقتله ومصرعه في قلبك.

والثاني: تمثيله في الخارج بالنقش أمامك.

وعبارة المصباح يمكن حملها على المعنى الأوّل لولا ما ورد فيها من قوله: «لنفسك» إذ لو كان المقصود هو المعنى الأوّل لقال: في نفسك، إلّا أنّ عبارة الإقبال بعيدة عن التأويل؛ لأنّ قوله بين يديك يبعّده كقوله: «وتفرغ ذهنك» إلى آخر الفقرات فإنّها تبعّد الاحتمال المخالف.

ويؤيّد هذا المعنى أيضاً الأخبار الواردة في زيارة الرسول صلى الله عليه وآله[3].

---

(١) مصباح المتهجّد: ٥٤٧، بحار الأنوار ٤٥: ٦٣. (هامش الأصل)

(٢) الإقبال: ٤١، البحار ١٠١: ٣١٦. (هامش الأصل) الإقبال ٣: ٦٦. (المترجم)

(٣) يقول العلّامة المجلسيّ رحمه الله في (زاد المعاد) في أعمال عيد المولد النبويّ في السابع عشر من ربيع الأوّل، يقول: قال الشيخ المفيد والشهيد والسيّد ابن طاووس (رحمة الله عليهم): إذا كنت ببلد غير بلاد

ويستحبّ هنا تمثيل الضريح الطاهر وما احتمل من شمول حرمة التصوير له فهو من قصور الباع لأنّ الفرض من التصوير المحرّم، تجسيم صور ذوات الأرواح وتصوير غيرها كالأشجار فإنّ ذلك جائز وكذلك تصوير الجماد باتفاق المسلمين بل بضرورة الدين جائز، وتصوير كلّ بناء مشاكل لصورة جماد أو مشاكل لصورة بناء آخر، وهذا من القسم الأخير الجائز، وأهل السنّة لفرط جهلهم وغاية حمقهم ولعصبيّتهم المفرطة ولأنّهم غرقى بحر الضلالة يتمسّكون بكلّ حشيشة تردّ الشيعة لعلّ فعلهم هذا يلقي الشبهة في قلوبهم كما يزعمون أو في قلوب الضعفاء منهم ويضلّون مسلماً كما ضلّوا.

والطعام الذي يصنع في بلاد الشيعة في أيّام عاشوراء لا يحمل عنوان التوسّع والتنعّم في المعيشة بل بعنوان صنع الطعام لأصحاب المأتم، وإسناد أمر العزاء وإقامة نظام مجلس المصيبة كما سمعت ذلك في ذيل خبر المصيبة، ويمكن أن يستفاد هذا المعنى من أخبار وفاة حمزة ووفاة جعفر وغيره الواردة في هذا الباب[1]، والله العالم.

➲ طيبة وأردت زيارة رسول الله ﷺ اغتسل وأقم لك قبراً شبيهاً بقبره وخُطّ عليه اسمه المبارك وقف وهو بين يديك وتوجّه بقلبك نحوه، وقال ....

وفي هامش «الصحيفة الهادية» أو «الصحيفة المهديّة» ص ٨٢ ينقل عن الشيخ البهائي ﷺ: من كان في مهمّ وهو في شقّة نائية عن العمران فليخط خطوطاً أربعة ويفترضها قبر النبيّ افتراضاً وليحدق في هذه الخطوط التي اعتبرها قبراً للنبيّ ﷺ وليشر إليها وليقل اثنى عشر ألف مرّة «صلّى الله عليك يا رسول الله» فسوف يكفى هذا المهمّ إن شاء الله، وينال قائلها حالة من الأنس والمسرّة، وهذا مجرّب.

(١) قال الطريحي في حديث مناجاة موسى ﷺ، قد قال: يا ربّ، لم فضّلت أمّة محمّد ﷺ على سائر الأمم؟ فقال الله تعالى: فضّلتهم لعشر خصال. قال موسى: وما تلك الخصال التي يعملونها؟ قال الله تعالى: الصلاة والزكاة والصوم والحجّ والجهاد والجمعة والجماعة والقرآن والعلم والعاشوراء. قال ➲

الطريق الثاني

لم نعرض لمباني علماء أهل السنّة وفقههم وإن كانت الأدلّة التي نذكر هاهنا هي حجّة عند الشيعة ايضاً إلّا أنّنا في الطريق الأوّل ذكرنا الأدلّة التي يختصّ بها الشيعة فلم نشر إلى تلك ومبناهم هنا يحتوي على دليلين: الأوّل: القرآن، والثاني، السنّة، وهي الأحاديث المرويّة من طرقهم، وهذا القسم وإن كان الأصل فيه الكذب والافتراء كما يظهر ذلك من ملاحظة أحوال رجالهم ونقلة أخبارهم النواصب والخوارج والوضّاعين والكذّابين؛ لأنّ هذه الطائفة أصل الكذب ومعدن الوضع وينبوع الافتراء ومنشأ الأباطيل ومبدأ الأضاليل، وقد بيّن ذلك وأوضح شطراً منه في كتب الشيعة ـ والحمد لله ـ مثل (نصرة المؤمنين) للفاضل المؤيّد السيف المهنّد الميرزا محمّد مهدي ﷺ و(استقصاء الإفحام) للسيّد الجليل النبيل مرتضى الأمم المولوي المعاصر المير حامد جعل ا له من رحمته كفلين، فقد ذكرا كلّ ذلك ببيان وافٍ وبرهانٍ كافٍ، إلّا أنّنا لمّا أعربنا في الأُصول الممهّدة عن حجّيّة الخبر الموثوق الصدور وإن رواه الكاذب الوضّاع، وأخبار هذه الطائفة في فضائل أهل البيت بلحاظ ما جبلوا عليه من العداوة لهم أو أُجبروا على ذلك محفوفة بقرائن الصدق، كما قيل:

ومليحة شهد العدوّ بفضلها والفضل ما شهدت به الأعداء

موسى: يا ربّ، وما العاشوراء؟ قال: البكاء والتباكي على سبط محمّد ﷺ والمرثية والعزاء على مصيبة ولد المصطفى. ياموسى، ما من عبد من عبيدي في ذلك الزمان بكى أو تباكى وتعزّى على ولد المصطفى إلّا وكانت له الجنّة ثابتاً فيها، وما من عبد أنفق من ماله في محبّة ابن بنت نبيّه طعاماً وغير ذلك درهماً أو ديناراً إلّا وباركت له في دار الدنيا الدرهم بسبعين درهماً، وكان معافاً في الجنّة، وغفرت له ذنوبه. وعزّتي وجلالي ما من رجل أو امرأة سال دمع عينيه في يوم عاشوراء وغيره قطرة واحدة إلّا وكتب له أجر مأة شهيد (مجمع البحرين ـ ذيل لفظ عشر، زهر الربيع ١: ٣٣١ ط بيروت). (هامش الأصل)

وإذا اشتملت الأخبار على أمرين أحدهما موافق لمذهب الشيعة، والثاني مخالف له فإنّه غير حجّة إذ يحتمل إلحاقه بطريق الدسّ والتدليس واختلاف الوثوق في جزء كلام واحد لم تكن وثاقته بشخص راويه، وإنّما بالاستناد إلى أُمور خارجة لم يكن نادر الوقوع ولا عزيز الوجود. ولو افترضنا جدلاً إطراح رواياتهم بأجمعها المخالف منها والموافق؛ لكذبهم ووضعهم وفسقهم ونصبهم وكفرهم، فلا مناص من قبولها في مقام الاحتجاج عليهم.

وجملة القول؛ يقول الله تعالى في القرآن: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[١] ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[٢] وفي سبيل التفريع عليه يقول: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ﴾ الآية، ويقول في موضع آخر: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ﴾[٣].

والشعار مشتقّ من الشعور بمعنى ما يشعر به، لهذا فسّروه في الصحاح وفي تفسير الرازي بإعلام طاعة الله، وقالوا عنه في بعض كتب التفسير لأهل السنّة «معالم دين الله» والثلاثة واحد في المعنى والمراد بالحرمات وإن وقعت في مسائل الحجّ إلّا أنّها اختصاص لها به بل الكبرى كلّيّة، ولا شكّ بأنّ أهل الرسالة والعصمة التي هي أجر الرسالة من شعائر طاعة الله ومن معالم الدين، ومن أنكر ذلك فهو خارج من دين نبيّ آخر الزمان بالضرورة؛ إذاً الأمر الذي يقوم بتعظيم هذه الشعائر وهذه الحرمة هو التقوى والخير.

وأيضاً من الدلالة على مطلبنا بعد الآيات ما نقله ابن حجر في شرح الهمزيّة،

---

(١) الحجّ: ٣٢.

(٢) البقرة: ١٥٨.

(٣) الحجّ: ٣٠.

وكفى بتناقض قوليه حجّة ملزمة عليه، وهو كالذي يأتي في شرح هذا الشعر الذي قاله الناظم:

وقست منهم قلوب على من بكت الأرض فقدهم والسماء

يقول: اقتباس المعنى من الآية الكريمة: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ﴾[١] لأنّ مفهوم الآية أنّ السماء والأرض يبكيان على المؤمن، وإذا كان هذا في مطلق المؤمنين ـ كما علم من الآية ـ فما ظنّك بآل البيت النبويّ والسرّ العلويّ؟! ويقول بعد تأويلات كثيرة: ولا مانع من حمله على الحقيقة لأنّه ممكن ورد به الشرع فلا يخرج عن ظاهره إلّا بدليل، ومرّ كلام مسلم والثعلبي وغيرهما في تفسير هذه الآية في شرح الفقرات السابقة[٢].

وأمّا الأخبار، أوّلاً فيما ذكره ابن حجر في شرح الهمزيّة غنيّة عن القول وكفاية، لأنّه قال في الشرح البيت التالي للبيت السابق:

فأبكهم ما استطعت إن قليلاً من عظيم المصاب فيه البكاء

أي: مدّة استطاعتك تأسّياً بنبيّك، ثمّ بجبرئيل، ثمّ بعليّ عليه السلام. روى ابن سعد عن الشعبيّ قال: مرّ عليّ كرّم الله وجهه[٣] بكربلاء عند مسيره إلى صفّين فوقف وسأل

---

(١) الدخان: ٢٩.

(٢) في شرح: «مصيبة ما أعظم رزيّتها».

(٣) وجه هذا القول الذي يطلق على أمير المؤمنين ـ كرّم الله وجهه ـ مضافاً إلى ما رووه من حديث أنّهم يقولون: لأنّه لم يسجد لصنم قطّ فوجهه الشريف مكرّم، وفي (نور الأبصار) و(إسعاف الراغبين) من كتبهم مذكور: إنّ فاطمة بنت أسد لمّا كانت حاملاً به كلّما أرادت تعظيم صنم وضع عليّ عليه السلام رجله المباركة في بطنها ومنعها من ذلك لأنّه لم يسجد لغير الله منذ ولجته الروح إلى أن فارقته، ولم يعبد غيره، وهذا الخبر وإن كان من حيث الدلالة على عبادة فاطمة بنت أسد للأصنام لا يوافق قواعدنا وأخبارنا مطلقاً، إلّا أن يحمل على التقيّة من الكفّار إلّا أنّ كونه معجزة لأمير المؤمنين اعترف بها العدوّ، لذلك لم أتحاش عن ذكره ولم أمسك القلم عن كتابته. (منه عليه السلام)

عن اسم هذه الأرض، فقيل له: كربلاء، فبكى حتّى بل الأرض من دموعه، ثمّ قال: دخلت على رسول الله ﷺ وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: كان عندي جبرئيل آنفاً، وأخبرني أنّ ولدي الحسين يُقتل بشاطئ الفرات بموضع يقال له كربلاء، ثمّ قبض جبرئيل قبضة من تراب الأرض أشمّني إيّاها، فلم أملك عيني أن فاضتا[1].

وأخرج الترمذي أنّ أُمّ سلمة رأت النبيّ باكياً، وبرأسه ولحيته التراب، فسألته، فقال: قُتل الحسين آنفاً.

وكذلك رآه ابن عبّاس نصف النهار أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم يلتقطه، فسأله، فقال: دم الحسين وأصحابه، لم أزل أتتبعه منذ اليوم، فنظروا فوجدوه قتل ذلك اليوم[2].

ثمّ يتسائل فيقول: جاء في الخبر الصحيح النهي عن البكاء، ويجيب نفسه أنّ المراد بالبكاء هنا الحزن والتأسّف على ما أصاب الدين وأهل الدين من استباحة حرم رسول الله ﷺ والاستهانة بحقّه، ثمّ يتسائل: كيف نهى النبيّ عن البكاء وهو يبكي؟ فيجيب نفسه: النهي عن البكاء بعد الموت لأنّ فيه دلالة على التبرّم من قضاء الله وبكاء النبيّ قبل حدوث الموت.

وهذان الجوابان كلاهما بعيد عن الصواب:

أمّا الأوّل: فبعده لاقتضاء الحمل تقديم الخاصّ على العام وعلى فرض التسليم بصحّة السند فينبغي أن يخصّص خبر النهي بالنسبة إلى سيّدالشهداء بخبر التجويز، ومبنى علماء الفريقين في جميع المباحث على تقديم الخاصّ على العام، وهذا الحمل باطل باتفاق علماء الإسلام.

---

(١) الصوعق المحرقة: ١٩١ ط عبداللطيف بمصر.

(٢) صحيح الترمذي ١٣: ١٩٣ ط الصادي بمصر. (هامش الأصل)

ثانياً: حمل البكاء على التأسّف والحزن لا يختلف عن حمله على البكاء لأنّك سمعت في عبارة الصواعق أنّ الحزن من بدع الروافض.

ثالثاً: حمل البكاء على التأسّف والحزن خروج عن ظاهر اللفظ بدون قرينة واطّراح هذا الحمل أولى[١].

وأمّا جوابه الثاني فلا يصحّ لأنّ رواية الترمذي فيها بكاء النبيّ بعد القتل وإذا ما نفى حجّيّة الرؤيا فنقول في جوابه: لماذا حرّره إذن وأخذ في توجيهه علاوة على أنّه في شرح الأبيات وغيرها من علمائهم يقولون: رؤيا النبيّ حجّة ورووا في هذا الباب عدداً من الأخبار. ثانياً: لا فرق بين البكاء والحزن في الدلالة على التبرّم من قضاء الله والتفكيك لا يصحّ بين اثنين علّتهما مشتركة بالجواز وعدمه.

ومجمل القول: إنّ من الأخبار الدالّة على جواز البكاء الخبر الذي رواه ابن الأثير وغيره من العلماء من أهل السنّة والجماعة أنّ النبيّ لمّا قفل من غزاة أُحد إلى المدينة سمع بكاء الأنصار على قتلاهم من الشهداء، قال: لكن حمزة لا بواكي له. فلمّا سمع الأنصار أرسلوا نسائهم يبكين على حمزة[٢] قبل البكاء على قتلاهنّ. قال ابن الأثير: قال الواقدي: فلم يزلن يبدأن بالندب لحمزة حتّى الآن بالقطع واليقين[٣].

ولم تكن محبّة الرسول لحمزة أكثر من محبّته بسبطه سيّدالشهداء وإذا كان مأموراً بالبكاء على الحمزة عليه السلام فأجدر به أن يكون مأمور به على الحسين عليه السلام.

ومجمل القول: لمّا كانت مودّة أهل البيت واجبة وتعظيم شعائر الإسلام لازماً والبكاء على سيّدالشهداء عمل مندوب إليه فإنّ جميع الأُمور المذكورة تندرج

---

(١) وقع خطأ في هذا وما قبله بالتقديم والتأخير. (المترجم)

(٢) الكامل ٢: ١٦٣ ط بيروت. (هامش الأصل)

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد ١٥: ٤٢. (هامش الأصل)

تحت هذه العناوين وهي مقدّمة لحصول البكاء، وثبت في الأُصول واعترف به علماء أهل السنّة والجماعة أنّ ما يتوقّف عليه المطلوب مطلوب، فثبت من هذا أنّ جميع الأُمور المذكورة راجحة ومندوبة إمّا بأمر نفسيّ أو بأمر غيريّ، وهو عين المطلوب والمدّعى.

وأمّا قوله: «هذا العمل بدعة» فإن كان يقصد بها إدخال ما ليس من الدين في الدين بقصد أنّه من الدين فإنّ فساده ظاهر لأنّه داخل في العناوين العامّة وتشتمل عليه الأدلّة الخاصّة.

وإن كان قصده أنّه عمل مستحدث لم يكن على عهد النبيّ فإنّه مضافاً إلى بطلانه فإنّنا نقول: نقل عن جماعة من العلماء بمقتضى الأخبار وصرّح ابن الأثير ببعضه أنّ البدعة تنقسم إلى الأحكام الخمسة: واجبة، كالاشتغال بعلوم العربيّة، وحرام كشبهات المجبّرة، ومستحبّة كبناء المدارس والرباطات، ومكروهة كتذهيب المساجد، ومباحة كفتح الجيب ولبس الثياب الجديدة، ومن أين علم أنّ هذه البدعة لم تكن واجبة أو مستحبّة، بناءاً على ما قرّره؟ إذن لا يوجب مجرّد إطلاق اسم البدعة على عمل بناءاً على مذهبهم الصدود عن ذلك العمل.

ذكر في النهاية بياناً حول الموضوع يحسن الرجوع إليه، وقد سمعت في الفقرات السابقة[1] ذكر بكاء الأرض والسماء.

ونقل عن عبدالقادر الگيلاني في الفتية أنّه قال: بكى على الحسين ألف من الملائكة[2].

---

(١) ذيل فقرة: «مصيبة ما أعظمها وأعظم رزيّتها في الإسلام».

(٢) وقال الطبري في ذخائر العقبى: ١٥١، ط مكتبة القدّوسي بمصر عن جعفر بن محمّد الصادق أنّ حول قبر الحسين سبعين ألف ملك شعثاً غبراً يبكون عليه إلى يوم القيامة. (هامش الأصل)

ويقول ابن زيدون في شرح قصيدة ابن عبدون تعليقاً على البيت التالي:

وأسبلت دمعة الروح الأمين على ... دم بفخّ لآل المصطفى هدر

بكى جبرئيل على الحسين عليه السلام، وإذا كان البكاء على سيّدالشهداء بدعة من بدع الرافضة فينبغي أن يكون رسول الله وأميرالمؤمنين وجبرئيل والسبعون ألفاً من الملائكة والسماء والأرض والشمس والقمر، كلّ هؤلاء روافض وهذا اعتراف مفيد من ابن حجر أنّ هؤلاء جميعاً رفضوا أئمّته.

ومجمل القول أنّه مضاف إلى ما تقدّم من الأُمور فإنّ هاهنا دليلاً اعتبارياً لو تأمّله العاقل المحايد المنصف فإنّه يجزم بصحّة قول الشيعة وفساد طريقة خصومهم من العامّة وهو أنّ أجنبيّاً عن الإسلام لو ألمّ بما جرى من أنّ جماعة آمنوا برسول الله واعتبروه واسطة الفيض الإلهي ورابطة المدد السماوي وهم يعترفون أنّ هذا النبيّ أوصى مراراً وتكراراً بأهل بيته، وأكّد هذه الوصيّة وجاء في كتابه أنّ مودّتهم أجر رسالة جدّهم واختصّ أحدهم بمزيد عنايته فقال فيه: «حسين منّي وأنا من حسين» وقال: «أحبّ الله من أحبّ حسيناً» وقال: «اللهمّ إنّي أُحبّه فأحبّ من أحبّه وأبغض من أبغضه» وقال: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتّى أكون أحبّ إليه من نفسه وأهله»[1].

ونقل هذه الأخبار جميع فرق هذه الأُمّة، فاتفق أن انبرى إليه جماعة من نسل أعدائه فقتلوا الحسين ظلماً وعدواناً وأسروا نسائه وبناته كما يؤسر الروم والخزر، ولم يألوا جهداً في إيصال الأذى والظلم إليهم، والآن برزت طائفة من أُمّة هذا النبيّ صلى الله عليه وآله فأقاموا عزاء هذا الإمام ونصبوا مأتمه نيابة عنه وحفظاً لرحمه اتخذوا البكاء والحزن شعاراً، ويوم مقتله يوم تعطيل وترك للأعمال وراحوا يعظّمون قدر

---

(١) ونقلها في إحقاق الحقّ بالتفصيل ١١: ٢٦٥ و٢٨٣. (هامش الأصل)

هذا النبيّ ويؤدّون أجر رسالته على الوجه الأتمّ.

ولكن طائفة أُخرى تنسب نفسها إلى الأُمّة عكست القضيّة فاتّخذت يوم مقتله سبباً للأفراح والمسرّات، وراحت تجدّد ثيابها وتكتحل وتختضب وتقيم حفلات البهجة والسرور ومجالس الأُنس والفرح، ويهنّئ بعضهم البعض الآخر ثمّ يستخفّون بالطائفة الأُولى ويهزئون منها ويعتبرونها ضالّة مبدعة فسوف يحكم هذا الوافد الأجنبي المحايد الخارج عن التزامات الطائفتين بصحّة عمل الطائفة الأُولى وأنّها المتّبعة حقّاً، لذلك النبيّ والملتزمة بشرائط الأتباع. وأمّا الطائفة الثانية فقد أعطت ظهرها لحرمات النبيّ ﷺ وسلكوا مسلك العدوّ وفعلوا فعله لأنّهم ابتهجوا بقتل ابن النبيّ كما ابتهج وفرحوا كما فرح، والحمد لله على وضوح الحجّة.

نصح وتحذير

ما أحسن أن يلتفت الشيعة عموماً والذاكرون خصوصاً في أمر هذا العزاء والمأتم إلى انتهاج طريقة تقصر معها السنّة النواصب فيقتصروا على الواجبات والمستحبّات، ويفرغوا عن استعمال الحرام واقتراف المعازف من قبيل الغناء الذي لا تخلوا منها طرائف الندب والرثاء واللطم غالباً، ويحترزوا من رواية الأكاذيب المفتعلة والحكايات الضعيفة المظنونة الكذب الدائرة في كتب المتأخّرين بل المعاصرين، بل يشيحوا بوجوههم عن الكتب التي لم يكتبها رجال علماء لأنّ دائرة التصنيف والتأليف في زماننا اتسعت حتّى لم يعد بحاجة لغير القرطاس والقلم وهجرت الشروط الأُخرى، ولا يجعلوا سبيلاً للشيطان على أنفسهم، ويتركوا الكبائر التي تتلف روح العبادات، لاسيّما الكذب والغناء الذي وجد الطريق إلى هذا العمل سالكاً فسار فيه، وقلّ من صين عنه، والصواب هنا ذكر خبر أو خبرين عن عظيم عقوبة الكذب والغناء لعلّ المبتلى ـ أجارنا الله وإيّاك ـ يرتدع.

نقل في الحديث الموثّق[١] في الكافي وعقاب الأعمال أنّ الله تعالى عزّ وجلّ جعل للشرّ أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شرّ من الشراب[٢].

وفي كتب فقهائنا رضي الله عنهم مرويّ عن رسول الله صلى الله عليه وآله: من كذب من غير عذر لعنه سبعون ألفاً من الملائكة ويخرج منه ريح نتنة حتّى تبلغ العرش ويكتب الله عليه مكان هذه الكذبة سبعين زنية أقلّها الزنا بالأُمّ[٣].

وجاء في الكتب الفقهيّة أيضاً عن الإمام العسكري عليه السلام أنّه قال: وضع الخبث في بيت وجعل مفتاحه الكذب.

واستند شيخ الطائفة وقائدها الأجل والمنتهى إليه رياستهم في العلم والعمل شيخنا المرتضى ضاعف الله قدره ورفع في الملأ الأعلى ذكره في كتاب المكاسب على حرمة مطلق الكذب بهذه الأخبار الثلاثة المستندة[٤] وأنّه من الذنوب الكبائر، وهذا هو مذهب المحقّق والعلّامة والشهيد الثاني، سواءاً ترتّبت عليه مفسدة أو

---

(١) لم يكن الرجوع إلى الأخبار متيسّراً ساعة تأليف الكتاب لذلك اختلفت طريقتنا هنا وسرنا على غير السبك المعهود وإن كان في الاعتماد أقوى. (منه رحمه الله)

(٢) الكافي ٢: ٣٣٨. (المترجم)

(٣) لا أرتاب في وضع هذا الحديث كما أدين الله بلعن واضعه وحاشى للنبيّ صلى الله عليه وآله أن ينطق العوراء خاصّة إذا كانت في الوالدات، وأعلم بأنّ كلّ حديث وردت فيه عبارة الزنا بالأُمّ فهو موضوع بلا ريب، وسامح الله هذا الشيخ العظيم على هذه الغفلة. (المترجم)

(٤) أقول: من هاهنا دهي شيخنا الفاضل العظيم رحمه الله والذي عرفته عنه أنّه ينأى بنفسه عن نقل مثل هذه الأخبار لولا أنّه وجدها في كتاب مولانا الشيخ الأنصاري عليه الرحمة من ثمّ رواها ثقةً به واعتماداً عليه ولكنّه سامحه الله نسي أنّ الشيخ الأنصاري ليس معصوماً وأنّ الغفلة والنسيان يعرضان لغير المعصوم، وإليك الخبرين الذين ترجمناهما في المتن من كتاب المكاسب ٢: ١٢: وعنه صلى الله عليه وآله أنّ المؤمن إذا كذب بغير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش، وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزني مع أُمّه، ويؤيّده ما عن العسكري صلوات الله عليه: جعلت الخبائث كلّها في بيت واحد وجعل مفتاحها الكذب ... الحديث، فإنّ مفتاح الخبائث كلّها كبيرة لا محالة. (المترجم)

لا، هذا حال الكذب الخالي من المفسدة، وأمّا الحاوي لها لاسيّما إذا كان في الدين وصار سبباً لضعف اعتقاد المسلم أو للافتراء على الإمام أو إدخال الإهانة على قدر أهل البيت فهو حينئذٍ أخبث من سابقه مأة مرّة وذنبه أكبر، وإذا كان الكذب على الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام فإنّ حاله مفهومه وهومبطل للصوم وموجب للكفّارة.

وفي عقاب الأعمال أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: من قال عليّ ما لم أقل فليتبوّأ مقعده من النار» وهذا من الكبر بالاتفاق، وإطلاق الخبر المذكور يشمل حتّى الكلمة الواحدة وإن لم تكن مفيدة أو لم تترتّب عليها آثار مفسدة فإنّها موجبة لدخول جهنّم.

ومن هذه الجهة نقل عن المرحوم الفقيه الزاهد الورع الحاج محمّد إبراهيم الكلباسي رحمه الله أنّ خطيباً من فضلاء أهل المنبر قال في حضرته في أثناء القصّة التي قال فيها الإمام الحسين: يا زينب، يا زينب، فردّ عليه هذا الفقيه الورع ولم يحابه في الملأ العام ورفع عقيرته بالقول: فضّل الله فاك لم يقل الإمام مرّتين «يا زينب» وإنّما هي مرّة واحدة، من هنا ينبغي لأهل المنبر أن يلحظوا حالهم ويعرفوا المفسدة المترتّبة على هذا العمل.

وأمّا الغناء: فقد أجمعت الإماميّة على تحريمه في الجملة.

والكليني بإسناده إلى محمّد بن مسلم عن الصادق عليه السلام أنّه قال: الغناء ممّا وعد الله عزّ وجلّ عليه النار وتلا هذه الآية: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُواً أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾[1].[2]

وخلاصة المعنى للآية الكريمة أنّ من الناس يعني بعضهم يشترون لهو

---

(١) لقمان: ٦.

(٢) الكافي ٦: ٤٣١. (المترجم) ونفسه حديث ٥ باب ٦ كتاب ٢٥. (هامش الأصل)

الحديث ويطلبونه ليضلّوا الناس عن دين الله بدون علم ويسخرون من الدين هؤلاء لهم في الآخرة عذاب الذلّ والهون، وفسّروا لهو الحديث هنا بالغناء. ويمكن أن يدّعى التواتر على هذا المعنى في أخبار أهل البيت في الجملة، وفي بعض الأخبار فسّروا قول الزور بالغناء.

وحقيقة الغناء هو اللهو سواءاً كان مع الترجيع أو حاصلاً من تقطيع الصوت بأطوال موزونة كما هو حاصل في اللحن المشهور من المناحة الموازنة له والمشهودة.

وصرّح بهذا التعميم الشيخ الأفقه الأكبر الشيخ جعفر في شرح (القواعد) ولا فرق في هذه الحال بين رثاء سيّدالشهداء وغيره في الحرمة، ولا تشترط رخامة الصوت بل يكفي أن يتطرّب به الفسّاق ساعة اللهو والطرب ويسمّونه في عرفهم الغناء في أيّ لحن كان، وتضمن أيّ معنىً شاء، فكلّه حرام وموجب لدخول النار، ولئن كان نشر الفضائل مستحبّاً فإنّ الكذب والغناء حرام وباطل.

ومن المناسب أن ننقل هنا كلام الشيخ الأجل الأعظم اُستاد جميع من تأخّر وتقدّم حجّة الفرقة الناجية، علامة العترة الزاكية شيخنا الأُستاذ الأكبر نوّر الله ضريحه المطهّر في المكاسب في الردّ على من زعم أنّ الغناء في المراثي موجب للبكاء ولزيادة، فيقول:

أمّا كون الغناء معيناً على البكاء والتفجّع فهو ممنوع بناءاً على ما عرفت من كون الغناء هو الصوت اللهوي بل وعلى ظاهر تعريف المشهور من «الترجيع المطرب» لأنّ الطرب الحاصل منه إن كان سروراً فهو مناف للتفجّع لا معين، وإن كان حزناً فهو على ما هو المركوز في النفس الحيوانيّة من فقد المشتهيات النفسانيّة لا على ما أصاب سادات الزمان (وعترة خاتم النبيّين ـ المؤلّف) مع أنّه على تقدير الإعانة لا ينفع في جواز الشيء كونه مقدّمة لمستحبّ أو مباح بل لابدّ

من ملاحظة عموم دليل الحرمة له فإن كان فهو وإلّا فيحكم بإباحته للأصل، وعلى أيّ حال فلا يجوز التمسّك في الإباحة بكونه مقدّمة لغير حرام...[١].

لمّا عرفت ثمّ إنّه يظهر من هذا وممّا ذكر أخيراً من أنّ المراثي ليس فيها طرب أنّ نظره إلى المراثي المتعارفة لأهل الديانة التي لا يقصد إلّا للتفجّع، وكأنّه لم يحدث في عصره المراثي التي يكتفي بها أهل اللهو والمترفون من الرجال والنساء عن حضور مجالس اللهو وضرب العود والأوتار والتغنّي بالقصب والمزمار كما هو الشايع في زماننا الذي قد أخبر النبيّ ﷺ ينظر في قوله: «يتّخذون القرآن مزامير»[٢].

كما أنّ زيارة سيّدنا ومولانا أبي عبدالله الحسين عليه السلام صار سفرها من أسفار النزهة لكثير من المسرفين، وقد أخبر النبيّ ﷺ بنظيره في سفر الحجّ وأنّه يحجّ أغنياء أُمّتي للنزهة والأوساط للتجارة والفقراء للسمعة وكأنّ كلامه ﷺ ـ كالكتاب العزيز ـ وارد في مورد وجار في نظيره[٣] وإلى هنا تمّت (ترجمة) عبارة مكاسب الشيخ قدّس الله نفسه وروّح رمسه.

ولمّا كان عموم أهل الإيمان من هذه الأُمّة من العالم والعامي يجرون كلام هذا الإمام المقدّم والقدوة المعظّم مجرى النصوص فلا بأس من تدبّره واتخاذه مثلاً يحتذى فلا يتخطّونه، ومن أعظم مصائب الإسلام التي لو مات المسلم الغيور منها كمداً لما عدّ ملوماً أنّ بغاة اللهو وهواة الطرب من الناس يضعون أهل أسماء أهل

---

(١) الشيخ الأنصاري، المكاسب ١: ٣١٢. (المترجم)

(٢) الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي أخاف عليكم استخفافاً بالدين وبيع الحكم وقطيعة الرحم وأن تتّخذوا القرآن مزامير». عيون الأخبار ٢: ٤٢، بحار الأنوار ٢: ٤٢، نفسه ٢: ٨٩ط بيروت. (هامش الأصل)

(٣) المكاسب ١: ٣١١و٣١٢.

بيت الطهارة الذين وصفهم الله في القرآن بالكرامة والعظمة من أمثال: زينب وأُمّ كلثوم وسكينة في آلات اللهو والطرب مكان الأسماء التي ينبغي أن تدخل في المثالث والمثاني مثل ليلى وسلمى، مراراً وتكراراً، ويجعلون تذكّر مصائب آل الرسول بدلاً من سيرة بني أُميّة مجالاً لرغد العيش والتنعيم ووسيلة للتغنّي والترنّم، ومن تأمّل هذا الأمر عرف بأنّه تخطّى مجالات الفسق وأدخل رأسه في جيب الكفر والإلحاد نعوذ بالله من الخذلان وغلبة الهوى ومكيدة الشيطان.

اللّٰهُمَّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ وَالْعَذابَ بِقَتْلِهِم الحُسَينَ عَلَيْهِ السَّلاَم ...

الشرح: الفاء للتفريع وهي تعليل اللاحق بالسابق، وعلّة طلب المضاعفة لهم في هذا المقام هو فرحهم بيوم عاشوراء لأنّها حقيقةً مصيبة عظيمة وخطب جليل بل لا يقلّ عن إثم قتله وجريمة ذبحه.

ضعف: كما في الصحاح والقاموس وأساس البلاغة ومنتهى الإرب وغيرها: المثل. ضعف الشيء: مثله وضعفاه مثلاه وأضعافه أمثاله.

وقال في القاموس: (والضعف المثل إلى ما زاد) فعلى هذا يكون مثال الشيء مرّة أو مرّتين أو ما زاد يسمّى ضعفاً، ويقولون: لك ضعفه، ويريدون مثليه أو ثلاثة أمثاله، وهذا الترديد من صاحب القاموس، وجرت على هذا عادته أن يتردّد في مواضع اختلاف أقوال اللغويّين إذا لم يرجّح أحدها؛ فالكلام يدلّ على قول، والمثال شاهد على هذا القول.

وفي تفسير الفخر الرازي نسب العبارة المذكورة إلى الأزهري.

والمضاعفة عدل الشيءمرّتين أو أكثر كما قال في منتهى الإرب ونسب في الصحاح هذا القول إلى الخليل وقال: وذكر الخليل أنّ التضعيف أن يزاد على أصل الشيء فيجعل اثنين أو أكثر، وكذلك الأضعاف والمضاعفة، يقال: ضعفت الشيء وأضعفته وضاعفته بمعنى، والآية الكريمة: ﴿يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[1] مؤدّاه كون العذاب ثلاثاً وشاهد على هذا المدّعى قوله تعالى: «يضاعفه أضعافاً مضاعفة» [﴿فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافاً كَثِيرَةً﴾[2]] لأنّ المضاعفة إن اختصّت بإضافة المثل لا يستقيم المعنى في هذا الاستعمال، ومن هنا يظهر أنّ الضعف ليس

---

(١) الأحزاب: ٣٠.

(٢) البقرة: ٢٤٥.

مختصّاً بمثل واحد لأنّ اختلاف المشتقّ مع المصدر في أصل المعنى وسنخ الموضوع لا يعقل. فتبيّن من هذا أنّ الحقّ مع الخليل ولا يصحّ ما قاله اللغويّون ظاهراً بأنّ الضعف بمعنى المثل؛ لأنّ المراد من الضعف المثلان لا النظير والمشابه للأصل، ومن هذه الجهة صار معنى التضعيف جعل الشيء مثلين، وأشار العلّامة الطبرسي ﷺ في مجمع البيان إلى دفع هذا الإشكال حيث قال:

«الضعف المثل الزائد على مثله فإذا قال القائل: أضعف هذه الدراهم فمعناه اجعل معه درهماً لا ديناراً، وكذلك إذا قال: اضعف الاثنين فمعناه اجعلهما أربعة، وقوله: لا ديناراً إشارة إلى أنّ الزيادة على الضعف لا تكون اثنين، ولا يعلم ذلك من اللفظ لكي يمكن أن تظنّ عشرة أو ديناراً.

وكذلك قال: حكي عن العرب أنّ الأضعاف في لغتهم مثلان، والمضاعفة الزيادة على المثلين، وبناءاً على هذا فيظهر النكتة في اختيار المضاعفة في هذا الدعاء في معنى الأضعفاف والتضعيف.

العذاب: التعذيب، وكلّ ما يقضي على النفس من الألم كما هو في منتهى الإرب، والمراد في عبارة الدعاء على الظاهر العذاب الأُخرويّ.

اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ، وَفِي مَوْقِفِي هٰذَا، وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ، وَبِالْمُوَالاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ...

الشرح: هذه الفقرة فذلكة الزيارة وخلاصتها لأنّ قوام هذه الزيارة على أُمور ثلاثة:

الأوّل: بإظهار الولاء للنبيّ وآله كما ذكر في بعض الفقرات تفصيلاً، وفي بعضها الآخر إجمالاً.

الثاني: البرائة من جميع مراتب وجود العدوّ من الذوات والأفعال والصفات.

الثالث: لعن هذا الفريق وفي هذه الفقرة ذكرت المطالب الثلاثة، ومن محاسن الاتفاق أن يكون ابتداء هذه الزيارة واختتامها بلفظ السلام وهو دليل سلامة القارئ إن شاء الله ببركات أهل بيت العصمة والطهارة من الآفات والشرور الدينيّة والدنيويّة، ومنّ الله علينا ببيان ما يحتاج إلى بيان وشرح من توضيح وشرح ألفاظ ومعاني هذه الزيارة بما يستحقّه وما يقتضيه المقام بمقدار الوسع والطاقة، وما سمح به الزمان، ونسبة هذا العمل إلى قوّة الذات خطأ فادح وعُجب ورعونة بل ما جرى هو من ميامن وتوجّهات ذلك الإمام الذي ارتبطت هذه الزيارة بذاته الشريفة وتعلّقت بفضله شملنا الله وعامّة شيعته ببركاته وألحقنا في الآخرة بدرجة عبيده بل بدرجاته..

والآن من المناسب التعرّض لشرح فقرات عدّة من الدعاء الوارد عقيب زيارته بفصل مستقلّ طبقاً للمبادئ التي سرنا على نهجها في شرحنا المتقدّم تتميماً للفائدة وإتماماً لنعمة الله علينا، والله الموفّق لكلّ خير وبه الاعتصام ثمّ برسوله وعترته عليهم أفضل الصلاة والسلام.

فصل
في شرح دعاء اللعن والسلام ودعاء قبل السجدة ودعاء السجدة

وفي هذا الفصل مطالب عدّة:

المطلب الأوّل: شرح دعاء اللعن

اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ ...

الشرح: أوّل: اختلف في اشتقاقه فقال جماعة من البصريّين أنّه مأخوذ من «وول» وفي هذا المعنى راعوا القياس لأنّ وزنه عندهم على «أفعل» ولكن لا يظهر معنى لـ«وول» ولم يستعمل في غير موضع النزاع اتفاقاً فيكون على هذا لا وجه للاشتقاق منه.

وقال بعضهم: مشتقّ من «وئل» ومعناه لجأ، ومنه الموئل بمعنى الملجأ، ولمّا كان السبق علّة في النجاة وأوّل كلّ شيء سابق على سائر أجزائه لذلك استعملوا اللفظ الموضوع للالزم في الملزوم وبناءاً على هذا يكون الواو الثاني مقلوباً عن ا لهمزة وهذا خلاف القياس.

وقال جماعة: اشتقّ من «أول» بمعنى رجع، وإذا كان على وزن أفعل يكون معناه الشيء الذي يكثر الرجوع إليه، وهذا المعنى لازم لأسبق الأجزاء، وبناءاً على هذا يكون أفعل التفضيل مشتقّاً من المجهول مثل أحبّ وأبغض وأحمد وأشغل وأشهر ونظائرها.

ووقع الخلاف في وزنه كما وقع في اشتقاقه: فقال البصريّون هو على وزن

«أفعل» وغالب الكوفيّين وبعض البصريّين على أنّه على وزن فوعل مثل «كوكب» و«جوهر» وبناءاً على هذا تكون الواو زائداً وليست الهمزة...

وإذا كان مشتقّاً من «وول» فينبغي أن يكون «وول»[١] فقلبت الواو الأولى إلى همزة لثقلها على اللسان وإذا كانت مشتقّة من «وئل» تكون.. «ووئل» وبناءاً على هذا يكون قد حدث قلبان وكلاهما خلاف القياس، ويمكن الالتزام بالنقل المكاني وحينئذٍ يكون على وزن «عوفل» وبناءاً على الوجه الثالث[٢] يتفق مع الاحتمال السابق[٣] لأنّ كليهما على وزن «أوئل»[٤][٥] والمشهور عند النحاة أنّ أوّل على وزن أفعل واستشهدوا بقول العرب: هذا أوّل من هذا مع من التفضيليّة، ومع أنّ مؤنثه «أولى» ومن هذه الجهة اعتبر الحريري في أوهام الخواص أنّ أوّلة مؤنّث أوّل خطأ، وتابعه المحقّق الثاني ﷺ في جامع المقاصد، وحكم على العلّامة ﷺ بالتخطأة في استعمالين «أوّلتين» وبعضهم كالمرزوقي في شرح الفصيح صحّح

---

(١) «ووول» هو الصحيح. (هامش الأصل)

(٢) الاشتقاق من مادة أول وعين الفعل في جميع هذه الصور تكون الصورة السادسة والأولى واحدة. (هامش الأصل) والترجمة غير دقيقة. (المترجم)

(٣) أن يكون أفعل تفضيل من «وول».

(٤) الصحيح «أوول». (هامش الأصل)

(٥) وفي المسألة ستّة فروض:

الف ـ أفعل تفضيل.

ب ـ ألف «أول» فاء الفعل على أن يكون أول على وزن فوعل، وتكون مادّة أول مأخوذة من ١ ـ وول، ٢ ـ من «وئل»، ٣ ـ من أول. ومع ضرب الاحتمالين في الاحتمالات الثلاثة تكون للمادّة صور ستٌّ والتفصيل على النحو التالي: ١ ـ أوول، ٢ ـ أوئل، ٣ ـ أأول، ٤ ـ ووول، مع كون الواو الزائدة بين فاء الفعل وعينه كالواو في كوكب وجوهر؛ لأنّ الواو تزداد ثانية كثيراً كجوهر وكوثر (شرح عليخان: ٣٤) ٥ ـ ووئل، ٦ ـ أووِل مع كون الواو زائدة بين فاء الفعل وعين الفعل وفي جميع هذه الصور تكون الصورة السادسة والأولى واحدة.

ذلك والتزم بأوّلة مؤنّثاً لأوّل قياساً على آخره في تأنيث آخر ولا يخلو هذا الكلام من قدح.

وفي شرح الشهاب الخفاجي صاحب الريحانة على درّة الغواص، وفي شرح الصحيفة المكرّمة للسيّد الأديب المحقّق المذكور أنّ أوّل يكون أحياناً أفعل تفضيل وأحياناً يكون صفة ويأتي أحياناً مثل الظروف لازمة الإضافة كقبل وبعد، ويستعمل استعمالهما وأحياناً يكو كسائر الأسماء، وهذان القسمان منصرفان ومؤنّثه «أوّله». ونقل عن المرزوقي في شرح الدرّة وعن منتهى الإرب.

ويقول في أساس البلاغة: «جمل أوّل» و«ناقة أوّلة» وفي أخبار أهل العصمة عليهم السلام الذين كلامهم حجّة واستعمالاتهم دليل الصحّة ورد لفظ «أوّل» و«أوّلة» كثيراً في كلامهم بل هو متكرّر الورود ومتكثّر الوجود، ومع تصريح أبي حيّان والمرزوقي والزمخشري ومجيء الاستعمال الفصيح في ذلك يكون الحكم بالتخطأة هو الخطأ.

والذي يصل إليه فهمي القاصر أنّ «أوّل» لفظ مشترك بين هذين الوزنين، عندما يكون غير منصرف ويستعمل مع «من» بمعنى أفعل التفضيل يكون مؤنّثه أولى، وعندما يكون منصرفاً وبالمعنى المتقدّم من دون نظر إلى التفضيل «فوعل» ومؤنّثه أوّله، واحتمال قياسه على «آخر» في غير المورد المذكور كما ذكر ذلك المرزوقي لا وجه له.

وعلاوة على هذا التأويل فإنّ ما يقال من انصراف معنى التفضيل ونزعه يحتاج إلى تكلّف آخر، وما فعلناه من الجمع فإنّه وإن لم يقل به أحد إلّا أنّه ليس بعيداً على أيّة حال ولم نلتزم باجتهادات النحاة وآرائهم، ولا وحشة من حقّ ساعد عليه الدليل والاعتبار.

آخِر: بكسر الخاء بمعنى البعد ضدّ الأوّل كما في منتهى الإرب وتأنيثه آخره،

والآخَر بالفتح بمعنى الغير ...[١] ولكنّه أخصّ منه وهو من جنسه مثل «جائني رجل وآخر» لا حيوان آخر، وهذا المعنى يظهر من معنى الغير أيضاً ولكن بالانصراف لا الوضع بل بالقرينة لا بالانصراف، وهذا ظاهر كلام اللغويّين، والفرق لا يخلو من إشكال.

التابع: في منتهى الإرب: «تبعه تبعاً ـ بالتحريك ـ وتباعة ـ بالفتح ـ.

والقصد من أوّل ظالم على الظاهر أبوبكر لأنّه أوّل من تقمّص الخلافة وفتح باب الظلم على أهل بيت النبوّة عليهم السلام[٢] وغصب حقّ محمّد وآله وتعود إليه سيّئات عمر لأنّه عقد الخلافة من بعده لعمر، ولذا جاء في أحاديث أهل بيت العصمة

---

(١) يقال للأوّل بمعنى السابق والمقتدى به وبهذا المعنى جاء قول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ أي لا تسبقوا إلى الكفر فيقتدى بكم، وقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أنا أوّل المؤمنين» أنا السابق إلى الإيمان وأنا المقتدى به ـ مفردات الراغب.

والآخر بمعنى من لم يكن الأوّل لا الفرد المكمّل، وبهذا المعنى فسّروا الآية الشريفة: ﴿اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا﴾ [المائدة: ١١٤] الكشّاف ومجمع البيان.

والآية المباركة: ﴿قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولاهُمْ رَبَّنَا هؤلاَءِ أَضَلُّونَا﴾ [الأعراف: ٣٨] والآية الكريمة ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ﴾ [الحديد: ٣].

ويظهر ممّا تقدّم تفاهة هذا السؤال.

وفي هذه الفقرة «لعن الله أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد وآخر تابع له» ولكن اللعنة لم تصب المتوسّطين بين الأوّل والآخر، فلِمَ لَمْ يَلْعَنهم؟ (هامش الأصل)

(٢) ويدلّ عليه ما رواه العيّاشي عن أبي جميلة عن بعض أصحابه عن أحدهما عليه السلام قال: قد فرض الله في الخمس نصيباً لآل محمّد صلى الله عليه وآله فأبى أبوبكر أن يعطيهم نصيبهم حسداً وعداوة وقد قال الله: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ وكان أبوبكر أوّل من منع آل محمّد صلى الله عليه وآله حقّهم وظلمهم وحمل الناس على رقابهم، ولمّا قبض أبوبكر استخلف عمر على غير شورى من المسلمين ولا رضا من آل محمّد فعاش عمر بذلك لم يعط آل محمّد صلى الله عليه وآله حقّهم وصنع ما صنع أبوبكر ... (العيّاشي، ذيل الآية، بحار الأنوار ٨: ٢١٠ ط تبريز و٨: ٢١٨ ط كمباني). (هامش الأصل)

والطهارة: «عمر سيّئة من سيّئات أبي بكر» وليس من المستبعد أن يكون المراد بأوّل ظالم الثاني لجهتين:

إمّا لأنّ ظهور آثار ظلمه أشدّ وأعظم.

وإمّا لأنّ الأوّل لم يتسنّم غارب الحكم إلّا بتمهيد منه وتسويل كما أنّ كلام شارح المقاصد وغيره الذي سمعته سابقاً شاهد على صدق هذا المدّعى، مِن ثَمّ يعبّر عن أبي بكر في لسان الأئمّة وخواصّهم بالعجل، وعن عمر بالسامريّ، وعلى كليهما من كتب القوم شاهد أعدل ومخبر أمين بعون الله وأوليائه الكرام ولابدّ من ذكرها.

أمّا دليل الوجه الأوّل: فالخبر الذي نقله ابن أبي الحديد من كتاب نصر بن مزاحم، ورواه المسعودي في مروج الذهب، وكلاهما معتمد عند أهل السنّة والجماعة، وهذا الخبر وإن كان مسهباً إلّا أنّه لاشتماله على فضائل أميرالمؤمنين عليه السلام ومثالب عدوّه رأينا من الصواب نقله برمّته لنؤدي به حقّ تلكم الحقبة من الزمن وهو كما يلي:

لمّا عزل عليّ عليه السلام قيساً بن سعد من ولاية مصر ونصب محمّد بن أبي بكر ووصل إلى مصر كتب إلى معاوية كتاباً كما يلي:

من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي معاوية بن صخر، سلام على أهل طاعة الله ممّن هو سلم لأهل ولاية الله.

أمّا بعد، فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقدرته خلق خلقاً بلا عتب ولا ضعف في قوّته ولا حاجة إلى خلقهم ولكنّه خلقهم عبيداً وجعل منهم شقيّاً وسعيداً وغويّاً ورشيداً، ثمّ اختار الله على علمه فاصطفى وانتخب منهم محمّداً فاختصّه برسالته واختاره لوحيه وائتمنه على أمره، وبعثه رسولاً مصدّقاً لما بين يديه من الكتب ودليلاً على الشرايع فدعا إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة

الحسنة، فكان أوّل من أجاب وصدّق[١] فأسلم وسلم فأخوه[٢] وابن عمّه عليّ بن أبي طالب فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، ووقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه، وسالم سلمه، فلم يبرح متبذّلاً لنفسه في ساعات الأزل، ومقامات الروع حتّى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه وأنت أنت وهو هو، السابق المبرّز في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّة، وأطيب الناس ذرّيّة، وأفضل الناس زوجة وخير الناس ابن عمّ.

وأنت اللعين بن اللعين، لم تزل أنت وأبوك تبغيان لدين الله الغوائل، وتبذلان فيه المال، وتخالفان في ذلك القتال[٣] على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق لرسول الله.

والشاهد لعليّ مع فضله وسابقته القديمة، أنصاره الذين ذكرهم الله في القرآن ففضّلهم وأثنى عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه في كتائب وعصائب يجالدون حوله بأسيافهم، ويهريقون دمائهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه، والشقاق والعصيان في خلافه، فكيف يالك الويل تعدل نفسك بعليّ عليه السلام، وهو وارث رسول الله ووصيّه وأبو ولده وأوّل الناس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه ويشركه في أمره.

وأنت عدوّه وابن عدوّه، فتمتّع من دنياك ما استطعت بباطلك، وليمددك

---

(١) ووافق ـ كتاب صفّين. (هامش الأصل)

(٢) وأخوه ـ ابن أبي الحديد. (هامش الأصل)

(٣) القبائل ـ ابن أبي الحديد. (هامش الأصل)

ابن العاص في غوايتك فكأنّ أجلك قد انقضى، وكيدك قد وهى، وسوف تستبين لمن تكون العاقبة العليا.

واعلم أنّك إنّما تكاد ربّك الذي قد أمنت كيده، وأيست من روحه، وهو لك بالمرصاد، وأنت منه في غرور، وبالله وبأهل بيت رسوله عنك الغنى، والسلام على من اتّبع الهدى[1].

ولمّا وصل الكتاب الذي خلاصة مضمونه ذكر فضائل عليّ عليه السلام وسبقه وجهاده وعلمه وحلمه ونصرته الإسلام ووقايته بنفسه المقدّسة والثناء على أصحابه الذين هم لباب الأنصار وخلاصة المهاجرين، وتحذير معاوية من مغبّة فعله، وسوء عاقبته لخلافه أهل بيت الرسالة وتنبيهه إلى الرجوع عن غيّه وعهده السالف ورسمه السابق وحقده القديم على النبيّ، وما كان يفعله هو وأبوه من تجييش الجيوش وتجنيد الجنود والعساكر على النبيّ ودعوته. لذلك صار اللعين ابن اللعين والعدوّ ابن العدوّ، وبهذا يعرف وبه يلقّب.

إلى أن كتب معاوية إليه:

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر، سلام على أهل طاعة الله.

أمّا بعد، فقد أتاني كتابك تذكر فيه ما الله أهله في قدرته وسلطانه، وما اصطفى به نبيّه مع كلام ألّفته ووضعته، فيه لرأيك تضعيف، ولأبيك فيه تعنيف، وذكرت حقّ ابن أبي طالب، وقدم[2] وقرابته من نبيّ الله، ونصرته له، ومواساته إيّاه في كلّ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٨. (هامش الأصل) نفسه: ١٨٩. (المترجم)

(٢) قديم سابقته ـ أبي الحديد. (هامش الأصل)

خوف[١]، واحتجاجك عليّ وفخرك بفضل غيرك لا بفضلك، فاحمد إلهاً صرف ذلك الفضل عنك وجعله لغيرك، فقد كنّا وأبوك معنا في حياة نبيّنا نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرّزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجّته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزّه وخالفه، على ذلك اتفقا واتسقا، ثمّ دعواه على أنفسهما فأبطأ عنهما وتلكّأ عليهما فهّما به الهموم، وأرادا به العظيم، فبايعهما وسلّم لهما، لا يشركانه في أمرهما، ولا يطّلعانه على سرّهما، حتّى قبضا وانقضى أمرهما، ثمّ أقام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفّان يهتدي بهديهما ويسير بسيرتهما فعبته أنت وصاحبك حتّى طمع فيه الأقاصي من أهل المعاصي، وبطنتما له عداوتكما، وغلّكما حتّى بلغتما منه مناكما، فخذ حذرك يابن أبي بكر، فترى (فسترى ـ ابن أبي الحديد) وبال أمرك، وقس شبرك بفترك، تقصر أن تساوي أو توازي من يزن الجبال حلمه ولا تلين على قسر قناته، ولا يدري ذو مدّى أناته، أبوك مهّد له مهاده، وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّل، وإن يكن جوراً فأبوك أسّه (أسّسه ـ ابن أبي الحديد)[٢] ونحن شركاء، فبهداه أخذنا، وبفعله اقتدينا، رأينا أباك فعل ما فعل فأخذنا مثاله، واقتدينا بفعاله، فعب أباك بما بدى لك أودع، والسلام على من أناب ورجع عن غوايته وتاب..[٣].

وهذا الجواب مذكور في مصادر ثلاثة من كتب أهل السنّة والجماعة وهي: كتاب نصر بن مزاحم وهو من أعاظم المعتمدين الثقات عندهم، و«مروج

---

(١) هول ـ ابن أبي الحديد.

(٢) في ابن أبي الحديد: أسّه، وفي صفّين لنصر: أسّسه. (المترجم)

(٣) ابن أبي الحديد ٣: ١٨٩. (هامش الأصل)

الذهب» وقد مرّ آنفاً شطر من أحواله على القارئ[١] و«شرح نهج البلاغة» لعبدالحميد بن أبي الحديد البغدادي وهو من أجلّة علماء هذه الطائفة وفقهائها..[٢] وقد تعرّض لذكره ابن خلّكان في وفيات الأعيان استطراداً عند ذكره ترجمة نصر الله بن الأثير صاحب (المثل السائر) وذكره صلاح الدين الكتبي في فوات الوفيات استقلالاً، والصلاح الصفدي في شرح اللامية وغيره، وعبّروا عنه مراراً بالإمام العلّامة، ومع ذكر هؤلاء للكتابين لا يبقى شكّ لأحد في سلامة السند[٣].

وفي هذا الكتاب شهد معاوية أنّ أساس الظلم لأهل البيت هو ذلك الملحد الذي جهل الله وعذابه في مواضع عدّة، ومعاوية عند القوم إمامهم وخليفة تجب طاعته، وهو واسطة الفيض الربّاني بينهم وبين الله، وأثبتوا له كرامات ومقامات، كما جاء في حكاية حديثه مع الشيطان في المثنوي، وبالطبع قول معاوية حجّة عليهم، وروايات علمائهم معتمدة.

وأمّا دليل الوجه الثاني فالخبر الذي ذكره آية الله العلّامة أدام الله في الجنّة إكرامه الذي رواه عن البلاذريّ وأقرّ به ابن روزبهان، وهذه عبارته:

«... لمّا قتل الحسين عليه السلام كتب عبدالله بن عمر إلى يزيد بن معاوية: أمّا بعد، فقد عظمت الرزيّة وجلّت المصيبة وحدث في الإسلام حدث عظيم، ولا يوم كيوم الحسين».

---

(١) في شرح جملة: «هذا يوم فرحت به آل زيا». (هامش الأصل)

(٢) هو معتزليّ وقد صرّح في شرحه مراراً بذلك فكيف خفي على المؤلّف ونسبه الى أهل السنّة والجماعة. (المترجم)

(٣) وذكر المؤلّف بعد هذا ترجمة الكتابين ولكنّه سمّى الترجمة محصّلاً ممّا يشعر بأنّه اختصرها فاستنبط منها وأضاف إليها ولكنّي وجدتها ترجمة هي عين الأصل. (المترجم)

فكتب يزيد: «أمّا بعد، فإنّا جئنا إلى بيوت منجّدة وفرش ممهّدة ووسائدة منضّدة، فقاتلنا عنها؛ فإن يكن الحقّ لنا فعن حقّنا قاتلنا، وإن كان الحقّ لغيرنا فأبوك أوّل من سنّ هذا وابتزّ واستأثر بالحقّ على أهله» انتهى[١].

وهذا الكتاب يتّفق مع مضمون خبر مطنب منقول من كتاب دلائل الحميري (الطبري ـ ظ) أنّ عبدالله بن عمر لمّا قدم على يزيد الشام كلّمه في بدعه فخلا به وأراه طومارين طويلين كتبهما عمر إلى معاوية وفيهما الظلم الذي أنزله بأهل البيت وتوجيه ما يظهره لهم من الودّ الظاهريّ الصوريّ والسعي لاستئصالهم وقطع فروعهم في الباطن وإظهار الثبات على العهد القديم ودين الجاهليّة وعبادة الأوثان بالتفصيل الذي ورد في فتن البحار وغيره[٢].

---

(١) نهج الحقّ: ٣٥٦. وهذا أمر ضروريّ ولا يحتاج إثباته إلى قول يزيد وأضرابه، وإن كان فيه تأييد للمطلوب، فالحسين لم يقتل إلّا بأسياف الأوّلين، ولذا قال القاضي ابن قريعة في أبياته:

لولا حدود صوارم أمضى مضاربها الخليفه
لنشرت من أسرار آل محمّدٍ جملاً طريفه
وأريتكم أنّ الحسين أصيب في يوم السقيفه

(هامش الأصل)

(٢) بحار الأنوار ٨: ٢٢١ ط تبريز.

البصائر: أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ، عن أبي الصخر، عن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: دخلت أنا ورجل من أصحابي على عليّ بن عيسى بن عبدالله بن أبي طاهر العلويّ. قال أبو الصخر: فأظنّه من ولد عمر بن عليّ، قال: كان أبو طاهر في دار الصيديين نازلاً. قال: فدخلنا عليه عند العصر وبين يديه ركوة من ماء وهو يتمسّح فسلّمت عليه فردّ علينا السلام ثمّ ابتدأنا، فقال: معكم أحد؟ فقلنا: لا، ثمّ التفت يميناً وشمالاً هل يرى أحداً، ثمّ قال: أخبرني أبي عن جدّي أنّه كان مع أبي جعفر محمّد بن عليّ بمنى وهو يرمي الجمرات ورأيت أنا أبا جعفر رمى الجمرات، قال: فاستتمّها ثمّ بقي في يده [بعدُ] خمس حصيات، فرمى اثنين في ناحية وثلاثة في ناحية، فقال له جدّي: جعلت فداك، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما

وشهد يزيد هنا بأنّ عمر أوّل ظالم، ولمّا كان يزيد إمام أهل السنّة وهو عندهم خليفة تجب طاعته فينبغي أن تقبل شهادته ولو أنّهم تبرّموا لهذا فإنّ تقرير ابن الخليفة عبدالله وإقراره ليزيد على ما قال وسكوته عمّا قال دليل على أنّه لا يملك الجواب، وهذا الحديث حقّ، ومن المعلوم المشهور عندهم أنّ معاوية وعبدالله ابن عمر كلاهما من أكابر الصحابة، وجاء في أحاديثهم حديث: «أصحابي كالنجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم» ونحن في هذه الفقرة عن أوّل ظالم هل هو أبوبكر أو عمر نعمل بقول معاوية أو عبدالله لئلّا نكون قد خالفناهم في أمر هذا الحديث...

ومجمل القول يمكن أن نذهب إلى أنّ عمر وأبابكر كليهما كانا أوّل ظالم وهذا الأمر قائم بالمجموع من حيث هو مجموع لأنّه لولا عمر لما استخلف أبوبكر، ولولا أبوبكر لما استخلف عمر، وشاهد الاحتمال الأوّل: كتاب معاوية «فكان أبوك وفاروقه أوّل» إلى آخره، لكن الاحتمال الأوّل أقرب إلى التحقيق، وإنّما ذكر يزيد عمر لكون مخاطبه ابنه عبدالله، ويلاحظ أنّ قوام أمر أبي بكر بعمر، أو أنّ النظر متعلّق بالمتأخّرين وإثبات الأوّليّة بالإضافة أي أنّ الغرض من قوله «أوّل ظالم» ليس على الحقيقة بل هذه الأوّليّة إضافيّة أي يمكن أن يكون أبوبكر أوّل بالنسبة إلى عمر، وهو أوّل بالنسبة إلى عثمان، وهكذا ـ المترجم ـ.

وعلى أيّة حال لولا هذان الرجلان لما وقع في الإسلام ظلم ولم تهتك حرمات

➲ صنعه أحد قطّ، رأيتك رميت الجمرات ثمّ رميت بخمسة بعد ذلك؛ ثلاثة في ناحية واثنتين في ناحية. قال: نعم، إذا كان كلّ موسم أُخرج الفاسقان الغاصبان ثمّ يفرق بينهما هاهنا وهاهنا، لا يراهما إلّا إمام عدل، فرميت الأوّل اثنتين والآخر ثلاثة لأنّ الآخر أخبث من الأوّل.

الاختصاص: أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الورد، عن أبي الصخر أحمد بن عبدالرحيم، عن الحسن بن عليّ رجل كان في جباية مأمون قال: دخلت... مثله وفيه: أخرجا الفاسقان غضّين طريّين فصلبا هاهنا لا يراهما إلّا إمام عدل [بحار الأنوار ٨: ٢١٤ ط كمپاني]. (هامش الأصل)

آل الرسول ﷺ كما ذكرنا سابقاً حديث الكميت الذي ذكره الكشّيّ[١] وقد أجاد القائل:

بر عترت رسول پس از رحلت رسول	*کرد آنچه کرد آنکه بنای ستم نهاد*
بنیاد بارگاه سلیمان بباد داد	*دیو پلید پای چه بر تخت جم نهاد*
جری ما جری بعد موت الرسول	علی آله من ید الظالم
غداً حین تکشف أعماله	یعضّ علی اصبع النادم

ويقول أيضاً:

کی بر فلک درخت شقاوت کشید سر	*گر زیر خاک تخم جفا زابتدا نبود*
ودوحة الظلم لم تضرب بهامتها	هام السماوات لولا غرس بذرتها

وقد أجاد شاعر العصر صاحبنا السيّد حيدر الحلّيّ في شكواه من أمر القرعة العسكريّة حيث قال:

نرى سيف أوّلهم منتضىً	على رأسنا بيد الآخر

وجملة القول: نرى من الصواب أن نشير إشارة إجماليّة إلى الظلم والاعتداء الوارد على أهل بيت محمّد ﷺ من عدوّهم، ولمّا كان الاستقصاء أبوابه وفنونه خارجاً عن طاقة هذا القليل البضاعة الكثير الإضاعة نزر الاطّلاع، وترك هذا الباب من رأس ينافي ما اتخذناه على أنفسنا من الشرح والإيضاح، رأينا من الأولى أن نقتصر على الكتاب الذي كتبه إلى أهل نيشابور أبوبكر الخوارزمي ﷺ صاحب الرسائل المعروفة، وهو من فضلاء المؤرّخين وابن أُخت أبي جعفر الطبري المشهور، ومن هذه الناحية يطلق عليه «طبرخرمي»[٢]، ولقد طبعت رسائله إلى

---

(١) في شرح «أسّست أساس الظلم عليكم أهل البيت وأحاديث أُخرى في هذا الموضوع». (هامش الأصل)

(٢) مخفّف طبري خوارزمي. (هامش الأصل) أو منحوت منهما. (المترجم)

الآن مراراً في مصر وإسلامبول مع تقريظات لطيفة وله ترجمة في اليتيمة والوفيات وغيرهما، وهذا الكتاب حبّره إلى أهل نيشابور وأظهر فيه المظالم التيميّة والعدويّة والعبّاسيّة، ولمّا كبس المعاني المعسولة طيّ العبارات المصقولة، وتمتاز رسائله بلطافة المضمون وفخامة اللفظ، لذلك أوردنا هنا هذه الرسالة من النسخة المطبوعة في اسلامبول وهي هذه:

وكتب إلى جماعة الشيعة بنيشابور لمّا قصدهم محمّد بن إبراهيم واليها:

سمعت أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى أمركم ما تكلّم به السلطان الذي لا يتحامل إلّا على العدل، ولا يميل إلّا على جانب الفضل، ولا يبالي بأن يمزق دينه إذا وفا دنياه، ولا يفكّر في أن لا يقدم رضاء الله إذا وجد رضاه، وأنتم ونحن أصلحنا الله وإيّاكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الأُخرى، ورغب بنا عن ثواب العاجل، فأعدّ لنا ثواب الآجل، وقسمنا قسمين: قسماً مات شهيداً، وقسماً عاش شريداً، فالحيّ يحسد الميّت على ما صار إليه، ولا يرغب بنفسه عمّا جرى عليه.

قال أميرالمؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام: المحن إلى شيعتنا أسرع من الماء إلى الحدود، وهذه مقالة أُسّست على المحن، وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن، فحياة أهلها نقص، وقلوبهم حشوها غصص، والأيّام عليهم متحاملة، والدنيا عنهم مائلة، فإذا كنّا شيعة أئمّتنا في الفرائض والسنن، ومتّبعي آثارهم في كلّ قبيح وحسن، فينبغي أن نتّبع آثارهم في المحن.

غُصبت سيّدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفة، وأُخّر أميرالمؤمنين عليه السلام عن الخلافة، وسُمّ الحسن عليه السلام سرّاً، وقُتل أخوه ـ كرّم الله وجهه ـ جهراً، وصلب زيد بن عليّ بالكناسة، وقطع رأس زيد بن عليّ في المعركة، وقُتل عبدالله بن الحسن في

السجن، وقُتل ابناه محمّد وإبراهيم على يد عيسى بن موسى العبّاسيّ، ومات موسى بن جعفر في حبس هارون، وسُمّ عليّ بن موسى بيد المأمون، وهزم إدريس بفخّ حتّى وقع إلى الأندلس فريداً، ومات عيسى بن زيد طريداً شريداً، وقُتل يحيى بن عبدالله بعد الأمان والإيمان، وبعد تأكيد العهود والضمان.

هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلويّة طبرستان، وغير قتل محمّد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان، وغير ما صنعه أبو الساح (كذا) في علويّة المدينة؛ حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز إلى سامرّاء، وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهليّ لابن عمر بن عليّ حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه، ووارى شخصه يصانع عن حياته، ويدافع عن وفاته، ولا كما فعله الحسين بن إسماعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصّة، وما فعله مزاحم بن خاقان بعلويّة الكوفة كافّة.

وبحسبكم أنّه ليست في بيضة الإسلام بلدة إلّا وفيها لقتيل طالبيّ ترة تشارك في قتلهم الأمويّ والعبّاسيّ، وأُطبق عليهم العدنانيّ والقحطانيّ.

فليس حيّ من الأحياء نعرفه من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

إلّا وهم شركاء في دماءهم كما تشارك أيسار على جزر

قادتهم الحميّة إلى المنيّة، وكرهوا عيش الذلّة فماتوا موت العزّة، ووثقوا بما لهم في الدار الباقية، فسخت نفوسهم عن هذه الفانية، ثمّ لم يشربوا كأساً من الموت إلّا شربها شيعتهم وأولياءهم، ولا قاسوا لوناً من الشدائد إلّا قاساه أنصارهم وأتباعهم.

داس عثمان بن عفّان بطن عمّار بن ياسر بالمدينة، ونفى أباذر الغفاري إلى الربذة، وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي، وغرّب الأشتر النخعي وعدي بن حاتم الطائي، وسيّر عمر بن زرارة إلى الشام، ونفى كميل بن زياد إلى العراق،

وجفا أُبيّ بن كعب وأقصاه، وعادى محمّد بن حذيفة وناواه، وعمل في ذمّ محمّد بن سالم ما عمل، وفعل مع كعب ذي الخطبة ما فعل.

وأتبعه في سيرته بنو أُميّة يقتلون من حاربهم، ويغدرون بمن سالمهم، لا يحفلون المهاجري، ولا يصونون الأنصاري، ولا يخافون الله، ولا يحتشمون الناس، قد اتّخذوا عباد الله خولاً، ومال الله دولاً، يهدمون الكعبة ويستعبدون الصحابة، ويعطّلون الصلاة الموقوتة، ويختمون أعناق الأحرار، ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفّار، وإذا فسق الأموي فلم يأت بالضلالة عن كلالة.

قتل معاوية حجر بن عدي الكنديّ وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان المؤكّدة والمواثيق المغلّظة، وقتل زياد بن سميّة الأُلوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبراً، وأوسعهم حبساً وأسراً حتّى قبض الله معاوية على أسوء أعماله، وختم عمره بشرّ أحواله، فأتبعه ابنه يجهّز على جرحاه، ويقتل أبناء قتلاه إلى أن قتل هاني بن عروة المرادي ومسلم بن عقيل الهاشمي أوّلاً، وعقّب بالحارث بن زياد الرياحي وبأبي موسى عمرو بن قرظة الأنصاري، وحبيب بن مظهر الأسدي، وسعيد بن عبدالله الحنفي، ونافع بن هلال البجلي، وحنظلة بن أسعد الشامي، وعابس بن أبي شبيب الشاكري في نيّف وسبعين من جماعة الشيعة، وأمر بالحسين عليه السلام يوم كربلاء ثانياً.

ثمّ سلّط عليهم الدعيّ بن الدعيّ عبيدالله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل، ويقتلهم ألوان القتل، حتّى اجتثّ الله دابره؛ ثقيل الظهر بدماءهم التي سفك، عظيم التبعة بحريمهم الذي انتهك، فانتبهت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا، ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا، فصمدوا صمد الفئة الباغية، وطلبوا بدم الشهيد الدعيّ ابن الزانية، لا يزيدهم قلّة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة بإزائهم إلّا إقداماً على القتل والقتال وسخاء

بالنفوس والأموال، حتّى قُتل سليمان بن صرد الخزاعيّ والمسيّب بن نجبة الفزاريّ وعبدالله بن وال التيميّ في رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين، ومصابيح الأنام وفرسان الإسلام.

ثمّ تسلّط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد أن شفى الأوتار، وأدرك الثار، وأفنى الأشرار، وطلب بدم المظلوم الغريب، فقتل قاتله، ونفى خاذله، وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحمد بن شميط ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبدالله بن كامل، وتلقّطوا بقايا الشيعة، يمثّلون بهم كلّ مثلة، ويقتلونهم شرّ قتلة حتّى طهّر الله من عبدالله بن الزبير البلاد، وأراح من أخيه مصعب العباد، فقتلهما عبدالملك بن مروان، ﴿كَذٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظّٰالِمِينَ بَعْضاً بِمٰا كٰانُوا يَكْسِبُونَ﴾[1] بعد ما حبس ابن الزبير محمّد بن الحنفيّة وأراد إحراقه، ونفى عبدالله ابن عبّاس وأكثر إرهاقه، فلمّا خلت البلاد لآل مروان سلّطوا الحجّاج على الحجازيّين ثمّ على العراقيّين فتلعّب بالهاشميّين وأخاف الفاطميّين، وقتل شيعة عليّ، ومحي آثار بيت النبيّ، وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعيّ، واتصل البلاء مدّة ملك المروانيّة إلى الأيّام العبّاسيّة حتّى إذا أراد الله أن يختم مدّتهم بأكثر آثامهم، ويجعلهم أعظم ذنوبهم في آخر أيّامهم بعث على بقيّة الحقّ المهمل والدين المعطّل زيد بن عليّ، فخذله منافقوا أهل العراق، وقتله أحزاب أهل الشام، وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الأسدي ومعاوية بن إسحاق الأنصاري وجماعة من شايعه وتابعه وحتّى من زوّجه وأدناه، وحتّى من كلّمه وماشاه، فلمّا انتهكوا ذلك الحريم، واقترفوا ذلك الإثم غضب الله عليهم وانتزع الملك منهم.

---

(١) الأنعام: ١٢٩.

فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر ـ لا نظر الله إليه ـ إلى صلابة العلويّة وإلى لين العبّاسيّة فترك تقاه واتّبع هواه وباع آخرته بدنياه وافتتح عمله بقتل عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وسلّط طواغيت خراسان وخوارج سجستان وأكراد اصفهان على آل أبي طالب يقتلهم تحت كلّ حجر ومدر، ويطلبهم في كلّ سهل وجبل حتّى سلّط عليه أحبّ الناس إليه فقتله كماقتل الناس في طاعته، وأخذه بما أخذ الناس في بيعته، ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه، وأن ركب ما لا يهواه، وخلت من الدوانيقيّ الدنيا فخبط فيها عسفاً، وتقضّى فيها جوراً وحيفاً، إلى أن مات وقد امتلئت سجونه بأهل بيت الرسالة ومعدن الطيب والطهارة، قد تتبّع غائبهم، وتلقّط حاضرهم حتّى قتل عبدالله بن محمّد بن عبدالله الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي، فما ظنّك بمن قرب تناوله عليه ولان مسّه على يديه.

وهذا قليل في جنب ما قتله هارون منهم، وفعله موسى قبله بهم، فقد عرفتم ما توجّه على الحسين بن عليّ بفخّ من موسى وما اتّفق على عليّ بن الأفطس الحسينيّ من هارون، وما جرى على أحمد بن عليّ الزيديّ وعلى القاسم بن عليّ الحسنيّ من حبسه وعليّ بن غسّان بن حاضر الخزاعيّ حين أُخذ من قبله.

والجملة أنّ هارون مات وقد حصد شجرة النبوّة واقتلع غرس الإمامة، وأنتم أصلحكم الله أعظم نصيباً في الدين من الأعمش فقد شتموه، ومن شريك فقد عزلوه، ومن هشام بن الحكم فقد أخافوه، ومن عليّ بن يقطين فقد اتّهموه.

فأمّا في الصدر الأوّل فقد قُتل زيد بن صوحان العبديّ، وعوقب عثمان بن حنيف الأنصاريّ، وخفي حارثة بن قدامة السعديّ وجندب بن زهير الأزديّ وشريح بن هاني المراديّ ومالك بن هاني المراديّ ومالك بن كعب الأرحبيّ ومعقل بن قيس الرياحيّ والحرث الأعور الهمدانيّ وأبوالطفيل الكنانيّ وما فيهم

إلّا من خرّ على وجهه قتيلاً، أو عاش في بيته ذليلاً، يسمع شتمة الوصيّ فلا ينكر، ويرى قتله الأوصياء وأولادهم فلا يغير، ولا يخفى عليكم جرح عامّتهم وحيرتهم كجابر الجعفيّ وكرشيد الهجريّ وكزرارة ابن أعين وكفلان وأبي فلان ليس إلّا أنّهم عليهم السلام كانوا يتولّون أولياء الله ويتبرّؤون من أعداء الله، وكفى به جرماً عظيماً عندهم، وعيباً كبيراً بينهم.

وقل في بني العبّاس فاتك ستجد بحمد الله تعالى مقالاً، وجل في عجائبهم فإنّك ترى ما شئت مجالاً، يجبى فيئهم فيفرّق على الديلميّ والتركيّ، ويحمل إلى المغربيّ والفرغانيّ، ويموت إمام من أئمّة الهدى وسيّد من سادات بيت المصطفى، فلا تتبع جنازته ولا تجصّص مقبرته، ويموت ضرّاط لهم أو لاعب أو مسخرة أو ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاة، ويعمر مسجد التعزية عند القوّاد والولاة، ويسلم فيهم من يعرفونه دهريّاً أو سوفسطائيّاً ولا يتعرّضون لمن يدرّس كتاباً فلسفيّاً ومانويّاً، ويقتلون من عرفوه شيعيّاً، ويسفكون دم من سمّى ابنه عليّاً ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير المعلّى بن خنيس قتيل داود بن عليّ، ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزيّ لكان ذلك جرحاً لا يبرئ، ونائرة لا تطفئ، وصدعاً لا يلتئم، وجرحاً لا يلتحم.

وكفاهم أنّ شعراء قريش قالوا في الجاهليّة أشعاراً يهجون بها أميرالمؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين فحملت أشعارهم، ودوّنت أخبارهم، وروتها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبّه التميمي، ومثل الكلبي والشرقيّ بن القطاميّ والهيثم بن عدي وداب ابن الكناني، وإنّ بعض شعراء الشيعة يتكلّم في ذكر مناقب الوصيّ بل في ذكر معجزات النبيّ صلى الله عليه وآله فيقطع لسانه، ويمزّق ديوانه كما فعل بعبدالله بن عمّار البرقيّ، وكما أُريد بالكميت بن زيد الأسديّ، وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمريّ، وكما دمّر على دعبل بن عليّ الخزاعيّ مع رفقتهم من

مروان بن أبي حفصة اليماميّ، ومن عليّ بن الجهم الشاميّ، ليس إلّا لغلوّهما في النصب واستيجابهما مقت الربّ حتّى أنّ هارون بن الخيزران وجعفر المتوكّل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان مالاً ولا يبذلان نوالاً إلّا لمن شتم آل أبي طالب، ونصر مذهب النواصب مثل عبدالله بن مصعب الزبيريّ ووهب بن وهب البختريّ، ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأمويّ، ومن الأدباء مثل عبدالملك بن قريب الأصمعيّ.

فأمّا في أيّام جعفر فمثل بكار بن عبدالله الزبيريّ وأبي السمط بن أبي الجون الأمويّ وابن أبي الشوارب العبشميّ، ونحن أرشدكم الله قد تمسّكنا بالعروة الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا، ولن يخل لنا عقيدة نقصان من نقص منّا، فإنّ الإسلام بدأ غريباً وسيعود كما بدأ، كلمة من الله، ووصيّة من رسول الله، يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتّقين، ومع اليوم غد، وبعد السبت أحد. قال عمّار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفّين: لو ضربونا حتّى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّهم على الباطل، ولقد هزم رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ هزم ولقد تأخّر أمر الإسلام ثمّ تقدّم ﴿الٓمٓ ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1].

ولولا محنة المؤمنين وقلّتهم ودولة الكافرين وكثرتهم لما امتلأت جهنّم حتّى تقول هل من مزيد، ولما قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[2].

ولما تبيّن الجزوع من الصبور، ولا عرف الشكور من الكفور، ولما استحقّ المطيع الأجر، ولا احتقب العاصي الوزر، فإن أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعوّدناه،

---

(١) العنكبوت: ١ و٢.

(٢) يونس: ٥٥.

وإن رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه، وعندنا بحمد الله تعالى لكلّ حالة آية، ولكلّ مقامة مقالة، فعند المحن الصبر، وعند النعم الشكر، ولقد شتم أميرالمؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر فما شككنا في وصيّته، وكذّب محمّد صلى الله عليه وآله بضع عشرة سنة فما اتّهمناه في نبوّته، وعاش إبليس مدّة تزيد على المدد فلم نرتب في لعنته، وابتلينا بفترة الحقّ، ونحن مستيقنون بدولته، ودفعنا إلى قتل الإمام بعد الإمام، والرضا بعد الرضا، ولا مرية عندنا في صحّة إمامته، وكان وعد الله مفعولا، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ﴿كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلاَّ سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1] ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[2] ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾[3].

اعلموا رحمكم الله أنّ بني أُميّة الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت والشيطان، جهدوا في دفن محاسن الوصيّ، واستأجروا من كذّب في الأحاديث على النبيّ صلى الله عليه وآله، وحوّلوا الجوار إلى بيت المقدس عن المدينة والخلافة، زعموا إلى دمشق عن الكوفة، وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال، وقلّدوا عليه الأعمال، واصطنعوا فيه الرجال، فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله، ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى، ولا على دسّ أحد من أعداء الله في أولياء الله، ولقد كان ينادي على رؤوسهم بفضائل العترة، ويبكت بعضهم بعضاً بالدليل والحجّة، لا تنفع في ذلك هيبة، ولا يمنع منه رغبة ولا رهبة، والحقّ عزيز وإن استذلّ أهله، وكثير وإن قلّ حزبه، والباطل ذليل وإن رصّع بالشبهة، وقبيح وإن غطّى وجهه بكلّ مليح.

---

(١) التكاثر: ٣ و ٤.

(٢) الشعراء: ٢٢٧.

(٣) طه: ٨٨.

قال عبدالرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني أُميّة:

سـميّة أمسـى نسـلها عـدد الحـصا وبنت رسول الله ليست بـذي نسـل[1]

وقال أبو دهبل الجمحي في حمة سلطان بني أُميّة وولاية آل أبي سفيان:

تبيت السكارى من أُمـيّة نـومَاً وبالطفّ قتلى ما ينام حـميمها

وقال سليمان بن قتّة:

وإنّ قتيل الطفّ مـن آل هـاشم أذلّ رقـاب المسـلمين فـذلّت

وقال الكميت بن زيد، وهو جار خالد بن عبدالله القسري:

فقل لبـني أُميّة حـيث حـلّو وإن خـفت المـهنّد والقـطيعا

أجـاع الله مـن أشـبعتموه وأشبع مـن بـجوركم أُجـيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بني العبّاس على رؤوسهم بالحقّ وإن كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه.

قال المنصور بن الزبرقان:

آل النـبيّ ومـن يـحبّهم يـتطامنون مـخافة القـتل

أمـن النـصارى واليـهود وهـم مـن أُمّـه التـوحيد فـي الذل

وقال دعبل بن عليّ وهو صنيعة بني العبّاس وشاعرهم[2]:

ألم تر أنّـي مـن ثـمانين حـجّة أروح وأغـدو دائـم الحسـرات

---

(١) وقبله:

لهـام بـجنب النـهر أدنـى قـرابـة من ابن زياد الوغد ذي الحسب الوغل

والقافية مكسورة ولكن عند المؤلّف: ليس لها نسل، والصحيح ما قلناه. (المترجم)

(٢) رحم الله الخوارزمي ورضى عنه وأرضاه، متى كان دعبل صنيعة بني العبّاس وشاعرهم وهو الذي لم يترك خليفة منهم إلّا هجاه، فطاردوه وأرادوا قتله حتّى قال: حملت خشبتي ... الخ، وأنجاه الله منهم. (المترجم)

أرى فيئهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

وقال عليّ بن العبّاس الروميّ وهو مولى المعتصم:

تألّيت أن لا يبرح المرء منكم يتلّ على حرّ الجبين فيعفج

كذاك بنو العبّاس تصبر منكم ويصبر للسيف الكميّ المدجّج

لكلّ أوان للنبيّ محمّد قتيل زكيّ بالدماء مضرّج

وقال إبراهيم بن العبّاس الصولي وهو كاتب القوم وعاملهم في الرضا لمّا قرّبه المأمون:

يمنّ عليكم بأموالكم وتعطون من مائةٍ واحدا

وكيف لا ينتقصون قوماً يقتلون بني عمّهم جوعاً وسغباً، ويملأون ديار الترك والديلم فضّة وذهبا، يستنصرون المغربيّ والفرغانيّ، ويجفون المهاجريّ والأنصاريّ، ويولّون أنباط السواد وزارتهم وتلف العجم والطماطم قيادتهم، ويمنعون آل أبي طالب ميراث أُمّهم وفيء جدّهم، يشتهي العلويّ الأكلة فيحرمها، ويقترح على الأيّام الشهوة فلا يطعمها، وخراج مصر والأهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف إلى ابن أبي مريم المديني وإلى إبراهيم الموصلي وابن جامع السهمي، وإلى زلزل الضارب وبرصوما الزامر وأقطاع بخينشوع النصرانيّ قوت أهل بلد، وجارى بغا التركي والأفشين الأشروسي كفاية أمة ذات عدد، والمتوكّل زعموا يتسرّى باثني عشر ألف سريّة، والسيّد من سادات أهل البيت يتعفّف بزنجيّة أو سنديّة، وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنة وعلى أولاد المخاتنة، على طعمة الكلابين ورسوم القرادين، وعلى مخارق وعلوية المغنّي، وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهي، ويبخلون على الفاطميّ بأكلة أو شربة، ويصارفونه على دانق وحبّة، ويتشرون العوادة بالبدر، ويجرون لها ما يفي برزق عسكر والقوم الذين أحلّ لهم الخمس وحرّمت عليهم

الصدقة، وفرضت لهم الكرامة والمحبّة، يتكفّفون ضرّاً ويهلكون فقراً، ويرهن أحدهم سيفه، ويبيع ثوبه، وينظر إلى فيئه بعين مريضة، ويتشدّد على دهره بنفس ضعيفة، ليس له ذنب إلّا أن جدّه النبيّ وأبوه الوصيّ، وأُمّه فاطمة، وجدّته خديجة ومذهبه الإيمان.

وأمّا القرآن وحقوقه مصروفة إلى القهرمانة، والمضرطة وإلى المغمزة، وإلى المزررة، وخمسة مقسوم على نقار الديكة الرومية والقردة، وعلى عرس اللعبة واللعبة، وعلى مرية الرحلة.

وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات، وأجروا العبادة وذويه الجرايات، وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان، ونفوا زوّاره إلى البلدان، وما أصف من قوم هم نطف السكارى في أرحام القيان، وماذا يقال في أهل بيت منهم نبغ البغاء، وفيهم راح التخنيث وغدا، وبهم عرف اللواط، كان إبراهيم ابن المهدي مغنّياً، وكان المتوكّل مؤنّثاً موضعاً، وكان المعتزّ مخنّثاً، وكان ابن زبيدة معتوهاً[1] مفرّكاً، وقتل المأمون أخاه، وقتل المنتصر أباه، وسمّ موسى بن المهدي أُمّه، وسمّ المعتضد عمّه.

ولقد كانت في بني أُميّة مخازي تذكر ومعائب تؤثر، كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين وأُمّه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين، وابنه يزيد القرود، مربّي الفهود، وهادم الكعبة، ومنهب المدينة، وقاتل العترة، وصاحب يوم الحرّة.

وكان مروان الوزغ بن الوزغ لعن النبيّ صلى الله عليه وآله أباه وهو في صلبه فلحقته لعنة الله ربّه.

وكان عبدالملك صاحب الخطيئة التي طبّقت الأرض وشملت وهي توليته

---

(١) الأقرب إلى السياق «المستوهأ». (المترجم)

الحجّاج بن يوسف الثقليّ فاتك العباد وقاتل العباد،، ومبيد الأوتاد، ومخرّب البلاد، وخبيث أُمّة محمّد الذي جاءت به النذر وورد فيه الأثر.

وكان الوليد جبّار بني أُميّة، وولّى الحجّاج على المشرق، وقرّة بن شريك على المغرب.

وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظّة ومات بشماً وتخمة.

وكان يزيد صاحب سلامة وحبابة الذي نسخ الجهاد بالخمر، وقصر أيّام خلافته على العود والزمر، وأوّل من أغلى سعر المغنّيات، وأعلن بالفاحشات، وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب فهو ملعون بين ملعونين، وكافر غريق في الكفر بين كافرين.

وكان هشام قاتل زيد بن عليّ مولى يوسف بن عمر الثقفيّ.

وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن الممزّق بالسهام القرآن، وأوّل من قال الشعر في نفي الإيمان، وجاهر بالفسوق والعصيان، والذي غشى أُمّهات أولاد أبيه، وقذف بغشيان أخيه، وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها صغيرة وقليلة في جنب مثالب بني العبّاس الذين بنوا مدينة الجبّارين، وفرّقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين، هؤلاء أرشدكم الله الأئمّة المهديّون الراشدون، الذين قضوا بالحقّ وبه يعدلون، بذلك يقف خطيب جمعتهم، وبذلك تقوم صلاة جماعتهم؛ فإن كسد التشيّع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام والعراقين وبالجزيرة والثغرين وبالجبل واليغارين، وإن تحامل علينا وزير أو أمير فإنّا نتوكّل على الأمير الذي لا يعزل، وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل، وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوة، ولا يطلب سجلّاً ولا شهادة.

وإيّاه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد، ونسأله أن لا يكلنا إلى أنفسنا، ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا، وأن يعيذنا من رعونة الحشويّة ومن

لجاج الحروريّة، وشكّ الواقفيّة، وأرجاء الحنفيّة، وتخالف أقوال الشافعيّة، ومكابرة البكريّة، ونصب المالكيّة، وإجبار الجهميّة النجاريّة، وكسل الراونديّ، وروايات الكيسانيّة، وجحد العثمانيّة، وتشبيه الحنبليّة، وكذب الغلاة الخطّابيّة، وأن لا يحشرنا على نصب اصفهانيّ، ولا على بغض لأهل البيت طوسيّ أو شاسيّ، ولا على إرجاء كوفيّ، ولا على تشبيه قمّيّ، ولا على جهل شاميّ، ولا على تحنبل بغداديّ، ولا على قول بالباطن مغربيّ، ولا على عشق لأبي حنيفة بلخيّ، ولا على تناقض في القول حجازيّ، ولا على مروق سجزيّ، ولا غلوّ في التشيّع كرخيّ، وأن يحشرنا في زمرة من أحببناه، ويرزقنا شفاعة من تولّيناه إذا دعي كلّ أُناس بإمامهم، وساق كلّ فريق تحت لوائهم، إنّه سميع قريب يسمع ويستجيب.

انتهت الرسالة الطنّانة ببديع عباراتها، وخفيّ إشاراتها، وهي جيّدة عن آخرها إلّا أني لم أفهم وجه نسبة التشبيه إلى أهل قم وهم وجوه أهل الإيمان ومعتمد نقلهم مدى الأعصار والأزمان، وكذا رمي الكرخيّين بالغلوّ مع أنّ جمهورهم من الطبقة العالية من الشيعة كيف لا وقد ربّاهم المشايخ الثلاثة الذين بهم قام عماد الإسلام، وانتظم أُمور كافّة الأنام، وأسّسوا المذهب أحسن تأسيس، وفتحوا للعلماء باب التصنيف والتدريس، ولولاهم لما قام للدين عمود، ولا اخضرّ للتحقيق عود، وهم شيخنا الأقدم أبو عبدالله محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد، وسيّدنا الأجلّ أبوالقاسم عليّ بن الحسين المرتضى. وشيخنا الأعظم أبو جعفر محمّد بن الحسن رئيس الطائفة شكر الله مساعيهم، وأعلى في مدارج الجنّة مراقيهم بمحمّد وآله عليهم السلام[1].

---

(١) أقول: لعلّه يشير بهذه الجمل المتزاوجة إلى أدباء من هذه الأقطار كانوا يناصبونه العداء فقد كان الرجل

اللّٰهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ[١] وَتابَعَتْ عَلَىٰ قَتْلِهِ، اللّٰهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً ...

عصابة بمعنى جماعة من العشرة إلى الأربعين كما يقول ذلك في منتهى الإرب، وهذا هو المعنى الوضعيّ للكلمة وتستعمل في العرف العام في مطلق القوم والطائفة كائنة ما كانت، وفي هذه العبارة إن قصد المعنى الثاني كانت أداة التعريف عهديّة أو المعنى الثاني كانت جنسيّة أو استغراقيّة لكي تفيد معنى العصائب والجموع.

المجاهدة: مأخوذة من الجهد بمعنى التعب ويكنى بها عن مطلق الحرب سواء كانت على وجه مشروع أو باطل كما هي عليه في هذا المقام.

المشايعة: المتابعة وأُشير إليها في السابق[٢].

المبايعة: أخذ البيعة من المرئ وأصلها من البيع كما أنّ في البيع المصافقة ووضع اليد على اليد، كذلك في البيعة لابدّ من هذا الفعل ولا محيص عنه. وما قيل في معنى البيعة من أنّ المبايع يبيع نفسه للجنّة فهو معنى قشريّ لا ينطبق في البيعة على جميع مراتبها، وما قلناه صرّح به مهرة هذا الفنّ وأئمّة هذه الصناعة.

المتابعة: بباء موحّدة قبلها ألف من التباعة وقد سلف معناها[٣] وهي الاقتداء. قال السيّد المحقّق الأجل السيّد الداماد نضّر الله وجهه في الكتاب (الرواشح السماويّة) في باب التصحيفات:

محسوداً وقد جرى عليه من بديع الزمان وأنصاره ما جرى، فلا أستبعد أن تكون الإشارة في قم والكرخ وغيرهما من البلاد التي ذكرها إلى أدباء فيها يعادونه، والله أعلم. (المترجم)

(١) تابعت ـ نسخة خطّية من المصباح ويؤيّده كلام عدّة من العلماء من استعمال التتابع في الخير والتتابع في الشرّ، ومنهم الكفعميّ في حاشية المصباح: ٢١٠، والحريري في درّة الغوّاص: ٥٥. (هامش الأصل)

(٢) في شرح جملة: «برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أتباعهم وأشياعهم. (هامش الأصل)

(٣) في شرح جملة: «برئت إلى الله وإليكم منهم ومن أتباعهم. (هامش الأصل)

ثمّ من تتمّات المقام أنّه قد وقعت من الذين شاركونا في الصناعة ولم يساهمونا في البضاعة ولم يلحقوا شأناً من العلم والحكمة تحريفات غريبة وتصحيفات عجيبة لفظيّة ومعنويّة في أفانين العلم وطبقات الصناعة ولا جناح علينا لو تلونا طائفة منها على إسماع المتعلّمين تبصيراً لبصائرهم في سبيل الدين وصيانة لأحاديث سيّد المرسلين وأوصيائه الطاهرين عن شرور تصحيفات الجاهلين وتصرّفات القاصرين.

ثمّ إنّه أخذ يعدّد:

منها حديث عمّار: «لكن عمّار جاض جيضة» بالجيم المعجمة أو المهملة بمعنى حاد وزاغ، وصحّفوه بحاض بالحاء المهملة ثمّ المعجمة.

وحدث تعداد الكبائر التي منها التعرّب بعد الهجرة المصحّف بالتغرّب بالمعجمة المعبّر عنه في لسان الأصحاب بالالتحاق ببلاد الكفر والإقامة بها بعد المهاجرة عنها إلى بلاد الإسلام.

قال: وبالجملة هو كناية عن الزيغ عن المعرفة والحبور عن الحقّ والالتحاق بأهل الشقاوة والضلالة بعد الدخول في حريم السعادة والهداية.

إلى أن قال:

ومنها في دعاء زيارة مولانا الشهيد أبي عبدالله الحسين عليه السلام يوم عاشوراء: «اللهمّ العن العصابة التي جاهدت الحسين عليه السلام وشايعت وتايعت وتابعت على قتله» كلتاهما بالمثنّات من تحت بعد الألف قبلها موحّدة في الأُولى ومثنّاة من فوق في الثانية للتخصيص بعد التعميم إذ المبايعة بالباء الموحّدة مفاعلة من البيعة بمعنى المعاقدة والمعاهدة سواء كان على الخير أو على الشرّ، والمتابعة بالمثنّاة من فوق معناها المجاراة والمساعاة والمهافتة والمسارعة والمعاضدة والمسايرة على الشرّ، لا يكون في الخير، وكذلك التتابع التهافت على الشرّ

والتسارع إليه مفاعلة وتفاعلاً من التيعان. يقال: تاع القيء يتيع تيعاً وتيعاناً خرج، وتاع الشيء ذاب وسال على وجه الأرض، وتاع إلى كذا يتيع إذا ذهب إليه وأسرع. والجملة أنّ المفاعلة والتفاعل لا يكون إلّا للشرّ، وجماهير القاصرين من أصحاب العصر يصحّفونها ويقولون: تابعت بالتاء المثنّاة فوق والباء الموحّدة[١]، انتهى كلامه الشريف، ضاعف الله قدره المنيف.

وظاهر هذا الكلام أنّ لفظ تايعت بباء مثنّاة لا تابعت بالباء الموحّدة، وكانوا في الأزمنة السابقة يقرئونها على هذا الوجه، وهذا التغيير وقع في زمن هذا المحقّق ـ السيّد الداماد ـ[٢].

ولكن المتأمّل المحيط بأطراف الكلام يعلم أنّه اعتمد في هذا الباب على القواعد اللغويّة كما سمعت عن المحقّق الثاني في با «أوّله»[٣] والأصل في هذه المسألة الحريري فقد ذكر في درّة الغوّاص: من أوهام الخواصّ أنّهم يقولون: تتابعت النوائب على فلان والحقّ أنّها تتايعت بالياء لأنّ التتابع بالباء الموحّدة في الصلاح والخير والتتايع بالمثنّاة مختصّة بالمنكر والشرّ[٤].

---

(١) الرواشح: ١٤٢. (هامش الأصل) و١٤٣. (المترجم)

(٢) ويدلّ عليه محكي كلامه من رسالة التصحيف، قال: والمصحّف المغلاط صحّفها فظنّها تابعت بالتاء المثنّاة والباء الموحّدة و(سقم) (كذا) نسخاً قديمة هي مصحّحة من المصباح المتهجّد بحكّ إحدى النقطتين وجماهير القاصرين سائرون مسيرة في التصحيف. (هامش الأصل)

(٣) مؤنّث أوّل. (المترجم) ومرّ في ترجمة: «أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد». (هامش الأصل)

(٤) وإليك ما ذكره الحريري في درّة الغوّاص: ويقولون: تتابعت النوائب على فلان ووجه الكلام أن يقال: تتايعت ـ بالباب المعجمة باثنتين من تحت ـ لأنّ التتابع يكون في الصلاح والخير، والتتايع يختصّ بالمنكر والشرّ كما جاء في الخبر: «ما يحملكم على أن تتايعوا في الكذب كما تتايع الفراش في النار» وكما رُوي أنّه لمّا كثر شرب الخمر في عهد عمر جمع الصحابة رضي الله عنهم وقال: إنّي أرى الناس قد تتابعوا

ومن العلماء وصيارفة الأدب من لهم نقد على كلام الحريري هذا، منها أنّ الخفاجي نقل عن ابن برّي، وتحريره يوافق ما جاء في (كشف الطرّة) وهو إن كان المقصود من التتابع بموحّدة الاستعمال في الخير دون الشرّ، وله اختصاص بذلك فهو ظاهر الفساد. فإنّه جاء في القرآن الكريم على خلاف ذلك وهو قوله تعالى: ﴿فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضاً﴾[1] وإذا كان الغرض أنّ التتابع عامّ والتتابع خاصّ فينبغي أن لا يقتصر في استعمال التتابع على المعنى الخاصّ وهذا فساده أظهر لأنّه ما من عامّ إلّا ويصحّ استعماله في الخاصّ كما هو الحال في الآية المذكورة. وبناءاً على هذا فتخطئة استعمال المتابعة والتتابع في الشرّ لا وجه له، تمّ كلامه[2].

ومضافاً إلى عدم استعمال التتابع (بالمثنّاة) بالشرّ وحده ولم يثبت ذلك فإنّ مادّته لا تدلّ عليه، ونقل في التهذيب عن السبب في اقتصاره على الشرّ، قال: إنّه مشتقّ من تاع ومعناه سال، والسيلان يوجب السرعة، والسرعة والعجلة من الشيطان ثمّ صار للشرّ.

وهذا حديث غريب، لا يوجد إلّا في صحف المتنبّئين، وما من أمر يمكن تصحيحه بقياس مثل هذا فما بالك باللغة التي لا حجّة فيها للقياس، أجل هناك حديث واحد للقوم عن أبي عبيدة، فقد قال: لم يسمع التتابع في الشرّ وإنّما سمعناه في الخير، ولكن هذا الإجمال لا يخطّأ به إن ثبت الاستعمال.

في شرب الخمر واستهانوا بحدّها، فماذا ترون؟ فقال له عليّ عليه السلام: أرى أن أحدّه ثمانين لأنّي أراه إذا شرب سكر وإذا سكر هذي وإذا هذي افترى فأحدّه حدّ المفترى، فاستصوب عمر رأيه وأخذ به (ص٦٨). (المترجم)

(١) المؤمنون: ٤٤.

(٢) واعلم بأنّ هذا الكلام هو الترجمة، أمّا الأصل فلم نعثر عليه ولا على الكتاب الذي يحتوي على النصّ. (المترجم)

واستعمل الزمخشري في الكشّاف التتابع في الخير وأقام لهذا الاستعمال أساساً أصيلاً في شرح الآية: ﴿وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا﴾[1] واستعمال العلماء يعادل النقل وإن كان مولّداً، ومن هذه الجهة أجازوا الاستدلال بشعر أبي تمام، وتابعه السيّد الشريف في حاشية الكشّاف والبيضاوي وغيرهم، وأوّل من تنبّه إلى هذا عبدالقاهر الجرجانيّ واضع علم البيان، وكتب أحد المعاصرين من أهل القسطنطنيّة رسالة في الاحتجاج بشعر الرضي ومهيار وأبي فراس، ويظهر من الشهاب الخفاجي قبول هذا المذهب ولا يخلو من قوّة، واستوفينا تحقيقه في محلّه بقدر الوسع والاستعداد والاطّلاع.

وجملة القول، لو سلّمنا بخطأ استعمال التتابع في الخير فإنّ استعمال التتابع في الشرّ ليس خطأً، وما هو بتصحيف ولا بوهم، واحتمال كونه تصحيفاً وحادثاً بعيد؛ لأنّ ما عثر عليه في النسخ المعتبرة القديمة هو التتابع بالباء الموحّدة وقرائتها بالياء لا تجزي. نعم من جمع للاحتياط احتمالاً أن تكون الرواية بالياء أيضاً، ولو طلباً للخروج من خلاف هذا المحقّق الوحيد والعالم الحكيم الذي اعتبره البعض أُستاد البشر واعتبرته طائفة المعلّم الثالث، فإنّه أقرب للصواب وأوفق لطلب الثواب، والله أعلم.

ونحن وإن ذكرنا في هذا الشرح هنا وهناك من أدلّة اللعن عقلاً ونقلاً وسنّة وكتاباً إلّا أنّنا في هذا الموضع من الشرح نذكر حديثاً أو حديثين في ثواب لعن قاتلي سيّدالشهداء لأداء حقّ ذلك السيّد المحقّق، لأنّ الأدلّة السابقة في اللعن والتحريض عليه ليس له مدخليّه بالقدر الكافي الأخبار المعبّرة عن ثوابه الجزيل.

في العيون والأمالي وساق السند إلى الإمام الرضا عليه السلام أنّه قال لريّان بن شبيب:

---

(١) البقرة: ٢٠.

يابن شبيب، إن سرّك أن تسكن الغرف المبنيّة في الجنّة مع النبيّ وآله فالعن قتلة الحسين.

يابن شبيب، إن سرّك أن يكون لك من الثواب مثل ما لمن استشهد مع الحسين عليه السلام فقل متى ما ذكرته: يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً[1]. أي تمن على التحقيق حضورك في كربلاء وحبّ الشهادة مع أصحابه وتولّاهم.

وفي كامل الزيارة عن داود الرقّيّ أنّه قال: كنت عند أبي عبدالله عليه السلام إذا استسقى الماء، فلمّا شربه رأيته قد استعبر واغرورقت عيناه بدموعه ثمّ قال لي: يا داود، لعن الله قاتل الحسين عليه السلام فما من عبد شرب الماء فذكر الحسين عليه السلام ولعن قاتله إلّا كتب الله له مائة ألف حسنة، وحطّ عنه مائة ألف سيّئة، ورفع له مائة ألف درجة، وكأنما أعتق مائة ألف نسمة، وحشره الله تعالى يوم القيامة ثلج الفؤاد[2].

اللهمّ العن قتلة الحسين إلى يوم القيامة.

---

(١) أمالي الصدوق: ١٣٠. (المترجم) نفسه مجلس ٢٧ رقم ٥، العيون ١: ٣٩٩، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦. (هامش الأصل)

(٢) كامل الزيارة: ١٠٦، بحار الأنوار ٤٤: ٣٠٣ رقم ١٦. (هامش الأصل)

المطلب الثاني: في شرح دعاء السلام

السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبَا عَبْدِاللّٰهِ وَعَلَىٰ الْأَرْواحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنائِكَ ...

الشرح: المعاني المتعلّقة بهذا اللفظ الشريف سبق بيانها فيما يتعلّق بمعاني الزيارة الشريفة وسوف نذكر جملة من الأخبار المناسبة في فضل أصحاب الحسين عليه السلام في ختام هذا المطلب عندما نصل إلى قوله: «وعلى أصحاب الحسين عليه السلام» إن شاء الله تعالى.

لَا جَعَلَهُ اللّٰهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيارَتِكَ ...

الشرح: العهد الأصل في معانيه «الميثاق» ويأتي بمعنى الوصيّة، والأمر والحكومة والمعرفة، تقول: «عهدي بكذا» و«عهدته كذا» ومعناه أيضاً الملاقات والزمان وما شابه ذلك، ويستعمل بعلاقة المعاني السابقة.

ولعلّ المعنى الأوّل هو المقصود بالعبارة.

واللام: إمّا أن تكون بمعنى «مع» أو للاختصاص أي عهدي المخصوص بزيارته. ويمكن أن تكون للتقوية على المعنى الثاني حيث استعمل متعدّياً، وبمعنى «إلى» بإعطائها معنى التوجّه وأشباهه، ويحتمل احتمالاً بعيداً أنّ الأصل كان بالباء أي بزيارتك وصحّفت إلى اللام فوضعت موضعها. والملاقات وهي كناية عن التعارف والصحبة ولا تخلو في هذا الكلام من قوّة بناءاً على تنزيل الزيارة منزلة الشخص الذي تعرفه وتصاحبه.

الزيارة: في الأصل بمعنى «القصد للقاء الشخص» واستعملت في الشرع تحقيقاً بهذا المعنى، وإطلاقات الأدلّة حول زيارة الرسول والأئمّة صلوات الله

عليهم أجمعين منزلة على هذا المعنى، والدعاء والصلاة من الآداب الشرعيّة لهذا العمل وهو مستحبّ من كيفيّات هذا المستحبّ، وبناءاً على هذا يؤدّي النذر وأشباهه بمجرّد الحضور (وإن لم يتضمّن قولاً أو عملاً)[1] إن لم ندّع صرف معناها عن حقيقته إلّا أنّ هذا المعنى غير متصوّر في الغياب والبعد ولهذا تستعمل الزيارة تنزيلاً في معنى آخر وهو عبارة عن حضور القلب وتوجّه النفس عند المزور مع قرائة الدعاء، ويسمّى هذا الفعل زيارة على سبيل الاستعارة والتشبيه، ولمّا كانت الزيارة على البعد تتقوّم بالدعاء ظنّ بعضهم أنّ حقيقة الزيارة قوامها الدعاء، وما قلناه أصحّ بدليل تعارض الأحوال، لأنّ الوجه الذي قالوه يتوقّف على النقل والاشتراك، وما قلناه يتوقّف على الاستعارة وهي حقيقة لغويّة، وإذا كانت الحقيقة مجازاً فالمجاز خير من الاشتراك، وهذا ترجيح يتمّ بعد ثبوت كون الدعاء غير مأخوذ في مفهوم الزيارة، وهذا أمر مقطوع به بل هو من ضروريّات لغة العرب. قال المتنبّي وقيل هو أمير شعره:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ ...

الشرح: هذا الكلام مشتمل على الالتفات من الخطاب إلى الغيبة ولعلّ النكتة فيه الالتذاذ بذكر الحسين عليه السلام الذي هو جلاء القلوب وشفاء الصدور وقرّة العيون، ولعلّ السبب هو التمهيد من لفظ الحسين إلى اللفظ بعده وهو عليّ بن الحسين، لأنّ ناقدي جواهر المعاني وصيارفة الألفاظ والمعاني يرون في هذا الالتفات أُنساً ولذّة للسامع.

---

(١) العبارة بين القوسين للمترجم.

وَعَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ...

الشرح: عليّ بن الحسين اسم ثلاثة من أولاد الحسين عليه السلام: أحدهم: سيّد الساجدين سلام الله عليه، والآخر عليّ الأكبر، والثالث عليّ الرضيع، ويسمّى في رواية عبدالله الرضيع المعروف بعليّ الأصغر.

والمراد بهذه الفقرة على الأكبر الشهيد في كربلاء لأنّ هذه الزيارة مختصّة تماماً بقتلى كربلاء ومن في معيّته من الشهداء، واحتمال أنّ المقصود بهذه الجملة هو سيّد الساجدين بعيد كلّ البعد.

وجملة القول أنّ أُمّه عليها السلام طبقاً للرواية المشهورة ليلى بنت أبي مرّة عروة بن مسعود الثقفيّ، وفي رواية سبط ابن الجوزي في التذكرة أنّ أُمّه تعرف بآمنة، والأوّل أصحّ وأعرف[1] وأُمّها ميمونة بنت أبي سفيان بن حرب، لذلك شهد معاوية بحقّه بأنّه أحقّ بالخلافة، وتفصيل هذا النقل كالتالي وهو مسطور في زبر الأوّلين ومذكور في مقاتل الطالبيّين:

قال معاوية: من أحقّ الناس بهذا الأمر؟

قالوا: أنت.

قال: لا، أولى الناس بهذا الأمر عليّ بن الحسين بن عليّ؛ جدّه رسول الله، وفيه شجاعة بني هاشم، وسخاء بني أُميّة، وزهو ثقيف[2].

ومجمل القول أنّ خلافاً عظيماً وقع في مقدار سنّه؛ فقد رأى الشيخ المفيد في

---

(١) قال في التذكرة: وقتل عليّ بن الحسين بن عليّ وهو عليّ الأكبر وأمّه ليلى بنت مرّ الثقفيّة (ص٢٢٩) ولم يذكر آمنة. (المترجم)

(٢) مقاتل الطالبيّين: ٥٢. (المترجم)

الإرشاد أنّ عمره تسعة عشر عاماً، وسمّاه عليّاً الأوسط[١] والسجّاد أكبر منه، وحكي هذا القول عن صاحب كتاب (البدع)[٢] وصاحب كتاب (شرح الأخبار) من علماء أهل السنّة.

وفي رواية أبي الفرج ومحمّد بن أبي طالب: كان ابن الثامنة عشرة، وفي رواية خمس وعشرين، وفي رواية ثمان وثلاثين، وليس في الأخبار ما ينافي كونه أكبر من الإمام السجّاد، لأنّه وقع خلاف في عمره الشريف أيضاً في ذلك اليوم فمن قائل بأنّه لم يبلغ الحلم، وقال قوم إنّه ابن الثالثة والثلاثين، وبين هذين القولين أقوال عدّة.

وقال جمهور المؤرّخين والنسّابين والمحدّثين من الفريقين عن عليّ أنّه الأكبر، من هؤلاء الحافظ الجنابذيّ وسبط ابن الجوزيّ وكمال الدين بن طلحة ومحبّ الدين الطبريّ وابن الجوزيّ في (الصفوة) والدياربكري في الخميس، وصاحب (كشف الغمّة) وابن الخشّاب وأبو الفرج والزبير بن بكّار والبلاذري والمزني والشريف العمري النسّابة صاحب كتاب (المجدي) وابن قتيبة وأبو حنيفة الدينوري وأبو جعفر الطبري، وابن أبي الأزهر وأبوالفضل الصابوني صاحب كتاب الفاخر الذي يعبّر عنه فقهائنا بالجعفيّ، وأبو علي بن همام وابن شهرآشوب وابن إدريس وأبو عبيدة وخلف الأحمر وصاحب كتاب اللباب وصاحب كتاب (الزواجر والمواعظ)، والشيخ الحرّ العاملي في (منظومة أحوال الأئمّة عليهم السلام)[٣] وجماعة غيرهم الذين رأينا كلامهم وعبارات جماعة سمعناها،

---

(١) في الإرشاد: وله يومئذٍ بضع عشرة سنة (١: ١٠٦). (المترجم)

(٢) يريد به صاحب الاستغاثة وقد أتى بأقوال تافهة فنّدناها في كتابنا (فاطمة الزهراء). (المترجم)

(٣) ومن الغرائب أنّ صاحب (نزهة الجليس) السيّد علي المولوي المكّيّ في كتابه المذكور نزهة الجليس

وهذا القول بالطبع أصحّ وأسدّ.

وجاء عن أبي الفرج في «مقاتل الطالبيّين» أنّ ولادته في خلافة عثمان، وقد روى عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام وعن عائشة أحاديث، وعن أبي عبيدة وخلف الأحمر أنّ هذه الأبيات قيلت في عليّ بن الحسين الأكبر، والمدح دليل على كبر قدره وكبر سنّه، والأبيات هذه:

لم تر عين نظرت مثله ... من محتف يمشي ومن ناعل

يغلي نئي اللحم حتّى إذا ... أنضج لم يغل على الآكل

كان إذا شبّت له ناره ... أوقدها بالشرف القابل

كيما يراها بائس مرمل ... أو فرد حيّ ليس بالآهل

أعني ابن ليلى ذا السدى والندى ... أعني ابن بنت الحسب الفاضل

لا يؤثر الدنيا على دينه ... ولا يبيع الحقّ بالباطل...[1]

ويقتضينا الإنصاف الاعتراف بأنّ سياق هذا الشعر يدلّ على أنّ علياً عليه السلام كان يومئذٍ من الرجال المعدودين، ومثله كلام معاوية يشهد بحقّه، فلو كان في ذلك الزمان طفلاً أو مراهقاً لم تظهر عليه آثار السماحة والشجاعة هذا الظهور الذي حمل معاوية مع شديد عداوته على الاعتراف بأولويّته بالخلافة، وهذا هو الصواب، وفي هذا المقام نورد عبارة الفحل الفقيه المحقّق المقدّم والشيخ الفاضل المتبحّر المعظّم محمّد بن إدريس الحلّيّ رحمه الله في كتاب «السرائر» ونكتفي

➲ ذكر المنظومة مفرّقة على كتابه في التذييل على حالات سيّدالشهداء ونظم خطبته وأثنى ثناءاً بليغاً على الشيخ الحرّ وذكر عن المنظومة أنّها لمّا كانت مرغوباً فيها ولطيفة وهي في أحوال سيّدالشهداء عليه السلام ذكرتها وغفل بعض أصحاب المقاتل جديدة التصنيف عن مضمون هذه الديباجة فنسبوا المنظومة المذكورة إلى السيّد عبّاس المؤلّف نفسه وهذا أعجب العجب. (منه رحمه الله)

(١) مقاتل الطالبيّين: ٥٢ تحقيق كاظم مظفّر، الثانية، الحيدريّة النجف.

بها لتكميل المسألة. قال في باب الزيارات في خاتمة كتاب الحجّ:

فإذا كانت الزيارة لأبي عبدالله الحسين عليه السلام يزار ولده عليّ الأكبر وأُمّه ليلى بنت أبي مرّة بن عمرو بن مسعود الثقفي وهو أوّل قتيل في الوقعة يوم الطفّ من آل أبي طالب وقد مدحه الشعراء، وروي عن أبي عبيدة وخلف الأحمر أنّ هذه الأبيات قيلت في عليّ بن الحسين الأكبر المقتول بكربلاء «لم تر عين».. الأبيات.

وقد ذهب شيخنا المفيد في كتاب الإرشاد إلى أنّ المقتول بالطفّ هو عليّ الأصغر وهو ابن بنت الثقفيّة وأنّ عليّاً الأكبر زين العابدين أُمّه أُمّ ولد وهي شاه زنان بنت كسرى يزدجرد.

قال محمّد بن إدريس: «والأولى الرجوع إلى أهل هذه الصناعة وهم النسّابون وأصحاب السير والتواريخ مثل الزبير بن بكّار في كتاب (أنساب قريش) وأبي الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيّين والبلاذري والمزني وصاحب كتاب اللباب [في] أخبار الخلفاء والعمري النسّابة حقّق ذلك في كتاب «المجدي»[1] فإنّه قال: زعم من لا بصيرة له أنّ عليّاً الأصغر هو المقتول بالطفّ، وهذا خطأ ووهم، وإلى هذا ذهب صاحب كتاب (الزواجر والمواعظ) وابن قتيبة في المعارف وابن جرير الطبري المحقّق لهذا الشأن وابن أبي الأزهر في تاريخه وأبو حنيفة الدينوري في الأخبار الطوال وصاحب كتاب (الفاخر) مصنّف من أصحابنا الإماميّة ذكره شيخنا أبو جعفر في فهرست المصنّفين وأبو علي ابن همام في كتاب (الأنوار في تواريخ أهل البيت ومواليدهم) وهو من جملة أصحابنا المصنّفين المحقّقين، وهؤلاء جميعاً أطبقوا على هذا القول وهم أبصر بهذا النوع.

قال أبو عبيد في كتاب (الأمثال): وعند جهينة الخبر اليقين، قال: وهذا قول

---

(١) صنّفه لمجد الدولة بن بويه. (منه عليه السلام)

الأصمعيّ، وأمّا هشام ابن الكلبي فأخبر أنّه جهنة وكان ابن الكلبي أخبر بهذا النوع من الأصمعي.

قال محمّد بن إدريس: نعم ما قال أبو عبيد لأنّ أهل كلّ فنّ أعلم بفنّهم من غيرهم وأبصر وأضبط، ثمّ أخذ ﷺ يعدّد وقايع من أمثال ذلك فيها اشتباه من المفيد وغيره على جاري عادته في ذكر الشيء بنظيره، وحرصه على تكثير الفوائد الأدبيّة في كتابه بحيث قد يخرجه عن صناعته ويذهب به إلى فنّ آخر من العلم كما هو ظاهر لمن مارس كتابه.

ثمّ قال محمّد بن إدريس: وأيّ غضاضة يلحقنا وأيّ نقص يدخل على مذهبنا إذا كان المقتول عليّاً الأكبر وكان عليّ الأصغر الإمام المعصوم بعد أبيه الحسين عليه السلام فإنّه كان لزين العابدين يوم الطفّ ثلاث وعشرون سنة، ومحمّد ولده الباقر حيّ له ثلاث سنين وأشهر، ثمّ بعد ذلك كلّه فسيّدنا ومولانا عليّ بن أبي طالب كان أصغر ولد أبيه سنّاً ولم ينقصه ذلك[1]، انتهى بألفاظه وفيه غنى وكفاية عن تطويل الكلام وذيله وتصعيب المرام ونيله.

وجملة القول أنّ فضائل ذلك السيّد الصوريّة والمعنويّة، الخلقيّة والخلقيّة، من صباحة الوجه وحلاوة النطق والزهد والعبادة والعفاف والسماحة والشجاعة والمداراة والرفق والصيانة وجلالة القدر وشهامة النفس وشرف المحتد وطهارة الذات وعلوّ الهمّة وسموّ الرتبة ليست من السهولة بحيث يمكن درجها في كتاب أو جمعها في دفتر، وإذا حقّقت في خصوصيّاته وتلويحات سيّدالشهداء سلام الله عليه الخاصّة وتصريحاته الناصّة في حقّه يوم عاشوراء تأمّلت في ذلك تأمّلاً حقيقيّاً وتدبّرته بعين التحقيق لعرفت كبر شأنه وارتفاع قدره، وهذه المقولة من

---

(١) السرائر ١: ٦٥٦ و٦٥٧ جامعة المدرّسين قم ١٤١٠، الثانية. (المترجم)

خصائصه ذات قسمين: أفعاله وأقواله، وتفصيل هذين الأمرين تجده في المقاتل مطوّلاً مفصّلاً، ونحن هنا نكتفي بحديث واحد منقول عن بحار الأنوار في تذييله على حديث يوم عاشوراء الذي أخذه المؤلّف من روايات كتب مثل الإرشاد واللهوف وغيرهما، والحديث كما يلي:

(لمّا برز عليّ بن الحسين عليه السلام إلى ميدان القتال) رفع الحسين سبّابته نحو السماء وقال: اللهمّ اشهد على هؤلاء القوم فقد برز إليهم غلام أشبه الناس خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسولك[1]، كنّا إذا اشتقنا إلى نبيّك نظرنا إلى وجهه، أمنعهم بركات الأرض، وفرّقهم تفريقاً، ومزّقهم تمزيقاً، واجعلهم طرائق قدداً، ولا تُرض الولاة عنهم أبداً فإنّهم دعونا لينصرونا ثمّ عدو علينا يقاتلوننا.

ثمّ صاح الحسين عليه السلام بعمر بن سعد: مالك؟ قطع الله رحمك، ولا بارك الله لك في أمرك، وسلّط عليك من يذبحك بعدي على فراشك كما قطعت رحمي ولم تحفظ قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ رفع الحسين عليه السلام صوته وتلا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ

---

(١) وقد حكى أهل السير في شباهته برسول الله صلى الله عليه وآله قضايا فمنها: أنّه دخل رجل نصرانيّ مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الناس: أنت رجل نصرانيّ اخرج من المسجد، فقال لهم: إنّي رأيت البارحة في منامي رسول الله ومعه عيسى بن مريم، أسلم على يد خاتم الأنبياء محمّد بن عبدالله فإنّه نبيّ هذه الأمّة حقّاً وأنا أسلمت على يده وأتيت الآن لأجدّد إسلامي على رجل من أهل بيته. قال: فجائوا به إلى الحسين عليه السلام فوقع على قدميه يقبّلهما، فلمّا استقرّ به المجلس قصّ له الرؤيا التي رآها، فدعا الحسين عليه السلام بولده الأكبر كان إذ ذاك طفلاً صغيراً وقد وضع على وجهه البرقع، فجيء به إلى أبيه، فلمّا رفع الحسين البرقع من وجه عليّ ورآه ذلك الرجل وقع مغمىً عليه، فقال الحسين عليه السلام صبّوا الماء على وجهه، ففعلوا، فلمّا أفاق التفت إليه الحسين عليه السلام وقال: يا هذا، إنّ ولدي هذا شبيه بجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال الرجل: اي والله، فقال له الحسين: يا هذا إن كان عندك ولد مثل هذا وتصيبه شوكة ماكنت تصنع؟ قال: سيّدي، أموت. فقال الحسين عليه السلام: أُخبرك أنّي أرى ولدي هذا بعيني مقطّعاً بالسيوف إرباً إرباً (ثمرات الأعواد ١: ١٧٤ ـ ١٧٥، كفاية الخطيب للسيّد مهدي الخطيب السويج). (هامش الأصل)

آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِن بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[1] وفي هذا الحديث تظهر مزايا عدّة لهذا الشهيد المظلوم:

المزيّة الأُولى: لمّا توجّه نحو العدوّ وحمل على ميدان القتال، وقف سيّدالشهداء بهيئة المستغيث الملتجي ووضع يده تحت لحيته وقبض عليها ورمق السماء بطرفه، وهذا كناية عن نفاد جلده، وأنّه بلغ مرحلة السياق، وبلغ السكّين العظم، وهذا مقام المستعيذ المستعين، وهذا دليل على عظم قدر الأكبر عليه السلام وجلال مصيبة هذا المظلوم في نظر الإمام الهمام.

المزيّة الثانية: لشدّة تأثّره وحرارة فؤاده وضع القوم في معرض العذاب الإلّهي حيث استشهد الله عليهم وهذا دليل على عظم ذنبهم وجلالة قدرهذا الإمام العظيم الشأن.

المزيّة الثالثة: إنّه شبّه ولده بجدّه صلى الله عليه وآله لأنّ شمايل النبيّ صلى الله عليه وآله من الحسن والصباحة وغاية الاعتدال والتناسب، سمر الآفاق وحديث أهل الأرض، وشهرة الكرة الأرضيّة، فقد روي عن ابن عبّاس رضي الله عنهما أنّ النبيّ ما استقبل الشمس الأغلب نوره نورها، وإذا ما جلس إلى جانب السراج أخفى ضوئه، وحديث أُمّ معبد معروف عنه، وأشعار خديجة في مدحه مشهورة منها قولها:

جاء الحبيب الذي أهواه من سفر ... والشمس قد أثّرت في وجهه أثرا

عجبت للشمس من تقبيل وجنته ... والشمس لا ينبغي أن تدرك القمرا

ونسبوا إليها أيضاً هذا الشعر، وبعضهم نسبه إلى عائشة:

لواحي زليخا لو رأين جبينه ... لآثرن بالقطع القلوب على الأيدي

ولو سمعوا في مصر أوصاف وجهه ... لما بذلوا في سوم يوسف من نقد

---

(١) آل عمران: ٣٣ و ٣٤.

وينبغي أن يقال في حقّه:

بر سر يوسف اگر نام غلامیش نهند تا قیامت شرف دوده اسحاق آید

لئن دعي الصدّيق يوسف عندهم غلاماً ففي إسحاق يشرف محتده

المزيّة الرابعة: شبّه عليه السلام بخلق رسول الله وهذه المنقبة تكفيه لأنّ الله بيّن عظمة هذا الخلق مؤكّداً بالجملة الاسميّة وحروف التأكيد والقسم، فقال: ﴿إِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[1] وأظهر سيّدالشهداء أنّ ولده أشبه الخلق بجدّه صلى الله عليه وآله في خلقه وبالطبع ليست شهادة المعصوم مبنيّة على المبالغة والإغراق والغلوّ الشاعري، وفي هذا المشهد الحسّاس حيث يناجي ربّه ويتظلّم من فعل عدوّه، فلو لم يكن إماماً لكان الموقف يضطرّ للاقتصار على الأُمور الواقعيّة الحقيقيّة فلا يتجاوز الحقيقة إلى المجاز ولا يدّعي غير الواقع، ولا أقول ليس في كلام الإمام مجاز والإغراق افتراء وكذب، ولكن لمّا كانت البلاغة هي المطابقة لمقتضى الحال كان الحال يقتضيه ترك ذلك.

المزيّة الخامسة: جعل ولده أشبه الخلق في المنطق بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وفي هذا ندرك معنيين لأنّه إمّا أن يريد بالشبه اللهجة وكيفيّة التكلّم بناءاً على مقتضى الوراثة وقربه من ذلك الجناب الرفيع أو أنّه يريد فصاحة الألفاظ وجزالة كلماته حيث قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أفصح من نطق بالضاد بيد أنّي من قريش واسترضعت من بني سعد (في بني سعد ـ المترجم) ولا بدع بإرادة المعينين معاً ووضع كليهما فيه، وهذه الجهات الثلاث لا توجد في مخلوق على وجه الأرض كائناً من كان، ولولا شهادته والنصوص المتواترة في إمامة سيّد الساجدين لقال قوم بإمامته.

المزيّة السادسة: ما قاله عليه السلام: كلّما اشتقنا إلى النظر لوجه نبيّك نظرنا إليه، وهذا

---

(١) القلم: ٤.

مؤكّد للشبه الصوري في ذلك الجمال البديع على وجه يعيد للأذهان الجمال النبويّ والحسن المصطفويّ.

المزيّة السابعة: بعد هذا الثناء البليغ ومع كونه مظهراً من مظاهر رحمة الله دعا على القوم لأقدامهم على قتل هذا الكائن المقدّس وأراد من الله أن يهلكهم على وجوه، وكانت سمة الأنبياء من أُولي العزم الصبر، ولسيّدالشهداء في مقام الصبر قدم راسخة ومقام شامخ بحيث أعجب ملائكة السماء ولكنّه هنا دعا على القوم وهذا يدلّ على مبلغ ألمه وحرارة لوعته بفقدان ولده وشدّة علاقته وغاية محبّته له وتعلّق قلبه به، وفي هذه الفقرة دعا عليهم بفنون الدعوات، وكلّ واحدة منها تدلّ بالاستقلال على جلالة قدره:

فواحدة: طلبه من الله أن يمنع منهم بركات الأرض.

الثانية: أن يبدّد جمعهم ويشتّت شملهم.

الثالثة: أن يمزّقهم كلّ ممزّق.

الرابعة: أن يفرّق كلمتهم.

الخامسة: أن لا يرضي الولاة عنهم أبداً، وهذا الدعاء كلّه على قاتلي ذلك المظلوم وهم أنفسهم قاتلوا الإمام المعصوم، أُستجيب له كما يشاهد ذلك من راجع الأخبار وقرأ التاريخ.

المزيّة الثامنة: جعل قتله عنواناً لجميع المظالم والتعدّيات على أهل البيت وأصحابهم «فإنّهم دعونا.. الخ».

المزيّة التاسعة: خاطب ابن سعد بعد أن بلغ به الألم كلّ مبلغ ووصل احتراق القلب عنده وتشويش الخاطر إلى آخر حدّه وصاح به ودعا عليه: قطع الله رحمك، وسلب منك البركة، وسلّط عليك من يذبحك على فراشك؛ لأنّ الذبح على الفراش أذلّ أنواع القتل. وقد أجاد القائل في رثاء الحسين عليه السلام:

لقد مات لكن ميتة هاشميّة لهم عرفت تحت القنا المتقصّد
لعمري لئن لم يقض فوق فراشه فموت أخي الهيجاء غير موسّد
وإن لم يشاهد موته غير سيفه فذاك أخوه الصدق في كلّ مشهد

المزيّة العاشرة: وهذه أعظم المناقب حين تلا آية الاصطفاء وهي دليل عصمة الأنبياء في حقّ ولده، وهذا مشعر بعصمته بل دليل عليها (سلام الله عليه فهذه مناقبه الفاضلة وتلك عشرة كاملة استخرجناها من حديث واحد؛ فعلى الحقيقة:

هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها)[1]

وَعَلَىٰ أَوْلادِ الْحُسَيْنِ ...

الشرح: ذكر هذه الجملة من باب ذكر العام بعد الخاصّ وتدلّ على شرف عليّ بن الحسين عليه السلام حيث يسلّم عليه مرّتين. ولفظ «أولاد» كما صرّح اللغويّون والفقهاء في باب الوصيّة والوقف به، أعمّ من البنين والبنات، ولا يبعد أن يراد في هذه الزيارة خصوص الذكور من الأولاد كما أشرنا إلى اختصاص هذه الزيارة بالشهداء.

وجملة القول أنّ الخلاف واقع في عدد أولاد الإمام الحسين عليه السلام، وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتابه المبارك «الإرشاد» أنّ عدد أولاده عليه السلام ستّة؛ أربعة أولاد ذكور أحدهم الإمام الهمام سيّد الساجدين عليه السلام من شاه زنان بنت يزدجرد «شاهنشاه ايران» ومن هذه الجهة يدعى عليه السلام ابن الخيرتين نظراً للحديث المعروف: «خيرة الله من العرب قريش ومن العجم فارس» وفيه يقول أبو الأسود الدئلي:

وإنّ غلاماً بين كسرى وهاشم لأكرم من نيطت على التمائم[2]

---

(١) الكلام بين القوسين للمؤلّف بالعربيّة، والشعر للأزري رحمه الله. (المترجم)

(٢) الشعر لشاعر من بني تميم فيقول فيه يفخر بأمّه:

وعليه بنيت قولي في قصيدة مهدويّة:

يـهنّئ فـي مـيلاد أبـلج مـاجد حوى هاشماً مابين كسرى وقيصر

الثاني عليّ بن الحسين الشهيد.

الثالث جعفر، وأُمّه من قضاعة، درج.

الرابع عبدالله الرضيع، قتل في حجر أبيه بسهم من الأعداء، وابنتان إحداهما سكينة وأُمّها الرباب الكلبيّة ابنة امرئ القيس بن عدي وهي أُمّ الرضيع أيضاً، والأُخرى فاطمة بنت أُمّ إسحاق بنت طلحة بن عبيدالله التيميّ[١].

وفي كشف الغمّة عن الحافظ عبدالعزيز بن الأخضر الجنابذي: ولد الحسين ابن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ستّة؛ أربعة ذكور وابنتان: عليّ الأكبر قُتل مع أبيه[٢].

وفي عبارته المراد بعليّ الأصغر الإمام زين العابدين لأنّه ذكر غيره عبدالله وجعفر والقرينة الدالّة على ما ندّعيه قوله: ونسل الحسين من عليّ الأصغر[٣]، ومن هذه الجهة ذكرنا نحن فيما تقدّم القول بأنّه يرى الشهيد منهم عليّاً الأكبر ولا موضع لإيراد الفاضل صاحب كشف الغمّة حيث ظنّ أنّ الجنابذي أخلّ بذكر عليّ زين العابدين[٤] ومن تأمّل كلامه لا يرى للإشكال موضعاً كما يظهر ذلك بحسن المراجعة.

أنا ابن أبي ليلى وجدّي ظالم وأُمّي حصان أنجبتها الأعاجم
وإنّ غلاماً مابين كسرى وظالم لأكرم من نيطت عليه التمائم
(المترجم)

(١) الإرشاد: ٢٣٦. (هامش الأصل)

(٢) كشف الغمّة ٢: ٢٤٨. (المترجم)

(٣) نفسه. (المترجم)

(٤) عبارة صاحب كشف الغمّة: قلت: قد أخلّ الحافظ بذكر عليّ زين العابدين .. الخ (٢: ٢٤٩). (المترجم)

وفي البحار عن مناقب ابن شهرآشوب: له ولد اسمه محمّد وبنت مسمّاة بزينب[١]. وعلى هذا يكون عددهم ثمانية أفراد.

وقال كمال الدين بن طلحة في (مطالب السئول): أولاده ستّة وبناته أربع، وساق أسمائهم على النمط التالي: علي الأكبر وهو الشهيد، وعلي الأوسط وهو زين العابدين، وعلي الأصغر ومحمّد وعبدالله وجعفر وزينب وسكينة وفاطمة، ولم يذكر العاشر، وتكون ابنته الرابعة.

وذكر عليّ بن عيسى في كشف الغمّة عن ابن الخشّاب أنّهم تسعة، وعن أبي الفرج ومحمّد بن أبي طالب وغيرهم وهو مذكور في البحار أنّه بعد استشهاد الإمام الحسين عليه السلام: فخرج غلام من تلك الأبنية وفي أُذنيه درّتان وهو مذعور فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هاني بن بعيث [ثبيت ـ المصدر] (لعنه الله) فقتله فصارت شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلّم كالمدهوشة..[٢].

ويمكن أن يكون هذا جعفر بن الإمام من شهربانويه، ويؤيّد وجودها في الحرب قول ابن شهرآشوب: أمّا شهربانويه فأتلفت نفسها في الفرات..[٣].

ولا يظهر من هذا الكلام أنّها أُمّ سيّد الساجدين ليقال بأنّها ماتت في نفاسها، ولا يبعد أن تكون أُختها فقد ورد في بعض الأخبار أنّهنّ أخوات ثلاث: تزوّج إحداهنّ الإمام الحسن، والثانية الإمام الحسين، والثالثة محمّد بن أبي بكر، ولا يبعد أن يتزوّج إحدى الاثنين بعد موت أُختها وموت زوجها، وأن تحضر معه كربلاء، وأحسب أنّي رأيت ذلك في بعض الكتب المعتبرة.

---

(١) المناقب ٤: ٧٧، بحار الأنوار ٤٥: ٣٣٠. (هامش الأصل)

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ٤٥. (هامش الأصل)

(٣) بحار الأنوار ٤٥: ٦٢. (هامش الأصل)

وفي المنتخب ذكر حديث رقيّة بنت الحسين عليها السلام في الشام ولعلّها الاسم الذي نسيه جماعة المؤرّخين ويؤيّده قبرها والقبّة المبنيّة عليه في الشام وزيارة الناس من عامّة وخاصّة له، وينقل أهل الشام بالتوارث صاغراً عن كابر أنّ المدفونة ابنة الحسين عليه السلام والمعروفة بالسيّدة رقيّة، ويتوسّلون ويتبرّكون بمرقدها المطهّر، ولقد تشرّفت بزيارتها مراراً في طريقي إلى الحجّ عندما اجتزت بدمشق الشام، وشاهدت آثار الجلال والخدر وأنوار العصمة والطهارة تتلألأ في ذلك المرقد والمضجع المقدّس.

ويظهر من كلام ابن عبد ربّه في العقد والعبارة منقولة من ابن قتيبة أنّ محمّداً ابن الحسين أُسر في كربلاء وأُحضر إلى الشام، وذكر ابن الأثير له ولداً آخر وسمّاه عمراً بن الحسين وله قصّة مشهورة في كلامه مع خالد بن يزيد لعنهما الله، وعلى هذا يكون أبنائه الكرام سبعة.

والعبارة المحكية عن (تاريخ گزيده) لحمد الله المستوفي مطابقة في العدد وإن خالفت في أسمائهم، لأنّها سمّت اثنين منهم عبيدالله والحسن.

وقال ياقوت في معجم البلدان: جوشن جبل في غربيّ حلب ومنه كان يحمل النحاس الأحمر وهو معدنه، ويقال: إنّه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين بن عليّ عليهما السلام ونساؤه وكانت زوجة الحسين حاملاً فأسقطت هناك فطلبت من الصنّاع في ذلك الجبل خبزاً وماءاً فشتموها ومنعوها، فدعت عليهم فمن الآن من عمل فيه لا يربح، وفي قبلي الجبل مشهد يعرف بمشهد السقط ويسمّى مشهد الدكّة، والسقط يمسّى محسن بن الحسين عليه السلام[1]، تمّ كلامه.

واقتدى بعمّه المكرّم المحسن بن عليّ واقتفى أثره لأنّه أُسقط أيضاً بظلم

---

(١) معجم البلدان ٢: ١٨٦ ط بيروت ـ دار الفكر.

الأعداء كما يظهر ذلك من مطاوي كتب أهل السنّة.

فانظر إلى حظّ هذا السم كيف لقي ... من الأواخر ما لاقى من الأوّلِ

ومجمل القول أنّ مجموع أولاد الحسين عليه السلام بناءاً على جميع الروايات اثنا عشر فرداً؛ استشهد منهم اثنان على التحقيق واليقين: عليّ الأكبر والرضيع، وبناءاً على احتمال آخر أنّهما رضيعان: عليّ وعبدالله، وأُسقط واحد في طريق الشام، ولكن دخوله في هذا السلام محلّ إشكال، وأقوى رواية الشيخ المفيد تلك لأنّه أوثق وأبصر من غيره بهذه الأُمور وهو حامل لواء علوم الأئمّة إلى الأُمّة وناشر لواء آثار أهل البيت في الشيعة رضي الله عنه وأرضاه وحباه من رحمته ما تقرّ به عيناه.

تنبيه:

في بعض النسخ المصحّحة أنّ بعض مواضعها المقابلة على خطّ ابن إدريس والشيخ وهي موجودة في حوزتي ضرب خطّ على أولاد الحسين تطمس الجملة وكذلك هي محذوفة في نسخة مصباح السيّدالمذكور وهذا الوجه أقرب إلى الواقع باعتبار[1] لأنّك علمت أنّ ذكرهم بصيغة الجمع في هذه الجملة باحتمال دخول عليّ بن الحسين معهم يحتاج إلى تكلّف وتمحّل[2]، والله العالم.

---

(١) في ص٣٥٥: سلام على أولاد الحسين مختصّة بمن استشهد في كربلاء منهم. (هامش الأصل)

(٢) لا داعي للتكلّف لأنّ الشهداء من أولاد الحسين عليه السلام لا يقلّون عن اثنين بالقطع واليقين وهذا المقدار يصدق على أقلّ الجمع. (هامش الأصل)

وَعَلَىٰ أَصْحابِ الْحُسَيْنِ.

الشرح: مرّ في شرح قوله: «وعلى الأرواح التي حلّت بفنائك» ذكر عدد الأصحاب وعدد الهاشميّين منهم بالقدر الذي تتّسع له مداركي وداخل في نطاق قدرتي وصبري على التتبّع، وأرى من الصواب هنا ذكر حديث أو حديثين في فضلهم عليهم السلام، وإن لم تكن حاجة لذكر التضحية وفداء الذين كان عليهما أصحاب الحسين عليه السلام مع الحسين، ولا لثبات القدم ورسوخ العقيدة وكمال الجدّ والاهتمام بنيل السعادة في الشهادة عندهم، ولا للمنافسة والمسابقة بينهم على تناول كؤوس الردى وتداول جامات البلا، والظاهر لا يحتاج إلى كشف، والعيان غنيّ عن البيان.

وليس يصحّ في الأفهام شيء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

لاسيّما إذا وضعنا مدّ بصرنا أنّه ما من فريق من الناس قاتل مع إمام أو نبيّ أو محقّ أو مبطل فاستمات ووهب نفسه للهلاك، وبايع على الموت، وكسر جفون السيوف وهاجم جيش الخصم بقلب واحد إلّا وهو يأمل الفتح والظفر، وهؤلاء مع علمهم بالهلاك وقطعهم بالموت ويقينهم بالقتل من غير أمل بالنصر ولا رجاء للنصر أقدموا على الموت وجعلوا نفوسهم القدسيّة في ميدان الفداء والتضحية وقاءاً لوجود ابن سيّد الوصيّين وسبط خاتم النبيّين، وصار كلّ واحد منهم في صدق الجهاد وثبات الموقف مصداقاً لقول حسّان بن ثابت الذي قال:

يلقى الرماح الشاجرات بنحره ... ويقيم هامته مقام المغفر

ما إن يريد إذا الرماح شجرنه ... درعاً سوى سربال طيب العنصر

وما أحسن ما قاله سروش في مدح عابس بن شبيب الشاكري رحمه الله:

جوشن زبر گرفت كه ما هم خانه ماميم ... مغفر زسر فكند كه بازم نسيم خروس

وما أخلقهم وأحقّهم واحداً بعد واحد بقول الطائي الكبير رحمه الله تعالى:

ألا فـــي ســـبيل الله مـــن عـــطّلت له ... فـــجاج ســـبيل الله وانـــثغر الثـــغر
فـــتًى كـــلّما فـــاضت عـــيون قـــبيلة ... دماً ضـحكت عـنه الأحـاديث والذكـر
فـــتًى دهـــره شـــطران فـــيما يـــنوبه ... ففي بأســه شـطر وفـي جـوده شـطر
فتًى مات بين الطـعن والضـرب مـيتة ... تـــقوم مـــقام النـصر إن فـاته النـصر
ومـا مـات حـتّى مـات مـضرب سـيفه ... من الضرب واعتلّت عليه القـنا السـمر
وقـد كـان فـوت المـوت سـهلاً فـردّه ... إليـــه الحـــفاظ المـــرّ والخـلق الوعـر
ونـــفس تـــعاف العـــار حـــتّى كأنّـما ... هـو الكـفر يـوم الروع أو دونـه الكـفر
فأثـبت فـي مسـتنقع المـوت رجـله ... وقـــال لهـا مـن دون أخـمصك الحشـر
غـدا غـدوة والحـمد نسـج ردائـه ... فـــلم يـــنصرف إلّا وأكـفانه الأجـر
تـردّى ثـياب المـوت حـمراً فـما دجـى ... له اللـيل إلّا وهـي مـن سـندس خـضر

أ ـ ابن قولويه في كامل الزيارة وفرات بن إبراهيم في تفسيره وساق السند إلى صادق أهل البيت عليه السلام: كان الحسين عليه السلام مع أُمّه تحمله، فأخذه النبيّ صلى الله عليه وآله وقال: لعن الله قاتلك ولعن الله سالبك وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة الزهراء عليها السلام: يا أبة، أيّ شيء تقول؟

قال: يا بنتاه، ذكرت [ذكرته] ما يـصيب بـعدي وبـعدك مـن الأذى والظـلم [والغدر] والبغي وهو يومئذٍ في عصبة كأنّهم نجوم السماء يتهادون إلى القـتل، وكأنّي أنظر إلى معسكرهم وإلى موضع رحالهم وتربتهم[1] والحديث طويل.

ب ـ الصدوق في العلل وساق السند إلى عمارة عن أبيه عن أبي عبدالله قال:

---

(١) تفسير فرات: ١٧١ واللفظ له. (المترجم) نفسه: ٥٥ ـ ٥٦، كامل الزيارات: ٦٩، بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٧. (هامش الأصل)

قلت له: أخبرني عن أصحاب الحسين عليه السلام وإقدامهم على الموت، فقال: إنّهم كُشف لهم الغطاء حتّى رأوا منازلهم من الجنّة فكان الرجل منهم يقدم على القتل ليبادر إلى حوراء يعانقها وإلى مكانه من الجنّة[1].

ج ـ الشيخ الأجل قطب الدين الراوندي في كتاب (الخرايج) عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّه قال: كنت مع أبي الليلة التي قُتل صبيحتها، فقال لأصحابه: هذا الليل فاتخذوه جملاً فإنّ القوم إنّما يريدونني ولو قتلوني لم يلتفتوا إليكم، وأنتم في حلّ وسعة، فقالوا: لا والله لا يكون هذا أبداً. قال: إنّكم تُقتلون غداً كذلك لا يفلت رجل، قالوا: الحمد لله الذي شرّفنا بالقتل معك، فقال عليه السلام [لهم ـ المصدر] (ثمّ دعا)[2] وقال لهم: ارفعوا رؤوسكم وانظروا، فجعلوا ينظرون إلى مواضعهم ومنازلهم من الجنّة وهو يقول لهم: هذا منزلك يا فلان، وهذا قصرك يا فلان، وهذه درجتك يا فلان، فكان الرجل يستقبل الرماح والسيوف بصدره ووجهه ليصل إلى منزله من الجنّة[3].

د ـ القطب الراوندي أيضاً في الخرايج وساق السند إلى باقر علوم النبيّين، قال: قال الحسين بن عليّ عليهما السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: يا بنيّ، إنّك ستساق إلى العراق وهي أرض قد التقى بها النبيّون وأوصياء النبيّين، وهي أرض تدعى عموراء، وإنّك تستشهد بها ويستشد معك جماعة من أصحابك لا يجدون ألم مسّ الحديد، وتلا: ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾[4] تكون الحرب عليك وعليهم برداً وسلاماً، فابشروا فوالله لئن قتلونا فإنّا نرد على نبيّنا، ثمّ

---

(١) علل الشرايع ١: ٢٢٩. (المترجم) نفسه: ٢١٨ باب ١٦٣، بحار الأنوار ٤٤: ٢٩٧. (هامش الأصل)

(٢) لم ترد عند المؤلّف. (المترجم)

(٣) الخرايج ٢: ٨٤٨. (المترجم) وبحار الأنوار ٤٤: ٢٩٨. (هامش الأصل)

(٤) الأنبياء: ٦٩.

أمكث ما شاء الله فأكون أوّل من تنشقّ عنه الأرض فأخرج خرجة يوافق ذلك خرجة أميرالمؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله، ولينزلنّ عليّ وفد من السماء من عند الله لم ينزلوا إلى الأرض قطّ، ولينزلنّ إليّ جبرئيل وإسرافيل وجنود من الملائكة، إلى آخر الحديث[1].

هـ ـ ونقل الشيخ المفيد في الإرشاد: فجمع الحسين عليه السلام اصحابه عند قرب المساء. قال عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام: فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء، وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة، وعلّمتنا القرآن، وفقّهتنا في الدين، وجعلت لنا أسماعاً وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا من الشاكرين.

أمّا بعد، فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ أنّه آخر يوم لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلّ ليس عليكم منّي ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جملاً[2].

ويوافق رواية السيّد في اللهوف: لا أعلم أصحاباً أصلح من أصحابي ولا أهل بيت أبرّ ولا أفضل من أهل بيتي..[3].

وهذا الخبر من أعظم المدائح المتصوّرة لأصحاب سيّدالشهداء عليه السلام لأنّه قال: لا أعلم أصحاباً أصلح من أصحابي ولا أوفى ولا أهل بيت أبرّ ولا أفضل من أهل

---

(١) الخرائج ٢: ٨٤٨ ووردت جملٌ من الحديث لم ترد عند المؤلّف. (المترجم) بحار الأنوار ٤٥: ٨٠ رقم ٦.

(٢) الإرشاد ٢: ٩١. (المترجم) ونفسه: ٢١٤، وبحار الأنوار ٤٤: ٣٩٢. (هامش الأصل)

(٣) اللهوف: ٩٠. (المترجم)

بيتي، وهذا الخبر موجب لتفضيلهم على صحابة رسول الله ﷺ وأميرالمؤمنين عليه السلام ويمكن أن تكون النكتة في هذا هو نفس الدقيقة التي جرت الإشارة إليها في صدر المقالة.

وجملة القول أنّ نهاية الحديث يتضمّن الحوار الدالّ على حبّهم وأقوالهم المخلصة الصادقة، فقد نطق كلّ واحد بما في قلبه، وأعرب عمّا في ضميره، بحيث يترك العقل ذاهلاً حيران، ومجمله كما يلي. شعر.

شاها من ار بعرش رسانم سرير فضل — مملوک آن جنابم و محتاج آن درم

ور باورت نمی‌رسد از بنده این حدیث — از گفته کمال دلیلی بیاورم

گر برکنم دل از تو و بردارم از تو مهر — این مهر برکه افکنم آن دل کجا برم

سيّدي لو بلغت عرش الثريّا — لم أزل عبد سيّدي المحتاجا

ولو أنّ المولى يشكّ بصدقي — إنّ عندي لما أقول حجاجا

هاك قلبي ينبيك عمّا ألاقي — من عذابي ودمعي الثجّاجا

أين ينحو حبّي إذا حاد عن بابك — والقلب عاف ذاك الرتاجا

والتفصيل مذكور في كتب المقاتل، ولله درّ القائل فيهم:

قوم إذا نودوا لدفع ملمّة — والخيل بين مدعّس ومكردس

لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا — يتهافتون على ذهاب الأنفس

المطلب الثالث: في شرح دعاء بعد اللعن والسلام

اللّٰهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلاً[1] ثُمَّ الثَّانِيَ ثُمَّ الثَّالِثَ ثُمَّ الرَّابِعَ ...

الشرح: لفظ «أوّلاً» منصوب على الظرفيّة. وكما مرّ سابقاً إن كان اسماً فهو يستعمل على ضربين[2] ولمّا كان معنى أوّل من المفاهيم المتضايفة لا يستعمل بدون إضافة وحكمه حكم الظروف التي تلازم الإضافة ولهذا الظرف وجوه:

الأوّل: ذكر المضاف إليه.

الثاني: حذف المضاف إليه مع تقدير لفظه، وفي هذه الحالة يكون معرباً من غير تنوين، مثل: ابدأ به من أوّل. كما قال الشاعر:

* ومن قبل نادى كلّ مولى قرابة *

بكسر اللام، بناءاً على رواية الثقات كما قالوا.

والثالث: حذف لفظه وإبقاء معناه، وفي هذه الحالة يكون مبنيّاً على الضمّ مثل: ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾[3].

والرابع: حذف لفظ المضاف ومعناه أي قطعه عن الإضافة بتاتاً، والغرض «قبلٌ ما» و«بعدٌ ما» لتنكيره، وفي هذه الحالة ينصب وينوّن، مثل:

* وساغ لي الشراب وكنت قبلاً *

ومثل: ابدأ به أوّلاً. والحريري اعتبر: ابدء به أوّلاً خطأ لحرصه على تكثير

---

(١) في مصباح المتهجّد النسخة الخطّيّة و(البلد الأمين) ومصباح الكفعمي أوّل بضمّ اللام.

(٢) في شرح جملة: «أوّل ظالم ظلم حقّ محمّد وآل محمّد». (هامش الأصل)

(٣) الروم: ٤.

أوهام الخواصّ في درّة الغوّاص[١] وتذرّع بالبيت التالي:

لعمرك ما أدري وإنّي لأوجل على أيّنا تعدوا المنيّة أوّل

وغفل على أنّ الضمّ على المعنى الذي سبق ذكره ولا اعتبار بتخطئة النصب بغير هذا المعنى، ولا زال الحريري جارياً على هذه العادة أن يقيس خطأ في استعمال آخر، وهذا من ضعف التحصيل وقلّة التبصّر، والدعاء نفسه دليل ساطع وبرهان قاطع على بطلان دعواه، ولا تعجب منه ولكن اعجب من السيّد الأجلّ المحقّق الداماد ﷺ حيث تبعه في حاشيته على الصحيفة السجّاديّة المكرّمة «ولا يسوغ أوّلاً بالتنوين، ولا بدّ من أنّ هذا السيّد العلّامة غفل عن الفقرة الواردة في الزيارة، وإلّا فمع اعتبار سند هذه الزيارة بل قطعيّتها بين الشيعة وأنّها قول الأئمّة جميعاً بل هي الحديث القدسي وتطابق جميع النسخ على هذا اللفظ، كيف يسوغ القول بعدم صحّة الاستعمال ذهاباً مع الحريري.

وجملة القول المراد بالأربعة معروف، وهاهنا حكاية طريقة نقلها السيّد المحقّق الشهيد الثالث القاضي نور الله الشوشتري قدّس الله سرّه السري في كتاب مجالس المؤمنين[٢] في ذيل ترجمة شيخ الطائفة ورئيس المذهب وإمامها بعد الأئمّة أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ـ قدّس الله سرّه القدّوسي ـ أنّ بعض العدوّ وشى به إلى الخليفة العبّاسي المعاصر للشيخ بأنّه وأصحابه من الشيعة الإماميّة يسبّون الصحابة وكتاب المصباح الذي فيه أعمال السنة للمتهجّدين شاهد بذلك، لأنّ في دعاء يوم عاشوراء جاء فيه: «اللهمّ خصّ...» إلى آخره، فاستدعاه الخليفة وأمره بحمل كتاب المصباح معه.

---

(١) درّة الغوّاص: ٩٢ ط سنة ١٢٧٢. (هامش الأصل) ونفسه: ١٠٥ ط المكتبة العصريّة ١٤٢٤.

(٢) ذكرها البحراني في اللؤلؤة: ٢٤٦، وقال: مثلها في حياة القلوب ومجالس المؤمنين. (هامش الأصل)

فلمّا حضر وواجهه بالتهمة أنكر ذلك فأمر الخليفة بقرائة الدعاء المذكور من الكتاب، وقال له: بأيّ عذر تعتذر عن هذا؟

فقال الشيخ على البديهة: يا أميرالمؤمنين، ليس المراد من هذه العبارة المعنى الذي قذفنا به العدوّ، بل المراد بالأوّل قابيل، قاتل هابيل الذي وضع أسالس القتل في الأرض وفتح على نفسه أبواب اللعن، والمراد بالثاني عاقر ناقة صالح واسم عاقرها قيدار بن سالف، والمراد بالثالث قاتل يحيى بن زكريّا الذي قتله من أجل بغيّة من بغايا بني إسرائيل، والمراد بالرابع عبدالرحمن بن ملجم ـ لعنه الله ـ الذي أقدم على قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

فلمّا سمع الخليفة منه ذلك صدّقه، وأنعم عليه وعاقب الساعين والغمازين، تمّت عبارة المجالس.

وجملة القول إنّي وإن ذكرت في مطاوي هذا الكتاب وتضاعيف هذا الباب أخباراً وآثاراً دالّة على جواز لعن هذا الفريق وسبّه وإثبات ظلمه وكفره موافقة للعقل والاعتبار حتّى لا يشكّ بها أحد انقشعت عن قلبه غشاوة الشقاوة وزالت عن عينيه ستائر الجهالة ولكنّنا نذكر في هذا المورد حديثاً أو حديثين من طرق أهل السنّة المعتبرة في إثبات ظلم المشايخ الثلاثة بل كفرهم وجواز لعنهم، ثمّ نسوق خبرين من طريقهم أيضاً عن كفر معاوية، والآن بتوفيق الله عزّ اسمه نقول:

١ ـ روى مسلم في كتاب الجهاد باب الفيء بطريقين والبخاري في موضعين من صحيحه في باب فرض الخمس والآخر في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة عن مالك بن أوس رواية تتضمّن أنّ تيماًوعديّاً كانوا باعتقاد أميرالمؤمنين كاذبين وآثمين وغادرين، وألفاظ هذه الأحاديث الأربعة متقاربة وإن كان البخاري دلّس في النقل وأورد عقيب هذه الجملة: «تزعمان أنّه كذا» قول عدي ليقابل بينهما فقال: «والله يعلم أنّه صادق بارّ راشد تابع للحقّ» ويعلم من خلال ذلك كلام عليّ

والعبّاس في حقّ الرجلين، ونحن نكتفي في هذا الباب برواية مسلم وننقل نفس عبارته وهي كافية في الاستبصار.

قال مسلم في صحيحه ـ ما مثاله ـ: حدّثني عبدالله بن أسماء الضبعي «نا» جويريّة، عن مالك، عن الزهري أنّ مالك بن أوس حدّثه قال: أرسل إليّ عمر بن الخطّاب فجئة حين تعالى النهار، قال: فوجدته في بيته جالساً على سرير مفضياً إلى رماله، متّكئاً على وسادة من أدم، فقال لي: يا مال، إنّه قد دفّ أهل أبيات من قومك وقد أمرت فيهم برضخ، فخذه فاقسمه بينهم.

قال: قلت: لو أمرت بهذا غيري.

قال: خذه يا مال.

قال: فجاء يرفأ، فقال: هل لك يا أميرالمؤمنين في عثمان وعبدالرحمن ابن عوف والزبير وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم فدخلوا ثمّ جاء فقال: هل لك في عبّاس وعليّ؟ قال: نعم، فأذن لهما، فقال عبّاس: يا أميرالمؤمنين، اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن[1].

فقال القوم: أجل يا أميرالمؤمنين فاقض بينهم وأرحهم.

فقال مالك بن أوس: يخيّل إليّ أنّهم قد كانوا هم قدموا لذلك، فقال عمر: اتّئدا (أي اصبرا وأمهلا) أُنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أنّ رسول الله ﷺ قال: لا نورّث ما تركناه صدقة؟ قالا: نعم، فقال عمر: إنّ الله جلّ وعزّ كان خصّ رسول الله بخاصّة لم يخصّص بها أحداً غيره، قال: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ

---

(١) حاشا لسيّدنا أبي الفضل أن يقول هذا بحقّ أميرالمؤمنين وهو يعرف منزلته من الله ولكن القوم لا يملكون الجرأة على سبّ أميرالمؤمنين جهاراً فسبّوه على لسان العبّاس كذباً، فلعنهم الله وسوّد وجوههم. (المترجم)

رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾[١] وما أدري هل قرأ الآية التي قبلها أم لا. قال: فقسّم رسول الله ﷺ بينكم أموال بني النضير فوالله ما استأثر عليكم ولا أخذها دونكم حتّى بقي هذا المال، فكان رسول الله ﷺ يأخذ منه نفقة سنة ثمّ يجعل ما بقي أُسوة المال.

ثمّ قال: أُنشدكم بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض أتعلمون ذلك؟ قالوا: نعم، ثمّ نشد عبّاساً وعليّاً بمثل ما نشد به القوم، أتعلمان ذلك؟ قالا: نعم، قال: فلمّا توفّي رسول الله قال أبوبكر: أنا وليّ رسول الله، فجئتما تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، فقال أبوبكر: ما تركناه صدقة [ما نورّث] فرأيتماه كاذباً آثماً غادراً خائناً[٢] والله يعلم إنّه لصادق بارّ راشد تابع للحقّ، ثمّ توفّي أبوبكر وأنا وليّ رسول الله[٣] وولي أبي بكر فرأيتماني كاذباً آثماً غادراً خائناً، والله يعلم إنّي لصادق بارّ راشد تابع للحقّ فولّيتهما، ثمّ جئتني أنت وهذا وأنتما جميع وأمركما واحد فقلتما أدفعها إلينا، فقلت: إن شئت دفعتها إليكما على أنّ عليكما عهد الله أن تعملا فيها بالذي كان يعمل رسول الله، فأخذتماها بذلك، قال: أكذلك؟ قالا: نعم، قال: ثمّ جئتماني لأقضي بينكما ولا والله لا أقضي بينكما بغير ذلك حتّى تقوم الساعة فإن عجزتما فردّاها عليّ...[٤]. انتهى بألفاظه في أوّل طريقي مسلم.

من هذا الحديث الذي يعتبر عند أهل السنّة له حكم نصوص الكتاب، يرد على خليفتهم المحترم طعون عدّة بعضها يوجب الكذب الذي يوجب الصفات

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) وأقول أنا حسبة: لعن الله هذا الكاذب الآثم الغار الخائن. (المترجم)

(٣) من الذي ولّاك يابن الزانيتين حنتمة وصهّاك. (المترجم)

(٤) صحيح مسلم ٣: ١٧٥٨ باب ١٥ كتاب الجهاد. (هامش الأصل) ونفسه رقم ٤٥٣١. (المترجم)

الأربعة المذكورة. وبعضها يوجب الكفر وبه يجوز لعنه.

أمّا كذب دعواهم ففي زعمه وصاحبه أنّهما وليّا رسول الله مع أنّهما باتفاق الأُمّة أمّر النبيّ عليهما أُسامة وأمرهما بالخروج معه، كما ستسمعه.

وأمّا عذرهما وإثمهما وخيانتهما وكذبهما، وقد اعترف بشهادة العبّاس وأميرالمؤمنين وهما من أفاضل العترة ورؤساء الأُمّة عليهما بذلك، وما من مسلم لا يحكم بشهادة هذين الفاضلين؟

وهذه المثالب التي نسبها عدي إليهما كانت بمشهد ومسمع من أوس وعبدالرحمن وسعد ونعثل والزبير، فلا هما أنفا من هذا الوصف ولا عليّ والعبّاس تنصّلا منه أو اعتذرا، ومع هذا نقول: إنّ قول عدي هذا في حقّه وحقّ صاحبه لا يخلو من أحد أمرين: إمّا أن يكون صادقاً، وإمّا أن يكون كاذباً؛ فإن كان الأوّل تكون حقيقته بحكم هذه الشهادة معلومة، وإن كان كاذباً فتعرف حاله أيضاً وتصدق عليه الآية الكريمة: ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الكَاذِبِينَ﴾[1].

وأمّا كفره فيعلم من لحن حديثه بحقّ رسول الله والزهراء عليهما السلام فقد نطق اسميهما الشريفين بطريق الاستخفاف والإهانة، فقد قال للعبّاس: تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، وهذا قلّة أدب منه ليس بمستطاع المسلم تحمّله. النبيّ الذي يخاطبه الله بالتعظيم في كتابه، وأينما ذكر اسمه يذكره بالإجلال وبالألقاب المكرّمة مثل: «يا أيّها الرسول» و«يا أيّها النبيّ» و«يا أيّها المزّمّل» و«يا أيّها المدّثّر» وما أشبهها إلّا في مواضع من الكتاب اقتضت الضرورة التصريح باسمه المبارك من أجل التنصيص على نبوّته أو غير ذلك من الأغراض. يأتي عدي باسمه بهذا الاستخفاف، ويأتي باسم فاطمة بضعة النبيّ

---

(١) آل عمران: ٦١.

وسيّدة المحشر بهذا الصغار، وبالطبع إنّ هذا موجب للكفر، لأنّ الضرورة قاضية عند أهل هذه الملّة أنّ إهانة الأنبياء والاستخفاف بقدرهم خروج من الملّة.

وفي معجم البلدان لياقوت الحموي في لفظ صنعاء كما ذكر السيّد المحقّق الشهيد الثالث في إحقاق الحقّ حشره الله مع أجداده، قال: قال زيد بن المبارك: كنّا عند عبدالرزّاق (بن همام) ـ وهو شيخ البخاري ومسلم وروى كلاهما عنه روايات كثيرة ومن الأمثال المعروفة عند أهل السنّة والجماعة «من روى له الشيخان فقد جاز القنطرة ـ فحدّثنا بحديث معمر عن الزهري عن مالك بن أوس بن الحدثان الطويل، فلمّا قرأ قول عمر لعليّ والعبّاس: فجئت أنت تطلب ميراثك من ابن أخيك ويطلب هذا ميراث امرأته من أبيها، قال: ألا يقول الأنوك: رسول الله صلى الله عليه وآله[١].

وحكم عبدالرزّاق بحمقه أو إنّه اعتقد بكفره، ونحن أشرنا إلى حال عبدالرزّاق في الحاشية على الكتاب الذي وضع على رجال النجاشي[٢].

الحديث الثاني في نهج الحقّ عن مسند أحمد بن حنبل: من آذى عليّاً بعث يهوديّاً أو نصرانيّاً[٣].

وبالطبع إيذاء القوم لأميرالمؤمنين عليه السلام واضح وثابت ومشهور «كوقوع الصفيحة من فوق السطح»[٤].

---

(١) معجم البلدان ٣: ٤٢٩. (المترجم)

(٢) ما رحل الناس إلى أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله مثلما رحلوا إلى عبدالرزّاق الصنعاني ... الذهبي: شيخ الإسلام ومحدّث الوقت ومن احتجّ به كلّ أرباب الصحاح. قيل لبحيى بن معين: إنّ عبدالرزّاق شيعيّ ويكره معاوية، قال: لو ارتدّ عبدالرزّاق ما تركنا حديثه (تاريخ اليمن الفكري ١: ٤٨ و٤٩). (المترجم)

(٣) نهج الحقّ، نقل هذا الحديث بأسناد مختلفة وذكرها في إحقاق الحقّ بالتفصيل ٦: ٩٠. (هامش الأصل)

(٤) هذا مثل فارسيّ وليس له نظير في أمثالنا العربيّة. (المترجم)

وكلّما أرادوا ستره بدى «كالطبل من تحت القطيفة» فهو معروف للعارف والعامي ومعلوم للجماد والنامي.

الحديث الآخر لابن أبي الحديد عن عبدالرزّاق الجوهري وهو من أجلّة الثقات والمعتمدين روى وساق السند إلى ابن عبّاس قال: إنّي لأُماشي عمر (لعنه الله) في سكّة من سكك المدينة، يده في يدي، فقال: يابن عبّاس، ما أظنّ صاحبك إلّا مظلوماً، فقلت في نفسي: والله لا يسبقني بها، فقلت: يا أميرالمؤمنين، فاردد إليه ظلامته، فانتزع يده من يدي ثمّ مرّ يهمهم ساعة ثمّ وقف، فلحقته، فقال لي: يابن عبّاس، ما أظنّ القوم منعهم من صاحبك إلّا أنّهم استصغروه، فقلت في نفسي: هذه شرّ من الأُولى، فقلت: والله ما استصغره الله حين أمره أن يأخذ سورة برائة من أبي بكر..[1].

نشكر الله أن عدي اعترف أنّه وأصحابه ظلموا عليّاً وأخذوا منه حقّه زوراً وباطلاً.

وذكر ابن أبي الحديد هذا الحديث أيضاً في أحوال «عدي» من كتاب الموفّقيّات عن الزبير بن بكّار الزبيريّ وهو من أكابر ثقات المؤرّخين من هذه الطائفة.

والحديث الآخر نقله عبدالكريم الشهرستاني في كتاب الملل والنحل عن النبيّ: «جهّزوا جيش أُسامة، لعن الله من تخلّف عنه»[2].

وصدر الحديث وإن كان متواتراً ولكن ذيل الحديث لم أعثر عليه من طرق العامّة إلّا في كتاب الملل والنحل[3] وكان عدي وتيم ومعهما نعثل كما في روضة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٥. (المترجم)

(٢) الملل والنحل ١: ٢٣.

(٣) ويوجد في المقدّمة التي كتبها محيي الدين عبدالحميد على كتاب مقالات الإسلاميّين للأشعري. (المترجم)

الأحباب لجمال المحدّثين في ذلك الجيش وتخلّفا؛ أمّا بمخالفة النصّ وهو الكفر، أو بالاجتهاد وهو الفسق، وعلى أيّة حال فقد شملتهم لعنة رسول الله ﷺ.

الحديث الآخر نقله آية الله العلّامة ـ نشر الله في الخلد أعلامه ـ عن الحميدي المحدّث، عظيم الشأن، نقلاً عن تفسير السدّي وهو من أكابر المفسّرين والمحدّثين عندهم، قال: لمّا توفّي أبو سلمة وعبدالله بن خدافة وتزوّج رسول الله ﷺ أمّ سلمة وحفصة، وصارتا من أُمّهات المؤمنين، قال طلحة ونعثل لعنهما الله: أيتزوّج محمّد نسائنا إذا هلكنا، والله لو مات لتزوّجنا نسائه ولو بضرب السيوف، وكان طلحة يطمع في حميراء ونعثل في أمّ سلمة[1]، فنزلت الآية: ﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلاَ أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَداً إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيماً﴾[2] ونزلت هذه الآية أيضاً: ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئاً أَوْ تُخْفُوهُ﴾[3] الآية، ونزلت هذه الآية أيضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[4].[5]

وهذه الآية علاوة على ما صرّحت به من لعن الله تعالى نعثل وطلحة، هي دليل على كفرهم أيضاً لأنّهما زعما تساويهما مع النبيّ ﷺ ولم يرعيا حرمة النبوّة واستخفّا بقدر النبيّ ﷺ ولم يطيعا أمر الله، وعارضا شرع النبيّ ﷺ كما هو الظاهر، وهذه الأُمور تدلّ على الكفر بالضرورة، وأحاديث من هذا القبيل في كتب أهل السنّة أكثر من أن تحصى، وكتابنا هذا مبنيّ على الإشارات والتلميحات لا

---

(١) من الناس من يحلو له أن يتحدّث عن علاقة لطلحة بعائشة قبل زواجها من رسول الله لأنّها من بني عمّه وهذا افتراء على حرمة النبيّ فأرجو أن ينزّه المرء المسلم خلده من هذا الباطل. (المترجم)

(٢) الأحزاب: ٥٣.

(٣) الأحزاب: ٥٤.

(٤) الأحزاب: ٥٧.

(٥) نهج الحقّ: ٣٠٤ و٣٠٥. (هامش الأصل)

على الإحاطة والاستقصاء، وبهذا القدر يكتفي العلماء طلّاب الحقيقة وعارفوه وتغنيهم وتشفيهم إن شاء الله، وعلى أثر ذكر هؤلاء الثلاثة لم أجد بدّاً من إثبات شعر أبي القاسم المغربيّ وإن مرّت فيما تقدّم شذرة منه، فللّه درّه حيث قال:

لكنّما حسد النفوس وشحّها ... وتذكّر الأذحال والأوتار
أفضى إلى هرج ومرج فانبرت ... عشواء خابطة بغير نهار
وتداولتها أربع لولا أبو ... حسن لقلت لئمت من أستار
من عاجز ضرع ومن ذي غلظة ... جاف ومن ذي لوثة خوّار
ثمّ ارتدى المحروم فضل ردائها ... فغلت مراجل إحنة ونفار
فتآكلت تلك الجذى وتلمّظت ... تلك الضبا ورقاً أجيج النار
تالله لو ألقوا إليه زمامها ... لمشى بهم سجحاً بغير عثار
ولو أنّها حلّت بساحة مجده ... بادي بدى سكنت بدار قرار
هو كالنبيّ فضيلة لكنّ ذا ... من فضله كاسٍ وهذا عاري
والفضل ليس بنافع أربابه ... إلّا بمسعدة من الأقدار
ثمّ امتطاها عبد شمس واغتدت ... هزءاً وبدّل ربحها بخسار
وتنقّلت في عصبة أمويّة ... ليسوا بأبرار ولا أطهار
مابين مأفون إلى متزندق ... ومضعّف ومداهن وحمار

وقد سبقت هذه الأبيات الأخيرة وهي من جيّد شعر العرب قد وشج في البداوة أُصوله، وتهدّل بالحضارة غصونه، وكأنّما وصفه البحتريّ بقوله الذي سبق فيه كلّ واصف للشعر:

في نظام من البلاغة ما شكّ ... امرئ أنّه نظام فريد
وبديع كأنّه الزهر الضاحك ... في رونق الربيع الجديد
مشرق في جوانب السمع ما ... يخلقه عوده على المستعيد

ما أُعيرت منه بطون القراطيس ... وحملت ظهور البريد
مستميل سمع الطروب المغنّى ... عن أغاني مخارق وعقيد
حجج تخرس الألدّ بألفاظ ... فرادى كالجوهر المنضود
حزن مستعمل الكلام اختياراً ... وتجنّبن ظلمه التعقيد
وركبن اللفظ القريب فأدركن ... به غاية المراد البعيد
كالعذارى غدون في الحلل الـ ... ـبيض إذا رحن في الخطوط السود

وأنا وإن خرجت عن المقصود بحكاية هذا اللؤلؤ المنضود إلّا أنّ إعجابي بشعر أبي القاسم ملك عناني وأخذ بزمامي وقادني إلى مدحه، فتخيّرت شعر البحتريّ في ذلك لأنّه بذّ كلّ واصف وبهر كلّ عارف بمواقع اللطائف[1].

وهذان الخبران يدلّان على كفر معاوية لعنه الله:

الأوّل: ما ذكره ابن أبي الحديد وغيره من صناديد هذا الفريق وذلك أنّ النعمان ابن بشير الأنصاري جاء في جماعة من الأنصار إلى معاوية فشكوا إليه فقرهم وقالوا: لقد صدق رسول الله ﷺ في قوله لنا: (ستلقون بعدي أثرة» فقد لقيناها، قال معاوية: فماذا قال لكم؟ قالوا: قال لنا: (فاصبروا حتّى تردوا عليّ الحوض) قال: فافعلوا ما أمركم به عساكم تلاقونه غداً عند الحوض كما أخبركم، وحرمهم ولم يعطهم شيئاً.

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر هو الذي يكفر كثير من أصحابنا معاوية بالاستهزاء به[2].

الخبر الثاني: ذكره المسعودي في مروج الذهب في أحوال المأمون وأشار إليه

---

(١) كان النصّ بالعربيّة من المؤلّف. (المترجم)

(٢) شرح نهج البلاغة ٦: ٣٢. (المترجم)

ابن أبي الحديد أيضاً: وفي سنة اثنتي عشرة ومأتين نادى منادي المأمون: برئت الذمّة من أحد من الناس ذكر معاوية بخيرٍ أو قدّمه على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ، وتكلّم في أشياء من التلاوة أنّها مخلوقة وغير ذلك، وتنازع الناس في السبب الذي من أجله أمر بالنداء في أمر معاوية، فقيل في ذلك أقاويل: منها أنّ بعض سماره حدّث بحديث عن مطرف بن المغيرة بن شعبة الثقفيّ وقد ذكر هذا الخبر الزبير بن بكّار في كتابه من الأخبار المعروفة بالموفّقيّات التي صنّفها للموفّق وهو ابن الزبير، قال:

سمعت المدائني يقول: قال مطرف بن المغيرة بن شعبة: وفدت مع أبي المغيرة إلى المعاوية، فكان أبي يأتيه يتحدّث عنه ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية ويذكر عقله ويعجب ممّا يرى، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، فرأيته مغتمّاً، فانتظرته ساعة وظننت أنّه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتمّاً منذ الليلة؟

قال: يا بنيّ، إنّي جئت من عند أخبث الناس.

قلت له: وما ذاك؟

قال: قلت له وقد خلوت به: إنّك قد بلغت مناك يا أميرالمؤمنين، فلو أظهرت عدلاً وبسطت خيراً فإنّك قد كبرت، ولو نظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه.

فقال لي: هيهات هيهات!! ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: أبوبكر، ثمّ ملك أخو عدي فاجتهد وشمّر عشر سنين فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره إلّا أن يقول قائل: عمر، ثمّ ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد في مثل نسبه، فعمل ما عمل وعمل به، فوالله ما عدا أن هلك فهلك ذكره وذكر ما فعل به، وإنّ أخا هاشم يصرخ به في كلّ

يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمّداً رسول الله، فأيّ عمل يبقى مع هذا؟ لا أُمّ لك؟ والله إلّا دفناً دفناً.

وإنّ المأمون لمّا سمع هذا الخبر بعثه ذلك على أن أمر بالنداء على حسب ما وصفنا، وأُنشئت الكتب إلى الآفاق بلعنه على المنابر، فأعظم الناس ذلك وأكبروه واضطربت العامّة، فأُشير عليه بترك ذلك فأعرض عمّا كان همّ به[1].

إلى هنا كان كلام المسعودي وهو ثقة عند أهل السنّة علاوة على إعطائه السند على هذا وهو كتاب الموفّقيّات للزبير بن بكّار وهو من الأُصول المعتمدة والمصادر المعتبرة عند هذه الطائفة.

وممّا كتبناه يظهر كفر هؤلاء الأربعة وجواز لعنهم وظلمهم كالشمس في رابعة النهار، بيّنة واضحة، من هذه الجهة كان الإمام الصادق عليه السلام ملزماً نفسه بعد كلّ فريضة لعن هؤلاء الأربعة وصار ذلك ملزماً للشيعة، على نحو التأسّي، كما روى الكليني والشيخ وأوصلا السند إلى الحسين بن ثوير وأبي سلمة السرّاج قالا: سمعنا أبا عبدالله يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء ويذكر أسمائهم[2].

والآيات المأوّلة بلعنهم والمصرّحة به كثيرة وهو من ضروريّات مذهب الشيعة، ومن المطاعن الموجّهة إليهم من عدوّهم، ولم ينكر ذلك أحد ممّن انتمى إلى هذا المذهب ذلك، سوى واحد جاهل ضالّ مضلّ في أيّامنا ظهر في كشمير

---

(١) مروج الذهب ٤: ٤٨ و٤٩.

(٢) سمعنا أبا عبدالله عليه السلام وهو يلعن في دبر كلّ مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء: فلان وفلان وفلان ومعاوية، وبسمّيهم، وفلانة وفلانة وهند وأمّ الحكم أُخت معاوية (الكافي ٣: ٣٤٢ كتاب ١٢ باب ٣٢ ح١٠، تهذيب الأحكام ٢: ٣٢١ باب ١٥ حديث ١٦٩ ويتمثّل الإمام بذلك أمر الله ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ * وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ٧ و٨]. (هامش الأصل)

وكتب رسالة في منع سبّ الشيخين، وضمّ صوته إلى صوت السنّة ورقص على حبالهم وخدع بأساطير طائفة من العوام أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام، وترّهاتهم، وخدع جماعة بطامّاته وجريراته من الجهّال، وأقام فتنةً بحيله والأعيبه وأساليبه ونفاقه وتملّقه، وأنشأ سقيفة جديدة. والعجيب في الأمر أنّ الرجل مع كونه من أوائل الطلّاب، قليل المعرفة خال من العلم، وهو من رؤوس الفسّاق ومشايخ أهل الكبائر، يدّعي الاجتهاد ويتصدّى للإفتاء، بل أحياناً يدّعي لنفسه الأعلميّة ويطنطن بها تحت الستار، وتظهر من تحت رماده فتاوى غريبة تدلّ على الجهل، وكان ينكر نسب الطائفة الجليلة الرضويّة وهم وجوه أكابر أشراف قم وطهران وهمدان وخراسان، وسيادتها وغيرهم من أمثالهم، وصرّح بتضليله وتفسيقه علماء المشهدين والجناب المستطاب حجّة الإسلام سيّدنا الأُستاذ ـ دام ظلّه ـ مراراً وتكراراً وكتبوا في ذلك المقالات وحرّروا الرسائل والكتب فلم يقلع عن غوايته، ولم يرتدع عن ضلالته[1] وإلّا لو لم يجر في حقّه ما جرى فإنّ ما نخشاه

---

(١) من عجائب شيطنة هذاالمدلّس أنّ الكتب التي ترد على أهالي تلك الأصقاع من علماء الإسلام ووجوه الأعلام يحرّفها أمام عوام الشيعة أو يمزّق جملة منها أو يأوّلها بوجوه ظاهرة الفساد وينفي بعضها ليلبّس بذلك على العامّة من الشيعة، فيصطاد قوماً من الجهّال الضعفاء في شباكه لعلّه يبلغ شهواته الباطلة، والله يحول دون آماله، ويجازيه بسوء أعماله، ومن جملة هذه المرقومات نصوص صاحب الحضرة المستطاب الأجلّ سيّد المسلمين، السيّد الأُستاذ أُديمت معاليه وبوركت أيّامه ولياليه، لحقه من ذلك مسائل وردت قبل مدّة تتعلّق بأُمور عدّة من فروع فقهيّة ومطالب شرعيّة من جملتها ورد سؤال عن أولاد السيّد محمّد الأعرج بن موسى المبرقع وكذلك عن أحوال هذا السيّد الغاوي الدعيّ المشكوك بنسبه بالتفصيل الذي اشتهر في إقليم كشمير كلّه، وبلغ حدّ التواتر، فأوكل السيّد الأُستاذ الجواب عليها إليّ أنا ذو البضاعة المزجاة، فأجبت عليها جواباً يناسب مبانيه، وكتب في حقّ هذا السيّد الدعي بإملاء الأُستاذ دام ظلّه: إنّ هذا ذو حماقة ولا ينبغي أن يصغى أحد إلى هذه الخرافات والأباطيل بل مثل هذه الكلمات توجب عليه الحدّ وختمه بخاتمه الشريف ومع كلّ هذا فلم يفارق هذا الرجل غوايته وتضليله العامّة. (منه ﷺ)

واقع لا محالة وذلك أنّ قاصراً لو اطّلع على تزويقات هذا الشيطان وتدليساته فإنّه يخدع به، وإذا ما اطّلع على هذه الصحيفة فإنّه يرجع عوده على بدئه ويرتدع عن مسلك الضلال، ويأوب إلى مسلك الهداية، وحتّى هذا القدر من الكلام لا يستحقّ من الذكر، ولكنّنا خشينا أنّ إنساناً يمرّ بهذه المسألة الضروريّة من مذهبنا فيحسبها خلافيّة مع أنّ هذا الجاهل لولا ما ذكرناه أقلّ من أن يجري ذكره على ألسنة العلماء فضلاً عن اعتباره من ذوي الآراء وينسب إليه خلاف بين أُولي الفضل من العلماء.

ومجمل القول نقتصر في هذه الخاتمة على نقل حديث واحد في ثواب لعن الجبت والطاغوت المعبّر بهما في عرف أهل البيت عن تيم وعدي وأحياناً يطلقان على مطلق الغاصبين لحقوق العترة الزاكية.

فقد نقل الفاضل الزاهد الورع الآخوند ملّا محمّد كاظم الهزارجريبي من تلامذة الاستاذ الأعظم السيّد البهبهاني ﷺ وهو من فضلاء المحدّثين والعلماء المحصّلين في كتابه (جمع الفضائح لأرباب القبائح) عن أبي حمزة الثمالي ﷺ عن الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين ﷺ بأنّه قال: «من لعن الجبت والطاغوت لعنة واحدة كتب الله له سبعين ألف ألف حسنة، ومحى عنه سبعين ألف ألف سيّئة، ورفع له سبعين ألف ألف درجة، ومن أمسى[1] يلعنهما لعنة واحدة كتب الله له مثل ذلك.

قال: فمضى مولانا عليّ بن الحسين فدخلت على مولانا أبي جعفر محمّد

---

(١) الظاهر من تأمّل هذه الفقرة والزيادة التي معها من الباقر ﷺ أنّ ما ذكره أوّلاً مخصوص بالإصباح إذ لو كان ذلك عاماً لم يكن وجه لذكر الإمساء، خصوصاً وعليه بنينا الترجمة لأجل هذا الاستظهار، والله أعلم. (منه ﷺ)

الباقر، فقلت: يا مولاي، حديث سمعته من أبيك، فقال: هات يا ثمالي، فأعدت عليه الحديث، فقال: نعم يا ثمالي، أتحبّ أن أزيدك؟ فقلت: بلى يا مولاي، فقال: من لعنهما لعنة واحدة في كلّ غداة لم يكتب عليه ذنب في ذلك اليوم حتّى يمصي، ومن أمسى ولعنهما لم يكتب له ذنب في ليله حتّى يصبح.

قال: فمضى أبو جعفر فدخلت على مولانا الصادق عليه السلام فقلت: حديث سمعته من أبيك وجدّك، فقال: هات يا أبا حمزة، فأعدت عليه الحديث، فقال: حقّاً يا أبا حمزة، ثمّ قال عليه السلام: ويرفع له ألف ألف درجة، ثمّ قال: إنّه واسع كريم[1].

والحديث يتعدّد بتعدّد المروي عنه بل بلحاظ آخر يكون ستّة أحاديث لأنّ الزيادة عن الإمام الباقر رواها عن الصادق عليه السلام، وإنّما قال الإمام التتمّة «إنّ الله واسع كريم» فلكي يدفع به الاستبعاد أي إنّ ذلك ليس بعيداً على عموم مكرمته وسعة دائرة رحمته أن يهب على العمل القليل الثواب الكثير الذي يظهر بهذا الاتّساع ويظهر العبد ذي الاعتقاد الخالص الموالي لأهل البيت عليهم السلام بهذه العناية والاستحقاق.

تمّ محصّل معنى الحديث الشريف ونحن أيضاً نختم الكلام ونقول: اللهمّ العن الجبت والطاغوت.

---

(١) العيّاشي: عن زرارة، عن أبي عبدالله ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال: ومن ذكرها فلعنهما كلّ غداة كتب الله له سبعين حسنة ومحى عنه عشر سيّئات ورفع له عشر درجات. (بحار الأنوار ٨: ٢١٤ ط كمپاني)

اللّٰهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بنَ مُعاوِيَة خامِساً، وَالْعَنْ عُبَيْدَاللّٰهِ بْنَ زِيادٍ وَابْنَ مَرْجانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشِمْراً وَآلَ أَبِي سُفْيانَ وَآلَ مَرْوَانَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

الشرح: الغرض من ذكر هذا الدعاء استيفاء جميع من له أثر ومدخليّة في قتل سيّدالشهداء عليه السلام سواء كان مشاركاً مثل يزيد وابن زياد وغيره أو مسبّباً مثل الأربعة الأول أو راضياً كآل مروان وبقيّة آل أبي سفيان وآل زياد.

والنكتة في ذكر ابن مرجانة مع أنّه هو هو ابن زياد إنّما هو لمزيد التعيير والانتقاص بهذا النسب الذي آخذ باللئامة والدنائة من طرفيه، وتكرار ذكر الشمر لعنه الله في هذه الزيارة لإثبات أنّه قاتل الإمام المظلوم كما الأشهر في الروايات والمشهور بين المؤرّخين، ولمّا كان تحقيق هذه المسألة يتوقّف على ذكر كيفيّة شهادة هذا الإمام المظلوم وإنّي لم أقدر بحال من الأحوال أن أقرأ هذه المصيبة العظمى والفادحة الكبرى في كتاب بالتفصيل كذلك لا أقدر على ذكرها في هذا الكتاب، ولله درّ القائل:

افسانه كه كس نتواند شنيدنش — *يا رب بر اهل بيت چه آمد از ديدنش*[1]

ومصيبة يعيا السماع بذكرها — **كيف استطاع الطاهرون شهودها**

ونحن نعمد إلى تأويل آية أو آيتين وردت من طريق أهل البيت عليهم السلام الذين يسأل الله عباده عن مودّتهم ويلزمهم بالتمسّك بحبل ولايتهم، في ذمّ أعدائهم وغاصبي حقوقهم، وهي تناسب حال الأفراد المعنيّين بالدعاء المذكور تماماً:

---

(١) لسان حال الحسين عليه السلام على جسد الأكبر:

من كه چون خضر رهم پير شدم بر سر تو — واى بسر حال عمهٔ خونين جگرت

فنيت على جرح برأسك غائر — فكيف إذا جائتك أمّ المصائب

الآية الأولى: قال تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾[١] وبإرشاد القرينة دلّ التأويل على أنّ الرشد هو التشيّع، والغيّ هو التسنّن. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾ والمراد بالطاغوت هو الشيطان كما روي في المجمع عن الصادق عليه السلام وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّيّ، قال: هم الذين غصبوا آل محمّد. وهذا التفسير يمكن انطباقه مع حديث الإمام الصادق عليه السلام لأنّ المراد من الشيطان لا يبعد أن يكون عدي ويدور بخاطري أنّ هذا المعنى مذكور في موضع آخر من الأخبار وكنّى بالشيطان عن عدي ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لاَ انفِصَامَ لَهَا﴾ ورد في الكافي عن العروة الوثقى أنّها ولاية أهل البيت[٢].

وهذا التأويل مؤيّد للحديث السابق لأنّ كلّ من كفر بغاصبي حقّ آل محمّد متمسّك بمودّتهم، ومعنى ذلك أنّ التمسّك بهم لا يتمّ إلّا ببغض عدوّهم، كما تكرّر ذلك مراراً.

وفي معاني الأخبار: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من أحبّ أن يتمسّك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها فليتمسّك بولاية أخي ووصيّي عليّ بن أبي طالب فإنّه لا يهلك من أحبّه وتولّاه ولا ينجو من أبغضه وعاداه..[٣]

﴿وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ والله يسمع أقوال الناس ويرى أعمالهم.

الآية الثانية: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ﴾ في تفسير عليّ بن إبراهيم: الطاغوت هم الظالمون لآل محمّد والذين أتبعوا من غصبهم[٤] ﴿يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾[٥] في الكافي عن

---

(١) البقرة: ٢٥٦.

(٢) مناقب ابن شهرآشوب ٤: ٢، تفسير الثقلين ١: ٢١٩ رقم ١٠٥٤. (هامش الأصل)

(٣) معاني الأخبار: ٣٦٩.

(٤) نور الثقلين ١: ٢٢٠ رقم ١٠٦٣. (هامش الأصل) تفسير القمّيّ ١: ٨٥. (المترجم)

(٥) البقرة: ٢٥٧.

صادق آل محمّد عليهم السلام: النور آل محمّد والظلمات أعدائهم[١].

وأيضاً ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبدالله عليه السلام: إنّي أُخالط الناس فيكثر عجبي من أقوام لا يتولّونكم ويتولّون فلاناً وفلاناً لهم أمانة وصدق ووفاء، وأقوام يتولّونكم ليس لهم تلك الأمانة ولا الوفاء والصدق!

قال: فاستوى أبو عبدالله عليه السلام جالساً فأقبل عليّ كالغضبان ثمّ قال: لا دين لمن دان بولاية إمام جائر ليس من الله، ولا عتب على من دان بولاية إمام عادل من الله.

قلت: لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء؟

قال: نعم، لا دين لأولئك ولا عتب على هؤلاء! ثمّ قال: ألا تسمع لقول الله عزّوجلّ: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ يعني ظلمات الذنوب إلى نور التوبة والمغفرة لولايتهم كلّ إمام عادل من الله عزّ وجلّ.

وقال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾ إنّما عنى بها أنّهم كانوا على نور الإسلام، فلمّا أن تولّوا كلّ إمام جائر ليس من الله خرجوا بولايتهم من نور الإسلام إلى ظلمات الكفر فأوجب الله لهم النار مع الكفّار، فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون.

والخبر نفسه مع زيادة جزء فيه ذكره في الصافي عن العيّاشي[٢].

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ وقال العيّاشي في ذيل الحديث: إذاً أعداء

---

(١) نور الثقلين ١: ٢١٧ رقم ١٠٤٥ عن العيّاشي. (هامش الأصل)

(٢) تفسير البرهان ١: ٢٤٣ و٢٤٤ رقم ١ و١٣ من أُصول الكافي والعيّاشي، نور الثقلين ١: ٢٢١ من أُصول الكافي. (هامش الأصل) والمؤلّف حذف جزءاً من الحديث وهو قول الراوي: قلت: أليس الله عنى بها الكفّار حين قال: «والذين كفروا»؟ قال: فقال: وأيّ نور للكافر وهو كافر فأُخرج من الظلمات؟! إنّما عنى .. الخ. كذا في تفسير العيّاشي، تفسير نور الثقلين ١: ٢٦٦. (المترجم)

أميرالمؤمنين خالدون في النار وإن كانوا في دينهم غاية في الزهد والورع والعبادة..[١].

الآية الثالثة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ في تفسير عليّ بن إبراهيم ﷺ روي أنّ الآية نزلت في الذين غصبوا آل محمّد حقّهم وحسدوهم على منزلتهم[٢].

وروي في تفسير العيّاشي عن باقر علوم النبيّين أنّه قال: الجبت والطاغوت فلان وفلان ـ الأوّل والثاني. ﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَـؤُلاَءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾[٣].

وفي الكافي عن الإمام الباقر ﷺ: ويقولون الأئمّة الضالّة والدعاة إلى النار هؤلاء أهدى من آل محمّد سبيلاً[٤].

وبناءاً على هذا يكون الذين أُوتوا نصيباً من القرآن هم الغاصبون وأتباعهم، والمراد من الكافرين الجبت والطاغوت ونعثل والرابع وأحزابهم من آل مروان وآل العبّاس الذين قدّمهم العامّة على آل محمّد ﷺ.

الآية الرابعة: بعد الآية السالفة ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيراً* أَم لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذاً لاَ يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً﴾[٥] ـ النقير الشقّ في نواة التمر ـ وجاء في الكافي عن الباقر ﷺ أنّ المراد بالملك الإمامة والخلافة[٦].

---

(١) لم أعثر على هذا القول في تفسير العيّاشي. (المترجم)

(٢) تفسير نور الثقلين وتفسير البرهان من تفسير القمّيّ ذيل الآية الشريفة. (هامش الأصل)

(٣) تفسير العيّاشي ١: ٢٦٤. (المترجم)

(٤) نفسه ١: ٢٤٦. (المترجم) ونور الثقلين ١: ٤٠٦ رقم ٢٩٩ من أُصول الكافي. (هامش الأصل)

(٥) النساء: ٥٢ و٥٣.

(٦) الكافي ١: ٢٠٥. (المترجم) نور الثقلين ١: ٤٠٦ رقم ٢٩٩ من أُصول الكافي. (هامش الأصل)

ومن هنا يعلم أنّ اللعن السابق على ذلك في الآية إنّما هو بحقّ الغاصبين لخلافة آل محمّد ﷺ، ومن هذه الآيات التي تذمّ عدوّ أهل البيت لاسيّما أولاء الأربعة بخاصّة الاثنان منهم كثير في القرآن المجيد ونكتفي بهذا المقدار. اللهمّ العن أعداء آل محمّدٍ لعناً وبيلاً.

المطلب الرابع: في شرح دعاء السجدة

اللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَىٰ مُصَابِهِمْ ...

الشرح: ولابدّ في المقام من بيان معنى الحمد والشكر لتتّضح العبارة وإن كنّا أشرنا فيما سبق إلى كثرة تعرّض العلماء لذكر هذين اللفظين ممّا أوجب ملل الفضلاء، ونحن هنا ننقل محصّل كلام صاحب الكشّاف والسيّد الشريف في حاشيته عليه؛ لأنّ ثقة بهما أعظم من غيرهما وقبلاً جاءك من كلام ابن إدريس أنّ الرجوع لكلّ صنعة إلى أهلها، وخلاصته بعد التحرير والنقد كالتالي:

الحمد: ثناء اللسان على جميل اختياريّ، والمدح مرادف له، والذمّ نقيضه[1] وأحياناً يستعمل المدح في ذكر المآثر ونشر المناقب ونقيضه الهجاء في ذكر المعايب وتعداد المثالب، ومثل: حمدت اللؤلؤ على صفائها. الظاهر من كلام الزمخشري إنكار صحّة هذا الاستعمال إلّا بتأويل، وبناءاً على ما سلف أخذاً عن السيّد الشريف يمكن رفع إشكالها وتصحيح استعمالها؛ لأنّ المآثر لا تختصّ بالاختياريّات.

الشكر: عبارة عن الجزاء على النعمة سواء كان باللسان ليكون ثناءاً أو بالقلب ليكون اعتقاداً باتصاف المنعم بالصفات الكماليّة أو بالجوارح وهو عبارة عن التعب في الطاعة وتحمّل مصاعب الانقياد والاتّباع، وهذا الشعر المشهور يفيد المعاني الثلاثة المستعملة في الشكر:

أفادتكم النعماء منّي ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجّبا

---

(١) الحمد هو الثناء بالجميل على قصد التعظيم والتبجيل للممدوح (مجمع البحرين ٣: ٣٨). (المترجم)

والشكر: العمل الذي يكون بأزاء النعمة وهنا اعتبر أشياء ثلاثة أفادتها النعمة:

الأوّل: اليد التي يخدم بها وهي لون من ألوان الشكر.

والثاني: اللسان وهو ظاهر.

والثالث: الضمير، ووصفه بالمحجب إشارة إلى أنّه ممتنع على سواكم، وبين الشكر والحمد عموم وخصوص من وجه لا العموم المطلق؛ لأنّ بعض أفراد الحمد ليس شكراً إذاكان ثناء على غير نعمة، وبعض أفراد الشكر ليس حمداً وهو الجزاء بالقلب والجوارح، والثناء باللسان على النعمة حمد وشكر. وجاء في الحديث: الحمد رأس الشكر؛ لأنّ الشكر بالجوارح يحتمل التأويل والشكر بالقلب خفي لا يبيّن، وليس إعلاناً بذكر فضل الله. وأمّا الصريح والعلن فهو الشكر باللسان الذي هو الحمد. فتبيّن أنّ المراد بالحمد نوع خاصّ منه الذي وضع على رأس الشكر.

إلى هنا كان محصّل كلام هذين الفاضلين النحريرين والناقدين البصيرين.

ويجب أن يعلم أنّ حمد الله في كلّ موضع وعلى كلّ حال مرغوب فيه بل لازم وواجب، وإن كان على البلاء فينبغي أن يقال: «الحمد لله على السرّاء والضرّاء» وكلّ ما جاء من الله فهو جميل لأنّه مبنيّ على مصالح وحكم، ويجب أن يحمد على كلّ مصيبة وبليّة، ولا منافاة بين أن يكون إنسان مظلوماً فيشكو ظالمه وظلمه ويلعن ظالمه ويتأوّه من مصيبته، ويحمد الله على كلّ حال.

وتحقيق هذه المسألة مستمدّ من المبادئ العقليّة والنقليّة، ويؤدّي بيانهما بنا إلى الخروج عن نطاق هذاالاختصار ولكن هاهنا دقيقة لا محيص من بيانها، وشرحها كما يلي:

أشرنا إلى أنّ متعلّق الشكر النعمة فلابدّ من وقوعه على المجيب الملايم للرغبة كما أنّ الصبر يكون على الأمر المحبّب الملايم للرغبة كما أنّ الصبر يكون

على الأمر البغيض غير المرغوب فيه، وهذا سرّ الحديث: «الإيمان نصف صبر ونصف شكر» لأنّ الإنسان أبداً لا يخلو من حالين: إمّا المحبّب الملايم أو البغيض المكروه، وعلى هذا ينبغي عليه الصبر أحياناً والشكر أحياناً أُخرى. والصبر يقابل الجزع، والشكر يقابل الكفران، وهذا الأخير شعبة من الكبر، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[1].

ولمّا كان ما يقابل الشكر أخبث كان الشكر من درجة الصبر أعلى، وهذا يعتبر في طليعة السلوك الإنسانيّ، فإذا رقى الإنسان مراقي أرفع في هذا السلّم يكون كلّ ما يراه أو يلاقيه منه يعتبره نعمة، وإن كانت مصيبة أو شدّة، وهذا ثمرة المحبّة ومقتضى الاعتراف بالباطن أو بالظاهر، كما ورد في الأخبار.

ابتلي جابر بن عبدالله الأنصاري في آخر عمره بالشيخوخة والضعف والعجز، فجاء الإمام محمّد الباقر عليه السلام إلى عيادته فسأل عن حاله، فقال: بلغت إلى حالة أحبّ فيها الموت أكثر من الحياة، والشيخوخة أكثر من الشباب، والمرض أكثر من الصحّة، ولا أُقدّم الحياة على الموت.

قال الإمام عليه السلام: وأنا كذلك إن اختار لي الشيخوخة أحببتها، أو الشباب فالشباب، أو القوّة فالقوّة، وإن أمرضني فالمرض، أو أصحّني فالصحّة، أو أماتني فأنا أُحبّ الموت، أو أحياني فأُحبّ الحياة.

فلمّا سمع جابر من الإمام هذا الحديث أهوى إلى وجهه فقبّله وقال: صدق رسول الله إذ قال لي: ستلاقي أحد أولادي اسمه اسمي «يبقر العلم كما يبقر الثور

---

(١) إبراهيم: ٧.

الأرض»[1]؛ ولهذا السبب سمّي باقر علوم الأوّلين والآخرين.

---

(١) لم أعثر على حديث على هذا النحو ولكن الأحاديث المتضمّنة لرضا رسول الله والأئمّة بتقدير الله كما يلي:

ابن قولويه: بالإسناد عن محمّد بن الحسين بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: زارنا رسول الله صلى الله عليه وآله ... ثمّ قام إلى مسجد في جانب البيت وصلّى وخرّ ساجداً فبكى، فأطال البكاء ثمّ رفع رأسه فما اجترأ منّا أهل البيت أحد يسأله عن شيء، فقام الحسين عليه السلام يدرج حتّى يصعد [صعد ـ المصدر] على فخذي رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ برأسه إلى صدره ووضع ذقنه على رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ قال: يا أبه، ما يبكيك؟ فقال: يا بنيّ، إنّي نظرت إليكم اليوم فسررت بكم [إليكم ـ الأصل] سروراً لم أسرّ بكم مثله قطّ، فهبط إليّ جبرئيل فأخبرني أنّكم قتلى وأنّ مصارعكم شتّى، فحمدت الله على ذلك، وسألته لكم الخيرة. (كامل الزيارات: ٥٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٣٤ الرقم ٢١ و٦٦: ٣٥٥ الرقم ١١، عوالم العلوم: ١٢٢)

ابن عساكر: أخبرنا أبوبكر رستم بن إبراهيم بن أبي بكر الطبري بطابران، أنبأنا محمّد بن يزيد المبرّد قال: قيل للحسن بن عليّ: إنّ أباذرّ يقول: الفقر أحبّ إليّ من الغنى، والسقم أحبّ إليّ من الصحّة، فقال: رحم الله أباذرّ، أمّا أنا فأقول: من اتّكل على حسن اختيار الله له لم يتمنّ أنّه في غير الحالة التي اختار الله تعالى له. وهذا حدّ الخوف على الرضا بما تصرّف به القضاء. (ترجمة الإمام الحسن المجتبى: ١٥٩ ط بيروت) والشيخ أبو محمّد عفيف الدين اليافعي في الإرشاد والتطريز ص١٣٢ ط القاهرة، وفي البداية والنهاية ص٣٩٨ ط مصر مثله إلّا أنّه ذكر بدل قوله: «لم يتمنّ غير ما اختار الله له» «لم يتمنّ أن يكون في غير الحالة التي اختار الله له».

الخوارزمي: أخبرنا أبو عبدالله الحافظ، سمعت الحافظ الزبير بن عبدالواحد، سمعت الشافعيّ يقول: مات ابن للحسين عليه السلام فلم يُرَ به كآبة، فعوتب على ذلك، فقال: إنّا أهل بيت نسأل الله فيعطينا، فإذا أراد ما نكره فيما يحبّ رضينا. (مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي: ١٤٧ ط الغري، إحقاق الحقّ ١١: ٤٢٩ عنه، وكتاب «الحسين» للسيّد علي جلال المصري، بلاغة الحسين: ٢٩٦ الرقم ٦٣ عنه).

وقال الإمام عليّ بن الحسين عليهما السلام في الحديث:

حدّثنا سليمان بن أحمد قال: ثنا الحسن بن المتوكّل قال: ثنا أبوالحسن المدائنيّ، عن إبراهيم بن سعد قال: سمع عليّ بن الحسين ناعيه في بيته وعنده جماعة، فنهض إلى منزله ثمّ رجع إلى مجلسه، فقيل له: أمن حدث كانت الناعية؟ قال: نعم، فعزّوه وتعجّبوا من صبره، فقال: إنّا أهل بيت نطيع الله فيما نحبّ،

وقد أشار سيّدالشهداء إلى مقامهم هذا في خطبة الخروج من مكّة حيث قال: «رضانا أهل البيت رضا الله»[1].

وخلاصة الحديث أنّ الشكر على الملائم لو كان فإنّه مقام الأوائل، وإذا كان ليس ملائماً ولوحظ صدوره من المحبوب الحقيقيّ وعدّ نعمة وشكر عليها فهو

➲ ونحمده فيما نكره. (حلية الأولياء ٣: ١٣٨ ط مطبعة السعادة بمصر، مجد الدين بن الأثير في المختار في مناقب الأخيار: ٢٧ نسخة الظاهريّة بدمشق، إحقاق الحقّ ١٢: ٨٢ عنهما)

وقال الإمام محمّد الباقر عليه السلام: ندعوا الله فيما نحبّ، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عزّ وجلّ فيما أحبّ. (حلية الأولياء ٣: ١٨٧ ط السعادة بمصر، إحقاق الحقّ ١٢: ١٩٤ عنه)

وقالت زينب عليها السلام [في جواب ابن زياد: كيف رأيت صنع الله بأخيك؟] ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم .... (مثير الأحزان: ٩١، بحار الأنوار ٤٥: ١١٦، عوالم العلوم: ٣٨٣)

وقالت: الحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة [والمغفرة] ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب ويوجب لهم المزيد ويحسن علينا الخلافة إنّه رحيم ودود وحسبنا الله ونعم الوكيل» (اللهوف: ٧٦، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٣، عوالم العلوم: ١٣٥). (هامش الأصل)

(١) **حديثان في باب الرضا بقضاء الله**

١ ـ العدّة، عن البرقيّ، عن محمّد بن عليّ، عن عليّ بن أسباط، عمّن ذكره، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لقي الحسن بن عليّ عليه السلام عبدالله بن جعفر فقال: يا عبدالله، كيف يكون المؤمن مؤمناً وهو يسخط قسمه، ويحقر منزلته، والحاكم عليه الله، وأنا الضامن لمن لم يهجس في قلبه إلّا الرضا أن يدعو الله فيستجاب له. (الكافي، بحار الأنوار ٤٣: ٣٥١ الرقم ٢٥ ط طهران)

٢ ـ في خطبة الحسين عليه السلام عند عزمه على المسير إلى العراق: الحمد لله وما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله، خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني إلى أسلافي اشتياق يعقوب إلى يوسف، وخير لي مصرع أنا لاقيه، كأنّي بأوصالي تقطّعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء، فيملأن منّي أكراشاً جوفاً وأجربة سغّباً، لا محيص عن يوم خُطّ بالقلم، رضى الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه ويوفّينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه، وينجز لهم وعده، ألا ومن كان فينا باذلاً مهجته، موطّناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، فإنّي راحل مصبحاً إن شاء الله (اللهوف، عوالم العلوم: ٢١٧، بلاغة الحسين: ١٤٤ الرقم ٢٣). (هامش الأصل)

نتيجة الرضا، والرضا ثمرة المحبّة، وهو مقام الأواخر والأكابر. وأشار إلى هذا المقام من قال:

گر آسوده در مبتلا می‌پسندد — پسندیدم آنچه خدا می‌پسندد
چرا دست یازم چرا پای کوبم — مرا دوست بی‌دست و پا می‌پسندد[1]

ولمّا كان الأئمّة عليهم السلام يدعون أتباعهم إلى المقامات العالية والدرجات الرفيعة لذلك أمروا شيعتهم بتلاوة هذا الدعاء وهو ترجمان مقام الراضين، ويشمل الشكر على المصيبة لعلّهم يبلغون بهذا الدعاء المبارك وببركة تلاوته إلى المقام الرفيع والرتبة العالية.

الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ عَظِيمِ رَزِيَّتِي ...

الشرح: تكرار هذاالكلام على سبيل الالتفات الغيابي من أجل النصّ على الثبات ورسوخ الأقدام في مقام الحمد على هذه المصيبة مضافاً إلى ورود التصريح به ضمن الدعاء من الخطب الهائل والرزء العظيم. وفيه أيضاً الافتتان والتلوّن في وجوه الحمد وإنحاء الشكر وإظهار الاستسلام والانقياد للأوامر الإلٰهيّة التي هي أكمل صفات المؤمنين وأحسن حالات المتّقين.

---

(١)

گر آسود گر مبتلا می‌پسندد — چه خوشتر از اینکو بما می‌پسندد
همو دشمنان را عطا می‌فرستد — همو دوستان را بلا می‌فرستد
ندانیم ناخوش کدام است یا خوش — خوش است آنکه بر ما خدا می‌پسندد
چرا دست یازم چرا پای کوبم — مرا خواجه بی‌دست و پا می‌پسندد
خطای من ای دوست بر من چه گیری — مرا عفو او با خطا می‌پسندد
طبیبا بدرمان دردم چه کوشی — مرا درد بی‌دوا می‌پسندد
نشاطا توانا و بینا است یارت — برو ناتوان باش تا می‌پسندد

اللّٰهُمَّ ارْزُقْنِي شَفاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَوْمَ الْوُرُودِ ...

الشرح: الأخبار الدالّة على شفاعة الأئمّة لاسيّما سيّدالشهداء كثيرة ونحن أشرنا إلى هذا الباب فيما سبق[1] ولا يتّسع المقام لأكثر من هذا.

الورود: الأصل في هذه الكلمة الوصول إلى النبع ومورد الماء كما يستفاد ذلك من كتب الفنّ، ويقابله الصدور.

ويوم الورود: يوم القيامة لأنّه فيه يرد العبد على ربّه سبحانه ويمثّلون بمحضره، ويقفون تحت ظلّ حكمه وسلطانه القاهر، أو إنّه سمّي بذلك بلحاظ الوصول إلى مشرعة الرحمة الإلٰهيّة من المؤمنين في ذلك اليوم أو من حيث أنّ جميع الخلق يردون جهنّم بحكم قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[2] فينجو المطيعون، ويرسب فيها العاصون، والله أعلم.

وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ.

الشرح: البذل: العطاء كما جاء في منتهى الإرب.

والمهجة: معناه الدم المتجمّع في سويداء القلب كما قال ذلك المطرّزي وغيره، وهو كناية عن الروح؛ لأنّ الحياة مرتبطة معها فتبيّن من هذا أنّ بذل المهجة كناية عن الشهادة.

الدون: كما يستفاد من القاموس ومنتهى الإرب مأخوذ من دان يدون، أي صار

---

(١) في شرح: «يبلّغني المقام المحمود». (هامش الأصل)

(٢) مريم: ٧١.

دوناً وخسيساً. ويقال: دون فلان يعني أدنى منه منزلة، وأحياناً يستعمل بمعنى الوراء والأمام، وكلاهما بالاعتبار المتقدّم، وأحياناً يستعمل بمعنى القرب باعتبار أنّ كلا المعنيين من الأمان والوراء متقاربان بالمعنى، وما ذكر له من معنى العند فهو من دون بمعنى الإمام، ولمّا كانت جهات الشيء والأدنى منه بالرتبة غيره في الحقيقة استعمل دون بمعنى الغير أيضاً، وتكون عبارة الزيارة أمام «الحسين» عليه السلام أو «عند الحسين». وعلى أيّة حال فالمعنى أنّهم بذلوا مهجهم وسفكت دمائهم في سبيل محبّته ونصرته.

وأمّا معنى «تثبيت قدم صدق» فقد ذكرناه فيما سبق وذكرنا الاختلاف في توجيهه وبيّنّا مختارنا في المعنى بما تقتضيه الحال من الشرح[1] فلا داعي للتكرار.

(١) شرح الجملة: «وأن يثبّت لي قدم صدق». (هامش الأصل)

خاتمة الكتاب

في شرح الدعاء المشهور بدعاء علقمة، ونبّهناك في البداية أنّ من الخطأ نسبته إلى علقمة لأنّ الراوي له صفوان وإن كنّا لم نقصد بشرح الزيارة إلّا هذا المقدار، وقد ألمعنا في البداية أنّ هذا الدعاء ليس داخلاً ضمن الشرح ولكن إتماماً لهذا العمل الشريف قمنا بترجمته أوّلاً لينتفع به إخواننا جميعاً تلاوة واستظهاراً، ثـمّ بعد ذلك عمدنا إلى شرح ألفاظه المشكلة وتراكيبه العويصة لا بأُسلوب الشرح المعهود ولكن بطريق البيان والتوضيح الذي سلكه الشيخ البهائي ﷺ والمجلسي ﷺ وغيرهما غاية في الاختصار، ونرى من الضروري إعادة ترجمته وإن أفضى بنا إلى التكرار فلا بأس بذلك لأنّه هو المسك ما كرّرته يتضوّع.. وهذه نسخته الشريفة.

«يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ، يَا مُجِيبَ دَعْوَةِ الْمُضْطَرِّينَ، يَا كَاشِفَ كُرَبِ الْمَكْرُوبِينَ، يَا غِيَاثَ الْمُسْتَغِيثِينَ، يَا صَرِيخَ الْمُسْتَصْرِخِينَ، وَيَا مَنْ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيَّ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَيَا مَنْ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَيَا مَنْ هُوَ بِالْمَنْظَرِ الْأَعْلَى وَبِالْأُفُقِ الْمُبِينِ، وَيَا مَنْ هُوَ الرَّحْمانُ الرَّحِيمُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوىٰ، وَيَا مَنْ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ، وَيَا مَنْ لا يَخْفىٰ عَلَيْهِ خافِيَةٌ، يَا مَنْ لَا تَشْتَبِهُ عَلَيْهِ الْأَصْواتُ، وَيَا مَنْ لَا تُغَلِّطُهُ الْحاجاتُ، وَيَا مَنْ لَا يُبْرِمُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ، يَا مُدْرِكَ كُلِّ فَوْتٍ، وَيَا جامِعَ كُلِّ شَمْلٍ، وَيَا بارِئَ النُّفُوسِ بَعْدَ الْمَوْتِ، يَا مَنْ هُوَ كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْنٍ، يَا قَاضِيَ الْحاجاتِ، يَا مُنَفِّسَ الْكُرُباتِ، يَا مُعْطِيَ السُّؤْلاتِ، يَا وَلِيَّ الرَّغَباتِ، يَا كافِيَ الْمُهِمَّاتِ، يَا

مَنْ يَكْفِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا يَكْفِي مِنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، وَعَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَبِحَقِّ فَاطِمَةَ بِنْتِ نَبِيِّكَ ، وَبِحَقِّ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ ، فَإِنِّي بِهِمْ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ فِي مَقَامِي هٰذَا ، وَبِهِمْ أَتَوَسَّلُ ، وَبِهِمْ أَتَشَفَّعُ إِلَيْكَ ، وَبِحَقِّهِمْ أَسْأَلُكَ وَأُقْسِمُ وَأَعْزِمُ عَلَيْكَ ، وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ وَبِالْقَدْرِ الَّذِي لَهُمْ عِنْدَكَ ، وَبِالَّذِي فَضَّلْتَهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَبِاسْمِكَ الَّذِي جَعَلْتَهُ عِنْدَهُمْ ، وَبِهِ خَصَصْتَهُمْ دُونَ الْعَالَمِينَ ، وَبِهِ أَبَنْتَهُمْ وَأَبَنْتَ فَضْلَهُمْ مِنْ فَضْلِ الْعَالَمِينَ حَتَّىٰ فاقَ فَضْلُهُمْ فَضْلَ الْعَالَمِينَ جَمِيعاً ، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَكْشِفَ عَنِّي غَمِّي وَهَمِّي وَكَرْبِي ، وَتَكْفِيَنِي الْمُهِمَّ مِنْ أُمُورِي ، وَتَقْضِيَ عَنِّي دَيْنِي ، وَتُجِيرَنِي مِنَ الْفَقْرِ ، وَتُجِيرَنِي مِنَ الْفاقَةِ ، وَتُغْنِيَنِي عَنِ الْمَسْأَلَةِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ ، وَتَكْفِيَنِي هَمَّ مَنْ أَخافُ هَمَّهُ ، وَعُسْرَ مَنْ أَخافُ عُسْرَهُ ، وَحُزُونَةَ مَنْ أَخافُ حُزُونَتَهُ ، وَشَرَّ مَنْ أَخافُ شَرَّهُ ، وَمَكْرَ مَنْ أَخافُ مَكْرَهُ ، وَبَغْيَ مَنْ أَخافُ بَغْيَهُ ، وَجَوْرَ مَنْ أَخافُ جَوْرَهُ ، وَسُلْطانَ مَنْ أَخافُ سُلْطانَهُ ، وَكَيْدَ مَنْ أَخافُ كَيْدَهُ ، وَمَقْدُرَةَ مَنْ أَخافُ مَقْدُرَتَهُ عَلَيَّ ، وَتَرُدَّ عَنِّي كَيْدَ الْكَيَدَةِ ، وَمَكْرَ الْمَكَرَةِ . اللّٰهُمَّ مَنْ أَرادَنِي فَأَرِدْهُ ، وَمَنْ كادَنِي فَكِدْهُ ، وَاصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُ وَمَكْرَهُ وَبَأْسَهُ وَأَمانِيَّهُ وَامْنَعْهُ عَنِّي كَيْفَ شِئْتَ وَأَنَّىٰ شِئْتَ . اللّٰهُمَّ اشْغَلْهُ عَنِّي بِفَقْرٍ لَا تَجْبُرُهُ ، وَبِبَلاءٍ لَا تَسْتُرُهُ ، وَبِفاقَةٍ لَا تَسُدُّها ، وَبِسُقْمٍ لَا تُعافِيهِ ، وَذُلٍّ لَا تُعِزُّهُ ، وَبِمَسْكَنَةٍ لَا تَجْبُرُها . اللّٰهُمَّ اضْرِبْ بِالذُّلِّ نَصْبَ عَيْنَيْهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ الْفَقْرَ فِي مَنْزِلِهِ ، وَالْعِلَّةَ وَالسُّقْمَ فِي بَدَنِهِ حَتَّىٰ تَشْغَلَهُ عَنِّي بِشُغْلٍ شاغِلٍ لَا فَراغَ لَهُ ، وَأَنْسِهِ ذِكْرِي كَما أَنْسَيْتَهُ ذِكْرَكَ ، وَخُذْ عَنِّي بِسَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَلِسانِهِ وَيَدِهِ وَرِجْلِهِ وَقَلْبِهِ وَجَمِيعِ جَوارِحِهِ ، وَأَدْخِلْ عَلَيْهِ فِي جَمِيعِ ذٰلِكَ السُّقْمَ وَلَا تَشْفِهِ حَتَّىٰ تَجْعَلَ ذٰلِكَ لَهُ شُغْلاً شاغِلاً بِهِ عَنِّي وَعَنْ ذِكْرِي ، وَاكْفِنِي يَا كافِيَ مَا لَا يَكْفِي سِواكَ فَإِنَّكَ

الْكافِي لَا كافِيَ سِواكَ ، وَمُفَرِّجُ لَا مُفَرِّجَ سِواكَ ، وَمُغِيثُ لَا مُغِيثَ سِواكَ ، وَجارُ لَا جارَ سِواكَ ، خابَ مَنْ كانَ جارُهُ سِواكَ ، وَمُغِيثُهُ سِواكَ ، وَمَفْزَعُهُ إِلىٰ سِواكَ ، وَمَهْرَبُهُ إِلىٰ سِواكَ ، وَمَلْجَؤُهُ إِلىٰ غَيْرِكَ ، وَمَنْجاهُ مِنْ مَخْلُوقٍ غَيْرِكَ ، فَأَنْتَ ثِقَتِي وَرَجائِي وَمَفْزَعِي وَمَهْرَبِي وَمَلْجَئِي وَمَنْجايَ ، فَبِكَ أَسْتَفْتِحُ ، وَبِكَ أَسْتَنْجِحُ ، وَبِمُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ وَأَتَوَسَّلُ وَأَتَشَفَّعُ ، فَأَسْأَلُكَ يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ ، فَلَكَ الْحَمْدُ وَلَكَ الشُّكْرُ وَإِلَيْكَ الْمُشْتَكَى وَأَنْتَ الْمُسْتَعانُ ، فَأَسْأَلُكَ يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ يَا اللّٰهُ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ أَنْ تُصَلِّيَ عَلىٰ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَأَنْ تَكْشِفَ عَنِّي غَمِّي وَهَمِّي وَكَرْبِي فِي مَقامِي هٰذا كَما كَشَفْتَ عَنْ نَبِيِّكَ هَمَّهُ وَغَمَّهُ وَكَرْبَهُ ، وَكَفَيْتَهُ هَوْلَ عَدُوِّهِ ، فَاكْشِفْ عَنِّي كَما كَشَفْتَ عَنْهُ ، وَفَرِّجْ عَنِّي كَما فَرَّجْتَ عَنْهُ ، وَاكْفِنِي كَما كَفَيْتَهُ ، وَاصْرِفْ عَنِّي هَوْلَ مَا أَخافُ هَوْلَهُ ، وَمَؤُونَةَ مَا أَخافُ مَؤُونَتَهُ ، وَهَمَّ مَا أَخافُ هَمَّهُ ، بِلا مَؤُونَةٍ عَلىٰ نَفْسِي مِنْ ذٰلِكَ ، وَاصْرِفْنِي بِقَضاءِ حَوائِجِي ، وَكِفايَةِ مَا أَهَمَّنِي هَمُّهُ مِنْ أَمْرِ آخِرَتِي وَدُنْيايَ .

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَا أَبا عَبْدِاللّٰهِ، عَلَيْكُما مِنِّي سَلامُ اللّٰهِ أَبَداً مَا بَقِيتُ وَبَقِيَ اللَّيْلُ والنَّهارُ ، وَلَا جَعَلَهُ اللّٰهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنْ زِيارَتِكُما وَلَا فَرَّقَ اللّٰهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُما . اللّٰهُمَّ أَحْيِنِي حَياةَ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ ، وَأَمِتْنِي مَماتَهُمْ ، وَتَوَفَّنِي عَلىٰ مِلَّتِهِمْ ، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَتِهِمْ ، وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ أَبَداً فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَيَا أَبا عَبْدِاللّٰهِ ، أَتَيْتُكُما زائِراً وَمُتَوَسِّلاً إِلَى اللّٰهِ رَبِّي وَرَبِّكُما ، وَمُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ بِكُما ، وَمُسْتَشْفِعاً بِكُما إِلَى اللّٰهِ تَعالىٰ فِي حاجَتِي هٰذِهِ فَاشْفَعا لِي فَإِنَّ لَكُما عِنْدَ اللّٰهِ الْمَقامَ الْمَحْمُودَ ، وَالْجاهَ الْوَجِيهَ ، وَالْمَنْزِلَ الرَّفِيعَ وَالْوَسِيلَةَ ، إِنِّي أَنْقَلِبُ عَنْكُما مُنْتَظِراً لِتَنَجُّزِ الْحاجَةِ وَقَضائِها وَنَجاحِها مِنَ اللّٰهِ بِشَفاعَتِكُما لِي إِلَى اللّٰهِ فِي ذٰلِكَ فَلا أَخِيبُ ، وَلَا يَكُونُ

مُنْقَلَبِي مُنْقَلَباً خائِباً خاسِراً ، بَلْ يَكُونُ مُنْقَلَبِي مُنْقَلَباً راجِحاً مُفْلِحاً مُنْجِحاً مُسْتَجاباً بِقَضاءِ جَمِيعِ حَوائِجِي وَتَشَفُّعاً لِي إِلَى اللّٰهِ . انْقَلَبْتُ عَلَى مَا شاءَ اللّٰهُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ، مُفَوِّضاً أَمْرِي إِلَى اللّٰهِ ، مُلْجِئاً ظَهْرِي إِلَى اللّٰهِ ، مُتَوَكِّلاً عَلَى اللّٰهِ ، وَأَقُولُ حَسْبِيَ اللّٰهُ وَكَفَى ، سَمِعَ اللّٰهُ لِمَنْ دَعا ، لَيْسَ لِي وَراءَ اللّٰهِ وَوَراءَكُمْ يَا سادَتِي مُنْتَهى ، مَا شاءَ رَبِّي كانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ أَسْتَوْدِعُكُمَا اللّٰهَ ، وَلَا جَعَلَهُ اللّٰهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي إِلَيْكُما ، انْصَرَفْتُ يَا سَيِّدِي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَمَوْلايَ وَأَنْتَ يَا أَبا عَبْدِاللّٰهِ يَا سَيِّدِي وَسَلامِي عَلَيْكُما مُتَّصِلٌ مَا اتَّصَلَ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ ، واصِلٌ ذٰلِكَ إِلَيْكُما غَيْرُ مَحْجُوبٍ عَنْكُما سَلامِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ، وَأَسْأَلُهُ بِحَقِّكُما أَنْ يَشاءَ ذٰلِكَ وَيَفْعَلَ فَإِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ . انْقَلَبْتُ يَا سَيِّدَيَّ عَنْكُما تائِباً حامِداً لِلّٰهِ شاكِراً راجِياً لِلْإِجابَةِ ، غَيْرَ آيِسٍ وَلَا قانِطٍ ، آئِباً عائِداً راجِعاً إِلى زِيارَتِكُما ، غَيْرَ راغِبٍ عَنْكُما وَلَا عَنْ زِيارَتِكُما بَلْ راجِعٌ عائِدٌ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ ، يَا سادَتِي رَغِبْتُ إِلَيْكُما وَإِلى زِيارَتِكُما بَعْدَ أَنْ زَهِدَ فِيكُما وَفِي زِيارَتِكُما أَهْلُ الدُّنْيا ، فَلا خَيَّبَنِيَ اللّٰهُ مِمَّا رَجَوْتُ وَمَا أَمَّلْتُ فِي زِيارَتِكُما إِنَّهُ قَرِيبٌ مُجِيبٌ .

قوله عليه السلام : «يا الله يا الله» إلى آخره ..

ابتدأ بتمجيد الذات المقدّسة وتحميدها والثناء على ربّ العزّة جلّت عظمته ، كما ورد هذا المعنى في أخبار أُخرى ، ففي (عدّة الداعي) عن الحارث بن المغيرة روى عن الإمام الصادق عليه السلام : إيّاكم إذا أردتم أن يسأل أحدكم ربّه شيئاً من حوائج الدنيا حتّى يبدأ بالثناء على الله عزّ وجلّ [والمدحة له ـ المصدر] والصلاة على

النبيّ وآله ثمّ يسأل الله حاجته[١].

وروى أخباراً أُخرى بهذا المعنى، وفي إحدى «عيص بن القاسم» (أبي القاسم ـ المصدر) قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: إذا طلب أحدكم الحاجة فليثن على ربّه وليمدحه فإنّ الرجل منكم إذا طلب الحاجة من سلطان هيّأ له من الكلام أحسن ما يقدر عليه، فإذا طلبتم الحاجة فمجّدوا الله العزيز الجبّار وامدحوه واثنوا عليه... الخ[٢].

قوله عليه السلام: «يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد»..

هذه العبارة مقتبسة من القرآن المجيد، والحبل بمعنى الشريان، والوريد: الوريدان عرقان غليظان تحت الودجين عن يمين ثغرة النحر ويسارها، وحياة الإنسان مرتبطة به، ووجوده علّة للحياة الظاهريّة، ومعنى الأقرب منه كناية عن كمال الإحاطة وغاية الاقتدار على وجوده وإن كان لا يعلم بذلك، كما قيل:

دوست نزديک‌تر از من بمن است — *وين عجب‌تر که من از وی دورم*

اين سخن باکه توان گفت که دوست — *در کنار من و من مهجورم*

وأقرب من نفسي إليّ وإنّني — **بمبعدة عنه وذا أعجب العجب**

وأيّ امرئٍ يبقى قريباً حبيبه — **ولكنّه بالهجر كالغصن يضطرب**

وتفصيل هذا المقام يلتمس من الكتب التي تناولت الموضوع بإطناب، ولكنّه

---

(١) عدّة الداعي: ٩٧، بحار الأنوار ٩٠: ٣١٤ط لبنان، دعوات الراوندي، بحار الأنوار ٩٠: ٣١٢ط لبنان. (هامش الأصل)

(٢) عدّه الداعي: ١٦١. (المترجم وللحديث بقيّة).

خارج عن إدراك أكثر الناس. ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[١].

قوله عليه السلام: «يا من يحول بين المرء وقلبه»..

والمراد من القلب إمّا العقل الإنسانيّ الذي يحول بين المرء وبين التفكير بالمصلحة الشخصيّة الظاهريّة التي هي طابع عقول الناس شريطة أن تتغلّب المحبّة عليه كما أنّ هذا الأمر لازم فرط المحبّة، وقد خفي الواقع على عدوّ سيّدالشهداء فرأوه مع قلّة أنصاره وكثرة عدوّه وظنّه المتآخم لليقين بالشهادة أزمع السفر إلى كربلاء، وأجاب بعضهم عن هذا بأنّه غلب عليه ظنّ السلامة وهذا بعيد عن الحقّ والجواب الصحيح هو أنّ الإمام غلب عليه «أنّ الله شاء أن يراك قتيلا» هذا الحبّ الربّانيّ الطهور، فتحرّك نحو ميدان الشهادة برجله يرتوي من عذب وردها، ويغلب العالم على السعادة، ولنعم ما قيل في حقّه:

باهوايش در تمور و دى خوشيم ماهى آبيم و مرغ آتشيم

تيغ بر سر همچو اسفر مى‌بريم تشنگى چون آب كوثر مى‌خوريم

والحديث الذي مرّ سابقاً[٢] في حقّ أصحابه: «لا يجدون مسّ ألم الحديد» شاهد أمين على هذا المدّعى.

والوجه الثاني أنّ المراد بالقلب عزم المرء ونيّته.

والحيلولة: كناية عن نقض العزم وتقليب القلوب، كما قال أميرالمؤمنين عليه السلام: «عرفت الله بفسخ العزائم[٣].

---

(١) يوسف: ١٠٣.

(٢) في شرح جملة: «وأصحاب الحسين» حديث «د». (هامش الأصل)

(٣) عرفت الله سبحانه بفسخ العزائم وحلّ العقود ونقض الهمم. (هامش الأصل) قصار الحكم رقم ٢٥٠.

الوجه الثالث: المراد بالقلب هو إنساء المعلومات الآدميّة، وبناءاً على هذا يكون القلب بمعنى الفهم.

قوله ﷺ: «يا من هو بالمنظر الأعلى وبالأُفق المبين»..

وهذاكنايه عن علوّ القدر وظهور الأمر؛ لأنّ من كان في المنظر الأعلى لا يكون أحد أعلى منه، وبالطبع العلوّ هذا علوّ القدر، وهو بالأُفق المبين أي جانب السماء من جهة المشرق، وهذا لا ينكر ولا خفاء له، وهو على سبيل تمثيل أمر معنويّ بأمر حسّيّ.

قوله ﷺ: «يا من يعلم خائنة الأعين»..

وفي خائنة الأعين وجوه:

ظنّ البعض أنّ «خائنة» مصدر بمعنى الخيانة والمراد سارقة النظر، ورفعه للشيء بالخفاء شريطة أن لا يكون معيباً.

وقال بعضهم: المراد به الرمز والغمز، وبهما الإشارة إلى العين وجفنها.

وتوهّم بعضهم فيه هذا المعنى وهو أن يقول رأيت وهو لم ير، ولم أر وقد رأى، والعلاقة بينه وبين خائنة الأعين لأنّ الرؤية عمل العين فالكذب في ذلك يعتبر خائنة الأعين.

والأوجه من كلّ ذلك اعتبار خائنة اسم فاعل من الخيانة وهو صفة لموصوف محذوف كالحركة وأشباهها والمراد أعمّ من المعنى الأوّل والثاني[1] وهذا المعنى

---

(١) هذه العبارة مقتبسة من قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩] ويدلّ على

وإن لم أجده عند أحد إلّا أنّ ضيق الوقت حملني على عدم الاستقصاء وظنّي أنّ ذوق الأدباء يقتضيه وهو المتعيّن.

قوله عليه السلام: «يا من لا تغلّطه الحاجات»..

لمّا كان من طباع البشر بحكم غلبة السهو والنسيان إذا ما كثرت الحوائج على أحد منهم وتضاعفت الحاجات وترادفت المطالب كان معرضاً للخطاء والاشتباه والنسيان، أثنى على الله بإحاطة علمه بكلّ شيء وعدم عروض الغفلة عليه.

قوله عليه السلام: «يا من لا يبرمه»..

الإبرام، إفعال، والبرم بمعنى الملل والضجر والسأم، يعني لا يصيّره ضجراً سأماً كما مرّ في الترجمة السالفة[1].

قوله عليه السلام: «يا من هو كلّ يوم في شأن»..

وهذا أيضاً اقتباس من القرآن الكريم أي إنّ له في كلّ يومٍ شأناً يحيى قوماً ويميت آخرين، ويرزق فئة ويفقر أُخرى، كما نقل ذلك عن المفسّرين.

ويمكن أن يكون المراد من الشأن ظهورات وأمارات عزّة الله كما ورد في دعاء

➲ خيانة العين بقرينة ما تخفي الصدور، والغرض من ذلك بيان خيانة العين التي تتمّ في السرّ من الأنظار، ومن هذا المطلب يتصوّر الإشكال على المؤلّف المحترم لأنّه قال: الخائنة مطلق خيانات العين إلّا أن يقول أنّ قصدي من المطلق تناول المعنيين: السرّيّ والرمزيّ، الذي لا يطّلع عليه أحد إلى حدّ ما. (هامش الأصل)

(١) لم يذكر «الحاح الملحّين» الخ، الإلحاح الإلحاف في المسألة، ألحّ يلحّ فهو ملحّ. (المترجم)

كميل: «وبأسماءك التي ملأت أركان كلّ شيء».

وخلاصة المعنى أنّ له تجلّياً في كلّ موجود وأثراً في كلّ شيء، ونعم ما قال أبو العتاهية:

فيا عجباً كيف يعصى الإلّه ... أم كيف يجحده الجاحد

وفي كلّ شيء له آية ... تدلّ على أنّه واحد

وقد أبدع أبو نؤاس بقوله في مقطوعة شعر:

تأمّل في رياض الأرض وانظر ... إلى آثار ما صنع المليك

عيون من لجين ناظرات ... على أطباقها ذهب سبيك

على قضب الزبرجد شاهدات ... بأنّ الله ليس له شريك

الظاهر أنّ هذا الكلام جاء دليلاً على ما سبق من دعوى «أسألك» أي إنّ شاهدي حالتي الفعليّة وهي سؤالي إيّاك بحقّهم، من التوجّه والتوسّل والتشفّع، وعلى هذا تكون جملة «وبحقّهم أسألك» تأكيد وتأييد لأسألك، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «أقسم وأعزم عليك»..

يقال: عزمت عليه أي حلّفته، وأصل العزم الإلزام بشيء، ويجوز أن تكون في عبارة الزيارة تأكيداً لا قسم، ويمكن أن تكون بمعنى ألزم أي إنّي غير راضٍ بترك ذلك.

قوله عليه السلام: «وباسمك الذي جعلته عندهم»..

جاء في الأخبار أنّ الاسم الأعظم عندهم بل إنّهم هم الاسم الأعظم.

قوله عليه السلام: «وتجيرني من الفقر»..

الجبر حقيقةً هو الإصلاح وأُشرب هنا معنى النجاة لذلك تعدّي بـ«من»، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «كيد الكيدة»..

ترك الإعلال في «كيده» هنا لرعاية المزاوجة، وتأخّر المكرة الذي ترك الإعلال لمراعاة وزنه لا يضرّ كما ورد في نهج البلاغة الشريفة: «غير مأزور ولا مأجور» والأصل في الأوّل: «موزور» ومثله الفقرة المعروفة: «الجبريّة والقدريّة» وقد قال جماعة إسكان الباء لا يصحّ مع الاجتماع[1].

قوله عليه السلام: «فكده»..

أشرنا إليه سابقاً[2] وتدلّ صحّة هذه الاستعمال[3] على جواز إطلاق كائد على الله تعالى.

قوله عليه السلام: «اللهمّ اشغله»..

الإمام الذي دعا بهذا الدعاء يجوز أن يدعو به على أعدائه، وبناءاً على هذا يجوز أن يدعو به الداعي على قوم بينه وبينهم عداوة دينيّة وإلّا فينبغي أن يقصد به

---

(١) يلزم فتح الباء لتقابل فتح الدال في قدريّة. (المترجم)

(٢) في شرح: «أسّست أساس الظلم والجور عليكم أهل البيت»، وذيل: «صلّى الله عليه وآله وسلّم» الفائدة الخامسة. (هامش الأصل)

(٣) في القرآن المجيد مثل: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٣، القلم: ٤٥]، و ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْداً﴾ [الطارق: ١٥]. (هامش الأصل)

أعداء أهل البيت أو أن يقرأ هذا الجزء من الدعاء لمحض التعبّد.

قوله عليه السلام: «ومسكنة»..

هذا مصدر جعليّ مأخوذ من لفظ مسكين، وحقيقته في الفارسيّة: «بيچاره» من لا حيلة له، وهو أشدّ من الفقير. ومن هنا يظهر معنى الفقير والمسكين «إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا» لأنّه في صورة الاجتماع يراد معنى المسكنة، وفي صورة الافتراق يجوز إرادة المعنى الأعمّ.

قوله عليه السلام: «نصب عينيه»..

في القاموس تردّد في تخطأة الفتح وعادته ثبتت في الترديد أن يكون بعد خلاف، والموجود في النسخ الفتح، وإن لم أتمّ التتبّع. وعلى كلّ حال إن ثبت الفتح فهو دليل الصحّة وإلّا فالقرائة على الوجهين احتياطاً، والمراد من نصب العين، ما ينصب من شيء أمامك ومن هذه الجهة كنّي بها عن المطلوب.

قوله عليه السلام: «وخذ عنّي»..

الظاهر أنّ المراد بالأخذ هنا الصرف والدفع، ويجوز أن يراد بالكلمة معنى البدليّة والعوضيّة، أي خذ عنّي بعينه وسمعه لأنّك قادر على ذلك ولست بقادر، وهذا بعيد.

قوله عليه السلام: «شاغلاً عنّي»..

الظاهر أنّ شاغلاً حال من ضمير الفاعل وهو الضمير المجرور بالباء «به» ويرجع إلى ذلك، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «من مخلوق غيرك»..

وصف المخلوق بغير من باب التنصيص على مباينة الخالق للمخلوق.

قوله عليه السلام: «وأتشفّع»..

هذه العبارة: «أتشفّع» معناها طلب الشفاعة مثل الاستشفاع وإن لم أجدها في كتب اللغة ولكن الاستعمال حجّة. ومن هذا القبيل ألفاظ لم يذكرها اللغويّون توجد في متون اللغة وفصيح العربيّة وهي أكثر من أن تحصى، وصدر منّا مراراً وتكراراً القول بأنّ ألفاظ الأئمّة المستعملة منهم حجّة على الأدباء خصوصاً الصادقين فصاعداً؛ لأنّ طبقة من الأدباء عاصرتهم يحتجّ بأقوالهم مثل الكميت ومن عاصره، ورواة أخبارنا ليسوا بأقلّ من عبدالرحمن ابن أخي الأصمعيّ، والأصمعيّ الناصبيّ وأبي عبيدة الخارجيّ اللائط، إذن لا مانع من الاستدلال والاحتجاج سوى عدم الالتفات إلى أُصول اللغة وسوى تقليد اللغويّين الذين لا بصيرة لهم، والله العاصم.

قوله عليه السلام: «ومؤنة» إلى آخره..

اشتقاق هذا اللفظ من «مان» ووزنه فعلولة، ولهذا جاء جمعه على «مؤن» مثل سفن، ولا وجه لاشتقاقه من «آن» ليكون وزنه مفعولة مثل مقولة[1].

---

(١) جاء عقيب هذا في نسخة الكتاب: قوله: «ما أهمّني همّه» وهذا سهو من النسّاخ ولكنّنا أصلحناه وذكرنا بعد قوله «ومؤنة» قوله: «واصرفني». (هامش الأصل)

قوله عليه السلام: «واصرفني»..

بناء هذا الكلام على دعاء المرء حين يدعو ويوجّه قلبه وجهة مقصوده الحقيقيّ كأنّه كان في سفر وطوى المراحل لذلك كان الانصراف والانقلاب من هذا السفر إلى حيث موضع قصده لازماً محتّماً له، وبهذا الاعتبار صرّح في دعاء أبي حمزة: «وإنّ الراحل إليك قريب المسافة»، وبهذه الملاحظة كثر ورود لفظ: «اقلبني» وانقلبت وانقلب كثيراً في الأدعية المخصّصة للقرائة في الحضر، ولذلك قلنا في الترجمة: «انصرف عن باب بينك..».

قوله عليه السلام: «ما أهمّني»..

هذه النسبة إمّا أن تكون على سبيل المبالغة والتأكيد، أو أنّ المراد من الهمّ هو محلّ الاهتمام، والله أعلم[1].

قوله عليه السلام: «يا أميرالمؤمنين»..

لمّا كانت هذه الزيارة بعد زيارة أميرالمؤمنين، بدأ الخطاب به، وإذا قرأ امرؤٌ تلك الزيارة أوّلاً أو أيّ زيارة مختصّة بأميرالمؤمنين فالأمر سهل ميسور وإلّا من هنا يبدأ الكلام مع أميرالمؤمنين. ولمّا كان سيّدالشهداء فرعاً من تلك الدوحة المباركة كان الخطاب مع أميرالمؤمنين أثناء زيارة الحسين عليه السلام كأنّه بالنظر إلى أنّ زيارته زيارتك لا فرق بينهما..

---

(١) بعد هذه العبارة ورد العبارة التالية: «من زيارتكما» ونحن أصلحنا العبارة ووضعنا «يا أميرالمؤمنين» في المقدّمة عليها..(هامش الأصل)

قوله عليه السلام: «من زيارتكما»..

«من» ابتدائيّة، كأنّما هي كانت مبدأ عهد الزيارة وتنتهي بالانصراف، وهذه النكتة حسّنت مجي حرف «من» الجار.

قوله عليه السلام: «مستجاباً»..

وصف الانقلاب بكونه «مستجاباً»[1] وهو صفة للدعاء مجاز في الإسناد، ولمّا لابس الحوائج التي تكون الاستجابة وصفاً لها كأنّما أثبتت له صفة العارية التي أثبتت للحوائج. ويمكن أن يكون مستجاب مثل مشكوك ومولود مشتملاً على الحذف والإيصال، وكان في الأصل «مستجاباً فيه» وبناءاً على هذا يكون الوصف حقيقيّاً، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «وتشفّعا»..

الظاهر أنّه مضعّف الفاء من باب التفعّل؛ لأنّ معناه كما بيّنه اللغويّون «الشفاعة» متعدّية باللام، كما هو في منتهى الإرب، وما يوجد في بعض النسخ من التخفيف ـ أي كونه أحد الأفعال الخمسة ـ «تشفّعا» لم أجد وجهاً لحذف النون، اللهمّ إلّا أن نقرأ «فلا أخيب» بالنصب، والفاء للتعليل مثل: «لو ما تأتيني فتحدّثني» وتكون الأفعال التالية معطوفة عليها، وتشفّعا معطوفة أيضاً.

ويمكن أن يكون العطف على معنى «بقضاء حاجتي» وتقدّر أنّ الناصبة بقرينة هذا العطف.

ويمكن أن يكون الواو بمعنى «مع» كما في قولنا: لا تشرب اللبن وتأكل

---

(١) في قوله: «بل يكون منقلبي منقلباً راجحاً مفلحاً مستجاباً».

السمك، أي: مع أكل السمك، وهذا المورد وإن لم يكن من الموارد القياسيّة إلّا أنّه لا مانع منه على الظاهر، وإن كان لا يخلو أحد هذه الاحتمالات من المناقشة ومخالفة الذوق، والله أعلم.

قوله عليه السلام: «على ما شاء الله»..

قال المجلسيّ عليه الرحمة: المراد أنّنا نرجع إلى هذا الكلام. وبناءاً على هذا نقول: ما شاء الله، وخبر «ما» محذوف وتقديره: كائن أو كان وأمثال ذلك. ولاحول ولا قوّة إلّا بالله، عطف على ما شاء الله. ويمكن أن يراد المعنى دون اللفظ أي: على ما أراد الله ولا حول ولا قوّة إلّا بالله إنشاء توحيد الإفعال من أجل أنّ الانقلاب متعلّق بوجود المشيئة؛ والمعنى الأوّل لا يخلو من بعد.

قوله عليه السلام: «وأقول حسبي الله وكفى»..

الظاهر من قول «كفى» أنّها تأييد وتأكيد لمعنى «حسبي»، ويمكن أن تكون الجملة استئنافيّة، والضمير راجع إلى قول «حسبي» أو إلى نفس الجملة. وعلى أيّ وجه يؤيّد احتمالنا في العبارة السابقة ويبعد احتمال البحار لأنّه إن كان المراد منه «القول» فينبغي أن تذكر الأقوال مع بعضها البعض.

قوله عليه السلام: «سمع الله لمن دعى»..

يمكن أن تكون الجملة خبريّة في مقام التمجيد والتوحيد للباري تعالى، والأظهر أنّها جملة دعائيّة كما هو الحال في «سمع الله لمن حمده».

قوله عليه السلام: «ليس وراءكم»..

أي ليس سواكم من ينتهي أرباب الحوائج إليه، ومعناه أنّ أيّ محتاج يتوسّل

بآخر فإنّ سلسلة الحاجات تنتهي إليكم، وحلّ عقود المشاكل بعهدة أنـاملكم وعواطفكم وفواضلكم.

قوله عليه السلام: «وأنت يا أبا عبدالله»..

عطف على أميرالمؤمنين وياء النداء داخلة عليه للقاعدة النحويّة المسلّمة القائلة: «يفتقر في الثواني ما لا يفتقر في الأوائل» بل أجراها الشيخ الأجلّ الشيخ جعفر النجفي رحمه الله في (القواعد المختصرة) في الفقه وأوردها هناك.

وما يجري على ألسنة أهل العلم عن السيّد المحقّق الداماد رحمه الله أنّه قال: لفظ «أبت» على وزن قلت[1] من الأوب بمعنى الرجوع وتكون معطوفة على «انصرفت» لم أجدها في كلام هذا العلّامة المشهور، وإن كانت فهي قول ضعيف ومن جنس المصحّف، ونظير هذا ما حكاه السيّد الأجل غياث الدين عبدالكريم ابن طاووس الحسنيّ رحمه الله في كتاب «فرحة الغري» عن أحد الأُدباء أنّه كتب كتاباً في التصحيف وجاء إلى الحديث المعروف «تختّموا بالعقيق» فاعتبره مصحّفاً والصحيح «تختيّموا في العقيق» أي اضربوا لكم أطناباً هناك، وهو محلّ بالقرب من المدينة وميقات العراق، ويجد المتتبّع في كتب العلماء كثيراً من هذه الغرائب[2].

---

(١) أي إنّه قرأ بدل «أنت» الضمير المنفصل المرفوع، «أبت» الفعل الماضي من «آب» فتكون العبارة: «أبت يا أبا عبدالله» بدل «أنت».

(٢) أنقل لك ما جاء في كتاب «فرحة الغري» لتكون على بيّنة من أمره، ذكر في كتابه ـ حمزة بن الحسن الاصفهاني ـ التنبيه على حدوث التصحيف ـ أنّ كثيراً من رواة الحديث يروون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: تختّموا بالعقيق وإنّما قال: تختّموا بالعقيق وهو اسم واد بظاهر المدينة (فرحة الغري: ١١٥، تحقيق تحسين آل شبيب، أُولى ١٤١٩، مركز الغدير). (المترجم)

قوله ﷺ: «سلامي»..

الظاهر أنّ سلام نائب الفاعل لمحجوب، ويمكن أن يكون غير محجوب خبر ثان وسلام بدل منه، وهذا غاية في البعد.

قوله ﷺ: «إن شاء الله»..

يمكن أن يكون التعليق على المشيئة لمجرّد التبرّك مثل: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ﴾[1] وبناءاً على هذا إنّ قول «وأسأله أن يشأ ذلك» جملة استئنافيّة، والأظهر بحسب سياق العبارة أنّها للشرط الحقيقيّ والواو للعطف.

والحقّ طبقاً لرعاية قواعد الإملاء، أنّ هذه الكلمة إن كانت للتبرّك كتبت متصّلة هكذا «إنشاء» لأنّها في الحقيقة ليست للتعليق، وإن أُريد بها التعليق حقيقة فصلت عنها «إن» رسماً هكذا «إن شاء».

قوله ﷺ: «غير آيس ولا قانط»..

الظاهر أنّ اليأس والقنوط لا فرق بينهما في مجاري الاستعمال، والجمع بينهما للتأكيد مثل: المكر والحيلة، والأوب والرجوع والعود، وهذه عادة العرب في الجمع بين المترادفات، وإن كان في الواقع لا ترادف، وكلّ كلمة له معنى خاصّ بها استعملت فيه، ولكن لكثرة تناوب الكلمات في مقام الاستعمال على كثير من المواضع لم تدرك خصوصيّاتها لحدّ الآن، والله أعلم.

* * *

---

(١) الفتح: ٢٧.

وبهذا القدر نكتفي في بيان ألفاظ هذا الدعاء وفيه غنية لأهل العلم، والحمد لله أوّلاً وآخراً وباطناً وظاهراً على توفيقه لإتمام الباب الثاني من هذا الشرح الشريف مع كثرة الشواغل وقلّة البضاعة، وعدم المهلة لصرف الوقت فيه، وما ذلك إلّا ببركات من خدمته به وهو سيّدنا المظلوم أبو عبدالله الحسين سلام الله عليه، وقد حصل لي آثار التأييد وهبّت عليّ نسمات من قدسه من التوفيق والتسديد، وكتب مصنّفه الفقير إلى باب ربّه الغنيّ العاصم أبوالفضل بن المحقّق المرحوم أبي‌القاسم حوسبا حساباً يسيراً، وأُوتيا خيراً كثيرا، في الأرض المقدّسة والبقعة المباركة سرّ من رأى، في عصر يوم عاشوراء في سنة ١٣٠٩ من الهجرة النبويّة، حامداً مستغفراً مصلّياً مسلّماً.

شكر وثناء

حمداً لله الذي جعل التوفيق العظيم نصيب هذا الأقلّ، وبعناياته السرمديّة منحني القوّة فأصبحت أشدو مع الشادّين في قافلة سيّدالشهداء وأعوانه.. فأقول:

درون شعله چو پروانه سوختم ای دوست بدین امید که از عاشقان حساب شوم

واستطعت أن أُثبّت اسمي في سجلّ المتوسّلين بجنابه بعد إتمام عمل التحقيق والتصحيح والتعليق ووضع الفهرس الكامل، ونشر هذا الكتاب الشريف المليء من النكات الأدبيّة والعلميّة والعرفانيّة والولائيّة الذي قيل أنّه لا سابق له في موضوعه ولا نظير له، وهو جدير بالاهتمام.

في قم المقدّسة وعُشّ آل محمّد وحرم أمن فاطمة المعصومة سلام الله عليها.

حرّره السيّد علي ابن العلّامة الكبير الحاج سيّد مرتضى الموحّد الأبطحيّ، دامت إفاضاته.

ختام ومسك

من وجد برد حبّنا على قلبه فليكثر الدعاء لأُمّه فإنّها لم تخن أباه. (الإمام الصادق عليه السلام ـ معاني الأخبار)[1]

قلب هركس خنک از آتش عشق ما شد — خوش بحالش که ورا تحفه چنین اعطا شد
دم بدم مادر خود را بنوازد بدعا — که زپاکی وی این عشق بما پیدا شد
دشمن ما نشود آنکه عفیف الأم است — خصم راگوکه بپرسد زکه او پیدا شد

من زار برد حبّنا قلبه — فليشكر الله على تحفته
وليدعو الله إلى أُمّه — فإنّها صانت دما خلقته
مبغضنا فليتّهم أُمّه — لم تؤتمن يوماً على نطفته

الأشعار الفارسيّة لشاعر أهل البيت، أحمد قاضي الزاهدي.

ونعم ما أنشد المولى محمّد طاهر القمّيّ المتوفّى ١٠٩٨ في ذلك:

سلامة القلب نحّتني عن الزلل — وشعلة العلم دلّتني على العمل
طهارة الأصل قادتني إلى كرم — كرامتي ثبتت في اللوح في الأزل
قلبي يحبّ عليّاً ذا العلوم لذا — أدعو لأُمّي في الإبكار والأصل
محبّة المرتضى نور لصاحبها — يمشي بها آمناً من آفة الزلل
لزمت حبّ عليّ لا أُفارقه — وداده من جناني قطّ لم يزل
أخا النبيّ إمامي قوله سندي — لقوله تابع ما كان من عملي
أطعت حيدرة ذا كلّ مكرمة — إمام كلّ تقيّ قاصر الأمل

---

(١) معاني الأخبار: ١٦١ تحقيق علي أكبر غفاري، ط انتشارات اسلامي ١٣٦١ هجري شمسي. (المترجم)

صرفت في حبّ آل المصطفى عمري ... من مال عنهم إليه قطّ لم أمل
باب المدينة منجانا وملجأنا ... ما انحلّ مشكلنا إلاّ بحلّ علي
لولا محبّة طه للوصيّ لما ... أتى يشاركه في طيّب الأكل
ولاية المرتضى في خمّ قد ثبتت ... بنصّ أفضل خلق الله والرسل
نصّ النبيّ عليه فوق منبره ... عليه أشهد أهل الدين والدول
قد نصّ في الدار عند الأقربين على ... خلافة المرتضى جدّاً بلا هزل
إنّ الإمامة عهد لم تنل أحداً ... سوى المصون من الزلّات والخلل
أطعت من ثبتت في الكون عصمته ... وعفت كلّ جهول سيّئ العمل
قد ردّت الشمس للمولى أبي حسن ... روحي فداالمصطفى ذي المعجز الجلل
طوبى له كان بيت الله مولده ... كمثل مولده ما كان للرسل

وأسعد بمن يقول لسان حاله:

من غم مهر حسين با شير از مادر گرفتم ... روز اوّل كآمدم دستور تا آخر گرفتم
بر مشام جان زدم يک قطره از عطر حسينى ... سبقت از مشک وگلاب و عنبر گرفتم

وأحسن من حاله من أُعطي هذه الرتبة الرفيعة:

من زدربار حسين بن على ماهانه دارم ... كى دگر چشم طمع بر مردم بيگانه دارم
تا گرفتم دست خط نوكرى از مادر او ... بر درِ دربار آن شه منصب ماهانه دارم
لا عذّب الله أُمّي في مرابعها ... شربت حبّ حسين من مراضعها
من يوم جئت إلى الدنيا قد اتّخذت ... نفسي قواعد حبّي من مواضعها
روّيت من عطره نفسي فما برحت ... بالمسك والورد يذكو عطر واقعها

* * *

لي على سيّدي أبي الأحرار ... ثمن يرتجى بدار القرار
لست أرجو غير الحسين مجيراً ... أبغير الحسين أمن الجار
من يدي أُمّه جواز عبوري ... كيف أخشى غداً عذاب النار

ثبت المراجع لزيارة عاشوراء

لمّا كانت زيارة عاشوراء من بين الزيارات الواصلة التي حظيت بالاهتمام من مبادي الوحي لهذا كانت مورد عناية العلماء وكبار الدين وأعلامه، مِن ثَمّ كتبت فيها الكتب وحرّرت الرسائل، وكلّ واحد من هؤلاء هدف إلى غاية، ونحى نحو وسيلة يتعقّبها. فمن هؤلاء من اهتمّ بالسند والمدرك، ومنهم من اهتمّ بالثواب المترتّب عليها والبركة المتوخّاة من ذلك وكيفيّة التوسّل بها، وبعضهم صبّ عنايته على لغتها وعباراتها وهكذا.

ونحن من أجل تبصرة عموم المؤمنين نذكر الكتب المطبوعة والمخطوطة التي بلغتها أيدينا كما لا ننسى الفهارس التي تناولت هذه الكتب بالذكر.

الف ـ المخطوطات

١ ـ **تذكرة الزائرين (مختصر)**: تأليف أبي محمّد الحسن بن محمّد الطباطبائي الساروي، المتوفّى في حدود ١٣٥١، المخطوطة في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، مرقّمة برقم ٤٣٧٣/٧ وهو شرح مختصر للزيارات كلّها.

٢ ـ **تذكرة الزائرين (مسهب) أو صداق الحور في شرح زيارة العاشور**: تأليف أبي محمّد الحسن بن محمّد الطباطبائي الساروي، المتوفّى حوالي ١٣٥١، وهذه الرسالة مرقّمة برقم ٤٣٧٣٨ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، والمؤلّف من تلاميذ شيخ الشريعة الإصفهانيّ والميرزا محمّد علي الجهاردهي والشيخ عبدالله المازندراني رضوان الله عليهم أجمعين، وكتب هذه الرسالة بعد تمام

١٣٢٨ ومع مقايستها بالرسالة السالفة يظهر لنا بأنّ المؤلّف كتب الرسالة المختصرة أوّلاً ثمّ أتبعها بالمسهبة المطوّلة. وآخرها شرح الجملة: «عليكم منّي جميعاً سلام الله». راجع فهرست المكتبة ١٢: ٨٣ ـ ٨٤.

٣ ـ **جنّة السرور في تحقيق كيفيّة زيارة العاشور**: تأليف الشيخ علي بن محمّد جعفر الشريعتمداري الاسترابادي، المتوفّى ١٣٥١، والنسخة المخطوطة بخطّ المؤلّف باللغة العربيّة ورقمها ٣٠٩٠/٣ في مكتبة آية الله المرعشي النجفي في قم. راجع فهرست المكتبة المذكورة ٨: ٣١٤ و٣١٥، الذريعة ٥: ١٥٨.

٤ ـ **رسالة في زيارة عاشوراء**: تأليف الميرزا علي الشهرستاني الحائري، المتوفّى حوالي ١٢٩٠. راجع الذريعة ١٢: ٨٠.

٥ ـ **رسالة في زيارة عاشوراء**: تأليف المولى محمّد جعفر الاسترابادي (١٢٦٣ ـ ١١٩٧) ومنها نسخة عند الشيخ مهدي شرف الدين في شوشتر، ومن الممكن أن تكون نفس النسخة المرقّمة ٢٥١٧ في مكتبة سپهسالار. راجع الذريعة ١٢: ٧٩.

٦ ـ **رسالة في رواية زيارة العاشور**: تأليف أو كتابة نصر الله بن حسن الحسيني. في هذه الرسالة بذلت العناية لتصحيح سند زيارة عاشوراء، وأُودعت في في مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة برقم ٢٥٢٧/٣ مع المجموع الذي كتب في سنة ١٢٣٧، وهذا الكتاب وهي غير الرسالة التي ذكرت في مكتبة كلّيّة الحقوق تحت رقم ٢٩ من هذه المكتبة. راجع فهرست المكتبة ٥: ٨٩ و٩٠.

٧ ـ **رسالة في زيارة عاشوراء**: كتب الشيخ نصرالله بن عبدالله الشبستري يقول: ولبعض الأساطين من فقهاء بلدنا القاطنين في المشهد المقدّس العلوي على مشرّفه آلاف التحيّة والثناء تأليف في زيارة عاشوراء. راجع: اللؤلؤ النضيد: ٣٨.

٨ ـ **رسالة في آداب زيارة عاشوراء**: توجد هذه المخطوطة برقم ٤٣٤٣/٩ في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي، وذكر كاتب الفهرست أنّها من تأليفات

الشيخ محمّد باقر بن ملّا محسن الاصطهباناتي. أمّا ملاحظة الرسالة فتدلّ على أنّها فصل من رسالة أُخرى. راجع فهرست المكتبة ١٢: ٨٤ و٨٥.

٩ ـ **رسالة زيارة عاشوراء**: مؤلّف هذه الرسالة مجهول وتوجد نسخة منها برقم ... في متحف بريطانيا. راجع النسخ الخطّيّة (نشرة المكتبة المركزيّة لجامعة طهران ٤: ٦٦٣).

١٠ ـ **رسالة كيفيّة زيارة عاشوراء**: تأليف المولى محمّد محسن بن محمّد سميع الكاشاني، المتوفّى سنة ١٢٢٢ وهو من أحفاد المولى المحسن الفيض الكاشاني صاحب تفسير الصافي، توجد نسخة من هذه الرسالة برقم ٢٢١٧/١ في مكتبة آية الله الگلپايگاني. راجع فهرست المكتبة ٣: ١٩٧. وراجع أيضاً ملخّصاً عن حياة المؤلّف وآثاره في مقدّمة آية الله المرعشي النجفي على كتاب (معادن الحكمة في مكاتيب الأئمّة ص٤٩). وتوجد نسخ من كتبه في مكتبة فيض مهدوي في كرمانشاه. راجع فهرست مكتبة فيض مهدوي في نشرة «تراثنا» رقم ٩.

١١ ـ **زيارة عاشوراء وكيفيّتها**: تأليف الشيخ محمّد حسين بن القاسم القمشئي النجفي، المتوفّى سنة ١٣٣٥، وذكر شرحاً لحاله في نقباء البشر ص٦٣٥، وتوجد نسخة من هذه‌الرسالة في مكتبة السيّد محمّد علي القاضي الطباطبائي في تبريز، والمؤلّف يعرف بقمشئي الكبير، وهو معاصر للشيخ محمّد حسين بن أبي طالب قمشئي. راجع كنز العلماء ٥: ٣٩٠ و٣٩١ والذريعة ١٢: ٧٩ ومخطوطات نشرة المكتبة المركزيّة لجامعة طهران ٧: ٥١٨.

١٢ ـ **شرح مختصر (مصباح المتهجّد) أو المصباح الصغير**: تأليف السيّد بهاءالدين عليّ بن عبدالكريم الحسيني، أو كتابة السيّد زين الدين عليّ بن عبدالحميد النجفي بناءاً على اختلاف النظر في الموضوع. كتب هذا الكتاب في القرن

الثامن ومؤلّفه من كبار العلماء والأعلام البارزين، وذكر العلّامة المجلسي ﷺ في كتابه: جاء بعض فضلاء تستر بهذا الشرح إلى اصفهان فرأيته عنده ولم يكن فيه كثير فائدة بل هو مقصور على بيان تراكيب الألفاظ وما يتعلّق بالعربيّة ونحو ذلك. الذريعة ٢: ٥٠٠.

ونقل المرحوم القاضي نور الله المرعشي في مجالس المؤمنين ١: ١٣ ـ ١٥ طبع الإسلاميّة، والمولى أحمد النراقي في الخزائن: ٤٦٥ ط الإسلاميّة أيضاً مطالب من هذا الكتاب، ولمزيد الاطّلاع عن هذا الكتاب ومؤلّفه العظيم تراجع الكتب التالية:

١ ـ أعيان الشيعة ٤١: ٣٠٥ و٣١٠ رقم ٩٠٦٤.

٢ ـ أمل الآمل للشيخ الحرّ العامليّ ٢: ١٩٢.

٣ ـ تأسيس الشيعة: ٢٩٥.

٤ ـ ريحانة الأدب ١: ٢٩٤.

٥ ـ سفينة البحار ١: ١١٦.

وكتب أُخرى ذكرت في هامش روضات الجنّات ٤: ٣٤٧ و٣٥٣، وتوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة آية الله المرعشي في قم برقم ٤٥٦٨. راجع فهرست المكتبة ١٢: ١٤٣. ولمّا وردت زيارة العاشوراء في مصباح المتهجّد وهذا الكتاب في شرحها فينبغي اعتباره أوّل شرح لزيارة عاشوراء.

١٣ ـ **شرح جملة «يا ثار الله وابن ثاره»**: تأليف الشيخ علي الأكبر بن محمّد أمين اللاري، القرن الثالث عشر، وهذه الرسالة المفصّلة أُلّفت سنة ١٢٨٤ وتوجد نسخة منها تحت رقم ٤٠٨٦/١ في مكتبة آية الله المرعشي النجفي، وفهرست المكتبة ١١: ٩٩ و١٠٠ ذكرها.

١٤ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف الشيخ المفيد بن محمّد نبي الشيرازي، المولود

سنة ١٢٥١ والمتوفى سنة ١٣٢٥، ذكر ذلك الميرزا محمّد نصير «فرصت» الشيرازي في قصيدة له فارسيّة وذكر تاريخ تأليفها ١٣٠٣، وعرّف عنها في فهرست مكتبة آية المرعشي بذلك.

وهي شرح مزجي مفصّل جدّاً تتضمّن البحث في المواضيع الأدبيّة والتاريخيّة والاعتقاديّة، وتتصدّر الكتاب مقدّمة في فضل زيارة الإمام الحسين ومعنى عاشوراء، شرع في تأليفها غرّة شهر رمضان سنة ١٣٠٣ وفرغ من تأليفها في نفس السنة اليوم الثالث من ذي القعدة.

توجد نسخة من هذا الكتاب برقم ٣٧٥ في مكتبة آية الله المرعشي، وفي الفهرست ١: ٣٩٣ و٣٩٤ لمكتبة المرعشي ورد تعريف مطنب عن الكتاب والمؤلّف، وجاء شرح حاله في آثار العجم: ٢٦ ـ ٣٠، وكذلك جاء ذكره في كتاب علماء فارس وخطبائها ٢: ٤٩٣ ـ ٥٠٦ ذيل كلمة «داور» لتخلّصه بهذه الكلمة. راجع الذريعة ١٣: ٣٠٨.

١٥ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف الميرزا المرحوم محمّد علي الچهاردهي النجفي المتوفّى سنة ١٣٣٤ وتوجد نسخة منه في مكتبة قرية المؤلّف المرحوم السيّد مرتضى المدرّسي وهو وقفها على مكتبة الآستانة المقدّسة الرضويّة، وتوجد فيها الآن نسختان منها مع رسائل أُخرى من تأليف المؤلّف، برقم ٩٣٥٧ و١٢٣٧٠ قسم المخطوطات.

ألّفها سسنة ١٣٢٦ هجري قمري والنسخة المرقّمة ١٢٣٧٠ خير من غيرها، وفي مقدّمة شرح الصحيفة السجّاديّة ذكر المؤلّف تاريخ تأليفها سنة ١٣٣٢، وهذا اختلاف برز في تاريخ تأليف الكتاب.

١٦ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف سيّد أسد الله بن حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر الشفتي الاصفهاني الذي توفّي في طريقه إلى العتبات المقدّسة في كرند سنة

١٢٩٠، وتوجد نسخة الكتاب في مكتبة نجل المؤلّف. راجع الذريعة ١٣: ٣٠٧.

١٧ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف السيّد حسين بن أبي القاسم جعفر الموسوي الخونساري الاصفهاني، أُستاد السيّد مهدي بحر العلوم المتوفّى ١٠٩١. يراجع مقدّمة كتاب (مناهج المعارف) ص١٧٨ ـ ١٨٢ تأليف أبوالقاسم جعفر الخونساري المتوفّى سنة ١١٥٧، والذريعة ١٣: ٣٠٧.

١٨ ـ **شرح وترجمة زيارة عاشوراء بلغة الأُردو**: تأليف مولانا السيّد أنصار حسين صدر الأفاضل، المتوفّى سنة ١٣٨٧. راجع تذكرة علماء إماميّة پاكستان تأليف سيّد حسين عارف النقوي، ط ١٣٦٣ شمسي ص٥٨ ـ ٦٠.

١٩ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف سيّد حسين بن جعفر الموسوي اليزدي، وهذا الكتاب كتب على شكل سؤال وجواب عن بعض الجمل الواردة في الزيارة، وهو من آثار القرن الثالث عشر الهجري، وتوجد نسخة منه مع تاريخ تأليفها سنة ١٢٩٦ في أربع وتسعين ورقة في مكتبة وزيري بيزد برقم ١٤١٩، وجرى التعريف بها في فهرست المكتبة ٣: ٩٥٥ والمؤلّف له كتب كثيرة، وذكر أسمائها في الذريعة ٢: ٢٤٥ و٢٠ ك ٦٩، وكذلك في فهرست النسخ الخطيّة لمكتبة وزيري.

٢٠ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: مؤلّفه مجهول، وتوجد نسخة منه مرقّمة برقم ١٠٨٣٦/١٣ في مكتبة المرحوم آية الله الحاج ملّا علي المعصومي في همدان. راجع فهرست مكتبة مدرسة الآخوند في همدان، ص٤٥٢.

٢١ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: لمؤلّف مجهول، رقم هذه الرسالة ١٠١٨٤/١ وتوجد منها نسخة في مكتبة المرحوم آية الله معصومي المشهورة بمكتبة مدرسة الآخوند في همدان. راجع فهرست المكتبة ـ مدرسة الآخوند همدان، ص٤٤١.

٢٢ ـ **شرح كيفيّة زيارة عاشوراء**: تأليف أو كتابة المولى حسن بن إبراهيم الحسني

الساوجي، تاريخ تحرير الكتاب ١٢٨٦، توجد نسخة خطّيّة من هذه الرسالة في مكتبة المسجد الأعظم بقم مرقّمة برقم ٢٦٠٣. راجع فهرست المخطوطات في المكتبة طبع ١٣٦٤، ص ٣٦١.

٢٣ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف المرحوم الحاج الشيخ عبّاس الحائري الطهراني المتوفّى سنة ١٣٦٠، توجد نسخة من هذا الشرح عند نجل المؤلّف حجّة الإسلام والمسلمين الحاج الشيخ مهدي الحائري الطهراني. راجع آثار الحجّة تأليف الشيخ محمّد الرازي ١: ٢٢٥ و٢٢٦، ومقدّمة شرح أُصول الكافي.

٢٤ ـ **الصرخة المهدويّة الكبرى**: تأليف السيّد مهدي بن علي الغريفي البحراني المتوفّى ١٣٤٣ في زيارة عاشوراء وكيفيّة تلاوتها مع خاتمة في موضوع الإمامة والمؤلّف من تلاميذ المرحوم الشيخ محمّد طه نجف. راجع الذريعة ١٥: ٣٩.

٢٥ ـ **الصرخة الهدويّة (الصغرى)**: تأليف السيّد مهدي بن علي الغريفي البحراني النجفي المتوفّى ١٣٤٣، وهذا الكتاب تلخيص للكتاب السابق. الذريعة ١٥: ٣٩ و٤٠.

٢٦ ـ **الضيائيّة**: من المحتمل أن يكون التأليف لميرزا هداية الله بن ميرزا رضا الگلپايكاني المتوفّى حوالي ١٣٣٠، وهذا الكتاب يتحدّث في موضوع سند زيارة عاشوراء وكيفيّة قرائتها وثوابها وفضائل سيّدالشهداء وتاريخ الحائر الحسيني ومسائله.. كتب المؤلّف الرسالة باسم نجله ضياء الدين وشاهد نسختها في النجف الأشرف الحاج آقا بزرگ الطهراني. راجع الذريعة ١٥: ١٣٢.

٢٧ ـ **كيفيّة زيارة عاشوراء**: بقي اسم المؤلّف طيّ الكتمان. توجد نسخة منها ضمن المجموع... في مكتبة جامعة لوس انجلس بأمريكا. راجع نشرة

المكتبة المركزيّة لجامعة طهران ج ١١ ـ ١٢ ص٧١٣.

٢٨ ـ **كيفيّة زيارة عاشوراء**: لا يعرف مؤلّفها ولكنّه من علماء القرن الثالث عشر، وقد أثبت تاريخ ٢٧ ربيع الثاني عام ١٢٧١ في النسخة الخطّيّة، والظاهر أنّها النسخة الأصليّة، وينقل المؤلّف فيها مطالب عن أبيه وأُستاذه مطالب في كيفيّة زيارة عاشوراء ولم يذكر اسم واحد منهما، يحتوي هذا الكتاب على تسعين ورقة بقطع الربعي والجيبي وهو عربيّ ويحتفظ به في جامعة طهران برقم «٦٣ ـ د». راجع فهرست مكتبة كلّيّة الحقوق جامعة طهران ص٣٦٥.

٢٩ ـ **نتيجة النتائج**: تأليف الشيخ عليّ بن محمّد جعفر الشريعتمداري الاسترابادي، المتوفّى ١٣١٥، وذكرت باسم تلخيص «نتائج المأثور» تحت رقم ٣١ الفهرست. راجع الذريعة ٢٤: ٥٠.

٣٠ ـ **نتائج المأثور في ترجمة جنّة السرور**: تأليف الشيخ عليّ بن محمّد جعفر الشريعتمداري الاسترابادي، المتوفّى ١٣١٥، وهذه الرسالة ترجمة لفظيّة لرسالة: «جنّة السرور في تحقيق زيارة العاشور» وكانت ترجمتها بقلم المؤلّف إلى الفارسيّة. توجد نسخة غير كاملة منها بخطّ المؤلّف برقم ٣٠٩٠/١ في مكتبة آية الله المرعشي النجفي في قم. راجع فهرست المكتبة ٨: ٣١٣ و٣١٤، والذريعة ٢٤: ٤٧.

ب ـ المطبوعات

١ ـ **جامع الشتات**: تأليف آية الله القمّي صاحب القوانين، يحتوي هذا الكتاب على مسائل متنوّعة ومنها سؤال عن كيفيّة زيارة عاشوراء والجواب عنه، ونقلناه في الجزء الأوّل من شفاء الصدور.

ولا يخفى أنّ العلماء الكبار ومراجع التقليد قام كلّ بدوره ببيان كيفيّة تلاوة زيارة العاشور، وليس بالإمكان التعرّض لشرحها بأجمعها، وقد نقلنا جانباً من ذلك في الصدور وذكرنا جانباً من أقوالهم في الجزء الأوّل.

٢ ـ **الدرّ المنضود في شرح زيارة العاشور**: تأليف الميرزا أحمد بن عبدالرحيم المشهور بالميرزا التبريزي بأغميشة أي (المعاصر)، كتب هذاالشرح بالفارسيّة سنة ١٣٨٠ وتمّ طبعه في ٢٥٢ صفحة بالقطع الرقعي.

٣ ـ **ذخيرة العباد ليوم المعاد**: كتب الشيخ نصرالله بن عبدالله يقول: ولبعض مشايخ عصرنا رسالة في زيارة عاشوراء مطبوعة تسمّى بـ«ذخيرة العباد ليوم المعاد». راجع: اللؤلؤ النضيد: ٣٨، الذريعة ١٠: ١٦.

٤ ـ **رساله شرح «تايعت» در زيارت عاشور**: تأليف ميرزا محمّد باقر الحسيني المشهور بميرداماد، المتوفّى سنة ١١٠٤ في لفظ «تايعت» هو بالياء لا بالباء، وفي كتاب شفاء الصدور الذي بأيدينا في الجزء الثاني ص٣٣٩ نقل قول السيّد الداماد، وهذه الرسالة من كتاب الرواشح، وكتب المؤلّف نقداً عليه، وأشار إلى هذه الرسالة أغا بزرك في الذريعة ١٣: ١٣٢.

٥ ـ **رسالة في زيارة العاشوراء وكيفيّتها**: تأليف حجّة الإسلام السيّد محمّد باقر شفتي اصفهاني المتوفّى سنة ١٢٦٠، توجد نسخة من هذه الرسالة ضمن مجموع (سؤال وجواب) في مكتبة مدرسة سپهسالار الجديدة، ونقلناه في الجزء الأوّل من شفاء الصدور الطبع الجديدة. راجع الذريعة ١٢: ٧٩ وفهرست مكتبة سپهسالار ١: ٤٢٣ و٥٠٩.

٦ ـ **رسالة في كيفيّة زيارة عاشوراء**: تأليف المولى محمّد بن مهدي أشرفي المازندراني، المتوفّى سنة ١٣١٥، طبعت هذه الرسالة مع الطبعة الثانية لكتاب: «شعائر الإسلام من الحلال والحرام» في أواخر الكتاب وعرّف بشعائر

الإسلام في الذريعة ١٤: ١٩١ على النحو التالي مجموعة مفصّلة تشتمل على أبواب الفقه على شكل سؤال وجواب.. وذكرت ترجمة للمؤلّف في كتاب العلماء المعاصرون تأليف ملّا علي الواعظ الخياباني ص٦٢ ـ ٦٤.

٧ ـ **زاد المؤمنين**: تأليف السيّد محمّد تقي الهندي المعاصر، بالأُردو، في موضوع أعمال عاشوراء وزيارة عاشوراء وخواصّها، وطبع في مطبعة «نول كشور» في لكهنو. راجع الذريعة ١٢: ١١.

٨ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف ميرزا أبي المعالي بن محمّد إبراهيم بن حسن الخراساني الكلباسي المتوفّى سنة ١٣١٥، والكتاب باللغة العربيّة وفيه شرح بعض عبارات من زيارة عاشوراء وأحكام الحاير الحسيني وحدود وأحكام التربة الحسينيّة، ومسائل أُخرى حول هذا الموضوع. طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣٠٩.

٩ ـ **شرح زيارة عاشوراء**: تأليف المولى عبدالرسول النوري الفيروزكوهي المتوفّى بعد سنة ١٣٢٠، طبع هذا الكتاب في طهران سنة ١٣٢١ مع رسائل أُخرى للمؤلّف، ومرّ ذكره في فهرست مكتبة الآستانة الرضويّة ٣٣٢/٦، وكتب عقيب ذلك: المؤلّف من تلاميذ صاحب الفصول، والميرزا أبي القاسم الكلانتري، وجعل «گنجينة دانشمندان» كنز العلماء ٦: ١٢٤ و١٢٥، وفاته سنة ١٣٢٣، وذكر هذا الكتاب في الذريعة ١٣: ٣٠٨.

١٠ ـ **شفاء الصدور وهو الكتاب الحاضر**: هذا الكتاب من الشروح المطوّلة ـ وهو أشهرها ـ على زيارة عاشوراء، كتب في سنة ١٣٠٩ هجريّة، وبما أنّ مؤلّفه ذو إحاطة علميّة بالفقه والأُصول والحديث وعلم الهيئة والأدب العربي وغير ذلك فقد جاء الكتاب حافلاً بالنكات المتنوّعة والفوائد المهمّة من كلّ فنّ وعلم، وهذا يكفي دليلاً على عظمة الكتاب والكاتب ممّا حدى بالمرحوم

آية الله الميرزا محمّد الشيرازي أن يصدّره بتقريظ، ويحلّي صدر الكتاب به.

١١ ـ **شرح زيارت عاشور**: تأليف المرحوم المولى حبيب الله شريف الكاشاني المولود ١٢٦٢ والمتوفّى سنة ١٣٤٠، وهو شرح بالفارسيّة مختصر، مطبوع، وجاءت ترجمة المؤلّف في كتاب «لبّ اللباب في ألقاب الأطياب من آثار المؤلّف في ترجمة علماء كاشان، وريحانة الأدب ٥: ١٨ و١٩، وموسوعة دهخدا «لغتنامه دهخدا» ذيل ترجمة حبيب الله بن علي مدد الكاشاني، ومقدّمة عقائد الإيمان في شرح دعاء عديلة، طبع بصيرتي قم ١٣٩٦، ورسالة شرح حال ملّا حبيب الله شريف الكاشاني تأليف علي شريف من أحفاد المؤلّف، وذكر الكتاب في قائمة كتبه.

١٢ ـ **الكنز المخفي**: تأليف الشيخ عبدالنبي النجفي العراقي من تلاميذ المرحوم آية الله السيّد أبي الحسن الاصفهاني وآقا ضياء الدين العراقي... وهو كتاب بالفارسيّة في آداب زيارة عاشوراء وكيفيّتها، طبع على الحجر في طهران ١٣٧١، جاء شذرة من حياة المؤلّف في فهرست مكتبة «آستانة قدس الرضويّة» ٥: ٥٣٥ و«گنجينه دانشمندان» ٢: ١٩٦ و١٩٨ كما ذكرت مؤلّفاته في كتاب «غوالي اللئالي في فروع العلم الإجمالي» طبع قم سنة ١٣٧٠. راجع فهرست مكتبة استانة قدس الرضوي ٦: ٣٤٤ طبع سنة ١٣٤٤ شمسي، وهذا الكتاب ذكر في فهرست كتب «مشار» المطبوعة ص٤٣٣، وفهرست الكتب الفارسيّة لدار الترجمة والنشر المطبوعة ٢: ١٨٧٨ باسم رسالة في زيارة عاشوراء باللغة العربيّة، نسبت إلى الحاج يوسف بوعلي البحراني في حين، هي: ١ ـ باللغة الفارسيّة لا العربيّة، ٢ ـ الكتاب طبع بسعي الحاج يوسف بوعلي البحراني لأنّه من تأليفه، ٣ ـ السم الكتاب الكنز المخفي وكثيراً ما يعرض السهو والنسيان للناس في مثل هذه الأُمور وهو أمر عاديّ.

١٣ ـ **اللؤلؤ النضيد في شرح زيارة مولانا الشهيد أبي عبدالله الشهيد** عليه السلام: تأليف الشيخ نصرالله بن عبدالله الشبستري، المولود سنة ١٣٣٣، وهذا الكتاب باكورة كتب المؤلّف، وألّفه سنة ١٣٥٩، وتمّ طبعه في العام نفسه وجدّدت طبعه في قم مؤسّسة الإمام المهدي عليه السلام. راجع فهرست «آستانه قدس» الطبعة القديمة ٦: ٣٤٤ و٣٤٥.

١٤ ـ **المصباح والنور في شرح زيارة العاشور**: تأليف الميرزا محمّد بن حسين التبريزي التوتونچي (المعاصر) وهو شرح مختصر بالفارسيّة، كتبه سنة ١٣٩٢ وطبع في السنة نفسها، ويحتوي على ٨٧ صفحة بالقطع الرقعي، وللكتاب شروح أُخرى على زيارة الجامعة ودعاء الندبة والخطبة الشقشقيّة.

١٥ ـ **نور على نور في آداب زيارة العاشور**: تأليف ميرزا حبيب الله بن شيرمحمّد الهمداني، وهذا الكتاب بالفارسيّة، ويشتمل على خمسة أنوار وخاتمة، كتبه سنة ١٣١٧، وفي سنة ١٣٢٠ طبع في بمبي بالقطع الرقعي في ٢٤٢ صفحة. راجع الذريعة ٢٤: ٣٧١ و٣٧٢، فهرس كتب مشار الفارسيّة المطبوعة ١٦: ٥٣٣٥، وفهرست كتب دار ترجمة ونشر الكتاب الفارسيّة المطبوعة ج٢ عمود ٣٣٢٢.

* * *

منّ الله عليّ ففرغت من ترجمته في ذي الحجّة الحادي والعشرين منه سنة ١٤٢٥ في داري بالأهواز.

محمّد شعاع فاخر

المحتويات

أَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِكَ مَعَ إمامٍ مَنْصُورٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ ٣

صَلَّىٰ اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ٨

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي عِنْدَكَ وَجِيهاً بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ٢٨

يَا أَبا عَبْدِاللّٰهِ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَى اللّٰهِ وَإِلىٰ رَسُولِهِ وَإِلىٰ أَمِيرِالْمُؤْمِنِينَ وَإِلىٰ فاطِمَةَ وَإِلَى الْحَسَنِ وَإِلَيْكَ بِمُوالاتِكَ وَبِالْبَراءَةِ مِمَّنْ قاتَلَكَ ، وَنَصَبَ لَكَ الْحَرْبَ ، وَبِالْبَراءَةِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَسَاسَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ عَلَيْكُمْ وَأَبْرَأُ إِلَىٰ اللّٰهِ وَإِلىٰ رَسُولِهِ مِمَّنْ أَسَّسَ أَساسَ ذٰلِكَ وَبَنىٰ عَلَيْهِ بُنْيانَهُ ، وَجَرىٰ فِي ظُلْمِهِ وَجَوْرِهِ عَلَيْكُمْ وَعَلَىٰ أَشْياعِكُمْ ٣٢

بَرِئْتُ إِلَىٰ اللّٰهِ وَإِلَيْكُمْ مِنْهُمْ ، وَأَتَقَرَّبُ إِلَىٰ اللّٰهِ ثُمَّ إِلَيْكُمْ بِمُوالاتِكُمْ وَمُوالاةِ وَلِيِّكُمْ ، وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَعْدائِكُمْ ، وَالنَّاصِبِينَ لَكُمُ الْحَرْبَ ، وَبِالْبَراءَةِ مِنْ أَشْياعِهِمْ وَأَتْباعِهِمْ ، إِنِّي سِلْمٌ لِمَنْ سالَمَكُمْ ، وَحَرْبٌ لِمَنْ حارَبَكُمْ ، وَوَلِيٌّ لِمَنْ والاكُمْ ، وَعَدُوٌّ لِمَنْ عاداكُمْ ٤٢

فَأَسْأَلُ اللّٰهَ الَّذِي أَكْرَمَنِي بِمَعْرِفَتِكُمْ وَمَعْرِفَةِ أَوْلِيائِكُمْ ، وَرَزَقَنِي الْبَراءَةَ مِنْ أَعْدائِكُمْ ، أَنْ يَجْعَلَنِي مَعَكُمْ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ٥٠

وَأَنْ يُثَبِّتَ لِي عِنْدَكُمْ قَدَمَ صِدْقٍ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ ٥٤

وَأَسْأَلُهُ أَنْ يُبَلِّغَنِي الْمَقامَ الْمَحْمُودَ الَّذي لَكُمْ عِنْدَ اللّٰهِ ٥٧

وَأَنْ يَرْزُقَنِي طَلَبَ ثارِي مَعَ إمامٍ مَهْدي ظَاهِرٍ نَاطِقٍ مِنْكُمْ ٦٤

وَأَسْأَلُ اللّٰهَ بِحَقِّكُمْ وَبِالشَّأْنِ الَّذِي لَكُمْ عِنْدَهُ أَنْ يُعْطِيَنِي بِمُصابِي بِكُمْ أَفْضَلَ مَا يُعْطِي مُصاباً بِمُصِيبَةٍ ٨٩

مُصِيبَةً مَا أَعْظَمَها وَأَعْظَمَ رَزِيَّتَها فِي الإِسْلامِ وَفِي جَمِيعِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ ٩٤

اللّٰهُمَّ اجْعَلْنِي فِي مَقَامِي هٰذَا مِمَّنْ تَنالُهُ مِنْكَ صَلَواتٌ وَرَحْمَةٌ وَمَغْفِرَةٌ. اللّٰهُمَّ اجْعَلْ مَحْيايَ مَحْيا مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ، وَمَماتِي مَماتَ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ ١٢٨
اللّٰهُمَّ إِنَّ هٰذَا يَوْمٌ تَبَرَّكَتْ بِهِ بَنُو أُمَيَّةَ ١٤٢
وَابْنُ آكِلَةِ الْأَكْبادِ، اللَّعِينُ ابْنُ اللَّعِينِ عَلَىٰ لِسانِ نَبِيِّكَ، فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَمَوْقِفٍ وَقَفَ فِيهِ نَبِيُّكَ صَلَواتُكَ عَلَيْهِ وَآلِهِ ١٧٠
اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَبا سُفْيانَ ١٨٥
وَمُعاوِيَةَ بن أَبِي سُفْيانَ ١٩٢
وَيَزِيدَ بْنَ مُعاوِيَةَ ٢٢٩
عَلَيْهِمْ مِنْكَ اللَّعْنَةُ أَبَدَ الْآبِدِينَ ٢٨٣
وَهٰذَا يَوْمٌ فَرِحَتْ بِهِ آلُ زِيادٍ وَآلُ مَرْوانَ بِقَتْلِهِمُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَام ٢٨٤
اللّٰهُمَّ فَضاعِفْ عَلَيْهِمُ اللَّعْنَ وَالْعَذابَ بِقَتْلِهِم الحُسَينَ عَلَيْهِ السَّلَام ٣٢٣
اللّٰهُمَّ إِنِّي أَتَقَرَّبُ إِلَيْكَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ، وَفِي مَوْقِفِي هٰذَا، وَأَيَّامِ حَيَاتِي بِالْبَرَاءَةِ مِنْهُمْ، وَاللَّعْنَةِ عَلَيْهِمْ، وَبِالْمُوالاةِ لِنَبِيِّكَ وَآلِ نَبِيِّكَ عَلَيْهِمُ السَّلامُ ٣٢٥
اللّٰهُمَّ الْعَنْ أَوَّلَ ظَالِمٍ ظَلَمَ حَقَّ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَآخِرَ تَابِعٍ لَهُ عَلَىٰ ذٰلِكَ ٣٢٦
اللّٰهُمَّ الْعَنِ الْعِصَابَةَ الَّتِي جاهَدَتِ الْحُسَيْنَ وَشايَعَتْ وَبايَعَتْ وَتابَعَتْ عَلَىٰ قَتْلِهِ، اللّٰهُمَّ الْعَنْهُمْ جَمِيعاً ٣٥١
السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَبا عَبْدِاللّٰهِ وَعَلَىٰ الْأَرْواحِ الَّتِي حَلَّتْ بِفِنائِكَ ٣٥٧
لَا جَعَلَهُ اللّٰهُ آخِرَ الْعَهْدِ مِنِّي لِزِيارَتِكَ ٣٥٧
السَّلامُ عَلَى الْحُسَيْنِ ٣٥٨
وَعَلَىٰ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ ٣٥٩
وَعَلَىٰ أَوْلادِ الْحُسَيْنِ ٣٦٨
وَعَلَىٰ أَصْحابِ الْحُسَيْنِ ٣٧٣

اللّٰهُمَّ خُصَّ أَنْتَ أَوَّلَ ظالِمٍ بِاللَّعْنِ مِنِّي ، وَابْدَأْ بِهِ أَوَّلاً ثُمَّ الثَّانِيَ ثُمَّ الثَّالِثَ ثُمَّ الرَّابِعَ ٣٧٨
اللّٰهُمَّ الْعَنْ يَزِيدَ بنَ مُعاوِيَةَ خامِساً ، وَالْعَنْ عُبَيْدَاللّٰهِ بْنَ زِيادٍ وَابْنَ مَرْجانَةَ وَعُمَرَ بْنَ سَعْدٍ وَشِمْراً وَآلَ أَبِي سُفْيانَ وَآلَ مَرْوَانَ إِلىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. ٣٩٤
اللّٰهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ حَمْدَ الشَّاكِرِينَ لَكَ عَلَىٰ مُصَابِهِمْ ٣٩٩
الْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلَىٰ عَظِيمِ رَزِيَّتِي ٤٠٤
اللّٰهُمَّ ارْزُقْنِي شَفاعَةَ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلامُ يَوْمَ الْوُرُودِ ٤٠٥
وَثَبِّتْ لِي قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَكَ مَعَ الْحُسَيْنِ وَأَصْحابِ الْحُسَيْنِ الَّذِينَ بَذَلُوا مُهَجَهُمْ دُونَ الْحُسَيْنِ. ٤٠٥
قوله ﷺ : «يا الله يا الله» إلى آخره ٤١٠
قوله ﷺ : «يا من هو أقرب إليّ من حبل الوريد» ٤١١
قوله ﷺ : «يا من يحول بين المرء وقلبه» ٤١٢
قوله ﷺ : «يا من هو بالمنظر الأعلى وبالأُفق المبين» ٤١٣
قوله ﷺ : «يا من يعلم خائنة الأعين» ٤١٣
قوله ﷺ : «يا من لا تغلّطه الحاجات» ٤١٤
قوله ﷺ : «يا من لا يبرمه» ٤١٤
قوله ﷺ : «يا من هو كلّ يوم في شأن» ٤١٤
قوله ﷺ : «أقسم وأعزم عليك» ٤١٥
قوله ﷺ : «وباسمك الذي جعلته عندهم» ٤١٥
قوله ﷺ : «وتجبرني من الفقر» ٤١٦
قوله ﷺ : «كيد الكيدة» ٤١٦
قوله ﷺ : «فكده» ٤١٦
قوله ﷺ : «اللهمّ اشغله» ٤١٦
قوله ﷺ : «ومسكنة» ٤١٧

قوله عليه السلام : «نصب عينيه» ٤١٧
قوله عليه السلام : «وخذ عنّي» ٤١٧
قوله عليه السلام : «شاغلاً عنّي» ٤١٧
قوله عليه السلام : «من مخلوق غيرك» ٤١٨
قوله عليه السلام : «وأتشفّع» ٤١٨
قوله عليه السلام : «ومؤنة» إلى آخره ٤١٨
قوله عليه السلام : «واصرفني» ٤١٩
قوله عليه السلام : «ما أهمّني» ٤١٩
قوله عليه السلام : «يا أمير المؤمنين» ٤١٩
قوله عليه السلام : «من زيارتكما» ٤٢٠
قوله عليه السلام : «مستجاباً» ٤٢٠
قوله عليه السلام : «وتشفّعا» ٤٢٠
قوله عليه السلام : «على ما شاء الله» ٤٢١
قوله عليه السلام : «وأقول حسبي الله وكفى» ٤٢١
قوله عليه السلام : «سمع الله لمن دعى» ٤٢١
قوله عليه السلام : «ليس وراءكم» ٤٢١
قوله عليه السلام : «وأنت يا أبا عبدالله» ٤٢٢
قوله عليه السلام : «سلامي» ٤٢٣
قوله عليه السلام : «إن شاء الله» ٤٢٣
قوله عليه السلام : «غير آيس ولا قانط» ٤٢٣